



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

کتابخانه تحفه
تاریخ اسلام و ایران
نقش
۱۲۷۴



أدب القشيع
فى الشمال الإفريقى

غزالی، عبدالامير عبدالزهره. عناد
ادب التشيع في الشمال الإفريقي - حتى نهاية القرن الثامن الهجري / عبدالامير عبدالزهره عناد الغزالي.
صحخته و نقّحته: رقيه رستم پور ملكى - تهران: فرهنگ منهاج، ۱۳۸۳.
۵۲۸ ب ص: الخريطة.

ISBN 964-8383-12-X

عربى.
فهرست نویسی براساس اطلاعات فیبا.
کتابنامه: ص ۵۱۵ - ؛ همچنین به صورت زیر نویس.
۱. ادبیات شیعه - آفریقای شمالی از آغاز تا قرن ۸ق. - ۲. ادبیات عربی. الف. عنوان.

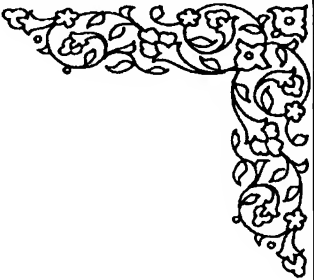
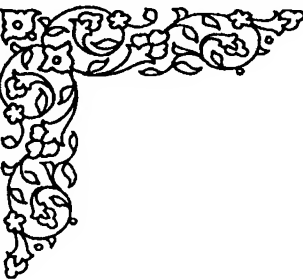
۸۹۲/۷۰۹

PJA۲۰۸۵/۹۴۳

۸۳-۳۴۹۳۹ م

۱۳۸۳

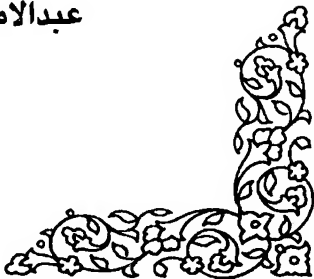
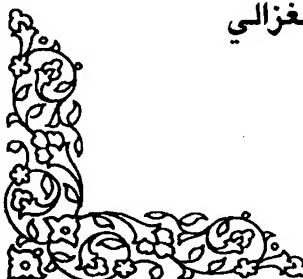
کتابخانه ملی ایران



أدب التشييع في الشمال الإفريقي

حتى نهاية القرن الثامن الهجري

عبد الأمير عبد الزهرة عناد الغزالي





انتشارات فرهنگ منہاج

■ عنوان: **أدب التشیع في الشمال الإفريقي حتى نهاية القرن الثامن الهجري**

■ تأليف: **الدكتور عبد الأمير عبد الزهره العناد الغزالي**

■ صحّحته ونقّحته: **الدكتورة رقيّة رستم پور ملكی**

■ سنة النشر: ۱۴۲۷ هـ. ق. ۱۳۸۵ هـ. ش

■ الطبعة: الأولى

■ رمز الإنتاج: م.ع - ۸۱

■ العدد: ۲۱۰۰

■ شابک: X-۱۲-۸۳۸۳-۹۶۴

■ ISBN 964-8383-12-X

تهران: خیابان وحدت اسلامی، خیابان فرهنگ، کوی یازدهم، فرعی اول سمت راست، شماره ۷. تلفن: ۵۵۳۶۶۷۷۲

قم: خیابان شهداء، شهداء ۲۶، کوی نبوی، شماره ۴۱. تلفن: ۷۷۴۸۲۴۹، ۷۷۴۳۳۳۴. صندوق پستی: ۴۶۹-۳۷۱۸۵

E-mail: Entesharat@Farhangmenhaj

همه حقوق برای ناشر محفوظ است.



تبذل مؤسسة «فرهنگ منهاج» الثقافية قصارى جهدها قدر المستطاع لترقية وثقافة المجتمع و محتواه العلمي والفني وازدهارها لاسيما بين الشباب والمتقنين وطلبة العلم الأصيل والفن البناء، وهي من هذا المنطلق تعتقد بالانفتاح وتلاقح الآراء وتستقبل طبع ونشر ما جادت به أقلام الكتاب وخبرتهم، شريطة أن تحظى بالقبول والتأييد من قبل وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي. على هذا، لا يحمل كل أثر أو كتاب تقوم المؤسسة بنشره آراء المعنيين بها. ولا يدل بالضرورة على تأييد الأثر من قبلها.

كما لا تقوم مؤسسة النشر بأي تدخل أو تصرف كالحذف والإضافة في الآثار المطبوعة فيها، وتعود جميع مسؤوليات الأثر من نصه ومضمونه وكيفية التنقيح وتصميم الصفحات وسائر المواصفات إلى مؤلفه وصاحبه بكل أفكاره واسلوبه.

تتولى مؤسسة «فرهنگ منهاج» الثقافية مسؤولية النشر والطبع شرعياً وقانونياً فحسب، ويتم رد أو قبول الآثار عن طريق وزارة الثقافة والإرشاد الاسلامي.

وفي الختام نوجه الدعوة إلى جميع الكتاب وأصحاب الفن الأعزاء أن يقدموا آثارهم الفنية ومصنفاتهم في شتى المجالات سواء المكتوبة منها والمضغوطة والأفلام والأشرطة و..... إلى هذه المؤسسة كي تنشر كما يروق لهم.

الإهداء

إلى مَنْ تشييع له المتشييعون
إلى مَنْ عُرِفَت الشيعة بالتشييع له
إلى مَولاي أمير المؤمنين
أُهدي هذا الجهد المتواضع.....
بضاعة المقلّين.....
راجياً منه القبول
وأن يجعلها ذخيرة لي ولوالدي
يوم لاساقي على الحوض الآهو
فإن لم أكن أهلاً فهو أهل.

المحتويات

٩	الاهداء
١٧	المقدمة
٢٥	منهج البحث
٢٩	الباب الأول: الاسلام والتشيع في شمال إفريقيا
٣١	الفصل الأول: المسلمون والعرب في الشمال الإفريقي
٣٣	- تمهيد
٣٦	- جغرافية الشمال الإفريقي أو المغرب العربي
٣٨	- سكان المغرب العربي
٤٢	- لغة الشمال الإفريقي
٤٣	- ديانات الشمال الإفريقي
٤٨	- تعريب الشمال الإفريقي

- ٥٥ الفصل الثاني: التشيع وأدواره في الشمال الإفريقي
- ٥٧ -تاريخ التشيع في الشمال الإفريقي
- ٥٨ -الشيعة الأوائل في الشمال الإفريقي
- ٦١ -بدايات التبليغ الشيعي في الشمال الإفريقي
- ٦٢ -انتشار التشيع في الشمال الإفريقي
- ٦٦ -تشيع الادارسة
- ٦٩ -التشيع في زمن الفاطميين
- ٧٢ -التشيع بعد الفاطميين
- ٧٥ -المذاهب الاسلامية الاخرى في الشمال الإفريقي
- ٧٨ -دولة الأغالبة والتشيع
- ٨٠ -المغرب مركز إشعاع شيعي
- ٨٢ -الثورات الشيعية في الشمال الإفريقي
- ٨٤ -طبيعة التشيع المغربي وعقائده
- ٨٦ -دول التشيع في الشمال الإفريقي
- ٨٧ -الدولة الادريسية
- ٩٦ -الدولة الفاطمية
- ١٠٤ -الموحدون
- ١٠٩ -الحفصيون
- ١١٠ -المرينيون
- ١١٢ -التشيع في الشمال الإفريقي والمؤرخون

الباب الثاني: الأدب العربي والشيعي في شمال افريقيا -رؤية عامة ١١٩

- ١٢١ الفصل الأول: الأدب العربي في الشمال الإفريقي
- ١٢٣ -الأدب العربي في المغرب
- ١٢٥ -اتجاهات الأدب المغربي

- وسطية الأدب المغربي ١٢٧
- ضياح الأدب المغربي وأهماله ١٢٩
- تاريخ الانتاج الأدبي في المغرب ١٣٢
- تقدم الأدب المغربي وازدهاره ١٣٤
- المغاربة واختراع بعض الأعاريض ١٣٦
- الأدب المغربي ودوره في الصراعات السياسية ١٣٧
- خصائص وميزات الأدب المغربي ١٣٩

- الفصل الثاني: الأدب الشيعي وموقعه الريادي في الشمال الإفريقي** ١٤١
- التشيع رائد الأدب العربي في المغرب ١٤٣
- مراكز التشيع في الشمال الإفريقي ودورها الثقافي ١٤٥
- مدينة فاس ١٤٥
- فاس فاتحة الأدب العربي والشيعي في المغرب ١٤٨
- جامع القرويين من مراكز التشيع الثقافية ١٥٣
- المهدية ١٥٤
- الجامع الأزهر الشريف ١٥٨
- مراكز التشيع الثقافية الأخرى في الشمال الإفريقي ١٥٩

- الباب الثالث: الأدب الشيعي في الشمال الإفريقي ... عصوره ورجاله** ١٧١

- الفصل الأول: العصور الأدبية الشيعية في الشمال الإفريقي** ١٧٣
- مركزات تقسيم الأدب الشيعي في الشمال الإفريقي الى عصور ١٧٥
- العصر الإدريسي أو العصر العلوي ١٧٨
- خصائص الأدب في العصر الإدريسي ١٨٩
- العصر الفاطمي ١٩٠
- خصائص الأدب في العصر الفاطمي ٢٠٨



- ٢١١ -العصر الموحيدي
- ٢٢١ -خصائص الأدب في العصر الموحيدي
- ٢٢٢ -العصر الحفصي
- ٢٢٦ -خصائص الأدب في العصر الحفصي
- ٢٢٧ -العصر المريني
- ٢٣٨ -خصائص الأدب في العهد المريني
- ٢٣٩ -عهود أخرى
- ٢٤٠ -الأدب الشيعي المغربي ... ضياع أو تضيع؟

- ٢٤٧ الفصل الثاني: زعماء الشيعة من أبرز ادباء الشمال الإفريقي
- ٢٤٩ -الأدب وتأصله عند زعماء الشيعة
- ٢٥٠ -إدريس بن عبدالله بن حسن
- ٢٥٣ -إدريس بن إدريس بن عبدالله
- ٢٥٦ -ادباء آخرون من امراء الإدراسته
- ٢٥٧ -ابو عبدالله الصنعاني
- ٢٥٩ -عبيدالله المهدي
- ٢٦١ -محمد القائم بن عبيد الله المهدي
- ٢٦٧ -اسماعيل المنصور بن محمد القائم
- ٢٧١ -معد بن اسماعيل
- ٢٧٥ -تميم بن المعز لدين الله الفاطمي
- ٢٨٨ -العزيز الفاطمي
- ٢٩٠ -القاضي النعمان أبو حنيفة
- ٢٩٨ -امراء ادباء آخرون من العهد الفاطمي
- ٣٠١ -محمد بن تومرت

- ٣١٣ الباب الرابع: أنواع وخصائص الأدب الشيعي في الشمال الإفريقي

٣١٥	الفصل الأول: الشعر وأغراضه
٣١٧	- الشعر الشيعي في الشمال الإفريقي تناول كل الأغراض الشعرية
٣١٩	- الشعر الشيعي في الشمال الإفريقي
٣٢٠	- أغراض الشعر الشيعي في الشمال الإفريقي
٣٢١	- المهدي المنتظر
٣٢٩	- الإمامة والوصاية والعصمة
٣٣٥	- الشعر السياسي والنقائض
٣٥٥	- الغدير
٣٥٨	- الحسين <small>عليه السلام</small> و كربلاء
٣٦٦	- الرثاء
٣٦٩	- المدح والهجاء
٣٨٥	- أغراض أخرى
٣٩٣	الفصل الثاني: النثر وأنواعه
٣٩٥	- النثر فاتحة الأدب الشيعي في المغرب
٣٩٧	- الخطابة
٤٠٣	- الرسائل والكتابة الديوانية
٤١٤	- النثر العلمي - المؤلفات والمصنفات
٤٢١	الفصل الثالث: خصائص أدب التشيع في الشمال الإفريقي
٤٢٤	- التقليد للمشاركة
٤٢٩	- غلبة الروح السياسية الدينية
٤٣٣	- احتفاظ الشعر الشيعي بروحه الفنية
٤٣٥	- حرارة العاطفة وصدق الايمان بالمعتقد
٤٣٨	- الإمام بأنواع النثر وأغراض الشعر
٤٤٠	- الخصائص الفنية لأدب التشيع



الملحق رقم -١-

- تراجم لبعض ادباء التشيع وأبرز رجالاته في الشمال الإفريقي ٤٤٣

الملحق رقم -٢-

- حكام وخلفاء التشيع في الشمال الإفريقي ٤٩٧

الملحق رقم -٣-

- الخرائط ٥٠١

- الخاتمة ٥١١

- مصادر البحث ٥١٥

المقدمة :

يحتل المغرب العربي المتمثل بالشمال الإفريقي والذي يتكون من برقة وطرابلس «ليبيا» الحالية، و المغرب الادنى «تونس» المعاصرة، و المغرب الأوسط «الجزائر» في ايامنا، والمغرب الأقصى «المغرب» أقصى دول غربنا العربي الاسلامي حاليا، أهمية خاصة في تاريخنا العربي الإسلامي، وذلك لما قامت على أرضه من دول و كيانات سياسية اتسمت بالقوة و العلو و الرفعة، حيث تمكنت هذه الدول و الكيانات من ترسيخ مبادئ الإسلام في أرضها أولا، ونشره إلى أصقاع الدنيا التي طالتها ايديها ثانيا، حيث كان المنطلق من أرض الشمال الإفريقي لفتح بلاد الأندلس التي من خلالها عرفت اوربا الدين الاسلامي. كما أن الشمال الإفريقي كان المصد الأول أمام أعداء الإسلام الذين كانوا يستهدفون عقر الديار الاسلامية.

هذا ويكتسب الشمال الإفريقي من جانب آخر منزلة سامية نظراً لما أثرى به حضارتنا العربية والاسلامية في مختلف انواع العلوم والفنون على أيدي الأفاضل من علمائه و ادبائه، الذين أبدعوا أي ابداع في شتى المجالات حتى سطعت أسماؤهم من



العظماء، وازدهرت تلك العلوم والفنون وتقدمت بجهودهم وبراعتهم وتفوقهم، ولا أدل على ذلك من علم الاجتماع الذي اعطيت براءة اختراعه - تاريخيا - لابن خلدون في مقدمته الشهيرة.

و نؤكد ان الانتاج العلمي والفني والثقافي الذي اسدته أرض الشمال الإفريقي لتراثنا العربي والاسلامى في مختلف الحقول لو أتيح له أن يجمع ويدرس لاحتاج الى مجلدات كثيرة وموسوعات مطولة، ولأغنى مسيرتنا العلمية والفنية، فى المشرق.

ولكن مما يؤسف له أن هذا الانتاج العلمي والفني الرائع في أرض الشمال الإفريقي و الذي حصل على أيدي الافذاذ من اعلامه لم يدرس تلك الدراسة التي يستحقها، ولم يبحث ذلك البحث الذي يتناسب و حجمه و عظمته، و الاكثر من هذا فقد أهمل حتى اصيب معظمه بالضياح او التضيع لسبب أو لآخر، وحتى ما درس منه وبحث، فإنه لم يعتن به تلك العناية التي تتلائم وطبيعته العلمية والابداعية. وقد كانت المبادرات الاولى في دراسة التراث المغربي من نصيب وجهود المستشرقين، وكأنّ العرب المسلمين لايعنيهم الأمر من قريب ولا من بعيد، وقد اكّد ذلك الجهد وتلك المحاولات للمستشرقين الدكتور السيد عبدالعزيز سالم حين يقول «وبينما المستشرقون وحدهم يستأثرون البحث في تراث المغرب الغني والفكري»^١

كما نراه يشير الى حقيقتين في هذا المجال وهما اولاً: الارتباط الحضارى الوثيق للمغرب مع المشرق الاسلامى بالرغم من الانفصال السياسى عن المشرق «كان المغرب العربي في العصر الاسلامى يرتبط حضاريا بالاقطار الاسلامية الشرقية ارتباطا وثيقا، على الرغم من انفصاله سياسيا عن المشرق الاسلامى»^٢.

وثانيا غزارة الانتاج الفكري والفني المغربي «وبلاد المغرب تزخر بالآثار الاسلامية التي يمتد تاريخها من الفتح العربي سنة ٥٥٠ هـ»^٣.

١- سالم السيد عبدالعزيز: تاريخ المغرب الكبير ج ٢، المقدمة، دار النهضة العربية، بيروت.

٢- نفس المصدر.

٣- نفس المصدر.



ولم تزل تلك المبادرات بيد المستشرقين حتى تنبه بعض النابهين من أبناء الشمال الإفريقي - خاصة - وشاركهم آخرون من الباحثين العرب والمسلمين إلى دراسة هذا التراث العظيم، الذي زخرت به أرض المغرب العربي وشرعوا في التنقيب عنه أمثال العلامة حسن حسني عبدالوهاب، والدكتور محمد اليعلاوي، والدكتور محمد طه الحاجري، وعبدالله كنون، والدكتور حسين مؤنس، والدكتور احسان عباس، والدكتور ابراهيم جاد الرب الدسوقي، والدكتور بشير خلدون، والدكتور عبدالعزيز الاهواني، والدكتور عبدالسلام الهراس، والدكتور محمد علي مكي، والشيخين محمد وعلي النيفر وغيرهم، ولكن هذه المحاولات بالرغم من موفقيتها واتساعها في السنوات الاخيرة، وامتداد رقعتها الى باحثين آخرين الآ انها لم تؤدّ التراث الفكري والفني المغربي حقه و هو بحاجة الى بذل الجهد الاعمق والاوسع.

وما دمنا قد عرفنا ذلك الاهمال الذي أصيب به الانتاج المغربي في مجال تراثه الفكري والفني، وما دام الأدب يمثل شعبة مهمة من شعب الفن لا بد أنه أصيب هو الآخر بما أصيب به عموم الفن المغربي، وقد اكد الكثير من الباحثين هذه النكبة التي طالت الأدب المغربي و اشاروا الى المقصود في البحث والدراسة والتسجيل لهذا الأدب، ناهيك عن الضياع أو التضييع الذي مّني به ذلك الادب، ومن الباحثين الذين اشاروا الى الجهود التي لازالت قاصرة ودون المستوى المطلوب في دراسة الأدب المغربي الدكتور بشير خلدون اذ يقول «لقد ظل الأدب العربي في بلاد المغرب، وما يزال بحاجة ملحة الى البحث والدراسة، وما كتب عنه حتى الآن يمثل جهدا اوليا لمجموعة من الباحثين والدارسين، لا يعطى صورة واضحة عن واقع الحركة الادبية الفكرية في هذه الرقعة»^١ و يبدو هذا الكلام أكثر وضوحا خاصة اذا ما عرفنا «ان سكان المغرب لم يمس عليهم

١- خلدون بشير: الحركة النقدية على ايام ابن رشيق المسيلي ص ٥ - الحركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨١.



الآقرن واحد حتى اصبحوا متمسكين باللغة العربية المضرية الشريفة، مشبّعين بآداب الامة العربية راوين لآخبارها و وقائعها واشعارها»^١

وتجدر الاشارة الى ان التقاليد الادبية والفكرية والسياسية المشرقية انتقلت مع العرب المسلمين من المشرق الى المغرب العربي أثناء وصول العرب الى أرض الشمال الإفريقي، سواء مع جيوش الفتح الاولى لأرض ذلك الشمال أو في الهجرات اللاحقة من قبل العرب المشاركة الى تلك الارض، ومن المعلوم أن الشيعة كانوا من أكبر المذاهب الاسلامية والأحزاب السياسية الاسلامية في المشرق، وكانوا يمتلكون اسسا عقائدية ونظرية سياسية، وقد دافعوا عنها جيمعا بالقول والفعل، وقد كان لهم أدب لا يستهان به ويشكل شعبة مهمة من الأدب العربي سواء ما صدر من الشيعة من أدب في مجال الفكر والعقيدة والمبدأ والسياسة وسواء في بقية الاغراض الادبية الشعرية والنثرية. ومما لا شك فيه ان الشيعة قد تمكنوا من اثبات وجودهم في أرض الشمال الإفريقي، ومن تأسيس اقوى الدول والكيانات السياسية في المغرب العربي، فما داموا كذلك وما دامت التقاليد السياسية والادبية والفكرية المشرقية قد انتقلت مع العرب المسلمين الذين توجهوا الى أرض المغرب العربي، وما دام للشيعة اصاله ادبية عميقة، فمما لا مناص منه انه كان لهم أدب وانتاج أدبي في ربوع المغرب العربي «حيث انه لم تخل اية دولة ظهرت في المغرب من وجود شعراء وادباء وعلماء»^٢، ولا نحسب هذا الأدب بمنأى عن الاهمال والضياع والتضييع الذي مني به عموم الأدب العربي في الشمال الإفريقي، بل نعتقد أن حصة الأدب الشيعي كانت هي الاوفر، وذلك لجملة من العوامل منها التعصب الطائفي من لدن بعض الباحثين، خاصة بعدما انحصر الوجود السياسى الشيعي في المغرب العربي، واصبحت الغلبة فيه لبعض المذاهب الاسلامية الاخرى. ومنها ان «العناية بتاريخ الأدب

١- عبدالوهاب حسن حسني: مجمل تاريخ الأدب التونسي ص ٢٠- مطبعة المنار، تونس ١٩٦٦.

٢- الحركة النقدية على ايام ابن رشيق ص ٢٠.

العربي عند الدارسين المحدثين تنصب في المقام الاول عن المركز الذي انطلقت منه اللغة العربية... ولم يكن هذا شأن الباحثين المحدثين وحدهم، وانما كان القدماء يشكون من ان الاقاليم البعيدة عن مهد العروبة لا تجد من ابناء تلك الاقاليم انفسهم من يعنون بآثارها ويحتفلون بانتاج شعرائها وأدبائها... ولم تقف الشكوى عند الشعراء والادباء، وانما امتدت ايضا الى علماء تلك الاقطار، وقد عبر الفقيه أبو محمد ابن حزم عن ذلك بقوله:

انا الشمس في جو العلوم منيرة ولكن عيبي ان مطلعي الغرب^١
وبناء على ما نعرفه عن الأدب الشيعي في المشرق من ركازة وعمق وسعة، وبناء على ما اكتشفناه من أدب شيعي في الأندلس اثناء دراستنا في مرحلة الماجستير، حيث كانت رسالتنا في حينها «أدب التشيع في الأندلس» استمددنا العون من الله تعالى لدراسة «أدب التشيع في الشمال الإفريقي» لمرحلة الدكتوراه ايمانا منا بأنه موضوع جديد يتوفر عليه الشرط الأهم للرسائل الجامعية، ومحاولة لاغناء المكتبة العربية في موضوع تخلو منه، ومشاركة منا في دراسة جانب من جوانب الأدب العربي المغربي الذي طاله الاهمال.

وقد حاول بعض الباحثين دراسة الأدب الشيعي في المغرب العربي قبل هذه الدراسة أمثال الدكتور محمد طه الحاجري في مؤلفه «مرحلة التشيع في المغرب العربي وأثرها في الحياة الادبية»، والدكتور محمد اليعلاوي في كتابه «الأدب بافريقية في العهد الفاطمي»، وفي موضوعه الذي نشره في حوليات الجامعة التونسية العدد العاشر سنة ١٩٧٣ بعنوان «شعراء افريقيون معاصرون للدولة الفاطمية»، والدكتور ابراهيم الدسوقي جاد الرب في «شعراء المغرب حتى خلافة المعز»، ولكن هذه الدراسات لأدب التشيع في الشمال الإفريقي كانت تتسم ببعض الخصائص التي تجعلها دون مستوى الطموح

١- جاد الرب ابراهيم الدسوقي: شعر المغرب حتى خلافة المعز، المقدمة، بقلم د. عبدالعزيز الاهواني.



لدراسة مثل هذا الأدب الشر الواسع الرفيع، ومن تلك الخصائص ما كان يمتاز به مؤلف الدكتور الحاجرى من انه خصص لبعض جوانب الحياة الادبية الشيعية في العصر الفاطمي، ونحن نعرف جيداً أن الوجود الشيعي في المغرب العربي لم يكن منحصراً في العهد الفاطمي فقط، كما وان الكتاب تظهر فيه روح التحامل والبغضاء والعداوة من المؤلف على الشيعة والتشيع، وهذا ما يخرجنا عن روح الموضوعية العلمية التي من المفترض توخيها عند الباحثين، حتى كأن الكتاب قد خصص للتهجم على الشيعة اذ لم نجد فيه أثراً للعنوان الذي يحمله والذي يتوقع منه ان يبين فيه الاثر الذي تركته مرحلة التشيع على الأدب العربي في المغرب ولكنه لم يفعل. وكذلك مؤلف الدكتور اليعلاوى وموضعه في الحوليات لم يسجل فيها إلا عن الأدب الشيعي في العصر الفاطمي، ومع عدم الاستقصاء لذلك الأدب اذ انه اهتم بالشعر فقط في كليهما، وعلى بعض الشعراء فقط، اذ لم يستحص حتى من هذا العصر جميعهم، وكذلك فعل الدكتور جاد الرب في افراد مؤلفه للشعر فقط، فانه لم يُشر في دراسته الى الشعراء الذين جاءوا بعد خلافة المعز، كما أنه لم يخصص لشعراء الشيعة، بل انه جمع بينهم وبين مناوئهم في بعض الاحيان.

وقد جهدنا في هذا البحث ان نستحصى كل الانواع الادبية التي تركها المتشيعون المغاربة، وألوا بها اهتماماتهم المبدئية والسياسية أو ما جادت به اقلامهم وقرائحهم ومواهبهم وافكارهم خارج اطار المبدأ والسياسة، كأن تكون في الغزل، والوصف، والزهد وغيرها من اغراض الشعر، أو في النحو واللغة والتاريخ وغيرها من المؤلفات والمصنفات في انواع العلوم والفنون.

كما واننا حاولنا ايراد ما كان يُشعر بالحب والولاء لاهل البيت عليهم السلام من أدب حتى من غير المتشيعين استشعاراً منا بأن أهل البيت عليهم السلام ملك لجميع الامة، وان حبيهم وولاءهم متأصل في أكثر النفوس، حتى ولو كانت لم تنتظم في سلك التشيع بالمعنى السياسى أو المذهبى.

وكذلك حاولنا تفصيل الجوانب الفكرية والفنية للادب الشيعي في الشمال الإفريقي، واستحصاء اكبر عدد ممكن من أدباء التشيع هناك بما فيهم حكام التشيع في المغرب العربي. ولا ندعي الوقوف على كل الاداب الشيعية في الشمال الإفريقي، وكذلك لا ندعي استحصاء جميع ادباء التشيع المغاربة، وذلك لعدم توفر المصادر والصعوبة البالغة في الحصول عليها، وللضياح والتضييع الذي نال الأدب الشيعي المغربي، ولما قام به أكثر المؤلفين من تعميم على ادباء التشيع او اهمال للادب الشيعي، حيث أن الأدباء الذين ينتمون الى المذاهب الاسلامية الاخرى يشار الى انتمائهم المذهبي في أول تراجمهم من قبل أكثر المؤلفين اما المتشيعين منهم فلا يكاد يشار الى تشيعهم، وكنا نهتدى الى معرفة اكثرهم من خلال السباب والشتيمة التي كانت تقع عليهم من قبل معظم المؤلفين، أو من خلال الاتهام بالكفر والزندقة.

وفيما أحسب أن هذه هي الدراسة الأولى من نوعها التي تفرد لبحث الأدب الشيعي في المغرب العربي، وقد أوردت لها بشيء من التفصيل مقدمة تاريخية لوضع القارئ الكريم - والشرقي على وجه الخصوص - في بيئة المنطقة، الأمر الذي غفلت عنه الدراسات المغربية أو ربما أغفلته، ربما لعدم الحاجة الى ذلك باعتبار نوع القارئ العربي هناك، والذي يتمتع - بطبيعة الحال - باطلاع جيد على ظروف بيئته.

و لقد بذلت وسعيي للالتزام جانب الموضوعية في البحث مخافة أن تقودني فيه ردة الفعل بحيال الظلم السافر الذي ألحقه كتاب آخرون بالأدب الشيعي في تلك المنطقة من عالمنا العربي الاسلامي، وأترك الحكم النهائي في ذلك للاستاذة الكرام وعموم القراء الأعزاء.

وختاماً لا أملك هنا إلا أن اسجل عرفان الجميل لاستاذي المشرف الدكتور فيروز حريجي على ما بذله معي من جهد في ارشادي وتذليل الصعوبات التي واجهتني وشد عزيمتي، كما وانني أقدر و باجلال الجهود الكبيرة التي غطاني بها استاذي الاجل



الدكتور السيد أمير محمود أنوار وكذلك اشكر استاذي العزيز الدكتور ابراهيم ديباجي على ما قدمه لي من نصائح وارشادات سهلت لي منهج البحث، وأتقدم كذلك بالشكر للأستاذ الفاضل الدكتور محمود شكيب.

و ادعو الله تعالى بأن يثيب كل من ساعدني على اتمام هذا البحث، ولو كانت تلك المساعدة كلمة تشجيع.

ولا انسى الفضل العظيم الذي كان له الدور الأكبر في انجازي هذا العمل، ذلك هو الذي قدمته لي زوجتي الفاضلة الأستاذة انتفاضة عبدالجليل أحمد الصالحى، حيث انها هيات لي كل ما يخلق الاجواء الباعثة على البحث والكتابة، وانها أخذت من وقتها وراحتها لتضفيها علي من اجل القيام بعملى هذا على اتم وجه جزاها الله خيرا، وجعله لها ذخيرة في الآخرة. وأشكر أولادي حسنين، عادل وفاطمة، وأتمنى لهم كل توفيق وسؤدد.

والله ولي التوفيق... وأسأله أن يثيبني على هذا العمل وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم.

عبد الامير عبدالزهرة عناد الغزالي

الاثنين السابع من ذي القعدة سنة ١٤٢٢ هجرية

المصادف ٢١ / ١ / ٢٠٠١ للميلاد

منهج البحث

بعد ان عقدنا العزم على دراسة أدب التشيع في الشمال الإفريقي، وشرعنا في التفتيش عن المصادر والمراجع المعنية بالموضوع، والتي يمكن ان نجد ضالتنا فيها، تبين لنا جيدا انه لا يمكن أن نعرف شيئا عن الأدب العربي المغربي بعنوانه العام وعن الأدب الشيعي المغربي الذي هو شعبة من شعب ذلك الادب، إلا بدراسة تاريخ ذلك المغرب الذي نشأ فيه أدب عربي مثل الأدب الشيعي واحدا من أهم فروعه وأقسامه. وكان ذلك ضروريا لكي نعرف اولا كيف وصل العرب الى أرض المغرب والشمال الإفريقي بعد ان كان موطنهم الاصلى شبه جزيرة العرب وما حولها، حيث ان سكان الشمال الإفريقي الاصليين هم البربر، ولنعرف ثانية كيف تعرّب ذلك الشمال حتى تمكن من انتاج أدب عربي؟ ثم لنعرف ثالثة كيف وصل التشيع الى الشمال الإفريقي، بعد أن كان مهد نشوئه في المشرق شأنه في ذلك شأن الأدب العربي بشكله العام.

وعلى هذا فقد رأينا ان المنهج الانجح هو المنهج التاريخي لبحثنا كي يعطي الثمار المرجوة منه، هذا وقد سبقنا كثير من الباحثين في سلوك هذا المنهج لدراسة الأدب العربي في كل اصقاع الدنيا التي وطأتها اقدام العرب، وسكنوا فيها وانتجوا بين ظهرانيها ادبا



عربيا، حتى أن بعض الباحثين يذهب الى تفضيل هذا المنهج على غيره من مناهج البحث تفضيلا مطلقا معتبرا اياه المنهج الوحيد الذي يمكن ان يعطى النتائج المطلوبة، ومن الباحثين محمد بن تاويت، وذلك عندما درس الأدب العربي في المغرب الأقصى، وسلك عين هذا المنهج حيث يقول عنه «ان المنهج التاريخي، في جل الدراسات، خصوصا النظرية منها، سليم قويم، دعا اليه جمهوره من الفلاسفة في الحديث والقديم، واستعملوه في دراساتهم الفلسفية، فأنى بالنتيجة المطلوبة التي لا تحتمل الجدل والتشكيك فيها، إلا أنها مبنية على المقدمات»^١.

ومن هؤلاء الباحثين الذين يؤيدون المنهج التاريخي، وقد اعتمدوه في دراساتهم الادبية الدكتور احسان عباس، وكان اعتماده ذلك المنهج، في «العرب في صقلية دراسة في التاريخ والادب» فيما اكد استفادته هذا المنهج، واكد ايضا انه لا بد من اعتماد هذا المنهج وقد جاء ذلك منه في مقدمة الكتاب الآنف الذكر، حين يقول «كان املي حين بدأت هذه الدراسة ان تكون تاريخا لحياة الشعر العربي في صقلية، ولكنني وجدت ان دراسة الشعر لا يمكن ان تتم دون تعمق في فهم تاريخ صقلية من نواحيه السياسية والاجتماعية والثقافية، ولذلك قدمت البحث في هذه الجوانب على البحث في الشعر»^٢.

ويشير الدكتور بشير خلدون الى المنهج الافضل في البحوث التي تعني بدراسة الوان الحضارة الاسلامية في المغرب العربي فانه يفضل المنهج التاريخي للباحث عن تاريخ و ارومة المغرب العربي كي يتبسن له النجاح في بحوثه حين يقول «يصعب على الباحث والدارس وهو يتعرض لجانب من الوان الحضارة الاسلامية التي نشأت في المغرب ان يتناول حديثه دون ان يشير الى ارومة هذه المنطقة واصالتها وذكر ايامها وتاريخها واحداثها»^٣.

وبناء على ما قدمناه من أهمية المنهج التاريخي، قررنا اعتماده في بحثنا هذا، ومن هنا

١- ابن تاويت محمد: الوافي بالادب العربي في المغرب الأقصى ج ١ ص ٧، دار الثقافة الجديدة - الدار البيضاء ط ١ - ١٩٨٤.

٢- عباس احسان: العرب في صقلية دراسة في التاريخ والادب ص ٥، دار الثقافة، بيروت ط ٢، ١٩٧٥.

٣- الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي ص ١٥.

أولينا اهتماما جادا بالتوطئة للبحث فى بعده التاريخي نظرا للترابط الوثيق بين الأمرين ولاعتقادنا بأن مثل هذه المعرفة، لتاريخ المغرب العربي والشمال الإفريقي تعتبر أمرا ضروريا للغاية لكي يتسنى لنا وضع القاريء الكريم فى مناخ تلك المنطقة تاريخيا وجغرافيا واجتماعيا، ومن ثم أدبيا وشيعيا على وجه التحديد.

وقد جعلنا البحث عن هذا الموضوع موزعا على أربعة أبواب قسمنا خلالها كل باب الى فصول، حيث كان الباب الأول الاسلام والتشيع فى الشمال الإفريقي، جعلناه فى فصلين، الفصل الأول أوضحنا فيه ما المقصود بمصطلح الشمال الإفريقي أو المغرب العربي وقد عيّنا فيه الحدود الجغرافية للمنطقة المراد دراسة أديها الشيعي، ثم عرّفنا سكانها، ولغاتها، ودياناتها، وزمن فتحها بيد المسلمين، وكيف تعرّب هذا الشمال. أما الفصل الثاني فقد خصصناه لكيفية وصول التشيع الى ذلك الشمال، ومن هم أوائل الشيعة هناك، وكيف أنتشر التشيع حتى تأسست له دول حكمت شمال إفريقيا، وعندها أصبح مركز اشعاع للتشيع، وكذلك ابنا طبيعة التشيع المغربي ومعتقداته، وأوضحنا هل هنالك فوارق بينه وبين التشيع المشرقي أو لا. وأشرنا أيضا الى معاناة التشيع المغربي من المؤرخين، والتي انعكست آثارها على بحثنا هذا.

وأما الباب الثاني فقد أوضحنا فيه الأدب العربي والشيعي فى شمال افريقيا بصورة اجمالية، وذلك للتأثيرات المتبادلة بينهما، وكان الفصل الأول عن بدايات الأدب المغربي واتجاهاته وخصائصه. وأما الفصل الثاني فقد أوضحنا فيه أن الأدب الشيعي هو أول أدب عربي عرفته أرض المغرب العربي، ثم أشرنا الى أهم مراكز التشيع الثقافية وما قدمته من أدب وللابد، من أمثال جامعة القرويين وجامع الأزهر الشريف.

وكان الباب الثالث للأدب الشيعي فى الشمال الإفريقي، عصوره ورجاله، قسمنا الأدب الشيعي فى الفصل الأول على عصور أدبية، وقد لاحظنا فيها التسلسل التاريخي للوجود الشيعي هناك، وكذلك الأدوار والوجودات السياسية الشيعية التى حكمت شمال افريقيا، ثم أوضحنا خصائص الأدب فى كل منها.

أما الفصل الثاني فقد بحثنا فيه عن زعماء التشيع من حيث كونهم من أبرز ادباء الشمال الإفريقي.

وأما الباب الرابع والآخر فهو يتناول خصائص الأدب الشيعي في الشمال الإفريقي، خصصنا الفصل الأول للشعر وأغراضه العقيدية وغير العقيدية عند شعراء الشيعة المغاربة، بينما كان الفصل الثاني للنثر الشيعي وأنواعه من رسائل وكتابات ديوانية إلى مؤلفات ومصنفات، وقد أوضحنا الجوانب الفكرية والفنية للشعر والنثر. وأتينا بالفصل الثالث في الباب الرابع وهو آخر الفصول في هذا البحث، درسنا فيه أهم خصائص الأدب الشيعي في الشمال الإفريقي من غلبة الروح السياسية والدينية عليه، إلى صدقه وحرارة العاطفة فيه، مع احتفاظه بروح فنية عالية، وقد أوضحنا كذلك الجوانب الفنية لعموم الأدب الشيعي هناك بشقيه الشعر والنثر.

كما أننا جعلنا للرسالة ثلاثة ملاحق ترجمنا في الملحق الأول لبعض ادباء واعلام الشيعة في المغرب العربي، وذكرنا أسماء حكام دول التشيع في الملحق الثاني، بينما جعلنا الملحق الثالث لبعض الخرائط التوضيحية للشمال الإفريقي بما يخص عموم الشمال الإفريقي أثناء الفترة التاريخية التي خصص البحث لدراسة أدبها الشيعي، وكذلك لدول التشيع التي حكمت كل الشمال الإفريقي أو بعضه.

الباب الأول



الاسلام والتشيع

في شمال إفريقيا

الفصل الأول

المسلمون والعرب في الشمال الإفريقي

- جغرافية الشمال الإفريقي أو المغرب العربي
- سكان المغرب العربي
- لغة الشمال الإفريقي
- ديانات الشمال الإفريقي
- تعريب الشمال الإفريقي

تمهيد

ما كان ليخطر على بال العرب قبل ان يبعث النبي محمد ﷺ بالرسالة الاسلامية العظيمة أن تكون لهم تلك السطوة؛ ويمتد تفوذهم في شرق الارض وغربها، وتطأ أقدامهم أرضا ما كانوا ليحلموا بها، وتؤسس لهم دولة - بل دول - ويحكمون ارجاء الدنيا حيثما حلّوا ونزلوا باسم تلك الرسالة السماوية المتعالية، وتدين لهم شعوب الدنيا، وامم العالم بالولاء والطاعة والتجليل والاکرام، وهم يحملون معهم ما اختصهم الله تعالى به من تعاليم هذا الدين القويم، وسننه المعظمة، ينشرونها بين أهل الاقاليم التي فتحوها، ويقيّمون على اساسها وهداها انظمة حكوماتهم التي شيّدوها هناك.

ومن غير الخفي على أحد أن المسلمين، وما ان رحل النبي الكريم ﷺ الى الرفيق الاعلى، حتى وقع بينهم الاختلاف بخصوص من يخلف نبيهم على الأمة الاسلامية يدير شؤونها ويتولى حكومتها، وكذلك من غير الخفي ايضا ان هذه القضية الخطيرة قد أخذت اعراضا وأطوالاً، وكان من نتائجها ما كان بين المسلمين حتى نشأت الاحزاب، وتعددت القيادات، وتكونت المذاهب، وقد تشظت الى اقطار الدنيا آنذاك تلك التشظيات ودوّت انفجاراتها الى تلك الاصقاع من أرض الله في دفعة اولى مع جيوش الفتح التي استقرّ بعضها هناك، وقد كانت

الدفعة الثانية من تلك الاحداث وما آلت اليه من نتائج قد وصلت على أيدي العرب المسلمين الذين لحقوا بتلك الاصقاع لسبب أو لآخر، أو بجهود نفس ابناء تلك الاقاليم الذين رحلوا الى موئل الاسلام، ومركز صيرورته الأولى وعادوا بما فعلته الأيام من أحداث وآراء بين المسلمين في موطن بزوغ الاسلام حول الحكومة الاسلامية، وما يجب ان تكون عليه، وفي شخص الحاكم وشروطه، ومواصفاته، ومن يكون هو، وغير ذلك بما يخص هذا الأمر المهم في حياة المسلمين.

ومما لا غبار عليه أن علي بن أبي طالب عليه السلام ممن اشارت اليه ايدي المسلمين للاستخلاف بعد النبي صلى الله عليه وآله على الامة الاسلامية وحكومتها، ولكن شاءت الاحداث ان تسير على غير هذا الاتجاه، ويتولى الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله أبو بكر الصديق، وهذا ما دفع الكثير من المسلمين ممن يعتقدون بامامة علي بن أبي طالب عليه السلام بعد الرسول صلى الله عليه وآله للامتناع عن بيعة أبي بكر، حيث انهم رفعوا لواء المعارض لأبي بكر وحكومته اعتقاداً منهم بوجوب حق علي عليه السلام في خلافة النبي صلى الله عليه وآله وقد اطلق على هذه الثلة التي كانت تدين بوجوب الحق لعلي في الخلافة وتقول بامامته اسم «الشعية» وعلى الافكار والمعتقدات التي يؤمنون بها، ويدينون عليها «التشيع». ومهما يكن من امر الشيعة والتشيع، هل انه ولد على اعتاب تلك الاحداث؟ أو انه كان مولوداً من زمان النبي صلى الله عليه وآله؟ أو هل انه جاء الى الحياة بعد تلك الوقائع؟^١ فان «الشيعة أول حزب سياسى ديني في الاسلام».^٢

فجمل القول انه لا يمكن انكار وجود الشيعة والتشيع في المجتمع الاسلامي ومنذ بواكير ايامه، وان هذا الاصطلاح اطلق على مجموعة من المسلمين بعضهم من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله الاوائل، ومن أهل السابقة في الاسلام ممن كانوا يعتقدون بامامة علي بن أبي طالب، ووجوب استخلافه بعد النبي صلى الله عليه وآله وغيرها من العقائد التي ترجمها اخلافهم من الشيعة وكتبوا فيها المطولات، لسنا في صدد التفصيل عنها.

١- انظر التفاصيل ومجموعة الآراء: فياض عبدالله، تاريخ الامامية واسلافهم من الشيعة ص ٣٧-٣٥، مؤسسة الأعلمي، بيروت ط ٢ ١٩٧٥.

٢- العبادي احمد مختار: في التاريخ العباسي والفاطمي ص ٢١٩، دار النهضة بيروت.

ولم تقف الأمور ومجريات الاحداث عند هذه الحدود وكفى، بل ان السيف نزل في وسطها، وتجاوزت الصراعات مستوى المطارحات الفكرية، وحدث ما حدث من أهوال ومصائب انسحبت تباعاتها على ابناء البيت العلوي- الذين ينتسبون الى علي بن أبي طالب -ناهيك عن اشياعهم وأتباعهم من المسلمين ممن يقولون بإمامتهم وخلافتهم. فكانت كربلاء وفخ وغيرها الكثير من الوقائع المؤلمة التي وقعت دواهيها على أهل بيت النبوة، ونقول أهل بيت النبوة لان الذين قتلوا وطأهم الحيف في تلك الأحداث، كانوا من سلالة الحسن والحسين ابني علي وفاطمة بنت رسول الله ﷺ، وبمرور الأيام توجه العديد من أبناء البيت العلوي ممن حالفهم النجاة من القتل أو المطاردة من تلك الأهوال والوقائع الآتفة الذكر الى اقطار الدنيا التي تقع على بعد يعصمهم من سطوة الحكام الذين تسنموا المقاليد في دمشق أو بغداد، سواء كانت تلك الاقطار في شرق الدنيا أو غربها، ومع هجرة هؤلاء العلويين هاجرت معهم أو سبقتهم أفكار التشيع، وذلك لكون تلك الأقطار أصبحت جزءاً لا يتجزء من العالم الاسلامي وان ما كان أو يكون من أحداث أو أفكار أو غير ذلك يصل اليها وتتأثر به بواسطة المهاجرين اليها من مركز العالم الاسلامي، أو على أيدي أبناء تلك الأقطار الذين وفدوا الى هناك وعادوا إلى اقطارهم يحملون كل ما أنتجه مركز العالم الاسلامي وعجبه.

وهؤلاء المهاجرون من ابناء البيت العلوي او الفاطمي وبتعبير آخر من أهل بيت النبوة، أو قل المطاردين أو المشردين منهم كانوا مؤيدين من قبل حملة عقائد التشيع والحب والولاء لهم، لذا تمكنوا من تجنيد فكر التشيع بين أوساط سكان تلك البلاد التي هاجروا اليها، أولاً، ومن تأسيس دول ذات سطوة خلّد التاريخ ذكرها وبصفحات طويلة حكمت باسم التشيع والحب والولاء لاهل البيت عليهم السلام، ثانياً.

ومن البلاد التي تكونت للتشيع فيها دولة، بل دول هي شمال افريقيا أو المغرب العربي، وهذا مما لا جدال فيه ولا غبار عليه. ونحن في بحثنا هذا نريد أن نسلط الضوء على أدب التشيع في تلك الاصقاع من أرض الله التي افتتحها المسلمون، ثم نزها العرب، بل سكنوها فتعربت فانتجوا فيها ادبا عربيا سواء من قبل العرب الأقحاح الذين قدموا مع جيوش الفتح وسكنوا



في تلك البلاد وبقي من بعدهم ابناؤهم اجيالا فاجيالا، أو من قبل ابناء تلك البلاد الاصليين الذين استعربوا أو تعربوا.

ومما تجدر الإشارة اليه هو أننا لا نريد في هذا البحث ان نصصح مسيرة أحد أو نخطيء مسيرة آخرين، أو نتبنى لجانب أو لخط فكري أو نرفض آخرين، بقدر ما نريد أن يكون بحثنا موضوعيا علميا ننقل فيه الحقائق ليس الآ، محاولين اغناء المكتبة الادبية العربية بشيء نعتقد بأنه جديد في موضوعه، ولم يكن له نصيب في البحث والتحقيق قبل هذه المحاولة، وحتى لو تعرض بعض الباحثين لجوانب منه فلم تفِ بكل جوانب الموضوع كما أشرنا الى ذلك في المقدمة.

جغرافية الشمال الإفريقي أو المغرب العربي

من أجل تعيين المناطق على سطح كرتنا الأرضية وتشخيصها اطلقت عليه الاسماء ليم تمييز بعضها عن البعض، ولذا استعمل تعبير المغرب وهو «تعبير اتخذ ابعادا جغرافية فكان يدل على الجهة التي تغرب فيها الشمس»^١ وبعد أن تكونت لدى العرب دولة، ونشأ عندهم علم، واصبحت لديهم حاجة الى تشخيص الأماكن وتحديد المناطق بمصطلحات أصبح يدل «مصطلح المغرب» على المنطقة الواقعة غرب العاصمة لجهة مغرب الشمس وقد ذكر المؤرخون بأن أول من استعمل هذا المصطلح ليدل على هذا المعنى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حينما تكلم مع الخوارج قبل معركة النهروان بعد أن قتلوا رسوله اليهم الحرث بن مرة العبدى... «أن ابعثوا لي بقتلة اخواني فاقتلهم ثم اتارككم الى أن أفرغ من قتال أهل المغرب»^٢.

ويفهم من ظاهر هذا الكلام بأن هذا المصطلح يطلق على أماكن عديدة وغير محددة، ولكن الجغرافيين والمؤرخين، وعلى مرور الأيام حاولوا تقييد هذا المصطلح وتحديدده، فإن هو ذكر دل على منطقة بعينها، ولم يكن شاملا، وقد ورد في مدوناتهم ومؤلفاتهم تحت اسم «المغرب» أو «المغرب العربي»^٣ ويقصدون به شمال افريقيا.

١- ابن خلدون عبدالرحمن: المغرب، ج ٦ ص ٩٨، دارالفكر، بيروت، ١٩٨٨م

٢- المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، الطبعة البهية، مصر ١٣١٦.

٣- يمكننا القول قاطعين بأن كل المصادر الجغرافية والتاريخية وغيرها، التي كتبت عن الشمال الإفريقي أو المغرب العربي قد



وقد أوردوا اسم شمال افريقيا ويقصدون به المغرب العربي، وكذلك ذكروا اسم المغرب العربي ويقصدون به شمال افريقيا^١ «ويشمل الشمال الإفريقي في وضعه الجغرافي مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب، ولكن الباحثين اصطلاحوا هذا التعبير على تونس والجزائر والمغرب فقط، أما مصر فقد عرفت باسمها ولم تدخل في هذا الاصطلاح، وبقيت ليبيا تستقل باسمها أحيانا ويشملها أحيانا اصطلاح شمال افريقية على أن التعبير ببرقة وطرابلس كان أكثر استعمالاً»^٢.

وقد أكد أكثر الباحثين على أهمية هذه المنطقة من الناحيتين الجغرافية والتاريخية أولاً، وعلى أنها يعني بها وتشمل وتمتد من غرب مصر، وعلى وجه التحديد من غرب الاسكندرية أي من طرابلس شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومن بحر العرب أو البحر الأبيض المتوسط شمالاً إلى أرض السودان أو الصحراء الكبرى جنوباً، كلها وطن واحد لا يعرف التجزئة من حيث الطبيعة الجغرافية أو السكان^٣.

وبعد افتتاح المغرب من قبل العرب المسلمين قسّموه إلى ثلاث مناطق «وهذا التقسيم يرجع إلى قرب وبعد المنطقة عن بلاد العرب والحجاز»^٤.

وقد كانت هذه الاقطار أو الأقسام الثلاثة التي قسم عليها الشمال الإفريقي، هي:

أوردت اسم هذه المنطقة بهذا العنوان والمصطلح راجع: ابن حوقل: صورة الأرض ص ٦٤، ٦٥ دار الحياة بيروت، المقدشي - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ٢١٦ نشر دي غويه - ليدن ١٩٠٦.

١- شلبي أحمد: موسوعة التاريخ الإسلامي ج ٤ ص ١٠٨، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ط ١٠ ١٩٩٥، طه عبد الواحد دنون - الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في ليبيا ص ٩٣، دار الرشيد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية ١٩٨٢.

٢- نفس المصدر هامش ص ١٠٨.

٣- راجع: ابن القاضي أحمد المكناسي: جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس ج ١ ص ١١ دار المنصور للطباعة - الرباط ١٩٧٣ - زينب نجيب دولة التشيع في بلاد المغرب ص ٨٧، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت ط ١ ١٩٩٣ - مؤنس حسين: معالم تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٣، دار الرشاد - القاهرة ١٤١٨ - ١٩٩٧، دبوز محمد علي: تاريخ المغرب العربي ص ٢ و ٣، دار أحياء الكتب العربية، ١٩٦٣.

٤- السلاوي الناصري أبو العباس أحمد بن خالد: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ج ١ ص ٧١، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤.

١- المغرب الأدنى: ويطلقون عليه أحيانا كثيرة اسم افريقية، ويشمل القطر التونسي بكامله، وجزءاً من الجزائر وإقليم طرابلس الغرب، بما في ذلك ولاية برقة على حدود مصر الغربية.

٢- المغرب الأوسط: ويشمل ما يعرف اليوم باسم القطر الجزائري باستثناء بعض المناطق على حدود تونس المغربية.

٣- المغرب الأقصى: ويشمل القطر المراكشي في حدود تقرب مما هو عليه اليوم.^١ وتؤلف بلاد المغرب بأقسامها الثلاثة، تونس والجزائر ومراكش وحدة جغرافية واثولوجية مستقلة، عن بقية اجزاء القارة، حتى أنها عرفت في القرن التاسع عشر لدى الجغرافيين باسم افريقيا الصغرى.^٢

وستكون دراستنا للأدب العربي الشيعي على الحدود الجغرافية والتقسيمات أعلاه، وقد ذكر بعض الباحثين تقسيمات وحدودا أخرى للشمال الإفريقي ناظرين فيها الى العصور التاريخية لهذه المنطقة قبل دخول العرب المسلمين اليها، وإلى أنواع العناصر والأمواج السكانية التي حفلت بها هذه الارض قبل الفتح العربي الاسلامي لها.^٣

سكان المغرب العربي

أكثر الباحثين الذين صبّوا اهتمامهم على دراسة المغرب العربي وتعرّضوا لمفردة سكان هذه المنطقة أطلقوا اسم البربر على السكان الاصليين للشمال الإفريقي، ومن بينهم ابن خلدون في عبره.^٤

١- كزّو ابو القاسم محمد: عصر القيروان ص ٩ ط ٢ دمشق، الحاجري محمد طه - دراسات وصور من تاريخ الحياة الأدبية في المغرب العربي ص ١٦ وما بعدها، دار النهضة للطباعة والنشر - بيروت ص - ب ٤٩ ط ١٩٨٣، ابن تاويت محمد: الوافي بالادب العربي في المغرب الأقصى ص ٢٩، دار الثقافة الجديدة شارع فيكتور هيكو، الدار البيضاء ط ١٩٨٤ - عزيز سامح: الاتراك العثمانيون في شمال افريقيا ص ١١ - ١٥ ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة، بيروت ط ١٩٨١.

٢- سالم السيد عبدالعزيز: تاريخ المغرب الكبير ج ٢ ص ١٢٨، دار النهضة العربية بيروت ١٩٨١.

٣- راجع: جوليان اندريه شارل: تاريخ افريقيا الشمالية ص ٥ وما بعدها - تعريب: محمد المزالي، بشير سلامة - الدار التونسية، تونس ط ١٩٦٩، نصر الله سعدون عباس: دولة الادارسة في المغرب ص ١٣ وما بعدها، دار النهضة، بيروت ط ١٩٨٧.

٤- للاستزادة من المعلومات انظر: العبر ج ٤ ص ١٦٥، ج ٦ ص ٨٩.

ونحن في هذا البحث لا يعيننا التفصيل عن البربر وما يخصهم، ولكن نرى من الضروري ذكرهم بما يتناسب ودورهم في موضوع البحث، حيث سنرى لاحقاً بأنهم الركيزة الأساسية، والعماد الأول الذي قامت به وعليهم دول التشيع في الشمال الإفريقي، هذا بالإضافة إلى أن أكثر ادباء التشيع الذين كانوا هناك من البربر، ولما كان لهم من دور فاعل في الحياة السياسية والثقافية آثرنا أن نعرف بهم على سبيل الاختصار.

ومن أهم المسائل التي تناوّلها الباحثون عن البربر هي الاصل البشري الذي ينتمون له، وذهب بعض الباحثين إلى الرأي القائل بالانتماء العربي للبربر، وقد دافع عن هذا الرأي - بل وتعصب له - محمد علي مادون، وحاول جاهداً اثبات عروبة البربر بالكثير من الأدلة التي ساقها في كتاب تحت عنوان «عروبة البربر هذه الحقيقة المغمورة»^١.

وقد قسم علماء الأنساب البربر إلى قسمين رئيسيين تنطوي تحت كل قسم من هذين القسمين عشائر كبيرة وكثيرة، هذان القسمان هما: البتر، والبرانس، وقد اختلفوا في سبب هذه التسمية، كما اختلفوا من قبل في أصل البربر، وفي سبب تسميتهم بالبربر.

ويذهب بعض الباحثين إلى أن البتر تطلق على سكان البادية من البربر، بينما تطلق تسمية البرانس على أهل الحضر وسكان المدن منهم، ومن هؤلاء قبيلة كتامة^٢. وقد أشارت بعض الآراء إلى أن سبب التسمية هو إطلاق البتر على العرب المضربين، والبرانس على العرب اليمنيين^٣، وأما من أرجع البربر إلى عرب اليمن فقط، فقد استشهد بالآبيات الشعرية التي تنسب إلى أحد شعراء البربر الذين يدعون العروبة اليمنية أولاً، والذين لهم اطلاع بعلم الانساب ثانياً:

قوم لهم شرف العلى من حمير واذا دعوا لمتونة فهم هم
لما حووا علياء كل فضيلة غلب الحياء عليهم فتلثموا^٤

١- مادون محمد علي: عروبة البربر هذه الحقيقة المغمورة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم سنة ١٩٩٢م.

٢- الأمين حسن: دائرة المعارف الشيعية م ٥ ص ٢٩٥ لفظه «كتامة».

٣- دولة التشيع في بلاد المغرب ص ٩١.

٤- عروبة البربر ص ٥٥.

ويذكر محمد علي مادون بأن المصادر اليونانية القديمة تؤكد اصلهم العربي اليماني، ويستشهد هو لذلك بآيات أخرى لهذا الغرض قالها احد الشعراء في هذا الباب:

بربرت كنعان لما سقتها من بلاد الملك للعيش للجب
ورأت كوش لعمري دارها ترتقي عيشا لنا لا يشرب^١

وأما البعض الآخر من الباحثين فينفون عروبة البربر، ويقولون بأنهم «البتّر والبرانس موجتان بشريتان دخلتا أرض المغرب ولذلك يوجد هذا الصراع الدامي بينهم»^٢.

ويرجع بعض الباحثين التفسير اللغوي لكلمة البربر، فينقل عنهم الدكتور سعدون عباس نصرالله قائلا: «وقد فسّر العرب هذه التسمية تفسيراً لغوياً، فلهجة البربر اعجمية تختلط فيها الاصوات»^٣. وقالوا أنهم ينسبون الى جدّهم البعيد بر^٤، وذكروا بأن بلادهم الاصلية التي نزحوا منها فلسطين وسكونها في سنة ٦٧٠ ق.م بعد الطوفان وأخرجهم منها النبي داود في القرن العاشر قبل الميلاد بعد قتل ملكهم جالوت، فأتجهوا الى المغرب حيث نزلوا الجبال والرمال لكونهم اصحاب مواشٍ وسكان خيام من الشعر، وفي القرن الرابع الهجري كانت انساب البربر قد دوّنت بالعربية^٥.

وقد فسّر بعضهم كل التسميات التي اطلقت على البربر تفسيراً خاصاً، كما فسّر صاحب الذخيرة السنية اسم البتر بأنه نسبة الى مادعنين بن بربر الذي كان يلقب بالابتر، ولذلك سمّوا بالابتر «وهو أبو البتر من البربر واليه يرفعون انسابهم»^٦.

ومهما يكن من أمر البربر وأصلهم وقبائلهم، فأنهم قد لعبوا دوراً مهماً وإساسياً في مختلف نواحي الحياة للشمال الإفريقي السياسية والاقتصادية، والثقافية^٧. وأنهم هم سكان البلاد

١- نفس المصدر.

٢- تاريخ المغرب الكبير ص ١٣٦.

٣- دولة الادارسة في المغرب ص ٢٣.

٤- البربر ج ١ ص ٦١-٦٢.

٥- ابو الفداء عماد الدين اسماعيل: المختصر في أخبار البشر ج ٢ ص ٩٧ - مكتبة المتنبّي - القاهرة.

٦- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، تحقيق محمد بن ابي شنب، ص ١٣، الجزائر ١٩٢٠م.

٧- دولة التشيع في بلاد المغرب ص ٩١.

الاصليون وغالبيتهم العظمى وعلى اكتافهم، بل وبجهودهم قامت معظم الدول التي حكمت المغرب العربي وخاصة الدول التي يقال بتشيعها، مضافا الى هذا فان أكثر البرابرة قد تشيعوا وهذا ما يهمننا في دراستنا هذه، وذلك لأنهم خلفوا لنا أدبا شيعيا نريد بحشه ودراسته وتسجيله. ومن الأمم التي يسجل لها وجود في المغرب العربي الروم، وقد حفلت المصادر التي أرخت لشمال افريقيا بذكرهم، حيث يقول الطاهر أحمد الزاوي «من الأمم التي سكنت الشمال الإفريقي الروم»^١.

ولكن المصادر التي ذكرت وجود الروم في الشمال الإفريقي لم تذكر لنا الآثار التي تركها هؤلاء الروم على طبيعة الحياة المغربية، أو قل بانهم لم يفلحوا باستمالة الشعب المغربي حتى يأخذ منهم ما كانوا يحملونه من علم وثقافة، وبقيت اللغة الرومانية على مستوى المعاملات الرسمية، وكانت هي لغة الثقافة ايضا.

والعنصر البشرى الآخر الذي كان يتكون منه سكان الشمال الإفريقي هم الأفارقة. والمراد بهم أخطا الناس الذين كانوا يسكنون النواحي الساحلية العامرة المحيطة بالمداين البنظية والجزر المزروعة الاخرى الداخلة في الرباطات البنظية، وهؤلاء خلط من المستعمرين اللاتينين وبقايا الشعب القرطاجني القديم، ومزارعي البيزنطيين وصنّاعهم ونفر من البربر ممن استقرّ ودخل في طاعة البيزنطيين، وهؤلاء ايضا لم يكن لهم النفوذ في أوساط الحياة المغربية.^٢

وقد كان للعنصر اليوناني وجود أيضا في الشمال الإفريقي حيث بقايا المستعمرين اليونان هناك، والذين سبقوا الاستعمار الروماني.

وأما الثقل السكاني الآخر في الشمال الاقريقي فهم العرب المسلمون الذين جاءوا مع جيوش الفتح الاسلامي للمغرب العربي، وسنُفرد فصلا مستقلا لهذا الفتح، ولكيفية انتشار اللغة العربية في ذلك الصقع، حتى أصبحت لغة البلاد الرسمية والثقافية، وأصبح الشمال الإفريقي جزءاً من العالم العربي الكبير.

١- الزاوي الطاهر احمد: تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص ٣٢، دار التراث العربي، ليبيا ط ٢.

٢- نفس المصدر ص ٣٠ - ٣١، وكذلك مؤنس حسين: فتح العرب للمغرب ص: القاهرة ١٩٤٧.



لغة الشمال الإفريقي

كان الشمال الإفريقي موزعا بين لغات متعددة تتكلم بكل لغة من هذه اللغات أمة من الأمم التي كانت تسكن ذلك الشمال بالأصالة أو بالوفود عليه لسبب أو لآخر.

فالبربر الكتلة السكانية الكبرى في المجتمع المغربي كانت لهم لغتهم البربرية الخاصة بهم، ولم يسجل لنا التاريخ أي نشاط أو أثر أدبي خلقه وخلفه البربر بلغتهم تلك بقدر ما كانت هذه اللغة لغة التعامل اليومي، واللهجة الشعبية واللغة السائدة في تيسير أمور الحياة العامة بين ذلك اللغيف البربري، الذي يشكل الغالبية العظمى من أهالى شمال افريقيا.^١

وقد كان للغة اليونانية شيء من الوجود ايضا على أرض شمال افريقيا، حيث كانت لغة الدولة الحاكمة التي حكمت تلك البلاد بعد حكم الوندال، وبقي بعض الوجود لها ولكنه كان ضعيفا لأن اليونانيين لم يكن من سياستهم فرض لغتهم على الشعوب التي يستعمرونها.

واما اللغة الاخرى التي كانت تعيش بين جزء من ابناء الشعب المغربي أيام الفتح العربي الاسلامي لشمال افريقيا فهي اللغة اللاتينية، وهذه اللغة كان شأنها أيام الحكم الروماني غير شأن اللغة اليونانية أيام حكم اليونان، وذلك «لأن روما كانت حريصة اشد الحرص على أن تفرض لغتها على الشعوب التي تحكمها متخذة لذلك شتى الوسائل، فقد كان ذلك جزءا من سياستها في حكم هذه الشعوب والسيطرة عليها، وفوق ذلك استمر الحكم الروماني نحو ستة قرون من سنة ١٤٦ ق.م الى سنة ٤٣٠م، وبذلك استطاعت اللغة اللاتينية خلال هذه الفترة الطويلة وفي ظل تلك السياسة التي اصطنعتها الدولة أن تفرض سلطانها، وتتغلغل في البيئات المختلفة، حتى كان لها بين البربر كتابها وخطباؤها وادباؤها الذين بلغوا مرتبة عالية مذكورة في تاريخها الأدبي».^٢

١-دراسات وصور ص ٣٤.

٢- نفس المصدر ص ٣٣.

ديانات الشمال الإفريقي

كما كان الشمال الإفريقي يعجّ باكثر من لغة أيام الفتح العربي الاسلامي له، كذلك كان يدين باكثر من ديانة، فالبربر غالبية السكان هناك «كانت ديانتهم قبل الاسلام المجوسية، وكانوا بعض الاحيان يدينون بدين من غلب عليهم من الامم».^١

كما أن المسيحية كان لها شيوع في أوساط البربر من سكان الشمال الإفريقي، وقد أكدت المصادر المعنية بتاريخ هذه البلاد ذلك، وقالت «قد أخذ البربر دين المسيحية قبل الاسلام عن الروم لأنهم كانوا مغلوبين لهم».^٢

وكان لليهودية وجودها ايضا في الشمال الإفريقي، ولكن بشكل محدود ويقتصر على طبقات معينة من المجتمع، واما البقية الباقية من ابناء المغرب العربي آنذاك فكانوا يدينون بالوثنية.

الفتح العربي الاسلامي لشمال افريقيا

قبل أن نشرع في الذكر المختصر لعمليات الفتح للشمال الإفريقي على أيدي العرب المسلمين نود الإشارة الى ما ذكره المؤرخون من أن العرب كان لهم دخول في شمال افريقيا قبل الاسلام، ولكن كما يقول ابن خلدون بأن «اللغة العربية ليس لها وجود في شمال افريقيا».^٣ ناهيك عن اتصالهم - أي العرب - بافريقيا «لقد اتصل العرب بافريقيا قبل الفتح الاسلامي لها، وقد ذكر المؤرخون خبراً مفاده أن افريقش بن سبأ - والذي كان من ملوك سبأ في اليمن، وقد اختلّفوا في اسم ابيه - قد غزا افريقية وملكها عشرين سنة «٣٠٠م - ٣٢٠م».^٤ ثم يردف قائلاً «وسواء أصحّ خبر اتصال هؤلاء العرب التابعة بشمال افريقيا، أم لم يصح فأنة قد ثبت يقينياً بأن ملوك

١- تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص ٢٤.

٢- نفس المصدر ص ٢٥.

٣- العبر ج ٦ ص ٩٥.

٤- الجيلالي عبدالرحمن محمد: تاريخ الجزائر العام ج ١ ص ١٠٧ مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، دار مكتبة الحياة، بيروت

الرعاة - الفراغة - المعروفين باسم «الشاسو» - الهكسوس - وهم من العرب كما لا يخفى اتصالهم بمصر من برزخ السويس في القرن الثالث والعشرين قبل المسيح»^١.
وكعادة المؤرخين في الاختلاف في نقل التواريخ لاكثر الحوادث فأنهم اختلفوا في السنة التي كان فيها تحرّك الجيش الاسلامي العربي من مصر باتجاه اراضى الشمال الإفريقي، ولا نحسب هذا الاختلاف الاً على كون تسجيل الحوادث التاريخية آنذاك يعتمد على الرواية والمشاهدة، وخلو تلك الايام من التدوين والكتابة للاحداث التاريخية، وغيرها.

ومهما يكن من أمر الاختلاف في السنة التي تحرّك فيها العرب المسلمون من مصر لضمّ شمال افريقيا لحضيرة الدولة الاسلامية، فأنهم تحرّكوا فعلاً وأن مخرج البعث الأول هو عمرو بن العاص، وأن الذي انتدب قائدا للمحاولة الأولى هو عقبة بن نافع الفهري، وأن تلك المحاولة كانت لافتتاح برقة وطرابلس الواقعتين في القطر الليبي اليوم.^٢

ويعتبر بعض المؤرخين رواية ابن عبدالحكم ادق وأقدم الروايات التي وصلتنا عن فتح الشمال الإفريقي وعن بدايات ذلك الفتح، حيث أن ابن عبدالحكم يعتبر السنة التي بدأت فيها محاولات الفتح الأولى سنة ٢٣هـ - ٦٤٣م^٣، وكذلك فإن بعض المؤرخين اسند بدايات الفتح الأولى للشمال الإفريقي لعمرو بن العاص مباشرة، ولم يعطوها الى احد من قوّاده «خرج عمرو بن العاص سنة ٢٣هـ - ٦٤٣م من مصر في جيش كثيف وعدّة حسنة لمناجزة افريقية ومناهضة من بها من الروم، فاجتاز برقة ثم قصد طرابلس فاتحاً حتى بلغ عاصمتها»^٤.

ومن الواضح بأن عمليات الفتح التي كان ينفذها ولاية الامصار للأقطار المتاخمة لولاياتهم كانت تتأثر بالاوضاع السياسية لمركز الخلافة الاسلامية وعاصمتها في حينها، وبهذا فإن دور

١- نفس المصدر ص ١٥٨.

٢- راجع: المصري عبدالرحمن بن عبدالحكم: فتوح مصر والمغرب والاندلس ص ٣٠، طبعة ليدن ١٩٢٠، ابن عذاري: البيان المغرب في اخبار المغرب ج ١ ص ٢ تاريخ افريقيا والمغرب من الفتح الى القرن الرابع الهجري، تحقيق ومراجعة، ج - س - كولان و! ليفي بروفنسال - دار الثقافة - بيروت.

٣- عبد الحميد سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ج ١ ص ٢٩ منشأة المعارف، الاسكندرية.

٤- الثعالبي عبدالعزيز: تاريخ شمال افريقيا من الفتح الاسلامي الى نهاية الدولة الاغلبية ص ٢٩ و ٣٠، جمع وتحقيق، د. احمد بن ميلاد، محمد ادريس، تقديم ومراجعة، حمادي الساحلي دار الغرب الاسلامي، بيروت ط ٢ ١٩٩٠.

عمرو بن العاص انتهى من مسرح أحداث فتح الشمال الإفريقي بعد أن جاء خلفاً عنه لولاية مصر عبدالله بن سعد بن أبي سرح من قبل عثمان بن عفان الذي تولى الخلافة بعدما قتل عمر بن الخطاب. والوالي الجديد لمصر لم يقلّ حماساً لافتتاح الشمال الإفريقي عن سابقه ابن العاص، حيث أنه أي عبدالله بن سعد كان جندياً في الجيش الاسلامي هناك، ولربما مارس بعض الاعمال القيادية الحربية، وهو على علم تام ومعرفة كاملة بما عليه شمال افريقيا، ولذلك فقد خاطب الخليفة مرغباً آياه وطالبا منه الرخصة في غزو شمال افريقيا والتوغل فيه لافتتاحه، وما أن وصل كتاب ابن أبي سرح الى عثمان حتى استشار كبار الصحابة في هذا الأمر، فأشاروا عليه بالقبول والرضا، وعند سماع المسلمين بالخبر بدأ توافدهم على المدينة واجتماعهم فيها، وانضم اليهم جمع غفير من الصحابة وابنائهم، وكان ذلك في المحرم سنة ٢٧هـ، وقد سميت هذه الغزوة بـ «غزوة العبادلة» وذلك لاشتراك أكثر من شخص فيها من كبار الصحابة ممن كان اسمه عبدالله، كعبدالله بن عباس وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن جعفر وعبدالله بن نافع بن عبد القيس وعبدالله بن نافع بن الحصين.^١

وكذلك فقد اختلف المؤرخون في تاريخ هذه الغزوة وفي اسماء الصحابة والتابعين المشاركين فيها. فمنهم من ذكر بأنها سنة ٢٧هـ^٢ ومنهم من قال بأنها سنة ٢٩هـ^٣ ومنهم من قال غير ذلك. وأما أسماء المشاركين فقد اختلفوا فيها ايضاً، ولكن الذي يهمننا في بحثنا هذا ما ذكره المالكي في رياضه من أن الداخلين في افريقيا في هذه الغزوة كان من بينهم عبدالله بن عباس^٤، وأبو ذر الغفاري^٥، وأبو سعيد المقداد بن عمر بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة البهراني^٦، وأبو اليقظان عمار بن ياسر^٧.

١- راجع: فتوح ابن عبدالحكم ص ٣٧، وبيان ابن عذاري ج ١ ص ٤، والمالكي ابو بكر عبدالله بن محمد: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و افريقيا وزهادهم ج ١ ص ٥٠ وما بعدها، تحقيق بشير البكوش، دار الغرب، الاسلامي، بيروت

ط ١٩٩٤، ٢.

٢- رياض النفوس ج ١ ص ١٦.

٣- تاريخ شمال افريقيا ص ٣٢.

٤- رياض النفوس ج ١ ص ٧١.

٥- نفس المصدر.

٦- نفس المصدر ص ٧٣.

٧- نفس المصدر ص ٩٧.

ومعلوم لدينا تشيع ابن عباس، وأن الثلاثة الآخرين أركان التشيع الثلاثة من بين الصحابة ويضاف اليهم الركن الرابع سلمان الفارسي.^١ وليس هذا معناه بأن هؤلاء فقط من الصحابة المتشيعين قد دخلوا افريقية ولكن خصصناهم بالذكر لأنهم اعمدة التشيع وأقطابه من بين أعيان الصحابة.

وعندما يديم المالكي الكلام في رياضه عن الفتح العربي الاسلامي للشمال الإفريقي يذكر من التابعين الداخلين الى افريقيا «أبو رشد حنش بن عبدالله السبائي الصنعاني غزا المغرب مع روفيع، وشهد غزو الأندلس مع موسى بن نصير، وله بافريقيا آثار ومقامات، سكن القيروان، واختط بها داراً ومسجداً، ينسب اليه الآن في ناحية «باب رباح»، وتوفي بافريقيا في سنة ١٠٠ هـ».^٢ ولا نعتقد بأن التابعين المعروفين بتشيعهم ذهب منهم حنش الصنعاني فقط الى الشمال الإفريقي، بل نعتقد بأن آخرين قد ذهبوا وقاموا ببعض الخدمة لمذهبهم الشيعي هناك، ولكن أقلام المؤرخين اهملتهم لسبب أو لآخر، وكما سنبين لاحقاً بعض الحيف الذي لحق التشيع ومعتنقيه من قبل جمع كثير من المؤرخين والمختصين في شؤون المغرب العربي، بل سنوضح التحامل الذي كان يحمله هؤلاء على كل شيء تشتم منه رائحة التشيع. ومن الجدير بالذكر أن حنش الصنعاني كان من شيعة علي بن أبي طالب ومن المشاركين بصفين في صفه ضد معاوية والأمويين.^٣

وما أن وقع الاختلاف في مركز الخلافة - المدينة المنورة آنذاك - وقتل على أثرها الخليفة عثمان بن عفان وولّى المسلمون من بعده علي بن أبي طالب، وانشغل علي بن أبي طالب بالحروب والفتن الداخلية توقفت الفتوح، ولم تداوم إلا بعد شهادة علي بن أبي طالب عليه السلام، وتولّى ابنه الحسن السبط من بعده، وعقده الصلح مع زعيم البيت الأموي معاوية بن أبي سفيان سنة ٤١ هـ، وقد ذكرت كل المؤلفات التي عنت بتدوين احداث الفتوح للشمال

١- السجستاني ابو حاتم: روضات الزينة ص ٢١.

٢- نفس المصدر ص ١٥٠.

٣- رياض النفوس ج ١ ص ١٢٠.



الإفريقي هذا التلكؤ في عمليات الفتح في تلك الفترة وأشارت أيضا للسبب آنف الذكر.^١ وكان استئناف الفتح للشمال الإفريقي في زمن معاوية بن أبي سفيان على يد معاوية بن خديج الكندي، الذي عين والياً هناك ومجددا لعمليات الفتح.^٢ وهكذا توالى الولاة في زمن بني أمية على الشمال الإفريقي وكانت عمليات الفتح بين الكرّ والفرّ والتلكؤ والتقدم، وذلك لأن سكان الشمال الإفريقي كثيراً ما وقفوا بوجه الفاتحين المسلمين، وكذلك فقد ارتدوا عن الاسلام لمرات عديدة، ولم يتم فتح الشمال الإفريقي بالكامل تقريبا، ويبسط فيه الأمن ويصبح تابعاً حقيقاً للدولة الاسلامية الكبرى آنذاك، والتي كانت تتمثل بالدولة الاموية الأعلى يد أبي عبدالرحمن موسى بن نصير سنة ٩١هـ أيام الوليد بن عبدالملك.

وبعد أن سقطت الدولة الاموية وانهارت خلافتها في دمشق، وانتقل الحكم الى بني العباس سنة ١٣٢هـ التحق الشمال الإفريقي وبشكل طبيعي الى حكومة بني العباس شأنه شأن كلّ الولايات والأقاليم، التي كانت تحت راية الأمويين، وتولّى بنو العباس مهمة ارسال الولاة الى المغرب العربي، ولكن في هذه الحقبة من عمر الشمال الإفريقي كادت الأمور تختلف اختلافا كبيرا عما كانت عليه في الحقبة الأموية، وذلك بقيام مجموعة من الدول سواء من كانت مترامنة مع غيرها وتوزعت على مساحة الشمال الإفريقي، وسواء من حكمت جميع المغرب وجعلته بأكمله تحت رايتها، وهذه الدول جميعها أو بعضها كانت مستقلة استقلالاً كاملاً عن الدولة العباسية التي كانت تتخذ من بغداد عاصمة لها، لا بل كان بعضها يكنّ العداء لبغداد وحكومتها، ومن بين هذه الدول التي تكوّنت على أرض الشمال الإفريقي كانت دول شيعية، وهذه الدول لها علاقة وطيدة بموضوع بحثنا هذا.^٣

١- نفس المصدر ج ١ ص ٣٧.

٢- البيان المغرب ج ١ ص ١٧، ويمكن القول بأن جميع المصادر أجمعت على تولية معاوية لمعاوية بن خديج على الشمال الإفريقي ومداومته لعمليات الفتح هناك في ذلك المقطع الزمني.

٣- راجع المصادر التاريخية التي عنت بالشرق والمغرب الاسلامي في تلك الفترة، وهي كثيرة منها: تاريخ الطبري، وابن الاثير، وفتح البلاذري، وغيرها، ولكننا صفحنا عنها لأن التفصيل في هذا الجانب ليس له أهمية في هذا البحث.



تعريب الشمال الإفريقي

لما كان الأدب الشيعي شعبة من شعب الأدب العربي، فحريّ بنا ان نعرف كيف تعرب الشمال الإفريقي بعد ان عرفنا بان الاقوام والامم التي كانت تسكن بتلك الارض لاتجيد العربية، وكانت لها لغاتها الخاصة بها، ليحسن بنا بعد ذلك أن ندرس الأدب الشيعي العربي الذي انتج على أرض شمال افريقيا، ونحن غير غافلين عن كون البعض من ذلك الأدب انتج من قبل عرب اقحاح، ولكن نريد تسليط الضوء على من كان غير عربي اللسان وانتج ادبا عربيا، وكذلك على من كان غير عربي اللسان ايضا واصبح يفهم العربية بعمق وتروّ ولذا اصبح متلقياً جيداً يعمل فيه النص العربي ما يعمله في العربي ذاته، كيف تعلمًا وكيف وصلتها العربية؟ وابن خلدون يؤكد عدم وجود اللغة العربية في الشمال الإفريقي قبل الاسلام.^١

لقد اوعز الباحثون تعريب الشمال الإفريقي الى عاملين وانقسم الباحثون الى فريقين كل فريق يتعصب الى عامل نافياً الدور الذي يلعبه الثاني، وهذان العاملان هما: الاسلام وكتابه السماوي القرآن أولاً، واما الثاني العرب الوافدين الى الغرب مع جيوش الفتح الأولى، الذين جاؤوا الى هناك لسبب أو لآخر. وهذا الدكتور محمد طه الحاجري ينحاز نحو العامل الاول بقوله «وذلك لان اللغتين اللاتينية واليونانية لغتان رسميتان، واللغة البربرية لغة شعبية وقد اسلم كل البربر أو جلّهم، وبذلك استطاعت العربية ان تعم البلاد، لا كما يذهب اليه البعض من ان نزوح قبائل بني هلال هو السبب».^٢ بعد أن قدم الدكتور الحاجري لهذا الرأي بقوله «والاصل في ذلك هو ان الاسلام ليس ديناً فحسب، ولكنه دين ثقافة وحضارة معاً، والحضارة الاسلامية في صميمها حضارة ادبية ولغوية».^٣

واما الدكتور سعد زغلول عبد الحميد الذي اعتبرناه متبنياً للعامل الثاني فيقول اثناء ذكره

١- العبرج ٧ ص ٩٥.

٢- دراسات وصور ص ٣٤.

٣- نفس المصدر ص ٣٣.

لادريس الثاني «وأخذ يحيط نفسه بحاشية عربية وحرس عربي، وكان ذلك يعني - في نفس الوقت - العمل على نشر العروبة في الدولة الناشئة الى جانب نشر الاسلام»^١ فنجده في هذا النص يعتبر نشر العروبة غير نشر الاسلام.

ولكننا لا نؤمن بنظرية العامل الواحد ونقول بأن العاملين الآنفين متضامنان في نشر العروبة وتدعيم اركانها في الشمال الإفريقي، «فالاسلام وكتابه المقدس القرآن الكريم الذي انزله الله تعالى باللغة العربية، ومن اراد ان يعبد الله تعالى في دين الاسلام عليه ان يتعلم العربية، والعرب الذين حملوا تبليغ الاسلام والقرآن كانا عاملين يشد بعضهم بعضا حتى انتشرت لغة الضاد في تلك الربوع الإفريقية، وبناء على انتشار اللغة العربية واختلاط العرب هناك صار ذلك الاقليم جزءا لا يتجزأ من الامة العربية».^٢ ويشاركنا الأستاذ عبد الله كنون هذا الرأي قائلا «لقد سادت العربية في المغرب أول الأمر بسير الاسلام مترسمة خطاه، ومتبعة آثاره»^٣ ثم يردف هذا القول بآخر «وأول ما بدأ نشاط هذه الحركة «يعني الثقافة» في أيام حسان بن النعمان الغساني احد ولاة افريقية من قبل عبد الملك بن مروان، فانه من الممهدين السبيل لتقدم الثقافة العربية، واستقرار الحضارة الاسلامية في المغرب فدوّن الدواوين، ورسم العربية، وجعلها لغة الدولة الرسمية، فأوجب تعلمها على السكان المسلمين وغير المسلمين».^٤ ونحن فيما ذهبنا اليه نرفع البخس الذي لربما لا يقصده احد من الباحثين لكلا العاملين ونعطي الانصاف لحملة لغة القرآن وجهودهم، وللقرآن «الذي هو قوام دين، ودستور سياسة، وبحر اخلاق، وقاموس لغة، وديوان ثقافة، لذلك بُنيَ الفتح على الثقافة في يوم الفتح نفسه».^٥

وبالنتيجة فإن تعريب الشمال الإفريقي قد تم. وقد «بدأت المرحلة العربية مع موجة

١- تاريخ المغرب العربي ج ٢ ص ٤٤١.

٢- دائرة المعارف الشيعية م ٢ ص ٧٢.

٣- كنون عبد الله: النبوغ العربي في الادب المغربي، ج ١ ص ٤٨، دار الكتاب اللبناني، بيروت ط ٣.

٤- نفس المصدر ج ١ ص ٤٩.

٥- الكماك عثمان: مراكز الثقافة في المغرب ص ١٢، مطبوعات معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، ١٩٥٨.



الفتوحات الاسلامية التي اندفعت عبر الشمال الإفريقي بدءاً بمصر، حتى ساحل المحيط. ويُقدَّر من هاجر من العرب في بدء هذه المرحلة بنحو ربع مليون عربي، واختلط هؤلاء المواطنون مع القبط والبربر وغيرهم اختلاطاً كاملاً.^١

أضف الى هذا، ما عمله ولاية شمال افريقيا وامراؤها، وكذلك ما فعله بعض خلفاء الدولة الاموية، ويقصد بهذا ما قام به عمر بن عبدالعزيز في بعثه عشرة من التابعين يعلمون الناس القرآن، واحكام الأسلام، والعربية وآدابها، وكان ذلك سنة ١٠٠هـ.^٢

وقد كان هذا الدور من الأمراء والخلفاء مسجلاً للعمل الرسمي في التعريب، وما النشاط الشعبى فقد كان يمثلهم عموم العرب المهاجرين والذي أشرنا الى جزء منه.

ومما يحتسب على الصف الرسمي في تعريب الشمال الإفريقي، ما قامت به الدولة الادريسية من دور فاعل ومحمود في هذا المجال، فقد كان للأداسة دور كبير في التعريب، لاسيما في العهد المولى ادريس، حيث قدمت الى المغرب وفود عربية كثيرة^٣ «وكانت نشاطات تلك الوفود تعليم اللغة العربية للبربر، وفتح الكتاتيب، وتأسيس الرباطات، وكانت هذه وتلك اشبه بالمدارس الاولية تعد طلابها للجلوس في حلقات جامعة».^٤

حتى ان هذه الأعمال التي قام بها الأداسة في مضمار التعريب اعتبرها بعض المختصين البداية الحقيقية للتعريب «نستطيع القول بأن قيام امامات الأداسة في المغرب الاقصى وجزء من المغرب الاوسط يعتبر البداية الحقيقية لتعريب المغرب الفعلي».^٥

وكذلك الدكتور سعد زغلول عبد الحميد يعتبر ذلك بداية التعريب في المغرب.^٦

١- دائرة المعارف الشيعية م ٢ ص ٧١.

٢- النيفر الشيخ محمد، النيفر الشيخ علي: عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم واديب ص ٦٥، دار الغرب الاسلامي بيروت ط ١، ١٩٦٦.

٣- الجراري عباس: الامير الشاعر ابو الربيع سليمان الموحدي، عصره، حياته، شعره، ص ٥٦٠ دار الشقافة، الدار البيضاء، المغرب ط ١، ١٩٧٤.

٤- نفس المصدر ص ٥٧.

٥- مؤنس حسين: تاريخ المغرب وحضارته م ١ ج ١ ص ٤٠٩، العصر الحديث، بيروت ط ١٩٩٢م.

٦- راجع: تاريخ المغرب العربي ج ٢ ص ٤٤١.

ومن أراد التفصيل عن معرفة الوافدين على ادريس الثاني، أو بحقيقة الذين استقدمهم من افريقية والأندلس من العرب يراجع جملة من المصادر.^١

ويذهب بعض الباحثين الى أكثر من هذا بخصوص دور الأدارسة في التعريب للشمال الإفريقي. حيث انهم يعتبرون الاقسام المغربية التي لم تطلها اليد الادريسية بقيت بربرية في لغتها بالرغم من اعتناقها للإسلام، وبالرغم من احتوائها لبعض الامارات الاسلامية ولكن على غير المذهب الذي يدين به الأدارسة، وقد تبنى هذا الرأي الأستاذ عبدالله كنون حيث يقول «وفي الناحية الادبية يمكن ان نشير الى هذه الظاهرة العجيبة، التي تتمثل في استعراب جميع قبائل الشمال الإفريقي ما عدا الريف، بحيث تنوسيت فيها البربرية تماماً، ويقال ان الفضل في ذلك يرجع للأدارسة الذين آووا اليها بعد خروجهم من فاس، وأسسوا بها دولتهم الثانية على يد القاسم كنون منهم... وهو دليل باقٍ الى الآن، يحملنا على القول أن تأثير الأدارسة في استعراب البربر، وتطورهم الفكري أكثر مما نظن... فاذا ذهبنا نقيس عملهم - الأدارسة - في هذا الباب بعمل امراء نكور ابناء صالح بن منصور، وقد تأسست هذه الامارة في الريف قبل قيام الدولة الادريسية، وبقيت الى ما بعد انقراضها، نجد انه لا نسبة بينهما في ذلك، وهذا اقليم الريف ما يزال يرطن بالبربرية لحد الآن».^٢

ويؤكد هذا المعنى باحثون آخرون موعزين الفضل الأكبر في انتشار العربية في الربوع المغربية، وكذلك الاسلام الى الدولة الادريسية فهذا الغنيمي يقول «فانتشرت الثقافة الاسلامية في جو هادئ، وسادت اللغة العربية في أمن وسلام..... ويحدثنا التاريخ أن اللغة العربية سارت في أعقاب جيوش الأمام ادريس فتركزت حيث تركزوا وترعرعت حيث ترعرع الاسلام، واذا كان سكان جباله يتكلمون كلهم اليوم العربية... فان الفضل يعود للأدارسة ودولتهم العلوية. فهم الذين وضعوا الاساس القوي لنشر العروبة والاسلام... ادت دولة الأدارسة دورها، بحيث اصبح البربر جميعهم اليوم يتقنون اللغة العربية في الجبال

١- انظر: روض القرطاس ص ١٣ - وما بعدها، العرب ج ٤ ص ١٣ وما بعدها.

٢- النبوغ المغربي ج ١ ص ٥٩ - ٦٠.



الاطلسية لا سيما في الناحية الشرقية».^١

ولا بد هنا من الإشارة لإثبات الدور الأساس والفاعل والكبير للمشتيعين في تعريب الشمال الإفريقي، سيما وان الأدارسة ودولتهم من الشيعة، وقد أكد الكثير من الباحثين شيعة هذه الدولة صراحةً، أو تلميحاً ومن بين المصرّحين بتشيعها الدكتور شلبي حيث يقول «دولة الأدارسة هي أول دولة شيعية في التاريخ».^٢

وأما تشيع الفاطميين ودولتهم في الشمال الإفريقي، فمن الأمور التي لا خلاف فيها ولا غبار عليها، وقد كان لهذه الدولة بشكل مباشر وغير مباشر دور لا يمكن تناسيه في تعريب ذلك الشمال.

حتى انه «لا يستطيع مؤرخ محايد ومنصف للحقيقة التاريخية الآن أن يعتبر الغزوة الهلالية بعداً جديداً لانتشار الاسلام والعروبة على أرض المغرب، حيث لقي الاسلام والعروبة دفعة جديدة».^٣

يمكننا القول بأن جميع المصادر التي تعرضت لتاريخ الشمال الإفريقي، ولتاريخ الدولة الفاطمية، ذكرت الغزوة الهلالية، موضحة ماهيتها، وشارحة اسبابها، ونتائجها، والآمرين بها، ومجمل القول عنها بأن الفاطميين لما آثروا الانتقال الى مصر من الشمال الإفريقي، ونقلوا عاصمة ملكهم الى القاهرة بدلا من المهديّة، استخلفوا بنى زيرى الصنهاجيين على شمال افريقيا، وبنو زيرى معروفون بتشيعهم، وبجهودهم التي بذلوها في تأسيس حكومة الفاطميين الشيعية في افريقية وتدعيم اركانها، فتوالى على كرسي الشمال الإفريقي ثلاثة هم «بلكين بن زيري، والمنصور بن بلكين، وباديس بن منصور، وكلهم يدينون بالتبع والخضوع للخليفة الفاطمي بالقاهرة وما ان جاء رابعهم المعز بن باديس حتى خلع الطاعة الفاطمية. ولكن الخليفة الفاطمي المستنصر في حينها كاتبه وطلب منه الانصياع والسير بما كان عليه أبائوه، فاغلظ الجواب للمستنصر، وعندها امتلأ قلب المستنصر حقدا عليه، وقرر ان يثأر منه،

١- الغنيمي عبدالفتاح مقلد: موسوعة المغرب العربي م ١ ص ٣٠٨ - ٣١٠، مكتبة مدبولي - القاهرة ط ١٤١٤هـ - ١٩٩٤.

٢- موسوعة التاريخ الاسلامي ج ٤ ص ١٨٤.

٣- موسوعة المغرب العربي م ١ ص ٢١٤.

فاستشار وزيره في ذلك، فأشار عليه بالاستعانة على المعز الصنهاجي بقبائل العرب التي كانت تسكن الصعيد من أرض مصر، وكان من بينها بنو هلال وبنو سليم وبنو رياح، وبنو زغبة وغيرهم، وفعلا نجح المستنصر باقناع هذه القبائل بالتحرك نحو الشمال الإفريقي بعد ان نفذ لهم بعض الوعود والمساعدات المالية، فهزموا جيش الصنهاجيين ودخلوا القيروان، وكانوا عشرات الآلاف، وعندها قضوا على دولة بني زيزى الصنهاجيين في تونس وعلى دولة ابناء عموماتهم من بني حماد في المغرب الاوسط الجزائر^١.

واتخذوا من الشمال الإفريقي سكنا لهم، وانتشروا على مساحة أرضه، وبذلك اصبحوا عاملا من عوامل التعريب ونشر الاسلام كما أشرنا الى ذلك، مع كون ابن خلدون، من المتحاملين عليهم والواسمين لهم بالمخربين. وكذلك من المتحاملين على هذه الغزوة العربية الدكتور محمد طه الحاجري، والذي لنا معه وقفة ليس هذا محلها.

١- السراج محمد بن محمد الاندلسي الوزير (المتوفي سنة ١١٤٩هـ): الحلل السندسية في الأخبار التونسية ج ١ ق ١ ص ٩٤٥ تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية، ١٩٧٠ - موسوعة المغرب العربي م ٣ ص ١١١ - ١١٢ - تاريخ الجزائر العام ج ١ ص ٣٤٢ - ٣٤٤.

الفصل الثاني

التشيع وأدواره في الشمال الإفريقي

- تاريخ التشيع في الشمال الإفريقي
- الشيعة الأوائل في الشمال الإفريقي
- بدايات التبليغ الشيعي في الشمال الإفريقي
- انتشار التشيع في الشمال الإفريقي
- تشيع الأدارسة
- التشيع في زمن الفاطميين
- التشيع بعد الفاطميين
- المذاهب الإسلامية الأخرى في الشمال الإفريقي
- دولة الأغالبة والتشيع
- المغرب مركز إشعاع شيعي
- الثورات الشيعية في الشمال الإفريقي
- طبيعة التشيع المغربي وعقائده
- دول التشيع في الشمال الإفريقي
- الدولة الإدريسية
- الدولة الفاطمية
- الموحدون
- الحفصيون
- المرينيون
- التشيع في الشمال الإفريقي والمؤرخون

تاريخ التشيع فى الشمال الإفريقي

مما لا جدال فيه، بأن المشرق هو مهد التشيع، ومكان نشوئه الأول، وإن المشرق هو الذي أدّى مهمة تصدير التشيع الى شمال افريقيا وغيره من بقاع الدنيا. وكذلك مما لا خلاف فيه، بأن التشيع هو الولاء لعلي بن أبي طالب، واعتباره هو الخليفة الشرعي والامام المفترض الطاعة بعد رسول الله ﷺ. وهذا الاعتبار في الخلافة الشرعية والإمامة بعد الرسول لعلي بن أبي طالب، قد وصل في نظر الشيعة ومعتقدي فكر التشيع الى ابناء علي بن أبي طالب من ولد فاطمة بن رسول الله ﷺ وهم الحسن السبط والحسين شهيد كربلاء، وبعد الحسن والحسين - ولربما في أيامهما - كثرت وتعددت فرق الشيعة، وكل فرقة من هذه الفرق تتخذ لنفسها سلسلة من الأئمة، وتقول بوجوب طاعتهم، ولم يصاحب أكثر هذه الفرق الدوام والاستمرار، وانما انتابها الأفول والإنقراض، ولم يبق إلى أيامنا هذه، إلا الاثنا عشرية، والزيدية، والاسماعيلية، وقد أشار أئمة أهل البيت الى انحراف الفرق التي افترت في انتسابها الى التشيع والى أهل البيت، وكذلك العلماء المتأخرون من الشيعة أكدوا ذلك «واعتبروا تلك الفرق منحرفة ضالة» تبرأ منها أئمة أهل البيت في زمانهم.

وعلى مرور الايام كثر عدد الشيعة، وكان لهم علماء وهم الذين دونوا المعتقدات الشيعية،



وقد انتشرت عقائدهم في كل أرجاء العالم الاسلامي، خاصة منها الاعتقاد بوجوب تولي أهل البيت لزعامة المسلمين، وكذلك وجوب حبّ أهل البيت من قبل المسلمين وتوليهم وطاعتهم، وبذلك تمكّن نفرٌ من أهل البيت من تأسيس دول تحكم بأسم أهل البيت في أماكن متعددة من أرجاء العالم الإسلامي وعلى طول التاريخ الاسلامي، وقد عرفت هذه الدول بتبنيها لفكر التشيع، واقامة نظام حكمها باسمه وعلى اساسه.

وهذا ما جعل الكثير من المسلمين يتعاطفون مع ابناء البيت النبوي العلوي ويلتفون حولهم، ناهيك من أنهم يسوقون الكثير من الأدلة القرآنية والأحاديث النبوية على أحقيتهم في خلافة النبي ﷺ.

الشيعة الأوائل في الشمال الإفريقي

أول شيء يجب تسجيله وذكره للتشيع في الشمال الإفريقي، هو أن ابرز الصحابة المعروفين بتشيعهم والذين يعدّون اركان التشيع وحملته الاوائل، وطأت اقدامهم أرض الشمال الإفريقي مع الفتوح الاسلامية الأولى هناك، وهذا ما لا يحظى به بلد آخر من البلدان التي فتحها الاسلام آنذاك، وحتى لو شارك احد الذين نذكرهم في فتح بلد آخر، إلا أنه لم يشاركوا جميعاً في فتح ذلك البلد، ولم يجتمعوا بأجمعهم في مكان واحد غير الشمال الإفريقي، وهذا ما نعتبره ميزة خاصة لتاريخ التشيع في الشمال الإفريقي لم تتوفر لبلد آخر غيره من البلدان التي فتحها المسلمون. وقد أورد المؤرخون اسماءهم، وهم: أبو ذر الغفاري^١، وأبو اليقظان عمار بن ياسر^٢، والمقداد بن عمرو أو بن الأسود البهراني القضاعي الكندي^٣، ويضاف الى هؤلاء الثلاثة عبدالله بن عباس^٤.

١- الدباغ الاسيدي ابو عبد الرحمن بن محمد الانصاري: معالم الايمان في معرفة أهل القيروان ج ١ ص ٨٥ - أكمله ابو الفضل ابو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي - تصحيح وتعليق ابراهيم شيوخ، مكتبة الخانجي، مصر ط ٢ - ١٩٦٨، رياض النفوس ج ١ ص ٧١.

٢- معالم الأيمان ج ١ ص ١٥٥، رياض النفوس ج ١ ص ٩٧.

٣- معالم الأيمان ج ١ ص ٧١، رياض النفوس ج ١ ص ٧٣.

٤- معالم الأيمان ج ١ ص ١١، رياض النفوس ج ١ ص ٦٠ - ابن الأثير ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن ابي بكر القضاعي: الحلة السيرة ج ١ ص ٢٠، تحقيق - حسين مؤنس: الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، وكذلك النسخة التي حققها - عبدالله

يذكر بعض المؤرخين يذكر بأن أئمة أهل البيت عليهم السلام قد وطأت أقدامهم أرض الشمال الإفريقي وفي الغزوة نفسها التي دخل فيها أعلام التشيع الآنف ذكرهم. والأئمة من أهل البيت الذين دخلوا الشمال الإفريقي هم الحسن بن علي بن أبي طالب وأخوه الحسين عليه السلام، وهذه منقبة للشمال الإفريقي أكبر من سابقتها^١، ورصيد أقوى للتشيع وتاريخه في المغرب العربي. وقد كانوا جميعاً مع المدد الذي أرسله عثمان بن عفان إلى واليه على مصر عبدالله بن سعد بن أبي سرح لغزو إفريقية، وفعلاً غزى ابن أبي سرح إفريقية وكانوا معه في تلك الغزوة التي اصطلاح عليها «غزوة العبادلة»^٢.

وهؤلاء أول شيعة وطأت أرجلهم أرض الشمال الإفريقي على حد علمنا. من المحتمل بأن بعض الشيعة دخلوا الشمال الإفريقي قبل أبي ذر الغفاري وإخوته مع الغزوة التي سيرها عمرو بن العاص نحو الشمال الإفريقي، ولكن لم يشر التاريخ إلى أحد منهم، بل أن التاريخ أشار إلى من دخلوا في غزوة العبادلة وما بعدها، كما ذكر دخول حنش الصنعاني؛ حسين بن عبدالله وكنيته أبو علي^٣، أو أبو رشدين والذي قال عنه ابن الفرزي (حنش الصنعاني تابعي كبير، ثقة روى عن علي بن أبي طالب)^٤، وقد غزى الأندلس مع موسى بن نصير وكان أول من ولى عشور إفريقية وتوفي فيها سنة ١٠٠هـ^٥، وتشيع حنش مشهور وأنه من المحاربين في صف علي يوم صفين^٦.

ومن الواضح بأننا نشير إلى سراة التشيع الداخلين إلى الشمال الإفريقي، ونحتمل دخول

انيس الطباع وقدم لها عبدالله كنون، دار النشر للجامعيين، بيروت ١٩٦٢.

١- العسلي بسام - فن الحرب الإسلامي في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين عمليات الجبهة الغربية فتوح مصر والمغرب والأندلس م ٢ ص ٢٢٤.

٢- راجع: فتوح ابن عبد الحكم ص ٣٧، وبيان ابن عذاري ج ١ ص ٤٠.

٣- المشيني مصطفى إبراهيم: مدرسة التفسير في الأندلس ص ٤٢، مؤسسة الرسالة بيروت ط ١، ١٩٨٦.

٤- ابن الفرزي: تاريخ علماء الأندلس - ق ١ ص ١٢٥.

٥- الحميدي محمد بن أبي نصر: جذوة المقتبس ص ٢٠١، تحقيق، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني المكتبة المدرسية، بيروت ط ١٩٨٣.

٦- رياض النفوس ج ١ ص ١٢٠.



اعداد اخرى منهم الى هناك، خاصة وانهم طوردوا بعد مقتل علي بن أبي طالب وفاجعة كربلاء، ولكن المصادر التاريخية أهملت هذا الأمر. وسنخصص لاحقا فصلا نتعرض فيه لبعض تلك الظلمات التي لحقت المتشيعين في اهمال تاريخهم كي يتضح من ذلك مدى العسف الذي أصاب أدب التشيع في الضياع، والإهمال، والتحريف، وغير ذلك.

ونرى بعض الباحثين المنصفين يؤكدون هذه الحقيقة، فيقول احدهم «لهذا يمكننا الجزم بأنه لم يكن قد مضى كبير وقت على افتتاح المسلمين لارض المغرب حتى وطئت اقدام الشيعة تلك الارض»^١.

ومن أراد الاستزادة لمعرفة أسماء الذين دخلوا الى الشمال الإفريقي من أبناء البيت العلوي ممن ينتسبون الى الحسن بن علي بن أبي طالب أو الى اخيه الحسين عليه السلام أو من الشيعة، أو سكنوا به وأقام بعضهم امارات هناك تدين بالتشيع يمكنه مراجعة ما ذكره محمد الطالبي تحت عنوان «دخول العلويين والشيعة الى المغرب»^٢.

ومن يقرأ التاريخ الشيعي بانصاف يجد أن الحيف الذي وقع على هذه الفرقة من المسلمين في زمن بنى العباس، أشد من الحيف الذي لحقهم في أيام بني امية، بالرغم من أن الحكم العباسي استبشر به الموالون لأهل البيت في أول ايامه، وبالرغم من أن بني العباس تمكّنوا من الغلبة على الامويين بشعار «الرضا من آل محمد»^٣.

وبهذا كان من اللازم -وتحت وطأة الظروف الجديدة- على الشيعة وأسيادهم أن يفكروا في أرض بعيدة عن متناول السلطة العباسية، ومهياة لقبولهم، لكي يهاجروا اليها «ومن الملاحظ أن احوال بلاد المغرب كافة في أواخر القرن الثاني من الهجرة ساعد على نزوح كثير من المضطهدين العلويين من ابناء الأمام علي عليه السلام الذين جدّ العباسيون في مطاردتهم وقتل زعنائهم، وخنق أنفاسهم فضاقت على ابناء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الارض بما رحبت، فالتجأت طوائف كثيرة منهم الى الدولة الرسمية ففتحت لهم ذراعيها وقلبها، ورحبت بهم،

١- دولة التشيع في بلاد المغرب ص ١٠٢-١٠٣.

٢- الطالبي محمد: الدولة الاغلبية، التاريخ السياسي ص ٦٤٤ - تعريب المنجي الصيادي مراجعة حمّادي الساحلي.

٣- دولة التشيع في بلاد المغرب ص ١٠١.

وأكرمهم، وعرفت لهم مقامهم الرفيع ومقام جدّهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فحلّوا سادة مبجلين يتمتعون بكلّ حرية وكانت فرحة المدن بهم بالغة فغمرهم أهلها بالأجلال»^١.

بدايات التبليغ الشيعي في الشمال الإفريقي

كان سادس أئمة أهل البيت جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قد أولى اهتمامه للمغرب العربي، وحاول أن يعمق فيه جذور التشيع، وعلى ما نرى، بعد أن عرف بأنه تربة صالحة لغرس شجرة التشيع فيها، ولوجوب البحث عن مكان آمن يلجأ اليه الشيعة اذا ضاقت بهم أرض المشرق، واشتدّ ظلم السلطات الحاكمة لهم. فبعث برجلين من رجاله الى تلك الارض، وهما: الحلواني عبدالله بن علي بن احمد، والسفياني أبو سفيان حسين بن قاسم.^٢ بعثهما الى المغرب ليبلّغا للمذهب الشيعي هناك، ويثابا معتقداته، وقد ذكر خبرهما المقريري قائلاً «الحلواني وأبو سفين أنفذهما جعفر الصادق عليه السلام الى بلاد المغرب في سنة خمس وأربعين ومئة وقال لهما «أنكما تدخلان ارضا بورا، لم تحرث قط، فاحرثاها واكرباها وذلاها، حتى يأتي صاحب البذر فيضع حبة فيها» فنزل أبو سفين من أرض المغرب مرماجنة، ونزل الحلواني بموضع يسمّى سوق حمار، فلم يزالا يدعوان الناس الى طاعة آل البيت، حتى استمالا قلوب جمع كثير من كتامة وغيرها الى محبة آل البيت وصاروا شيعة لهم. الى أن دخل اليهم صاحب البذر «على رأي المقريري أبو عبدالله الشيعي» بعد مائة وخمس وثلاثين سنة، وكان من أمره ما كان»^٣.

وقد وافق ابن خلدون المقريري في هذه القصة، وكاد يورد كلامه حرفياً.^٤ وقد أدّى ما عليهما من الدعاية الشيعية هناك، وتأثر بهما خلق كبير من ابناء المغرب

١- نفس المصدر ص ١٢٠.

٢- طاهري عبدالله ناصر: مقدمة الى التاريخ السياسي والاجتماعي في شمال افريقيا من البداية حتى ظهور العثمانيين ص ٤٤٣، مؤسسة الطبع والنشر، وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي «بالفارسية».

٣- المقريري نقي الدين احمد بن علي: اتعاظ الحنفا باخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ج ١ ص ٥٠، تحقيق جمال الدين الشيال القاهرة ط ١٩٦٦.

٤- العبر ج ٤ ص ٦٦، ولكن ابن خلدون يسمي السفياني ابن بكّار.



سواء من عموم الناس، وسواء من سراة القوم ووجهائهم، وكان من المتأثرين بالحلواني وأبي سفيان عبدالرحمن بن زياد بن انعم (ت ١٦١ هـ ٧٨٧ م)^١، وكان نزولهم بالمغرب الاوسط والذي يعرف اليوم بالقطر الجزائري، ويعتبران مرسيان قواعد التشيع في المغرب، ولذلك فقد قبلت قبيلة كتامة الدعوة الفاطمية الشيعية احتضنت داعيتها أبا عبدالله الشيعي، وتجشمت العناء، وأقامت الدولة الفاطمية على أكتفاها وهذا الفضل كله يرجعه كل المؤرخين أو جلّهم الى جهود الحلواني والسفياني.^٢

ومن الجدير ذكره أنّ الجيلالي يدّعي بأن الدعاية الشيعية قد سبقت الحلواني والسفياني في الجزائر حيث يقول «كان أول من نشر الأفكار الشيعية في الجزائر منيب بن سليمان الكناسي نزل باعمال تيهرت، ونواحي وانشريس، فنشرها هناك بين العامة، ثم جاء بعده السفياني والحلواني، فنشرها ايضا ما بين أهالي مرماجة من بلاد مجاته وسوق حمار بنواحي قسطنطينية».^٣ ولكننا لا نمتلك من المعلومات عن الكناسي هذا أكثر مما ذكره عنه الجيلالي. ونرى أكثر المؤرخين المعاصرين يرددون ما قاله المقرئزي، وابن خلدون، وابن الاثير عن الحلواني والسفياني من أمثال الدكتور عبدالعزيز سالم ونجيب زينب والدكتور أحمد بدر، وكذلك الأمر في خبر ابن سليمان الكناسي، حيث نرى أنّ نجيب زينب يردد ما قاله الجيلالي.^٤

انتشار التشيع في الشمال الإفريقي

يكاد المؤرخون يطبقون جميعاً على انتشار مذهب التشيع في الشمال الإفريقي منذ الثلاثينات من القرن الثاني الهجري فصاعداً، وهذا ما جعل المغاربة يقبلون الفارّين اليه من

١- تاريخ المغرب العربي ج ٢ ص ٥٣٥.

٢- عماد الدين الداعي ادريس: تاريخ الخفاء الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار ص ٨٤ - تحقيق، محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي - بيروت ط ١٩٨٥.

٣- تاريخ الجزائر العام ج ١ ص ٣٠١.

٤- دولة التشيع في بلاد المغرب ص ١٢٠، مجلة دراسات تاريخية - جامعة دمشق - الجمهورية العربية السورية - العدد الثامن - مقال - هجرة الثقافة من المشرق الى المغرب في القرن الثامن للهجرة - ص ٨٧ - د. أحمد بدر - الدولة الاغلبية ص ٦٥٢.

إبناء البيت العلوي من سطوة العباسيين وظلمهم لهم. وبنفس الوقت فإن انتشار التشيع في الشمال الإفريقي هو الذي جعل هؤلاء الفارّين يولّون وجوههم صوبه، والأكثر من هذا ما يدل على ذبوع التشيع وانتشاره في المغرب العربي هو تمكن هؤلاء الفارين اليهم من إبناء البيت العلوي من تأسيس دول شيعية باسم آل البيت، وقد توفرت لهم الحماية والاسناد في مشاريعهم لتأسيس تلك الدول من قبل المتشيعين المغاربة بالرغم من وجود الكيانات الموالية للعباسيين هناك، وخير مثال على ذلك الدولة الادريسية التي تعتبر أول دولة شيعية في التاريخ^١. وهذه ميزة أخرى للتشيع المغربي ومتشيعيه، حيث أن المشرق مهد التشيع ومع ذلك لم يتمكن الشيعة من تأسيس دولة لهم فيه قبل الشمال الإفريقي الذي وصل اليه التشيع لاحقاً عن طريق الشرق ذاته.

ونحن نؤكد على أن التشيع لو لم يكن راسخاً في أوساط المغاربة لما تفانوا في نصرة إبناء البيت العلوي الهاريين اليهم من جحيم العداء الذي أشعله الأمويون وزاد العباسيون في تأجيجه، وقد أشار الكثير من الباحثين الى هذا الرسوخ للتشيع في قلوب سكان المغرب، وسنورد قسماً من هذه الاشارات مع ملاحظاتنا على بعض منها والتي نغضي عنها صفحاً لئلا يطول المقام بنا، فهذا الدكتور الجراري يقول «كذلك بدأ المذهب الشيعي يتسرب الى قلوب البربر، ويجد بعض الاقبال، ولكنه اقبال غير ناتج عن اقتناع فكري بالمذهب، وانما هو ناتج عن عطف على العلويين، واشفاق عليهم مما انزل بهم الأمويون والعباسيون، من نكبات كانت تتردد اصداؤها في المغرب، فتجد لها مكاناً رحباً في نفوس البربر، لاسيما وهم ما يزالون حديثي عهد بالاسلام، وليس هذا بالغريب، فالمغاربة كانوا دائماً يحبّون آل البيت، ويجلّون علياً وبنيه، وربّما فضّلوه على من سبقه من الخلفاء»^٢. ونترك التعليق على هذا النص للقارئ الكريم، ونشير فقط الى أنه دليل واضح على شدة التشيع عند المغاربة، بل والفهم لما هو عليه التشيع من مبادئ.

١- موسوعة التاريخ الاسلامي ج ٢ ص ١٨٤.

٢- الامير الشاعر ابو الربيع سليمان الموحي ص ٢٧.



وهذا عبدالله العروي يقول «لم يعد من الممكن الاعتقاد أن الدعاية العلوية غير الزيدية جديدة في بلاد المغرب»^١.

وهذا الوجود الواسع للمذهب الشيعي في الشمال الإفريقي قد عرفه جيدا أهل البيت، فكان بدوره عاملاً مساعداً ومشجعاً لهم بالهجرة والتوجه نحوه، إذا ما اشتدت عليهم المطاردة، وكان ما كان من ادريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب^٢، وغيره لهذا السبب على الأظهر والاقوى، وادريس هو الذي نجح في تأسيس الدولة العلوية الشيعية الأولى في التاريخ.^٣

والدولة الادريسية مارست دورها الطبيعي ايضا في توسيع قاعدة التشيع في المغرب ونشره وتعميقه بين أبناء المغاربة الذين امتد اليهم نفوذها «فأن معظم المناطق التي سيطر عليها ادريس بعد فتحها اعتنقت الاسلام بسرعة، وصار سكانها شيعة على نحو واضح»^٤، ويؤكد انتشار التشيع في زمن الأدارسة ايضا عند كلامه عنهم الدكتور عباس الجارري بالرغم من أنه يدّعي عدم الشيعة لهم، فيقول «وأياً ما كان الأمر، فأن التشيع لم يلبث أن انتشر في ربوع المغرب»^٥.

وكذلك الباحث نجيب زينب يؤكد هذه الحقيقة للدولة الادريسية في نهوضها بتوسيع قاعدة التشيع، ونشره في المغرب في أيامها، فيقول اثناء حديثه عنها «ومن هنا وباجماع معظم الكتاب والمؤرخين نرى أن المغرب كان يعتبر ميدانا من ميادين الدعوة للتشيع»^٦، ويشير بعض الباحثين الى أن آل البيت خاصة الحسينيين، كان لهم تردد على المغرب ودعوة أهله

١- العروي عبدالله: مجمل تاريخ المغرب ج ١ ص ٥٩، المركز الثقافي، الدار البيضاء ط ١٩٩٤.

٢- راجع لمعرفة التفاصيل عن ادريس بن عبدالله، دائرة المعارف الاسلامية مادة ادريس ص ٥٤٤، وجدي فريد: دائرة معارف القرن العشرين ص ١٢٢، الاصفهاني ابو الفرج: مقاتل الطالبين ص ٤٠٨ وما بعدها - شرح وتحقيق - السيد احمد صفر، منشورات الشريف الرضي، المختصر في اخبار البشر ج ٢ ص ٨٧.

٣- تاريخ المغرب الكبير ج ٢ ص ٣٧٣.

٤- العروي عبدالله: تاريخ المغرب محاولة في الترتيب ص ١١٢، ترجمة ذوقان فرقوط، المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٧٧.

٥- الجارري عباس: الموحدون ثورة سياسية ومذهبية ص ٩٥-٩٦.

٦- دولة التشيع في بلاد المغرب ص ١٠٢.



لآل البيت قبل مجيء ادريس اليها بعد واقعة فخ، حيث يذكر بأن ادريس جاء الى المغرب ورجع منها ليشارك في فخ.^١ وكما يذكر ابن أبي زرع مجيء سليمان الى المغرب مبعوثاً من اخيه محمد النفس الزكية فنزل تلمسان يدعو الى اخيه بعد رحلة طويلة عبر مصر وبلاد النوبة والسودان وبلاد الزاب... ولكنه عاد ايضاً خوفاً من عيون العباسيين.^٢ وفي نفس الوقت وصل الى افريقيا لنفس الغرض - داود بن القاسم بن اسحاق بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب.^٣ حتى أن بعض الباحثين وبناء على الجهود التي بذلها الأدارسة في تدعيم اسس التشيع واذاعته في بلاد المغرب اعتبروا دولة الأدارسة هي الممهدة لقيام دولة الفاطميين الشيعة، حيث تعبر عن ذلك السيدة عادلة على الحمد بقولها «الأدارسة طلائع الحكم الفاطمي».^٤ ونختم الكلام عن الوجود الواسع للتشيع في المغرب العربي قبل قيام الدولة الادريسية، وخلال ايامها بما صرح به الباحث الجيلالي، حيث يقول «وأما افريقية وما وراءها من المغرب فقد كان الغالب عليها مذهب الكوفيين الى أن دخل عليها علي بن زياد^٥ وابن أشرس والبهلول بن راشد، وبعدهم اسد بن الفرات، وغيرهم بمذهب مالك».^٦ ويكفي لما نذهب اليه من أن التشيع كانت له اقدامه الراسخة في المغرب العربي بأن مدن المغرب كانت تشبه بمراكز التشيع في بلاد المشرق فهذا محمد اليعلاوي عندما يتعرض لذكر الشاعر محمد بن رمضان، الذي هو من نفطة في الجريد التونسي يقول «ونفطة كانت تعرف بـ «الكوفة الصغيرة» اما لتشييعها، وأما لنفاق العلم بها».^٧

١- اسماعيل محمود: الأدارسة في المغرب الأقصى، حقائق جديدة ص ٥٠، مكتبة الفلاح، الكويت ط ١، ١٩٨٩.

٢- ابن أبي زرع: روض القرطاس ص ١٦.

٣- المغرب ص ٣٥.

٤- الحمد عادلة علي: قيام الدولة الفاطمية ببلاد المغرب ص ٤٨، دار المستقبل بالقجالة، القاهرة ١٩٨٠.

٥- يقال عنه أول من أدخل موطأ مالك الى الشمال الإفريقي.

٦- تاريخ الجزائر العام ج ١ ص ٣٦٨.

٧- تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب هامش ص ٥٥.



تشيع الادارسة

مما يؤسف له بأن أكثر المؤرخين والباحثين قد جانبوا الحقيقة وجاروا على الانصاف في كتاباتهم التاريخية وبحوثهم، ولربما كان هذا منهم من غير قصد وعمد، ولكن الذي يسترعى الانتباه هو أنهم وقعوا في مغالطات يتنبه لها من كان له أدنى مراحل الوعي والتحصيل العلمي، ولا نحمل ذلك الآ على الغفلة والسهو عند بعضهم، والتعصب المقيت عند البعض الآخر.

ومن تلك المجانبات للحقيقة الاصرار الذي نجده عند بعض الكتاب في نفي التشيع عن الدولة الادريسية مع أنهم - بعض الكتاب - يثبتون للدادارسة تبنيهم وتعهدهم نشر المذهب الشيعي في ربوع الشمال الإفريقي، رغم أن الكثير من الباحثين يؤكدون، وبعد جهود حثيثة منهم في تاريخ المغرب والدولة الادريسية بأنها - الدولة الادريسية - الدولة الشيعية الأولى في التاريخ كما ذكرنا ذلك.

فمثلاً هذا الدكتور الجراري وبعد أن يتكلم عن الأدارسة يذهب الى أنهم ليسوا بشيعة، ويرجح المذهب المالكي سمة لهم، ويخلص في النهاية الى القول «وأياً ما كان الأمر، فإن التشيع لم يلبث أن انتشر في ربوع المغرب».^١ فلنا أن نسأل الأستاذ الجراري ولا نطيل الكلام: بجهود من كان هذا الانتشار لمذهب التشيع في المغرب، اذا لم يكن الأدارسة متشيعين؟ هل بجهود الاغالبية العباسيين؟ أو بجهود الدولة الخارجية المزامنة لها؟ أو بلا جهود؟ أو ليس الأخرى بالادارسة اذا كانوا موالكا، ومعتقدين بذلك أن يتعهدوا بنشر المالكية؟ ومقاومة ما عداها وهم أهل الدولة والصلوة؟ ولنا أن نسأل أيضاً السيدة عادلة على الحمد نفس الأسئلة السابقة على ما ختمت به كلامها عن الأدارسة، وانتهت بالنتيجة الى أنهم مالكيين، ثم قالت «ذلك أن ادريس كان في ذاته علويًا، والعلوي لا يتشيع لنفسه، إذ أن الشيعة هم المتشيعون للبيت العلوي، وهذه حقيقة لا بد أن نقررها بوضوح منعاً للالتباس».^٢ ولا نحسب هذا الآ غفلة أو وقعت السيدة العادلة في هذه المغالطة الظالمة، ولربما عدم الأطلاع على فكر التشيع هو الذي جرّها

١-الموحدون ثورة سياسية ومذهبية ص ٩٥-٩٦.

٢-قيام الدولة الفاطمية ببلاد المغرب ص ٤٩٠.

الى ما انتهت اليه، ثم نقول: ان كون العلوي لا يتشيع لنفسه، حتى وان صحّ، فهو لا يعني أن يصبح العلوي سنياً على أحد المذاهب الأربعة، ومن ثم أليس من الاوضح أن نقول بأن الدولة التي يؤسسها قادة الشيعة شيعة؟ وبعد ذلك نذكر السيدة العادلة بكلامها عندما اعتبرت الأدراسة طلائع للحكم الفاطمي^١، فهل كان الفاطميون من المالكية في شيء، أم انهم شيعة متعصبون لتشيعهم صبّت عليهم اللعنات من قبل أكثر المناهضين للتشيع.

ومما يؤسف له ايضاً أن يقع باحث كبير مثل الدكتور حسين مؤنس في نفس الشبهة والمغالطة، فيقول «من الاخطاء الشائعة القول بأن الأدراسة دولة شيعية لأن مؤسسها وأئمتها من أهل البيت، وقد غاب عن القائلين بذلك أن آل البيت لا يمكن أن يكونوا شيعة، لأن الشيعة هم الذين يتشيعون لهم أما هم فعلى سنة جدّهم صلى الله عليه وسلم، وكان الأدراسة وكل رجال دولتهم أهل سنة وجماعة..... والوصف الصحيح لهذه الدولة أنها كانت علوية هاشمية سنية، وهي أول تجربة نجح فيها آل البيت في اقامة دولة كبيرة لأنفسهم»^٢. ونحن هنا لا يسعنا تكرار الاسئلة السالفة التي وجهناها للدكتور الجارري والسيدة عادلة، ونتكلم معه نفس الكلام السابق التي سقناه للسيدة عادلة، ونضيف متسائلين: هل أن الدكتور مؤنس يحمل تصوراً بأن الشيعة على خلاف سنة النبي ﷺ، ثم اذا كان الأدراسة وكل رجالاتهم على السنة والجماعة وكفى، فماذا يعني خروجهم على العباسيين وهم أهل السنة والجماعة كما يثبت لهم ذلك كلّ المؤرخين؟ ونسأل ايضاً الدكتور مؤنس، ماذا يعني بالدولة التي نجح آل البيت باقامتها لانفسهم؟ وهل أن التاريخ حدّثنا بأن أهل البيت بذلوا النفوس، وأرخصوا كل شيء وعانوا ما عانوا من أجل تشييد دولة لهم على أساس مذهب مالك؟ وأين هم من مالك؟ وأين مالك منهم؟

ولا يقف الدكتور مؤنس عند هذا الحد، بل يقول «وهذا التزام من آل البيت على الهجرة الى هذه النواحي من ديار الاسلام يدلّ على أن الظروف التي كانت سائدة فيه مهيةة لقيام

١- نفس المصدر ص ٤٨.

٢- تاريخ المغرب وحضارته ص ٣٧٢.



امامة سنية يكتب لها التوفيق، ويؤيد ذلك أن يحيى مثلاً أخا ادريس هرب بالفعل الى بلاد الديلم واستطاع أن يقيم امامة علوية حسنية هناك، ولكن الظروف لم تكن مواتية له، ولهذا فقد قبل أن يقدم الى بغداد وعلى أمان من الرشيد»^١.

ونعجب من مثل هذا الرأي عندما يصدر من محقق كبير مثل الدكتور مؤنس، الذي يعتبر آل البيت متزاحمين على الهجرة من أجل اقامة امامات سنية في نواحي بلاد الاسلام التي هاجروا اليها، ويتناسى تلك الثورات التي فجرها آل البيت على العباسيين وانهم ما هاجروا طائعين وانما فارين مطاردين، وما تلك الثورات على العباسيين الا لكونهم انحرفوا عن التشيع الذي وصلوا الى سدة الحكم باسمه وتحت رايته. ولا ندري لربما يفهم الدكتور مؤنس بأن العباسيين كانوا يقيمون دولتهم على اساس التشيع، وأن آل البيت، كانوا مخالفين للتشيع، ولذلك قاموا بكل تلك الثورات على العباسيين، وحدث ما حدث لهم من قبل بني العباس من أجل اقامة الامامة السنية، وكانت لا تنهياً لهم الا بالتزاحم على الهجرة الى ديار الاسلام الاخرى في المغرب وغيره الذي كانت حكومته شيعة، كما يرى ويفهم الدكتور على الظاهر. ونختم الحديث مع أمثال هؤلاء قائلين لهم: أن آل البيت اذا كانوا هم اساس التشيع، فكيف

لا يمكن اعتبار الدول التي يقيمها قادة التشيع دولاً شيعة؟

ويكفي لاثبات التشيع الراسخ للدولة الادريسية، ما قاله هؤلاء الباحثون انفسهم، وغيرهم بخصوص تشيع هذه الدولة، ومن أراد الاستزادة فليراجع مؤلف الأستاذ نجيب زينب، والذي أسماه «دولة التشيع في بلاد المغرب»، وكذلك ما قاله احد الباحثين بالنص «وكان التشيع قد انتشر في بلاد المغرب على يد الامام ادريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الذي فرّ من أيدي العباسيين بعد موقعة فخ في عهد الخليفة الهادي ١٦٩هـ وأقام الأدارسة في المغرب الأقصى دولة علوية سنة ١٧٢هـ»^٢.

وعلى الأقوى فان الذي دعا بعض الباحثين الى عدم اثبات التشيع للدولة الادريسية قادة

١- نفس المصدر ص ٣٧٣.

٢- سرور محمد جمال الدين - تاريخ الدولة الفاطمية ص ٢٠ - دار الفكرى العربى - القاهرة ١٩٩٤.

الأداسة الذين كانت عندهم المراعاة والمداهنة في بعض الأحيان، وعدم التصريح والمجاملة في بعض المواقف مداراة لعواطف العامة وتقويتا للفرصة على من يحاولون التربص للتشيع بانه عداء وسب لبعض الصحابة.^١

ومن الانسب هنا أن نذكر ما قاله علي الرضا ابن الامام موسى الكاظم عليه السلام ثامن أئمة أهل البيت عن ادريس بن ادريس بن عبدالله ثاني حكام الدولة الادريسية «ادريس بن ادريس بن عبدالله من شجعان أهل البيت، والله ما ترك فينا مثله».^٢

ومن أليق الكلام عن تشيع الأداسة ودولتهم ما قاله الجيلالي الذي يثبت لهم التشيع في معرض حديثه عن مؤسس دولتهم ادريس، اذ يقول «ويومئذ انتهز ادريس هذه الفرصة وأباح بسره حول تأسيس الدولة الجديدة وأظهر بالمغرب دعوة العلويين الشيعة الزيدية..... ويومئذ قضى ادريس على ما بقي هناك متفرقا من عقائد المجوسية واليهودية والنصرانية ومذاهب الاعتزال، ووحد كلمة المغاربة حول الدولة العلوية الجديدة».^٣

التشيع في زمن الفاطميين

لم يختلف اثنان على تشيع الدولة الفاطمية التي تأسست على أرض الشمال الإفريقي سنة ٢٩٦هـ، وكذلك لم يختلف ايضا على أن التشيع كان بأجلى مظاهره، وأوضح صوره، وأقوى ادواره في الشمال الإفريقي في أيام الدولة الفاطمية، وهذا - يعني قوة التشيع في زمن الفاطميين ودولتهم هناك، ما دعى بعض المؤرخين الى اعتبار نشوء التشيع الحقيقي في المغرب في زمن دولة الفاطميين، حيث يقول الجيلالي «نشأت دولة العبيدين بالمغرب ونشأ معها فيه مذهب التشيع بعقائده، وقواعده، وهو مذهب آل البيت النبوي المطهر».^٤

ولا نرجع كل هذا الذي حصل عليه التشيع، وحازه المتشيعون في المغرب العربي إبان عصر

١- راجع مقدمة في التاريخ السياسي والاجتماعي لشمال افريقيا ص ٢٤٦.

٢- الطيب محمد سليمان: الانصاف في تاريخ الاشراف في المغرب الأقصى ص ٨ دار الفكر العربي، القاهرة ط ١، ١٩٩٥.

٣- تاريخ الجزائر العام ج ١ ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

٤- نفس المصدر ص ٣٠١.

الدولة الفاطمية، إلا للجهود العظيمة التي بذلها أسلافهم من المتشيعين في الادوار والعصور السابقة، التي مرّت عليهم هناك في تبليغهم ودعايتهم للفكر الشيعي، كما مرّ علينا قسمٌ منه. وهذا ما مال اليه الكثير من الباحثين ومنهم السيدة عادلة التي تقول «وكانت الاراضي التي امتدت اليها امارات العلويين بالمغرب الأوسط هي المهد الذي قامت فيه الدعوة الأولى للفاطميين ببلاد المغرب، وبعبارة اخرى، فإن قيام دولة الأدارسة، وما تبعها من امارات علوية ببلاد المغرب قد مهد الطريق امام الشيعة الاسماعيلية لتحقيق آمال البيت العلوي في تأسيس دولة لهم قوية الاوتاد ببلاد المغرب، وقد وصف بعض المؤرخين نشاط الأدارسة بأنه طلائع الحكم الفاطمي»^١.

وهذا ايضا نجيب زينب عندما يعرض لقصة لقاء أبي عبدالله الشيعي - داعية الفاطميين الأول في المغرب، والمؤسس الحقيقي لدولتهم هناك - بالحجّاج المغاربة في موسم الحجّ، يقول «وفيه من الشيعة الذين تشيعوا لاسباب الحلواني رجلاّن: حريث الجيملي وموسى بن مكارم»^٢. ومن هذا النص يتضح جلياً بأن الارضية الشيعية المهيأة من قبل الشيعة السابقين الى المغرب هي التي زرعت القبول للدعوة الفاطمية في قلوب أهل المغرب.

ومما يؤكد وجود الارضية الشيعية الصلبة في البلاد المغربية بالاضافة الى بعض العوامل الاخرى، والتي ارتكز عليها الفاطميون في اقامة دولتهم ما يقوله الدكتور محمود علي مكّي «وكان ابن حوشب يرسل الدعاة الى اليمامة وعمان والبحرين ومصر والمغرب، وجاء اختيار المغرب موقفاً كل التوفيق لبعده عن مركز الخلافة العباسية، وتدمير البربر من الحكم العباسي، ولهذا فقد كانت بلاد المغرب تربة خصبة للدعوات الشيعية»^٣.

وأما مظاهر القوة التي كان عليها التشيع فلا يحجبها غرابال، ولا تريد كثيراً من العناء لاثباتها، وانما هي كانت واضحة في كل ثنية من ثنايا هذه الدولة، ونحن هنا غير معنيين بتبيان

١- قيام الدولة الفاطمية ببلاد المغرب ص ٤٨.

٢- دولة التشيع في بلاد المغرب ص ١٦٤.

٣- التشيع في الاندلس: مجلة المعهد المصري، مدريد، المجلد الثاني ١٩٥٤.

ذلك بقدر ما نريد تأكيده فقط، ولا أدل على ذلك مما ذكره معظم المختصين في الشأن المغربي، ومن هؤلاء الدكتور عبدالعزيز سالم، حيث يقول «سياسة الفاطميين تختلف في التشيع حتى عن الأدارسة، فالادارسة اطلق على دولتهم اسم الدولة الهاشمية».^١ ومما يدل على قوة الدولة الفاطمية و طرحها القوي للفكر الشيعي الذي اقامت اسسها عليه هذا القول لاحد الباحثين «فقيام الدولة الفاطمية في المغرب انقلاب خطير، أدى الى قطع المغرب بالشرق، وبالحلقة العباسية ببغداد».^٢

وكذلك من الادلة على مظاهر قوة التشيع في البلاد المغربية ما حاولوه - الفاطميون - من حمل الناس على التشيع، وما كان يصرح به خلفاؤهم ورجال دولتهم من افكار التشيع^٣، وما حصل من تحول بعض الوجوه المهمة من المذاهب الاخرى الى المذهب الشيعي، كما ذكر ذلك بعضهم بقوله «ولكن مما لا شك فيه أن مصادرنا التي تكاد تكون كلها سنية قد سوّدت صورة افريقية المضطهدة من طرف حكامها الجدد، ولكن باستثناء الارستقراطيين، وكبار البرجوازيين الحنفيين الذين سرعان ما اعتنقوا المذهب الشيعي».^٤

وهذا الكم الهائل من المؤلفات ومما خلفه علماء الشيعة والمتشيعون العائدون للعهد الفاطمي دليل آخر على قوة التشيع وسطوته في ذلك العهد، حتى أن التشيع لقوته في المغرب الفاطمي أصبح موثلاً وملجأً يقصده الشيعة من أطراف العالم الاسلامي الاخرى «ولما استولى العبيدون على افريقية وانضافت اليهم طوائف كبيرة اخرى من أهل التشيع الغالبة قدموا عليهم من البلاد متوسلين بحب أهل البيت والتعصب لهم، حتى ولّوهم الولايات، ورفعوا منازلهم ثم اظهروا مذهبهم الفاسد في سب الصحابة - رضوان الله عليهم - وتبديل

١- تاريخ المغرب الكبير ج ٢ ص ٥٩٤.

٢- سعد زغلول عبد الحميد: فترة حاسمة من تاريخ المغرب، مجلة كلية الآداب والدراسات، الجامعة الليبية، بنغازي المجلد الأول ١٩٥٨، ص ٢١٩-٢٢١.

٣- معالم الأيمان ج ٢ ص ٢٦٥، حيث أن الدباغ عندما يتكلم عن المهدي العبيدي يقول (فقد أكره أهل طرابلس على التشيع وحملوا عليه حملاً).

٤- ادريس الهادي روجي - الدولة الصنهاجية - تاريخ افريقية في عهد بني زيري ج ١ ص ٤١ - نقله الى العربية حماد الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت ط ١، ١٩٩٢.



الشرائع، والاضرار باهل السنة مثل محمد بن عمر المروزي لعنه الله، وعبدالله بن محمد الكاتب، ومحمد بن أبي سعيد، حتى كشف الله اسرارهم وقتلوا بالعذاب»^١. ولا نحسب الهجومات التي يشنها أكثر المؤلفين والتي يقدمونها على اطباق من اللعن والاتهامات والتشنيع على التشيع في العهد الفاطمي المغربي، إلا لتلك القوة التي كان يتمتع بها الشيعة والتشيع خلال ذلك العهد. ويمكننا أن نذكر العشرات من هذه المؤلفات، ولكن نكتفي بإرشاد القارئ الى بعضها من أمثال مرحلة التشيع للدكتور محمد طه الحاجري الذي نجد في كل سطر من سطره سبا وشتيمة للفاطميين والتشيع^٢، والبيان المغرب لابن عذاري وغيرها الكثير.

التشيع بعد الفاطميين

انتقل الفاطميون من المغرب، ونقلوا عاصمة ملكهم من المهدية في إفريقية الى مصر، حيث مدينة القاهرة التي بناها قائدهم جوهر الصقلي بعد افتتاحه مصر سنة ٣٥٨ هـ^٣. وكان انتقاهم زمن رابع خلفائهم المعز لدين الله سنة ٣٦٢ هـ^٤. وقد اختلفت المصادر التاريخية والباحثون في تحديد الاسباب التي دعت الفاطميين الى ترك المغرب والانتقال الى مصر، ونحن نقول بأن الفاطميين اعتبروا المشرق هو مركز الثقل الحقيقي للعالم الاسلامي وقلب العالم الاسلامي.

وكان المعز قد اجال فكره فيمن يستخلفه على المغرب بعده، فاستقر رأيه أخيراً على بني زيري الصنهاجيين، الذين كانت لهم سابقة كبيرة في خدمة الدولة الفاطمية والتشيع، وكان المستخلف هو بلكين بن زيري وجاء بعده ابنه المنصور ثم جاء بعد المنصور ابنه باديس

١- معالم الأيمان ج ١ ص ٢٥.

٢- الحاجري محمد طه: مرحلة التشيع في المغرب العربي وأثرها على الحياة الادبية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت ط ١، ١٩٨٣.

٣- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٤ ص ٧٣، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، اتعاظ الحنفا ص ١٨٣، احمد احمد عبدالرزاق: تاريخ مصر وآثارها الاسلامية ص ١٧٦، دار الفكر العربي القاهرة، ١٩٩٣.

٤- تاريخ مصر وآثارها الاسلامية ص ١٧٩.



الذي خلفه ابنه المعز، وطول هذه الفترة من سنة ٣٦٢هـ إلى سنة ٤٠٦هـ بقيت المغرب تدين بالولاء والطاعة للفاطميين سياسة وعقيدة، إلى أن تولى المعز بن باديس «٤٠٦هـ - ٤٥٣هـ» الذي تنكر للفاطميين أولياء نعمة آبائه، وتنكر معها لمذهب الفاطميين، وجعل الخطبة للخليفة العباسي في بغداد القائم بأمر الله (٤٢٢هـ - ٤٦٧هـ) وعندها «تحول اتجاه هذه الدولة إلى الاتجاه السني بعد أن كان اتجاهها رافضياً»^١.

وقد كانت السنة التي أعلن فيها المعز بن باديس، خلع طاعة الفاطميين رسمياً ٤٤٠هـ. وعندها حدثت مقتل الشيعة في القيروان، والتي أغناها الشعراء السنة المالكية بأدبهم الذي يبتهج بهذه المقتلة ويفتخر، ويعلن عن فرحته وسروره، ولكن الفاطميين لم يتركوا الأمر على ما وصل إليه، بل استعانوا بقبائل بنى هلال وبنى سليم وبنى رياح وغيرها، التي كانت تسكن الصعيد من مصر فوجهوها إلى المغرب، بعد أن منّوها بكل ما تحصل عليه نخلة خالصة لهم، بالإضافة إلى أنهم وعدوها بحكم تلك البلاد. وفعلاً تمكنت تلك القبائل من دخول القيروان سنة ٤٤٣هـ التي غادرها المعز إلى المهديّة.^٢

ولكن الأمور ما لبثت، حتى عادت إلى ما كانت عليه بين الفاطميين وولاتهم الصنهاجيين، خاصة في أيام أبي يحيى تميم بن المعز بن باديس، الذي يعتبر أحد شعراء الشيعة، وهذا ما سنشير له لاحقاً. ولكن المصادر التاريخية تؤكد على أن الوئام بين الفاطميين والزييريين لم يكن بالمستوى الذي كان عليه قبل عهد المعز بن باديس، والذي يهنا هو حال التشيع في ربوع الشمال الإفريقي في هذه المدة، وما يمكننا تسجيله عنه هو أنه بقيت جذوره ممتدة في تلك الربوع حتى وإن حصلت له نكسة من الجانب الرسمي، فإن الجانب الشعبي بقي يدين به وباعتزاز.

ولقد تلقى التشيع لطمّة أخرى في الشمال الإفريقي، وهي كانت من قبل المرابطين المتعصبين للتسنن، خاصة لمذهب مالك. ولكن سرعان ما شبت نار التشيع التي كانت تحت الرماد بين الاوساط الشعبية واحرقت الحكم المرابطي وأقامت حكماً شيعياً، ذلك هو الحكم الموحدى،

١- العبر ج ٦ ص ١٥٩.

٢- موسوعة المغرب العربي م ٢ ص ١١٢.

الذي سنعرض له لاحقاً. وهذا الحكم الموحي تشطى في آخر أيامه الى دول متعددة، ولكن هذه الدول الجديدة لم تتنكر للمبادئ الشيعة التي اقيمت عليها الدولة التي هم اخلافها، فدولة الحفصيين هي التي ألّف بطلب من أحد حكامها ابن الأبار كتابه المعروف «درر السمت في خبر السبط»^١، وأما المرينيون فالميول الشيعة كانت واضحة عندهم، ومعروف ما كان منهم في أن احد سلاطينهم أراد تحريق قبر ابن العربي المعافري الأندلسي على مقولته «ان الحسين قتل بسيف جدّه»، وهذا ما نعرض له مفصلاً لاحقاً، وقد تعافى حال التشيع أكثر في العهد اللاحق للعهد المريني حيث أن السعدين الذين جاءوا بعدهم كان يقال بنسبهم العلوي^٢، ولا أدل على تشيعهم من أدب ادبائهم الذي كان يفوح تشيعاً وخاصة من أمثال الشيطمي والقشتالي والهوازي^٣.

وأما الحسينيون الذين جاءوا بعدهم فكان حبّ آل البيت والتشيع لهم واضحاً، وكما كان في الدولة السعدية حيث التشيع متجلي في ادبها فإن الدولة الحسينية ايضاً كان التشيع متجلي في ادبها ومن ادبائها الشيعة محمد الخضار، الذي يقول في قصيدة له:

كأن بني الزهراء في الارض انجم	تفيض على مغناهم ما تعدت
هم البيت ان زانت بيوت سواهم	بمالٍ فقد زانوا بارفع سنة
أعد نظراً يا زائع الطرف ما ترى	فعالهم فوق السماكين صفت
اليك رسول الله انهبي بعد من	يرى حبكم حقاً وفي ذاك عزتي ^٤

ولكي يتبين حال التشيع أكثر بعد الفاطميين في الشمال الإفريقي ننقل بعض الفقرات من مقال الأستاذ محيي الدين القليلي التونسي، الذي نشر في مجلة رسالة الاسلام، والذي كان بعنوان «تاريخ المذاهب الاسلامية في شمال افريقية» حيث يقول في بعض المقال «بقي المذهب

١- انظر: الوافي بالادب العربي ج ٢ ص ٩٥.

٢- ابو خليل شوقي: وادي المخازن ص ٣١، دار الفكر، بيروت ط ١، ١٩٨٨ - خطاب محمد شيت: قادة فتح بلاد المغرب ج ٢

ص ٢٠٢ دار الفكر، بيروت ط ٧، ١٩٨٤.

٣- دائرة المعارف الشيعة م ٤ ص ٣٠٤.

٤- الغزي عبد الهادي حمودة: الادب التونسي في العهد الحسيني، الدار التونسية للنشر، لات.

الشيوعي الفاطمي سائدا في تونس وحكومته الشيوعية قائمة فيها الى أوائل القرن الخامس ٤٣٩، حيث طغت على الدولة الفتن، وعصفت باتباع المذهب الحروب، فانكمش ثم اختفى، لأنه ترك مظاهره وآثاره باقية الى اليوم في كل بلاد المغرب. ففي مراكش لا يزال لآل البيت «الاشراف» عند السكّان تقديسهم واحترامهم الى ابعد حد، يزورونهم افرادا وجماعات في مواسم مختلفة، يلتمسون رضاهم وصالح دعواتهم وحسن توجيهااتهم، يقبلون ايديهم تبركاً، ويقدمون لهم الهدايا القيمة، ويبذل رجال القبائل على الاخص البربرية منها كالتوارق وتوات لتزويج بناتهم من ابناء الاشراف، كي يحصل لهم الارتباط بالنسب الشريف، وفي قبائل التوارق «الملثمين» الى الآن نشاهد الاشراف منهم يضعون النقاب الأسود على وجوههم. أما غيرهم فالنقاب الازرق وللعبيد النقاب الابيض، أما في تونس فأن شهر المحرم شهر عزاء لا تقام فيه الافراح، ولا يأخذ النساء زينتهن، ويوم عاشوراء عندهم يوم حزن شديد، ولآل البيت في تونس مكانتهم كذلك، وامامة الجامع الاعظم تنحصر فيهم رغم وجود من هو أعظم منهم»^١. ونختم الكلام عن آثار التشيع بعد الفاطميين بما ينقله عنه محمد بن تاويت، فيقول «ويقول أحمد بن أبي الضياف صاحب كتاب تحاف أهل الزمان باخبار تونس وعهد الأمان، المولود سنة ١٢١٩هـ - ١٨٠٤م والمتوفى سنة ١٢٩١هـ في كتابه المذكور «وأهل افريقيا يدينون بحب علي وآله يستوى بذلك جاهلهم وعالمهم جبلته في طباعهم، حتى ان نسوانهم عند طلق الولادة ينادون: «يا محمد يا علي» وكان الأمام الشاذلي رضى الله عنه يقول لاصحابه: يا محمد يا علي»^٢.

المذاهب الاسلامية الاخرى في الشمال الإفريقي

ما دام بحثنا عن أدب التشيع في الشمال الإفريقي، وطبيعة هذا الموضوع والبحث فيه تلي علينا الكلام عن هذا المذهب الاسلامي والفرقة الاسلامية التي اتخذته عقيدة لها،

١- مجلة رسالة الاسلام - القاهرة - جماعة التقريب بين المذاهب الاسلامية. السنة الرابعة العدد الأول، يناير، ١٩٥٢.

٢- الوافي بالادب العربي ج ٢ ص ٩٥.

فلا بد أن نعرف شيئاً عن الفرق الإسلامية ومدى تأثيرها وتأثرها وتعايشها مع التشيع الذي نريد دراسة أدبه وما هي الآثار المترتبة على أدب التشيع من وراء كل ذلك.

وسنحاول إبراد بعض ما ذكره جملة من الباحثين حول وجود تلك المذاهب والفرق الإسلامية، وليست بالضرورة أننا نؤمن بما ذكره، إذ أن الغاية من إيرادها هي فقط الاطلاع الإجمالي على حال الفرق والمذاهب الإسلامية في الشمال الإفريقي وإثبات وجودها. منها ما أورده الدكتور محمد طه الحاجري عن الاعتزال، حيث يقول «لم يلق الاعتزال في المغرب قبولا، وذلك لما كان عليه أهل المغرب في مقاومة شديدة لهذا المذهب، لعدم وجود الأرضية العلمية المناسبة في المغرب لتلقيه وقبوله، كما كانت عليه البصرة في العراق»^١، فيما تقول الدكتورة ابتسام مرعي خلف الله عن الاعتزال حين تعرضها لتاريخ وجوده ودخوله المغرب «بل أن دولة الأدارسة ذاتها أصبحت بدورها موطئة للمعتزلة، فقبيلة أوربة التي ساندتها كانت تدين بمذهب الاعتزال»^٢.

أما عن وجود المذهب المالكي وتغلغله في الشمال الإفريقي فيقول صاحب دائرة المعارف الشيعية «أن اسد بن الفرات وسحنون هما اللذان وطّدا المذهب المالكي في المغرب إلى أن أصبحت المغرب عليه حتى أواسط القرن الثالث الهجري»^٣.

وكذلك كان لمذهب أبي حنيفة نصيبه من المغرب، وقد أكد وجوده الدكتور محمد طه الحاجري، وذلك عندما يتكلم عن دخول الاعتزال إلى المغرب فيقول «دخل الاعتزال إلى المغرب بعد أن كان على مذهب مالك في الغالب يشاركه مذهب أبي حنيفة بخصّة قليلة»^٤. ومن المذاهب الإسلامية التي كان لها وجودها في المغرب الخوارج، حتى أنها تمكنت من تأسيس دول لها كالدولة الرستمية والدولة المدرارية.

وحينما يأتيان محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى على ذكر الأسباب التي ساعدت

١- دراسات وصور ص ٧٨ وما بعدها «بتصرف».

٢- العلاقات الموحدة ص ٣٢٩.

٣- دائرة المعارف الشيعية م ٣ ص ٩٢.

٤- دراسات وصور ص ٧٤ «بتصرف».

على انتشار العلم بالقيروان يقولان «والذي ساعد على انتشار العلم بين جميع الطبقات، الحرية التي يتمتع بها الأستاذ والطالب في التعليم، فقد كانت الحلقات في الجوامع تنتظم حول الشيخ المالكي والحنفي والاباضي والشييعي على حدّ سواء»^١ وهذا النص يكشف لنا وجود المذاهب والفرق الاسلامية في المغرب، أولاً، وتعايشها ثانياً، وجهد ونشاط كل منها للعمل بما يمكنه لنشر عقائده وافكاره ثالثاً.

ولم يكن جو التعايش السلمي بين تلك المذاهب والفرق الاسلامية في الشمال الإفريقي هو السائد دائماً، ولكن كان يشوبه بعض التصدع في كثير من الاحيان، وتنتقل اليها تلك الخلافات التي أدّت الى وقوع بعض الصدامات في المشرق مهد نشوئها، وقد أكد جملة من الباحثين ذلك ومنهم الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي إذ يقول «وكان للمذاهب المختلفة الناشئة عن الخلافات الدينية والسياسية القائمة في الشرق العربي أثرها في الدول التي نشأت في المغرب»^٢، وكان من أمثال تلك الوقعات التي حدثت في الشمال الإفريقي بين المذاهب ما حدث للشيعة من مقتلة عظيمة على أيدي المالكية في القيروان على أيام المعز بن باديس الصنهاجي في سنة ٤٤٠هـ، واما ما حدث من اضطهادات للمذاهب فيما بينها فمنها اضطهاد الشيعة أيام الفاطميين لبقية المذاهب، واضطهاد المرابطين لغير ابناء المذهب المالكي، وكذلك ما حدث في أيام المنصور الموحي حيث احرقت كتب المذاهب الاخرى وكان اضطهاد اتباع المذهب المالكي^٣.

والذي يهمننا من هذا كله هو أن هذه المذاهب التي لها وجودها في الشمال الإفريقي، لها ادبها ومن بينها التشيع الذي له ادبه وهو موضوع بحثنا هذا، وكذلك ما يهمننا هنا هو أن ما حدث بين المذاهب والفرق الاسلامية من تعايش أو اصطدامات أو اضطهادات، كان لها أثرها على الادب، ولربما قد خلقت ادبا اضافته رصيда الى ما نحن فيه من البحث، وقد كان ذلك فعلاً، كما تركت الوقعة التي حدثت للشيعة في القيروان على أيدي المالكية ادباً على السنة ادباء المالكية من اعداء الشيعة.

١- ابو الحسن القيرواني ص ٩ محمد المرزوقي، الجيلاني بن الحاج يحيى.

٢- الادب الاندلسي وتطوره ص ٧٣٤.

٣- المعجب ص ٢٧٨، انظر ترجمة عبدالكبير العافقي في (الدراسات اللغوية في الاندلس) رضا عبدالجليل الطيار.



دولة الاغالبية والتشيع

في هذه الفقرة من بحثنا لا نريد أن ندعي الشيعة للاغالبية ودولتهم، بل أنهم - من الواضح - دولة موالية للعباسيين أعداء الشيعة، وقد كان للاغالبية دورهم في حرف بعض أعلام المغرب عن الدولة الشيعية الادريسية في أول نشوئها، وكذلك هم الذين تكفلوا اغتيال راشد البربري^١ الذي قامت على اكتافه دولة الأدارسة. وكان لهم ما كان مع تلك الدولة الشيعية، وقد استمر بقاؤهم - الاغالبية - الى أن قضت عليهم الدولة الفاطمية في أول قيامها^٢، ولكن الذي نريد التعرض له هو أن الكثير من رجالات الدولة الاغلبية كانوا من الشيعة أو ممن يبطنون الولاء والميل نحو التشيع، ولذلك كانوا فيما بعد من العوامل المساعدة على قيام الدولة الفاطمية الشيعية في المغرب، ومن هذا التوضيح نستنتج ايضا قوة تغلغل التشيع في أوساط المجتمع المغربي في أيام الدعوة الفاطمية هناك.

وقد أكدت المصادر هذا التواجد للتشيع بين رجال الدولة الاغلبية، حيث يقول احد الباحثين عندما يعرض لحال هذه الدولة في آخر ايامها «وبالاضافة الى ما حلّ بعائلة بنى الاغلب من تشتت على يد اميرها، فقد كان لبعض وزراء بنى الاغلب ميولات شيعية، جعلت منهم عيوناً لأبي عبدالله الشيعي يرصدون له كل اعمال الدولة، اذ سرهم انهزام الاغالبية وانتصار العبديين»^٣. كما يؤكد ذلك صاحب دائرة المعارف الشيعية بقوله «وكان بعض رجالات الدولة الاغلبية من غير فئة الكتاب يبطنون التشيع ويردد بعضهم اخباراً عن قرب ظهور دولة جديدة، وقد لصقت التهمة ظلماً باشهرهم واطهرهم في الحياة السياسية، وهو ابن الصائغ»^٤. وقد أكد ذلك من قبل المقرئ بقوله «وكان أكثر من عند زيادة الله من الوزراء شيعية، فلم يكن يسوهم ظفر أبي عبدالله»^٥.

١- موسوعة المغرب العربي ج ١ ص ٢٧٤.

٢- البيان المغرب ج ١ ص ١٤٧.

٣- الدرقاش الهادي: ابو محمد عبدالله بن زيد القيرواني، حياته وآثاره وكتاب النوادر والزيارات، ص ٣٢، دار قتيبة، بيروت

ط ١، ١٩٨٩.

٤- دائرة المعارف الشيعية م ٥ ص ٣٠٢.

٥- اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٥٩.

وقد أورد صاحب دائرة المعارف الشيعية أسماء أبرز المتشيعين في دولة الاغالبة، ويظهر من ذلك أنهم كانوا أعمدة الحكم فيها، فيقول «من المتشيعين في المغرب، وكانوا في دولة الاغالبة ولكنهم بقوا عند مجيء الفاطميين لاكتساح ملك الاغالبة، واصبحت لهم مكانة مرموقة..... المروزي، القاضي النعمان، أبو اليسر الرياضي»^١، وكذلك يذكر احد ولاة الاغالبة وهو علي بن حجر بأنه شيعي، وعائلته معروفة بالتشيع.^٢

ويظهر من الأسماء السابقة الذكر بأن التشيع كانت له الصولة في دولة الاغالبة الموالية للعباسيين، وذلك لان تلك الاسماء لم تكن من عوام الشيعة، ولم تكن من الرعايا العاديين أو من صغار الموظفين، والذي يدلّ على ذلك هو اعتماد الفاطميين عليهم في دولتهم الفتية وتسليمهم اياهم أهم المراكز واكثرها حساسية في الدولة الجديدة، فالمروزي اصبح قاضي قضاة الدولة^٣، وأبو اليسر ابراهيم بن محمد الشيباني صار رئيساً لديوان الكتابة، والذي كان رئيساً لهذا الديوان في دولة الاغالبة، كما يذكر ذلك الدكتور الحاجري عند كلامه عن ديوان الكتابة في زمن الفاطميين، حين يقول «ونحن نعلم أن رئيسه في دولة الأغالبة، وهو أبو اليسر الشيباني، ظلّ رئيساً له في عهد السلطان الجديد»^٤ والذي يظهر لنا من قراءة تاريخ دولة بني الاغلب، خاصة في اواخر ايامها في زمن الأمير ابراهيم بن احمد، يجد بأن هذه الدولة قد فعل الوجود الشيعي فيها فعلته وهزتها الدعاية الشيعية القوية، حتى أن اميرها هذا قد استخفه ما يسمعه عن علم الحداث وقيام دولة جديدة ترث ملكهم، حتى استقدم شيخاً شاعراً، يقيم في إحدى مدن تونس، وألح عليه لاخباره بما يملك من هذا العلم، فأنشده:

الا يا أمين الله وابن امينه	وعاشر سادات الملوك الأغالِبِ
وجدت كتابا قد تقادم عهده	رواية اشياخ كرام المناسِبِ
رواية وهبٍ عن سطيجٍ ودنيلٍ	مشايخ علمٍ صادق غير كاذبٍ

١- دائرة المعارف الشيعية م ٤ ص ٣١.

٢- نفس المصدر م ٥ ص ٣٠٢.

٣- دائرة المعارف الشيعية م ٥ ص ٣٠٢.

٤- مرحلة التشيع ص ٣٤.



تتابع رايات من الشرق سبعةً الى الغرب سودٌ خافقات الذوائبِ
يسير بها خزر العيون تراهم مباسمهم شحطٌ طوال الشواربِ^١
ولهذا الانكسار النفسي الذي كان يحمله الأمير الاغربي، ولكون دولته اصابها النخر
الشياعي من الداخل ترى بأن آخر حكامهم وهو زيادة الله يهرب ليلاً عن ملكه مخلفاً اياه
للفاطميين بدون أي قتال ولا أدنى مقاومة.^٢

المغرب مركز إشعاع شياعي

من المعلوم بأن المغرب تحتل موقعا جغرافيا مهما في خارطة العالم الاسلامي، خاصة وأنها
حلقة الوصل بينه وبين اوربا، فلا بد أن كل ما يصل إلى اوربا من المشرق الاسلامي، يجب أن
يمر من قناة المغرب، وكذلك كل ما يأتي الى المشرق لا بد له أن يعبر من القناة المغربية. فالتشيع
والمتشيعون ما إن وصلا الى المغرب حتى أخذوا طريقهما منه الى أصقاع اوربا التي وصلها
الاسلام آنذاك، وقد كان ذلك في الأندلس وصقلية.

فالاندلس وصلها التشيع عن طريق المغرب، وخير دليل على أعلام التشيع وافكارها التي
جالت في الأندلس والتي عبرت اليه من الارض المغربية، حنش الصنعاني التابعي وصاحب
علي بن أبي طالب^٣، وابناء عمار بن ياسر وابناء قيس بن سعد بن عبادة اصحاب الثورات
الشيوعية في الأندلس^٤، وهذا ابن حوقل النصيبي الجغرافي الذي كان متها بالijasوسية
للفاطميين وبكونه عيناً لهم على الأندلس^٥، وهذا ايضا أبو اليسر الرياضي^٦ وكذلك

١- القاضي النعمان بن محمد بن حيّون: رسالة افتتاح الدعوة ص ٢٥ - تحقيق، وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت ط ١، ١٩٧٠.

٢- البيان المغرب ج ١ ص ١٤٧.

٣- تاريخ علماء الاندلس - ق ١ ص ١٢٥.

٤- انظر الغزالي عبدالأمير عبدالزهرة عناد: ادب التشيع في الاندلس ص ٣٨ - ٤١ وما بعدها. رسالة ماجستير، ١٩٧٥.

٥- نفس المصدر ص ٤٤ - ٤٥.

٦- نفس المصدر.



ابن مسرة^١ الذي ادخل رسائل اخوان الصفا الشيعية الى هناك، وغيرهم الكثير لا حاجة بنا الى ذكرهم جميعا.

ومن المجدير ذكره أيضا بأن شقيا بن عبدالواحد المكناسي الناصر الشيعي على عبدالرحمن الداخل كان شيعياً وان ثورته كانت بتحريك من الفاطميين.^٢

ولا أدل على وصول التشيع الى الأندلس من الارض المغربية من ابناء حمود الأدارسة الذين تم على ايديهم انهاء الحكم الأموي هناك واقامة حكم التشيع على انقاضه في قرطبة، حتى وصل بهم الأمر وفي بعض أيام قوة حكومتهم أن بسطوا سلطانهم ونفذهم الشيعي على اجزاء من المغرب العربي نفسه. وهذا محمد بن تاويت عندما يتكلم عن الشتات المغربي في تلك الفترة وتوزع أيامه واراضيه بين حكومات وامارات مختلفة، يذكر بأن المغرب قد اصبح رديحاً من الزمن، وفي اجزاء كبيرة منه تحت سلطة وحكومة التشيع الحمدوية التي قامت على انقاض الدولة الاموية في الأندلس، حيث يقول «وما تهدأ العاصفة بعض الشيء حتى تتوزع البقعة المغربية الى امارات فيها مغراوة، وبنو يفرن وغيرها من زعماء البربر، وفيها امارة بني حمود التي مدت سلطانها على سبتة، وطنجة، واصيلا، وعلى بعض الاقاليم الغمارية والريفية، الى أن يرث سلطانهم هذا من مواليهم المقربين اليهم مواهمل سقوط البرغواطي وابنه».^٣

واخيراً يمكننا القول جازمين بأن كل ما وصل الى الأندلس من تشيع فهو تصدير من المغرب والمغاربة، وأما صقلية فإن وصول التشيع عن طريق المغرب إليها فهو من أوضح الواضحات اذ لا سبيل ايضاً لوصول المسلمين إليها وبكل طوائفهم وفرقهم، إلا عن طريق المغرب. مضافاً الى هذا، فانها قد حكمت ولمدة غير قصيرة من عمرها الاسلامي من قبل الفاطميين، وقد ولّوا عليها شيعياً متعصباً للتشيع في أول أمرهم وهو الشاعر خليل بن اسحاق^٤،

١- نفس المصدر ص ٤٢.

٢- ادب التشيع في الاندلس ص ٤٢، تاريخ المغرب العربي ج ٢ ص ٥٣٧.

٣- الوافي بالادب العربي ج ١ ص ١٧.

٤- الدوري تقي الدين عارف: صقلية وعلاقتها بدول البحر المتوسط الاسلامية من الفتح العربي حتى الغزو النورمندي ص ١٩١، دار الرشيد، منشورات وزارة الثقافة الجمهورية العراقية.



وبعده عائلة الكلبيين التي كانت تدين بالولاء للفاطميين والتشيع هي التي تولّت أمر صقلية.^١ ويكفي أن نستدل على الوجود الشيعي في صقلية، وعلى أصله المغربي أن بعض من كانت تضيق به أرض المغرب من المتشيعين المغاربة يجد طريقه نحو صقلية، وكما كان عليه الحال من قبل خلف بن أبي قاسم الأزدي المعروف بالبرادعي القيرواني «ت بعد ٤٣٠ هـ ١٠٣٨ م» الذي درس الفقه المالكي على يد كبار فقهاء المالكية مثل أبي محمد بن أبي زيد^٢... وحظي بمكانة مرموقة عند أمير صقلية^٣، وقد ترك القيروان لبغض أصحابه المالكيين له وتبرئهم منه، فأفتوا بترك كتبه وعدم قرائتها - ما عدا كتاب التهذيب - وقيل أن ذلك يعود إلى صحبته الفاطميين، وقوله فيهم البيت الآتي:

اولئك قومٌ ان بنو احسنوا البنا وان وعدوا أوفوا وان عقدوا شدّوا^٤
وقيل السبب هو تأليفه كتاباً في تصحيح نسب الفاطميين، وإن هداياهم كانت ترد عليه.^٥

الثورات الشيعية في الشمال الإفريقي

لم يكن للتشيع وجود رسمي في إقليم من الأقاليم الإسلامية مثلما كان له في شمال إفريقيا. حيث كانت له مجموعة من الدول التي حكمت ذلك الإقليم معروفة بتشييعها وولائها وحبّها لآل البيت، ولكنّ الذي نريد إيضاحه هنا بأن بعض الفترات كانت تمر على المغرب من دون وجود للحكم الشيعي فيه، فما كان يهدأ للمتشييعين فيه بال، وكانوا يقومون بالثورات من أجل تحكيم التشيع هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن التشيع وإن كان حاكماً في المغرب، إلا أنه يحاول زعزعة أركان الحكومات القائمة هنا أو هناك بالثأثرين المتشييعين، وهنا يمكننا اجمال

١- نفس المصدر ص ١٩٢.

٢- ابن فرحون إبراهيم بن علي بن علي: الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب ج ١ ص ٣٩٤، دار التراث، مصر ١٣٢٩.

٣- معالم الأيمان ج ٣ ص ١٧٦.

٤- عياض أبو الفضل بن موسى اليحصبي السبتي: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ج ١ ص ٧٠٩ -

بيروت.

٥- نفس المصدر.

تلك الثورات من النوعين بما يلي:

١- ثورة خريش بن عبدالرحمن بن خريش الكندي، والتي يقول عنها محمد الطالبي «فمن المعلوم أنه اندلعت سنة ١٨٦هـ - ٨٦٢م انتفاضة خريش المؤيدة للعلويين»^١، وكما أورد ذكر هذه الثورة أيضاً نفس الكاتب في الصفحات ١٥٩ - ١٦٢ من مؤلفه نفسه، وكان ابن الأبار قد أورد اسم هذا الثائر و أيضاً باسم خريش^٢، ولكن بعض المصادر ذكرت هذا الثائر باسم «حمديس» وكان من بينها الكامل لابن الاثير، وقد ذكر المؤرخون كتاب خريش الى ابن الاغلب الذي ثار في زمنه، وهو «أما بعد فاني اقت عن الخروج قبل يومي هذا لاني كنت انتظر أن تفنيكم الحرب، فلعمري لقد أرانا الله فيكم ما قوَّى به أهل دعوة الحق عليكم، فلما وليت أنت، وعلمت أنهم معتمون بين خوف منك ورجاء لك، عرفت قلّة طمعهم فيك، ولو كان أحد ممن عليه ولي هذا الثغر مما لا نرى طاعته، يستحق أن نرضى بولايته لكنك أنت ذلك، وقد كان علي بن أبي طالب رحمة الله عليه يقول «إذا وليّ عنكم عدوكم من أهل الملة فلا تتبعوهم»، ولست اطلبك ان خرجت عن الثغر، فلا يرد أن تصلى بحربي، وليكن رأيك طلب سلمي والسلام»^٣. وكتب في آخر كتابه:

قل جهرَةً لأبي اسحاق تنصحه	هذا فراقكم للغرب قد حانا
فلا يعد اليه منكم احدٌ	حتى يعود من الاجداث موتانا
فارجع من الغرب وألق السواد به	لا تخترمك المنايا حين تلقانا
وسوف تعلم أن الموت يسمع لي	إذا ألتقت بناوحي الفحص خيلنا ^٤

٢- ثورة أبي الفهم الخراساني سنة ٣٧٦هـ - ٩٨٦م على أبي الفتح المنصور بن يوسف ثاني

١- الطالبي محمد الدولة الاغلبية: التاريخ السياسي ص ٦٤٧، تعريب المنجي الصيادي، مراجعة حمّاد الساحلي.

٢- الحلة السيرة ج ١ ص ٦٤، وكذلك يوجد ذكر لرسالة خريش في -الحريري محمد عيسى -الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي، حضاراتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والاندلس ص ١٣٢، دار القلم بالكويت ط ٣، ١٩٨٧، ويؤكد المؤلف على وجود الصلة بين هذه الثورة والادارة.

٣- الكامل في التاريخ ج ٦ ص ٦٤.

٤- نفس المصدر.



امراء الزيريين الشيعي^١، وكان أبو الفهم الخراساني قد ذكر أن الفاطميين أرسلوه للثورة في كتامة على بني زيري لضعافهم^٢، ولكن الأمير الزيري تمكن من التغلب على أبي فهم الخراساني^٣.

٣- ثورة شقيا أو شقنا بن عبدالواحد المكناسي، وحدثت هذه الثورة خارج التراب المغربي وعلى وجه التحديد على الارض الاندلسية على عبدالرحمن الداخل، وكانت أقوى الثورات التي اندلعت بوجه عبدالرحمن الداخل، والذي دعانا لذكرها هنا أن العامل الشيعي والمغربي هو المحرك والممول لهذه الثورة^٤.

طبيعة التشيع المغربي وعقائده

التشيع واحد في أفكاره وعقائده اينما حلّ أو نزل، ولكن هناك عاملان وضعاً بصماتها واضحة على التشيع اثناء مسيرته الزمنية، فكان لهما شيء من التأثير على عموم التشيع بشكل أو بآخر، وهذان العاملان يمكن اجمالهما بما يلي: أولاً: طبيعة الناس أو الشعب أو الأمة التي يسري بينها الفكر الشيعي، فلربما تأثر التشيع بما عليه ذلك المجتمع من خلق ومعتقدات سابقة أو عادات وتقاليد. واما العامل الثاني: فهو ما اعترى التشيع من تشرذم وتخزص الى فرق وطوائف، كادت كل فرقة تختلف في تشيعها اختلافا كاملا عن الفرق والطوائف الشيعية الاخرى، ولكن مع كل ما سبقت الاشارة اليه توجد قواسم مشتركة بين كلّ المتشيعين في ارجاء العالم الاسلامي لم تتغير أو تتأثر بأى عامل، ولا بأي سبب أو ظرف أو بيئة. والتشيع في المغرب يخضع لكل ما ذكرناه سابقا، ويمكننا أن نجمل بعض الخصائص التي تميز شخصية ذلك التشيع الذي نريد دراسة ادبه، بما يلي:

١- وصول التشيع الأول الى المغرب بايدي أول المتشيعين في العالم الاسلامي وهم:

١- تاريخ المغرب وحضارته ج ١ ص ٥٧٨.

٢- نفس المصدر ص ٦٨٣.

٣- نفس المصدر ص ٥٧٨.

٤- ادب التشيع في الاندلس ص ٤٠.



أبوذر الغفاري، عمار بن ياسر، المقداد بن أسود الكندي، وعبدالله بن عباس، وهؤلاء قد أخذوا جميع عقائدهم من علي بن أبي طالب عليه السلام الذي يعتبر امام الشيعة الأول والذي لا تختلف عليه أي فرقة من فرق الشيعة، وما سمي الشيعة شيعة إلا بتشيعهم له.

٢- المرحلة اللاحقة من وصوله الى المغرب كانت على أيدي التابعين الذين أخذوا عن علي بن أبي طالب مباشرة وبدون أي واسطة كحنس الصنعاني.

٣- البعثات الدعائية للتبليغ الشيعي كانت آخذة من سادس أئمة أهل البيت جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

٤- التواجد الواضح لأمهات الفرق الشيعية كالزيدية والذين يشار بهم الى الأدارسة، والفاطمية وامرهم أظهر من الشمس، والأثنى عشرية ومنهم - كما تشير المصادر - أبو عبدالله الشيعي داعية الفاطميين، والذي قتل فيما بعد على أيدي الفاطميين لأسباب غير واضحة ولربما كانت التزامه باثني عشريته، ومن الباحثين المعاصرين الذين يشيرون الى اثني عشرية أبي عبدالله، نجيب زينب حين يقول «ثم تحدثنا المصادر بأنه كان معلماً وكان وهو في الكوفة يتولّى تعليم ونشر مبادئ المذهب الشيعي الاثني عشري»^١.

وقد أكد له - لابي عبدالله الشيعي - ذلك ابن الاثير^٢، ابن خلدون^٣، والمقرئزي^٤ ومنهم أيضاً - الاثنا عشرية - محمد المروزي، الذي يقول عنه صاحب دائرة المعارف الشيعية «محمد بن عمر بن يحيى بن عبد الأعلى المروزي وكان من جند خراسان، ونسبته لمرو قاعة الاقليم، وهو الذي اصبح قاضياً في عهد عبيدالله المهدي، ولم ينسب اليه أي دور قبيل ظهور الفاطميين مما يشير الى خموده وعزلته من الحياة الاسلامية والادارية، لأنه كان على غير مذهب الدولة، وقد توفي فيما بعد برقادة ٣٠٣هـ (٩١٥ - ٩١٦) مغضوباً عليه، بعد تعذيب شديد تعرّض له

١- دولة التشيع في بلاد المغرب ص ١٥٣.

٢- الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٣٠ - ٣١.

٣- العبر ج ١ ص ٣٢.

٤- انماط الحفاج ١ ص ٦٨.



بأشارة عبيدالله ودفن بباب سالم ليلاً^١، ولا يخفى على من له أدنى اطلاع بشيعة خراسان بأنهم اثنا عشرية. ولعل السبب في غضب عبيدالله عليه؛ مذهبه وهو الاثنا عشرية، والله أعلم.

٥- الولاء والتقديس المطلق لآل البيت، والتفاني في حبهم، والتسليم لهم، ومعاداة أعدائهم، والتبرؤ منهم، ومقاتلتهم وقد جسّد الشيعة المغاربة ذلك بالالتفاف حول الفارّين اليهم من آل البيت من جور الحكّام العباسيين، واسنادهم لتكوين دول في وطنهم المغرب تحكم باسم آل البيت والتشيع. وكذلك قد جسّد المغاربة حبهم لآل البيت وتوليّهم لهم باحياء كلّ المناسبات التي تخص أهل البيت كعيد الغدير، وفاجعة كربلاء، وغير ذلك.

٦- وجود القواسم المشتركة التي أشرنا إليها بين الشيعة عند الشيعة المغاربة وبقوة خاصة تفضيل علي بن أبي طالب على غيره، والامامة، الايمان بالمهدي وغيرها.

٧- وجود تمثيلات لكل الفرق الشيعية المهمة كالاثني عشرية والزيدية والاسماعيلية. ولكن الذي يجب أن يشار اليه، هو أن بعد المغرب عن مهد التشيع، وبعدها أيضاً عن ساحة الصراعات المشرقية جعلت من شيعة المغرب أخف تعصبا في تشيعهم من شيعة المشرق، ولربّما حصروه أكثر فاكثراً في التقديس والولاء لأهل البيت، خاصة، باستثناء العهد الفاطمي هناك حيث أن الشيعة في أيام العهد الفاطمي ظهرت عليهم علامات التعصب لتشيّعهم، وذلك لما عاناه الشيعة من عمليات القمع ومحاولات التذويب التي وجّهت نحوهم من أبناء المذاهب الأخرى.

دول التشيع في الشمال الإفريقي

ومن التأثيرات الثابتة على الأدب قبل الحالة السياسية ما حدث للشعر من نهوض ورواج في العصر الأموي بعد الخمول والكساد الذي أصيب به في عصر صدر الاسلام والخلافة الراشدة، حيث أن كل الباحثين أو جلهم يذهبون الى أن السياسة التي كانت تحكم العرب والمسلمين في العصر الأموي هي الفاعل الأقوى في وثبة الشعر في العصر الاموي من جديد سواء السياسي منه أو الغزلي.



وما دمنّا مسلمين لفاعلية العامل السياسي على الأدب، وقائلين به، ونحن نريد أن ندرس الأدب الشيعي في الشمال الإفريقي والذي هو تمثيل لحالة مذهبية أنتجت مساراً سياسياً حاول التصديّ مرّات ومرّات لاستلام زمام الحكم، وتشكيل دولة وتسيير أمور الناس والمجتمع على أساس ما يؤمن به من اتجاه سياسي، لا بل هو - التشيع - أساس قيامه الأول ونشوءه مبنيّ على السياسة ونظرية الخلافة والأمامة وأقامة الحكومة وتأسيس الدولة.

لذلك نرى من اللازم علينا أن نتعرض للوجودات السياسية للشيعية في الشمال الإفريقي، أو بتعبير آخر لا بد أن نخصص جزءاً من بحثنا للتعريف بما كان عليه حال الدول التي نشأت هناك والتي قامت سياستها على أساس المباديء السياسية الشيعية، أو كانت تدّعي - على الأقل شيعيتها وتنافح ولو على الظاهر عن مباديء وسياسة التشيع.

وذلك لكي نعرف ما هو تأثير تلك السياسة على الأدب الشيعي منه، ولأننا قد اعترفنا بفاعلية العامل السياسي على الأدب وانعكاساته الواضحة والمؤثرة على الأدب.

ولا بدّ من القول هنا بأن الدول التي نشأت في الشمال الإفريقي، وتمّ تصنيفها على قائمة الدول الشيعية تقسم الى قسمين: قسمٌ منها شيعية خالصة، لا يعتورنا أي شكّ في تشيعها، حسب إجماع الباحثين والقسم الآخر هو تلك الدول التي وسمت بالتشيع. وهذا القسم من الدول لا يمكن أن يقال بتشيعها بشكل مطلق أو خالص، ولكنها - وكما ذكرنا - احتسبت على التشيع بشكل أو بآخر، ولربّما كان ذلك لنفوذ التشيع في بلاطاتها، أو لتنفس المتشيعين الصعداء في ربوعها، أو لكون قادتها ممن ناصروا التشيع والمتشيعين في أيامهم، أو لما صرّحت به بعض المؤلفات الفكرية والعقائدية من قبل مؤسسيها وقادتها بشيء من افكار التشيع وعقائده.

وسنشير اثناء كلامنا عن كلّ دولة من دول التشيع هناك الى نوع هذه الدولة حسب التقسيم الآنف الذكر:

١ - الدولة الادريسية

لم يشهد التاريخ مثل الشيعة فرقة نزلت الى سوح الجهاد مطالبة بالحق الذي تقول به،



مقدمة من أجله النفوس سخية غير باخلة مهما كانت التضحيات، فتصيبها الهزيمة العسكرية تارةً، ويحالفها الانتصار أخرى، وهي واثقة من نفسها، ومطمئنة في حقها، وفي مبادئها، حتى صارت فاجعة كربلاء التي لم تنهها عن عزمها، بل أنها ورغم المصاب الفادح الجلل أصبحت عامل قوة في الانطلاق ومواصلة الجهاد إلى أن اقتلعت جذور الامويين الراسخة في المشرق وألقت بها إلى لا عودة ولا رجعة إلى الساحة السياسية الإسلامية ابداً، وبالرغم من كل القسوة التي توسل بها الامويين مع الشيعة.

والعباسيون الذين خلفوا الامويين على زعامة العالم الاسلامي والذين ما جاؤا لكرسي الحكم الا باسم الحق المغتصب من آل البيت، وباسناد الشيعة الفاعل لهم، وأنهم -العباسيون - «كانوا يظهرون في بيعتهم أنهم يعملون من أجل الثأر لشهداء كربلاء»^١، سرعان ما تنكروا وتتمروا للشيعة وخاصة لابناء البيت العلوي، فأزولوا بهم شر ما ينزل عدو بعده، حتى قال شاعر الشيعة:

يا ليت ظلم بني مروان دام لنا وليت عدل بني العباس في النار
ولم يتمهل الشيعة، وقادتهم من العلويين عن القيام والثورة بوجه العباسيين بعد الظلم الذي لاقوه منهم، وكذلك لم يتأن العباسيون عن التنكيل بهم وتقتيلهم شرّ تقتيل.
ولا يعيننا التفصيل بقدر ما نريد ذكر واقعة فخ ١٦٩هـ في زمن الهادي العباسي التي قتل فيها العباسيون العلويين وشيعتهم، بعد قيام الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بالمدينة، وقيام جماعة معه من اخوته وبني عمه^٢، والتي يذكر عنها -فخ - المؤرخون بأنها لو لا كربلاء لكانت هي أشد واقعة قتل فيها أهل البيت. وقد قال أحدهم في فاجعة فخ:

فلأبكين على الحسين من بعولة وعلى الحسن
وعلى ابن عاتكة الذي تركوه ليس بذي كف

١- دولة الادارسة في المغرب ق ١ ص ٣٥.

٢- تاريخ الطبري ج ٦ ص ٤١٠، البيان المغرب ج ١ ص ٨٣.



تركوا بفخ عدوة في غير منزلة الوطن
كانوا كراماً قتلوا لا طائشين ولا جبن
غسلوا المذلة بعدهم غسل الثياب من الدرن
هّدي العباد بجدهم فلهم على الناس المنن^١

وتذكر المصادر التاريخية بأنه لم ينح فيها من القتل إلا يحيى وادريس ابنا عبدالله بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.^٢

فأما يحيى ففرّ صوب الديلم، وأما ادريس فتوجّه وبدلالة وإشارة مولاه راشد البربري الاوربي الشيعي الناصح لآل البيت الى مصر^٣، وفي مصر كان للعلويين انصار وعلى رأسهم واضح مولى صالح بن أبي جعفر المنصور.^٤ ويذكر الطبري عن واضح بأنه «كان رافضيا خبيثاً»^٥، فحمل واضح ادريساً على بريدها الى بلاد المغرب. وقد كان «نجاح ادريس وراشد في الخروج من مصر الى برقة دليلاً على تشيع الكثير من عمال العباسيين»^٦. ومما يذكره بعض المؤرخين بأن ادريس كان له قدوم على المغرب، قبل هذه المرة.^٧

ولما كان المغرب، وباجماع اعظم الكتاب والمؤرخين - يعتبر ميداناً من ميادين الدعوة للتشيع^٨، وأن الحب والولاء والتقديس متجذر في قلوب المغاربة لآل البيت^٩، فقد رضى ابناء المغرب ادريساً ورحبوا به واثال عليه البربر مبايعين بقيادة رئيسهم عبدالحميد الاوربي^{١٠}، بعد أن عرّف ادريساً لهم راشد مولاه، وكانت البيعة في مدينة ويلي التي كانت آخر محطة نزلها

١- مروج الذهب ج ٢ ص ٢٥٧، المختصر في أخبار البشر ج ٢ ص ١٠ - جنى زهرة الآس ص ١١، الاستقصا ج ١ ص ١٥٢.

٢- الحلة السراء ج ٢ ص ٥١.

٣- روض القرطاس ص ١٨، الحلبي: الدرّ النفيس باب ٢ فصل ٨.

٤- تاريخ الطبري ج ٦ ص ٤١٦، النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٤٠ - ٥٩.

٥- تاريخ الطبري ج ٦ ص ٤١٦.

٦- اسماعيل محمود: الادارة في المغرب الاقصى - حقائق جديدة ص ٦٠، مكتبة الفلاح - الكويت ط ١، ١٩٨٩.

٧- نفس المصدر ص ٥٠.

٨- دولة التشيع في بلاد المغرب ص ١٠٢.

٩- نفس المصدر.

١٠- الصرفي رزق الله منقريوس: تاريخ دول الاسلام م ١ ص ٢١٥، الدار العالمية للطباعة والنشر، مصر الفجالة ط ١، ١٩٨٦.

ادريس بعد مروره بمدن مغربية متعددة في الشمال الإفريقي^١، والتي اتخذها عاصمة لحكومته في أيامه الاولى وقد كانت البيعة لادريس بن عبدالله في ويلي سنة ١٧٢ هـ^٢، وهي السنة التي اجمع المؤرخون على أنها البداية لقيام الدولة الادريسية.

وبعد أن تلقى البيعة ادريس من أنصاره الاوائل خطب فيهم خطبة مختصرة معبرة^٣ كان بعضها «بعد حمد الله والصلاة على النبي وآله: أيها الناس لا تمدد الاعناق الى غيرنا، فأن الذي تجدوه عندنا من الحق لا تجدوه عند غيرنا»^٤، «وكانت هذه الخطبة تفصح على ايجازها عن اهداف ادريس الذي يرى الخلافة في آل البيت»^٥. وبهذا التأسيس فقد قامت أول دولة شيعية في التاريخ^٦.

وتذكر بعض المصادر بأن ادريس تسمى بالخلافة، وهي أول مرة يظهر فيها خليفتان في الاسلام^٧، بينما تنفي مصادر اخرى عن ادريس التسمي بالخلافة، وانما اكتفى بأن يقال له «السلام عليك يا ابن رسول الله»^٨.

ونحن نرى بأن ادريس يحسب الخلافة حقاً طبيعياً له، والآن لما نهض بوجه من خالفهم من العباسيين، وأسس بقباهم دولة وهم كانوا يتسمون بالخلافة حينها، وكذلك نرى أنه يقبل بمن ناداه بأبن رسول الله ﷺ لأنه لا اثبات لخلافته وحقه الشرعي بالخلافة إلا بالانتساب لرسول الله ﷺ، وانه أراد بهذا أن يكون عامل تذكير للبربر على ذلك لتدعيم ملكه، وتقوية دولته، وادامة خلافته. ويذكر بعض الباحثين أن ادريس تسمى بـ«الامام»، وهذه التفاتة ذكية منه

١- نزل ادريس في القيروان وطنجة قبل وصوله الى جبل زهرون الذي تقيم فيه قبيلة أوربة راجع: الجزنائي، المفاهر العلمية باب ٥ ص ٦٦، الدر النفيس باب ٢ فصل ٨.

٢- الاستقصا ج ١ ص ٥٥ دولة الادارسة في المغرب الاقصى ص ٢٠.

٣- دولة الادارسة في المغرب ص ٦١.

٤- الاستقصا ج ١ ص ٥٥، الدر النفيس باب ٢ فصل ٥، الحلل البهية ص ٨٩.

٥- دولة الادارسة في المغرب ص ٧١.

٦- موسوعة التاريخ الاسلامي ج ٤ ص ١٨٤.

٧- الترماني عبد السلام: احداث التاريخ الاسلامي بترتيب السنين ج ٢ ص ١٠٣٥، دار طلاس، دمشق ط ١٩٨٨.

٨- تاريخ الجزائر العام ج ١ ص ٢٤٦.

الى ما تذهب اليه الشيعة، وأن الرئاسة الاسلامية هي امامة وهذا هو التوجه الشيعي الواضح. وما إن استتب الأمر لإدريس في المغرب، وأعلن رسمياً عن تأسيس الدولة العلوية الشيعية^١ هناك، حتى شرع مباشرة بتجيش الجيوش من البربر وخرج غازيا الى الاجزاء الاخرى من اراضي المغرب العربي قاصداً من ذلك توسيع رقعة مملكته وبسط نفوذه على الأماكن الذي لم يصله سلطانه، ونشر الدين الاسلامي في الاصقاع المغربية التي لم تسلم حتى قيام الدولة الادريسية هناك، وكان تبعاً لجيوش ادريس انتشار اللغة والثقافة العربية والاسلامية هناك^٢، حتى أنه ينسب للادارسة أنهم أول من نقلوا الحضارة الاسلامية للمغرب^٣. ولكن الحقد العباسي وصل الى ذروته في نفس هارون الرشيد «وهو الذي آل على نفسه أن يقضى على أهل البيت»^٤ ففكر جدياً بالقضاء على ادريس بن عبدالله الذي اصبح يمثل خطراً جدياً ايضاً على اطراف الدولة العباسية وخاصة الشمال الإفريقي، الذي كان يحظى باهتمام خاص من قبل الخلافة العباسية، والذي لربما يتعاضم خطره على مركز الخلافة لبني العباس، وكذلك لان ادريس ودولته صاروا ملجأً للعلويين المعارضين لبني العباس^٥ وهذا ما يعظم الخطر على العباسيين الذين يؤرقهم ادنى تحرك أو تجمع للعلويين. فاستدعى الرشيد سليمان بن جرير الملقب بالشماخ من حاشية يحيى البرمكي^٦، وطلب منه أن يكفيه أمر ادريس، وفعلاً انجز للرشيد ما أراد بهذابه الى ادريس وتقربته اليه بأسلوب وبآخر، وتمكّنه من دس السم اليه

١- دولة التشيع في بلاد المغرب ص ١٠٠، تاريخ المغرب الكبير ج ٢ ص ٣٧٣.

٢- انظر نشاطات الادارسة في نشر الاسلام والحضارة الاسلامية ومذهب التشيع واللغة العربية في «تاريخ المغرب محاولة في الترتيب» ص ١١٢، دائرة المعارف الاسلامية م ٢ ص ١٣٨ وما بعدها، و م ٤ ص ٣٠ وما بعدها، دولة الادارسة في المغرب ق ١ ص ٧٢ وما بعدها، دولة التشيع في بلاد المغرب ص ١٠٠ وما بعدها، موسوعة المغرب العربي م ١ ص ٢٩٨ وما بعدها، الدر النفيس باب ٢ الفصل ٥ والفصل ٣، سلوة الانفاس ج ١ ص ٧، جذوة الاقتباس ج ١ ص ٢١، الاستقصا ج ١ ص ١٥٦ وما بعدها، اعمال الاعلام ص ١٩٢، وغير هذه الكثير من المصادر التي عنيت بالشمال الإفريقي ودولة الادارسة.

٣- موسوعة التاريخ الاسلامي ج ٤ ص ١٨٤.

٤- مقاتل الطالبين ص ٤٠٣.

٥- راجع قيام الدولة الفاطمية ببلاد المغرب ص ٤٨ وما بعدها لمعرفة اسماء العلويين الذين قصدوا ادريس في دولته الجديدة من المشرق.

٦- دولة الادارسة في المغرب الاقصى ص ٧٨.



والقضاء عليه في آخر بيع الأول ١٧٧هـ - ١٦ تموز ٧٣٩م.^١ وقال أحد الشعراء الموالين لبني العباس في مقتل ادريس:

أتظن يا ادريس أنك مفلت	كيد الخليفة أو يقيق ^٢ فراؤ
فليدركنك أو تحلّ ببلدة	لا يهتدي منها اليك نهائ
ان السيوف اذا انتضاها سخطه	طالت وتقصّر ^٣ دونها الأعما
ملك كأنّ الموت يتبع امره	حتى يقال تطيعه الأقدار

ويقول الطبري عن قائل الأبيات «أظنه الهنازي».^٤

ويقول ابن عمار حسبما ينقل ذلك أبو الفرج الاصفهاني: وهذا الشعر عندي يشبه شعر اشجع بن عمر السلمي واطنه له.^٥

وأما أبو الفرج فيقول: هذا الشعر لمروان بن أبي حفصة، أنشد فيه علي بن سليمان الاخفش له^٦، ونحن نميل الى رأي أبي الفرج، وذلك لاننا نحسب نفس ابن أبي حفصة واضحا عليه.

وبعد مقتل ادريس بقي البربر منتظرين بما يخص شأن الدولة، وهذا الانتظار كان باستشارة من راشد، ويقبول من البربر، وذلك أن كنزة البربرية زوجة ادريس كانت حاملاً، فان هي وضعت ذكراً صبروا عليه حتى يكبر فيبايعونه خلفاً لآبيه، وان ولدت انثى رأوا رأيهم في امر دولتهم.^٧ وشاءت الايام أن تلد كنزة ذكراً اسموه ادريس ايضاً فاصبح ثاني امام لدولة الأدارسة بعد جملة من التفاصيل عزفنا عن ذكرها مراعاة للاختصار. وقد بايعت قبائل المغرب ادريس هذا الذي عرف فيما بعد باسم «ادريس الثاني وعلى الخصوص اوربة،

١- الدر النفيس باب ٢ فصل ١٣.

٢- على رواية الطبري ج ٦ ص ٤١٦ «أو: يفيد».

٣- على رواية الطبري «وقصّر».

٤- تاريخ الطبري ج ٦ ص ٤١٦.

٥- مقاتل الطالبين ص ٤٠٩.

٦- نفس المصدر.

٧- اعلام الاعلام ص ١٦٩، الاستقصا ج ١ ص ١٦٠.

صنهاجة، غمارة، زناتة^١، وله من العمر احدى عشرة سنة وخمسة اشهر^٢ وكان ذلك بعد اغتيال راشد من قبل عملاء العباسيين بعشرين يوماً، وبعد أن تمت البيعة سعد ادريس الثاني المنبر وقال خطبة مختصرة تذكرنا بخطبة ابيه من قبل، قال فيها «الحمد لله احمده واستعين به، واستغفره واتوكل عليه، وأعوذ به من شر نفسي، وشر كل ذي شر، واشهد أن لا اله الا الله، وأن محمدا عبده ورسوله المبعوث الى الثققلين بشيرا ونذيرا، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا صلى الله عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين الذين اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

أيها الناس: انا قد ولّينا هذا الامر الذي يضاعف للمحسن فيه الأجر وللمسيء الوزر، ونحن والحمد لله على قصد جميل، فلا تمدوا الأعناق الى غيرنا، فأن ما تطلبونه من إقامة الحق، انما تجدونه عندنا»^٣.

وقد حاول العباسيون اغتيال ادريس، ولكنهم لم يصلوا اليه.^٤ هذا وقد وصلت الدولة الادريسية الى أوج عظمتها، وازدهارها في زمن ادريس الثاني، وفي أيامه تمّ بناء مدينة فاس عاصمتهم الجديدة^٥، التي يقول عنها المراكشي في معجبه «ما زلت أسمع المشايخ يدعونها بغداد المغرب»^٦.

وبعد وفاة ادريس الثاني دبّت الخلافات بين الأدارسة انفسهم من أبنائه الذين نصّبهم أخوهم محمد امراء للولايات التابعة لدولته، بعد أن تولّى هو امامة الدولة بعهد من ابيه اليه^٧، وهكذا تسربت الخلافات الى اعقابهم فكان ذلك هو السبب في ضعف دولة الأدارسة

١- دولة الادارسة في المغرب ص ٩٦.

٢- نفس المصدر.

٣- نفس المصدر.

٤- الاستقصا ج ١ ص ١٦١، جذوة الاقتباس ج ١ ص ٢٥.

٥- تاريخ المغرب العربي ص ١٤٤، وذكر السيد عبدالعزيز سالم في كتابه الموسوم بـ «تاريخ المغرب الكبير» ج ٢ ص ٤٨٧ وما بعدها الأقوال المتعددة في بناء مدينة فاس.

٦- المراكشي التميمي محيي الدين عبدالواحد بن علي: المعجب في تلخيص اخبار المغرب - القاهرة ١٣٨٣ - ١٩٦٣.

٧- العبر ج ٤ ص ٢٧ - ٢٨، البيان المغرب ج ١ ص ٣٠٠، البكري ابو عبيد عبدالرحمن: المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب - وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ص ١٢٤ - مكتبة المثنى - بغداد.

وانحلالها، حتى أصبحت مطعماً للامويين في الأندلس الاعداء بالاصالة للبيت العلوي، وكانت الايام دولاً بينهم وبين الأدارسة في المغرب.

وقد امتدّ العمر بالدولة الادريسية الى أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع الهجري، وفي هذه الايام بدأت الدولة الفاطمية بالتوسع نحو المغرب، بعد أن وطّدت دعائها في افريقية فأرسل الخليفة عبيدالله المهدي سنة ٣٠٥هـ - ٩١٨م قائده مصالة بن حبوس المكناسي ليتولّى على المغرب الاقصى، ونشر المذهب الشيعي فيه، فكان الصدام بين الدولتين الشيعيتين بالنسب والمختلفتين بالسياسة...^١ فوصل جيش الفاطميين الى مدينة فاس، التي حاصرها مدة بعدها تمّت البيعة من آخر امراء الأدارسة لعبيدالله المهدي الفاطمي على أن يبقى حاكماً على فاس وأعمالها... وهكذا تحولت الدولة الى ولاية تابعة للفاطميين في افريقيا^٢ وكان ذلك في سنة ٣٠٧هـ.^٣

ولكن هذا التاريخ لا يعتبر النهاية الكاملة للدولة الادريسية، حيث أن المؤرخين يعتبرون نهايتها الاخيرة في سنة ٣٧٥هـ، وذلك عندما يقسمون أيام الأدارسة الى طورين متميزين:

١- طور الازدهار وتمثله عهود ادريس الأول والثاني ومحمد بن ادريس الثاني.

٢- الطور الثاني وتمثله عهود خلفاء محمد بن ادريس حتى سقوط هذه الدولة سنة ٣٧٥هـ^٤ على يد المنصور بن أبي عامر متولّي شؤون دولة الامويين في الأندلس.^٥

وقد تزامنت مع الدولة الادريسية في المغرب عدة دولٍ حكمت الشمال الإفريقي، وتوزعت ارجاء ذلك الشمال عليها، وهي:^٦

١- دولة الأغالبة (١٨٤هـ - ٢٩٦هـ) ومقر حكمها المغرب الأدنى في القيروان على وجه

التحديد.

١- دولة الادارسة في المغرب ص ٢١.

٢- نفس المصدر ص ٢٢.

٣- السراج الوزير الاندلسي محمد بن محمد: الحلل السندسية في الاخبار التونسية ص ٨٩٨، تقديم وتحقيق، محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية ١٩٧٠.

٤- عنان محمد عبدالله: دولة الاسلام في الاندلس م ١ ص ٣٨٣.

٥- نفس المصدر.

٦- في التاريخ العباسي والفاطمي ص ٢٣٠ وما بعدها.



٢- الدولة الرسمية (١٤٤هـ-٢٩٦هـ) وهي خارجية أباطية قامت في المغرب الاوسط «الجزائر».

٣- الدولة المدراية أو دولة بني واسول (١٤٠هـ-٣٤٩هـ) وهي دولة خارجية صفرية، وعاصمتها مدينة سجلماس في جنوب المغرب الأقصى. هذا بالاضافة للدولة الاموية التي كانت بالاندلس، وقد أشرنا لها فيما سبق والى علاقاتها العدائية بالدولة الادريسية طيلة عمر الأدارسة.

ومما يذكر عن علاقة الأدارسة بالدولة الرسمية أنها كانت مسالمة^١، إلا أن شيئاً من القطيعة أصاب هذه العلاقات في عهد الأمام عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن رستم، وذلك لموقف مغرارة، وبني يفرن امراء تلمسان الخاضعين لنفوذ الأدارسة^٢.

أما علاقة الدولة الادريسية بالدولة الاغلبية فقد آثرنا الكلام عنها، عندما نعرض لشاعرية الأئمة الأدارسة وكونهم ادباء، وكذلك سنعرض لها في غرض الشعر السياسي الذي لقي رواجاً في أيام الأدارسة بالمغرب.

وأما عن علاقة الأدارسة بالمدرايين الخوارج، فإن المصادر لم تحدثنا عنها، إلا أنها كانت مسالمة بين الطرفين.

ومن الواجب ذكره عن الأدارسة هو أن وجودهم في المغرب لم ينته بنهاية دولتهم الأولى، التي اسسها أبوهم ادريس بن عبدالله، بل بقيت لهم بطون، وأسر وعوائل في المغرب تحظى بكل احترام واجلال الى ايامنا المعاصرة يطلق عليها اسم الاشراف، وقد سجل لنا المؤرخون اسماء بعض هذه العوائل.

ولربما تمكن بعض ابناء الأدارسة من اقامة بعض الدول والحكومات التي حكمت المغرب

١- الدولة الرسمية بالمغرب الاسلامي ص ٢٠٤.

٢- عبدالوواد حسن علي حسن: دولة الادارسة بالمغرب قيامها وتطورها حتى منتصف القرن الثالث الهجري ص ٢٤٦، رسالة ماجستير بكلية دار العلوم ١٩٦٧.



أو خارجه، باسم ذلك النسب الشريف وقد ذكر لنا التاريخ أسماء بعض هذه الدول أمثال الدولة الغمارية^١، الدولة السبتية^٢، الدولة الاندلسية^٣، الدولة المهدوية الموحدية^٤، الدولة السعدية^٥.

٢- الدولة الفاطمية

الاسماعيلية إحدى الفرق الشيعية التي ظهرت بعد التشظيات التي أصابت الجسم الشيعي على مرور الأيام، وحدثت فيه فرقاً كثيرة منها قائم إلى يومنا هذا، ومنها هذه الفرقة الاسماعيلية التي يسكن اتباعها في عصرنا الحاضر بالهند، وهم ما يسمون حالياً بـ«البهرة». وهذه الفرقة تقول بامامة اسماعيل بن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام سادس أئمة أهل البيت، ولا تقبل امامة أخيه موسى بن جعفر، ولهذا يجب أن يسمّوا بـ«السّتية»، لا كما يسميهم بعض الكتاب بـ«السبعية» وذلك لأنّ جعفر الصادق عليه السلام مورد اتفاق من الشيعة عموماً على امامته، والخلاف دبّ من بعده، ولا توافق على امامة ابنه اسماعيل الذي ينتسب الاسماعيلية إليه، واسماعيل هذا قد توفي على حياة أبيه جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

والدولة الفاطمية التي نحن بصدد الحديث عنها تنتسب مذهبياً إلى فرقة الشيعة الاسماعيلية، وأن مؤسسها أو خليفتها الأول عبيدالله الملقب بـ«المهدي» ينتهي نسباً إلى اسماعيل بن جعفر الصادق، وسلسلة الآباء التي تربط عبيدالله باسماعيل يدعون أنهم أئمة المذهب أو الفرقة الاسماعيلية.

وبناءً على أن مؤسس هذه الدولة اسمه عبيدالله فبعض المؤرخين يسميها «العبيدية»،

١- الانصاف في تاريخ الاشراف ص ١٠٠.

٢- نفس المصدر.

٣- المعجب ص ٩٠ وما بعدها، دائرة المعارف الشيعية م ٤ ص ٣٠٠.

٤- نفس المصدر ص ٢٤٥ وما بعدها.

٥- العقاد صلاح: المغرب العربي ص ٥٠، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ط ١٩٨٥.

وبعضهم يسميها الفاطمية لأن خلفاء هذه الدولة يطلقون على أنفسهم اسم «الفواطم» اعترازاً منهم وافتخاراً بالانتساب إلى «فاطمة» بنت رسول الله ﷺ. وتثبيتاً منهم لحقهم بالخلافة الإسلامية.

وقد مرّت الدعوة الإسماعيلية بمرحلة من السرية والتكتم، والانتقال من بلد إلى آخر من بلدان العالم الإسلامي إلى أن وصلت إلى الشمال الإفريقي، لا نرى أنفسنا معنيين بالكلام والتفصيل عنها.

وأول ما يثار حول هذه الدولة الشيعية هو التشكيك بل الطعن في نسب مؤسسيها، ونحن هنا لا نريد الدفاع عن الفاطميين في صحة نسبهم بقدر ما نريد أن نقول بأن الشيعة عموماً قد الصقت بهم شتى أنواع التهم من اعدائهم.

وسنعرض مضطرين لقضية التهجم على الشيعة غير المبرر، والخيالي من العلمية والموضوعية في فصل خاص من هذا البحث، ولكي نستدل منه على وصول الأيدي غير الآمنة إلى الكثير من تراثنا الأدبي العربي واتلافه تحت تأثير الاحقاد الطائفية المقيتة.

من الذين أثاروا المطاعن في نسب الفاطميين الغزالي^١، وابن تيمية^٢، وتابعهم على ذلك مجموعة من المؤلفين وقد ذهب بعضهم إلى أكثر من هذا فقال بيهوديتهم^٣، وهكذا نسج اللاحقون على هذا المنوال، وقد كانت الاشارات الأولى لقضية الطعن في نسبهم من قبل العباسيين المعاصرين لهم في بغداد، وكذلك من قبل أهل السنة اعدائهم في المغرب العربي خاصة أهل القيروان.

حيث أن القادر العباسي كتب محضراً وأشهد عدة من علماء عصره ووجوه العلويين على كذب ادعاء الفاطميين النسب العلوي^٤، وابن خلدون الذي يقول بصحة نسب الفاطميين يعبر

١- ينقل ذلك عنهم صاحب «تاريخ الفتح العربي في ليبيا» ص ٢٣٢.

٢- نفس المصدر.

٣- ينقل هذه المبالغة بالطعن في نسب الفاطميين الطاهر الزاوي في «تاريخ الفتح العربي في ليبيا» ص ٢٣٢.

٤- اتعاط الحنفا ص ٤٧.

عن هذا المحضر قائلاً «ولا عبرة بمن انكر هذا النسب من أهل القيروان وغيرهم، وبالمحضر الذي ثبت ببغداد أيام القادر بالطعن بنسبهم»^١.

ومن أثبت صحة نسب الفاطميين بالاضافة الى ابن خلدون ابن الاثير^٢، وابن خلكان^٣، وابن تغربردي^٤، وابن عذاري^٥، والمقريري وهو القائل «وانت اذا سلمت من المعصية والهوى، وتأملت ما قد ذكره من أقوال الطاعنون في أنساب القوم، علمت ما فيها من التعسف والحمل، مع ظهور التأليف في الاخبار، وتبين لك منه ما تأبى الطباع السليمة قبوله ويشهد الحسن السليم بكذبه»^٦. وأما السيوطي في تاريخ الخلفاء فإنه يصطف مع الذين يشككون بنسب الفاطميين ويتحامل على دولتهم واسماً أياها «بالدولة الخبيثة العبيدية»^٧.

ومما يشهد على صحة نسب العبيديين والرد على أهل المطاعن الأبيات الشعرية التي قالها الشريف الرضي، وقد أغضبت الخليفة العباسي القادر وهي مثبتة في ديوانه^٨:

ما مقامي على الهوان وعندي	مقول صارم وانف حمي
البس الذل في بلاد الاعادي	وبمصر الخليفة العلوي
من أبوه أبي ومولاه مولا	ي اذا ضامني البعيد القصي
لف عرقي بعرقه سيدا لنا	س جميعاً محمداً وعلي ^٩

ولقد قال ابن الاثير أن الشريف الرضي حدث بينه وبين جماعة من العلويين والعالمين بالانساب نقاش، فلم يشك واحد منهم في نسب الفاطميين، وأنهم من ولد علي بن أبي طالب،

١- العبر ج ٤ ص ٤٧.

٢- الكامل في التاريخ ج ٨ ص ١٧ - ٢٠.

٣- ابن خلكان: وفيات الأعيان وانباء الزمان م ٣ ص ١١٧ تحقيق، د. احسان عباس، دار صادر، بيروت.

٤- النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١١٢.

٥- البيان المغرب ج ١ ص ١٥٠ - ١٥٧ - ١٥٨.

٦- اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٥٤.

٧- السيوطي: ص ٥٢٤، تحقيق محيي الدين عبد الحميد.

٨- ديوان الشرف الرضي م ٢ ص ٥٧٦ «ذكر منها احد عشر بيتاً».

٩- ولقد ذكرت هذه الابيات في: الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٢٠٨، اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٣٢، حسن على ابراهيم، مصر في

المصور الوسطى من الفتح العربي الى الفتح العثماني ص ١٠٣ - مطبعة السعادة، مصر ط ٥.

وكذلك يذكر ابن الاثير أن الشريف الرضى لم يورد هذه الأبيات في ديوانه خوفاً ومهما يكن الامر فان الدولة الفاطمية والفاطميون قد سجلوا وجودهم في التاريخ، وقد أثبت الكثير من المؤلفين والباحثين لهم الفضل، ومن هؤلاء الطاهر الزاوي بقوله «الدولة العبيدية، أو دولة العلويين، أو دولة الفاطميون هي دولة شيعية تعظم أهل بيت النبوة وتنتسب اليهم وتنتصر لهم».^٢

واما دور هذه الدولة في رقد الحضارة والثقافة العربية والاسلامية فقد شهدت به العشرات من المؤلفات ومن قبل أشهر المؤلفين، حتى ثبتت اصالتها كما يقول احدهم «الخلافة الفاطمية قبل كل شيء هي خلافة اصيلة».^٣

وعلى الاجمال في نشوء هذه الدولة يمكننا القول بأن الانطلاقة كانت من سلمية في سوريا التي «اصبحت المركز الرئيسي للدعوة الفاطمية منذ أن اتخذها الائمة الاسماعيليه دار هجرة في عهد المأمون العباسي».^٤ وكانت هذه الدولة قد انتشرت أيام الحسين بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق وكان الحسين بن أحمد يحرص على نشر دعوته في بلاد المغرب فأرسل أبا عبدالله الشيعي الى ابن حوشب باليمن سنة ٢٧٨هـ، وأمره بالدخول في طاعته والاقتماع بسيرته، على أن يرحل بعد ذلك الى المغرب لينشر بها الدعوة الاسماعيليه^٥ وبالفعل قد امتثل أبو عبدالله الشيعي الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا والذي هو بالاصل من أهل صنعاء^٦، وتحدثنا المصادر عنه «بأنه كان وهو بالكوفة يتولى تعليم ونشر مبادئ المذهب الشيعي الاثني عشري».^٧ بالسفر الى اليمن، ومن هناك ذهب الى مكة

١- الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٢٠٧.

٢- تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص ٢٣١.

٣- عطا الله خضر أحمد: الحياة الفكرية في مصر في العهد الفاطمي ص ٥، دار الفكر العربي، القاهرة ط ١.

٤- سرور محمد جمال الدين: تاريخ الدولة الفاطمية ص ١٨، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٤.

٥- راجع: حسن حسن ابراهيم، وشرف طه - عبيد الله المهدي امام الشيعة الاسماعيليه ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد

المغرب ص ٧٦- القاهرة ١٩٤٧.

٦- وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٩٢.

٧- المعبر ج ٤ ص ٣٢، اتماظ الحنفا ص ٦٨، دولة التشيع في بلاد المغرب ص ١٥٣.



والتقى ببعض الحجاج المغاربة، الذين كان بعضهم من المتشيعين^١، واصبح برفقتهم بعد تمام الموسم الى مصر، بعد أن أنس عندهم ما يريد وتظاهر بالرغبة للبقاء في مصر طلباً للعلم، فقالوا له «فاما ان كنت تقصد هذا، فأن بلادنا أنفع لك واطوع لامرك ونحن اعرف بحقك، فاجابهم للسير معهم»^٢.

ولما كانت الارضية مهياة لقبول اي ثائر شيعي، وذلك لما كان عليه التشيع من انتشار في صفوف المغاربة، ولما حازه من قبول ورضا هناك سواء بمجهود دعاة التشيع السابقين، أو بمجهود الأدارسة ودولتهم، فقد شرع أبو عبدالله الشيعي بدعوته هناك، وأول من قبل دعوته هناك قبيلة كتامة^٣، التي عاش هو في أوساطها، وتحملت معه أعباء دعوته، وشاركت في حروبه مع الاغالبية والتي هزمهم فيها جميعاً، مما جعله يهيء الأمر لتأسيس الدولة حتى لحق به عبدالله بن محمد بن الحسين الذي اعترض طريقه جملة من المصاعب شاءت الاقدار أن ينجوا منها.^٤

وبهروب زيادة الله آخر حكام الأغالبية من رقادة ليلاً^٥ انشنت الوسادة للفاطميين بتشكيل دولتهم، وتمت البيعة لعبيد الله الذي تلقب بالمهدي كأول خليفة للفاطميين. ويعتبر تأسيس الدولة الفاطمية سنة ٢٦٩ على يد المهدي العلوي وداعيته أبي عبدالله الشيعي انتصارا حقيقيا للشيعية، وتتويجاً لجهودها ومساعدتها في استلام الخلافة في العالم الاسلامي، أو قسم منه. وعلى الرغم من أنه تأسست قبلها دولة علوية في المغرب الاقصى على يد ادريس الاول الذي هرب من معركة فخ في زمن الهادي العباسي، إلا أنها لم تستقطب آمال الشيعة، ولم تعبّر عن كل اهتماماتهم، ولم يكن لها ذلك الوزن الذي اصبح للدولة الفاطمية فيما بعد.^٦

١- دولة التشيع في بلاد المغرب ص ١٦٤.

٢- دائرة المعارف الشيعية م ٤ ص ٣٩٤.

٣- نفس المصدر ص ٣٠١.

٤- راجع البيان المغرب ج ١ ص ١٢٤ وما بعدها - لكي نتعرف على تفاصيل أكثر عن بداية الدولة الفاطمية وأخبارها.

٥- نفس المصدر ص ١٤٧.

٦- حمادة محمد ماهر: دراسة وثيقة للتاريخ الاسلامي ومصادره، من عهد بني امية حتى الفتح الاسلامي لسورية ومصر،

٤٠- ٩٢٢ هـ، ٦٦١- ١٥١٦ م، مؤسسة الرسالة، بيروت ط ١، ١٤٠٨- ١٩٨٨.

ويقسم وجود الدولة الفاطمية في إفريقيا الى مرحلتين، وهما:

١- من سنة ٢٩٦هـ الى سنة ٣٦٢هـ^١ وهي من سنة التأسيس الأولى حتى رحيل المعز لدين الله رابع خلفاء الفاطميين الى مصر بعد أن افتتحها لهم قائدهم جوهر الصقلي سنة ٣٥٨ وبني لهم مدينة القاهرة كعاصمة الجديدة بدلا من عاصمتهم في المغرب المهدية، وقد حكم الفاطميون المغرب في هذه المرحلة بشكل مباشر من قبل خلفائهم عبيد الله المهدي، محمد القائم، اسماعيل المنصور، ومعد المعز.

٢- من سنة ٣٦٢ الى سنة ٣٤٠هـ وهذه هي الفترة التي اناب فيها الفاطميون بلكين بن زيري الصنهاجي البربري أول رحيلهم الى مصر، وبقي ابناؤه يتاورثون الحكم على المغرب باسم الفاطميين، وهم شيعة تبع للفاطميين الى أن استقل المعز بن باديس وخلع طاعة الفاطميين في زمن المستنصر الفاطمي حاكم القاهرة، وبعد مكاتبات بينها اغلظ فيها ابن باديس للمستنصر فحرك عليه القبائل العربية التي كانت تسكن أرض الصعيد من مصر والتي اجتاحت الشمال الإفريقي، وهو ما تسميه المصادر التاريخية بـ«الزحفة الهلالية» على المغرب العربي^٢ وبعد الأندحار الذي أصيب به المعز على أيدي القبائل العربية قال أحد شعراء المعز:

وانّ ابن باديس لأفضل مالكٍ لعمرى ولكن ما لديه رجالٌ
ثلاثون ألفاً منه هزمتهم ثلاثة آلاف وذاك محالٌ^٣

وما دمنّا قد ذكرنا الناهضين الأوائل بامر الدولة الفاطمية، وما حدث منهم من تمرد على هذه الدولة، وما حصلوا عليه من جزاء منها، فلا بأس أن نذكر مصير الرجل الاول الذي قامت بهيمته وجهوده الدولة العبيدية، ونقصد به أبا عبد الله الشيعي، حيث يحدثنا المؤرخون بأنه قتل هو وأخوه أبو زاهي الذي كان أيضا في خدمة هذه الدولة على يد عبيد الله المهدي، ولا نحسب هذا إلا لأنها كانا يعتقدان بغير المذهب الاسماعيلي من المذاهب الشيعية

١- تاريخ مصر وآثارها الاسلامية ص ١٧٩.

٢- موسوعة المغرب العربي م ٢ ص ١١٢، تاريخ الجزائر العام ص ٣٢٢، المختصر من أخبار البشر ج ٢ ص ١٧٠.

٣- العبر ج ٦ ص ١٥.



وقد أظهر الخلاف على المهدي في أمر من الأمور التي لم يصبر على مثلها، وذلك لأن «الخلافة الفاطمية تعتقد بأن الله قد اختارها بأن تحكم الأرض كلها، أو على الأقل تكون سيطرتها على دار الإسلام»^١.

ولكن الوثام ما لبث أن عاد بين الفاطميين وولاتهم من الزيريين الصنهاجيين بعد تلك القطيعة التي حدثت بينهم، وكان التقارب قد عاد في زمن تميم بن المعز بن باديس وأصبح أكثر قوة في زمن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس^٢.

وما دمنّا قد أوردنا ذكر البربر فيجب أن نقول بأن الدولة الفاطمية قامت على أكتافهم كما نهضت دولة الأدارسة من قبلها بهم أيضاً، وقد ذكرنا الدور الفاعل الذي قامت به قبيلة كنامة البربرية، والتي لا يقل دور قبيلة صنهاجية عنها في فتوح المعز لدين الله الفاطمي للمغرب الأقصى بزعامة بلكين بن زيري، وأما المصامدة من البربر فلهم المساهمة الفعّالة في جيش جوهر عند فتح مصر بالإضافة إلى بقية القبائل البربرية الأخرى.

وقد كانت سياسة الفاطميين وقوة دولتهم تختلف اختلافاً جذرياً في كيفية الانتصار للتشيع حتى عن الأدارسة الذين سبقوهم حكّاماً باسم التشيع في بلاد المغرب، وهذا ما دعاهم إلى تذويب الأدارسة في دولتهم سنة ٣٠٧هـ، واعتبروا فاساً وحكّامها ولاية تابعة لهم.

وقد مرّ علينا انهزام الاغلبية المخزي امام دعوة الفاطميين وفي أيامها الأولى، ولم يأسف عليهم حتى رجال دولتهم الذين كانت لديهم ميول شيعية^٣. وقد كان في «قيام الدولة الفاطمية في المغرب انقلاب خطير، أدّى إلى قطع علاقة المغرب بالشرق، وبالاخلاق العباسية ببغداد»^٤. وعلى الرغم من العداء الشديد لهم من قبل حكّام بغداد، واستعمال كلّ الأسلحة من قبل الطرفين في ذلك الصراع الذي حدث بينها حتى سلاح العلم والأدب والثقافة^٥، إلا أن الغلبة

١- دائرة المعارف الشيعية م ٤ ص ٣٠١.

٢- ماجد عبد المنعم: ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر ص ٢٢٧، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٤.

٣- معالم الأيمان ج ١ ص ٢٥.

٤- فترة حاسمة من تاريخ المغرب، مقال الدكتور سعد زغلول عبد الحميد.

٥- المناوي محمد حمدي: الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ص ١٠٣، دار المعارف، مصر.



في الصراع الفاطمي العباسي كانت للفاطميين، كما يؤكد ذلك أكثر المؤرخين. حيث يقول الدكتور عطا الله: «وهكذا بقي العالم الاسلامي أو أكثره موزعا بين خلافتين هما: الخلافة العلوية الفتية في مصر والمغرب، والخلافة العباسية التي هربت وكادت تنحصر في بغداد».^١

وأما بخصوص العلاقات الفاطمية مع الامويين حكام الأندلس فقد كانت عدائية على الدوام، وكأنهم قد ورثوا العداء الهاشمي الاموي القديم. وكانت الايام بينهما سجالا، ولكن الفاطميين اثبتوا وجودهم أمام الدولة التي سبقتهم بالتأسيس بما يقارب القرن والنصف من الزمان، بالرغم من التحالفات التي عقدها الأمويين حتى مع اعداء الاسلام ضدّ الفاطميين حيث لم يتردد الناصر «الاموي» من إبرام اتفاقيات تحالف مع ملوك الدولة المعادية للفاطميين، فتحالف مع ملك ايطاليا هوج دبروفانس Hugues de Provence الذي كان يريد الانتقام من الفاطميين بسبب تخريبهم لميناء جنوه^٢، ولما وجد الأمويون أن التحالفات الخارجية لا تجدي نفعا مع شموخ الدولة الفاطمية حاولوا تحريك بعض مؤيديهم في الاراضي الفاطمية، وكان ذلك التحريك متمثلاً بأبي ركوّة الذي ينتسب الى الامويين، والذي ثار في أطراف الشمال الإفريقي المتاخمة لمصر داعيا الى عمّه هشام المؤيد الخليفة الاموي في الأندلس، وقد كانت عاقبة أبي ركوّة الهزيمة والاندحار.^٣

ويمكن أن يقال بأن الذي قام به الفاطميون في أيام حكمهم للثقافة الاسلامية من تعميم وخدمة للعلم وبمختلف الألسن يكاد يفوق كلّ ما قدّمته الدول التي حكمت باسم الاسلام في أرض العروبة وخارجها وعلى طول التاريخ.^٤

وقد دامت دولة الفاطميين ٢٦٠ سنة منها اثنتان وخمسون سنة بالمغرب، ومائتان وثمان سنوات بمصر^٥، ونحن يهمنا من تاريخها الفترة التي حكمت فيها المغرب، وكذلك تهمننا الفترة

١- الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي ص ٥١.

٢- في التاريخ العباسي والفاطمي ص ٢٤٢.

٣- سرور محمد جمال الدين: سياسة الفاطميين الخارجية ص ٢٢٣، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٤.

٤- راجع: تاريخ الجزائر العام ج ١ ص ٣٠٥.

٥- تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص ٢٦٢.



التي حكم بها الزيريون المغرب باسم التشيع والفاطميين.
وكما مرَّ بأن عدد الخلفاء الفاطميين الذين حكموا المغرب قبل انتقالهم الى مصر أربعة خلفاء. وأن حكم الزيريين المغرب استمر الى زمن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس، باستثناء تلك الواقعة التي حدثت بين المعز بن باديس وبين الفاطميين.^١

٣- الموحدون

من الدول التي يقال بتشيعها، والتي قامت بالشمال الإفريقي، وبسطت سلطانها فيما بعد على الأندلس أيضاً دولة الموحدين. وقد أكد تشيعها صاحب دائرة المعارف الشيعية، بقوله «وتعتبر دولة الموحدين لا سيما في عهدها الاول دولة شيعية في جذورها وميولها وآدابها»^٢، ويشير محمد بن تاويت في مقال نشره في مجلة دعوة الحق الى تشيع دولة الموحدين ايضا وقد ذكره له صاحب دائرة المعارف الشيعية أيضاً.

وقد جاءت هذه الآراء بتشيع دولة الموحدين بناءً على ما نقل عن محمد بن تومرت من عقائد، وما صرح هو به في مؤلفاته، وأبرز مؤلفاته «اعز ما يطلب» الذي سنعرض له في الفصول القادمة، وأما ما نقل من عقائد خاصة في الامامة والعصمة للدولة الموحدية فيحدثنا عنها الشهرستاني، قائلاً «ان ابن تومرت بهذا النهج يكون قد وافق الرافضة الاثني عشرية، الذين قالوا بالعصمة لأنتمهم، حيث يقولون بوجوب عصمتهم من الكبائر والصغائر والنسيان»^٣، وعندها قامت القائمة على ابن تومرت وعلى دولة الموحدين، لأنها قد شَمَّ في طيبة من طيبتها رائحة التشيع، وأول المطاعن التي تلقاها ابن تومرت اتهامه في نسبه كعبيد الله المهدي من قبله، ومن ردّ دعوى ابن تومرت في انتسابه الى البيت الهاشمي القرشي واعتبره

١- الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري ص ٢٢٣.

٢- دائرة المعارف الشيعية م ٣ ص ٣٠٢.

٣- الشهرستاني ابو الفتح محمد بن عبدالكريم: الملل والنحل ج ١ ص ١٩٥، تحقيق عبدالحميد حاجيات، الشركة الوطنية

للنشر والتوزيع، تونس ١٣٩٥.

انتحالاً من أجل كسب الانصار والوصول الى الرئاسة محمد عبدالله عنان^١، ولكن ابن خلدون يذهب الى صحة انتسابه الى البيت النبوي^٢، وممن قال ايضاً بصحة انتساب ابن تومرت الى البيت العلوي ابن أبي زرع^٣، البيذق^٤، وابن خلكان^٥ ومن المعاصرين عبد الحميد العبادي^٦، والدكتور عبد المجيد النجار^٧، وغيرهم.

وقد أكدت الدكتورة ابتسام مرعي خلف الله وجود الفكر الشيعي عند ابن تومرت وخليفته عبد المؤمن، وهي تتكلم عن الضعف الذي دبّ في دولة المرابطين، حيث توزع أكثر أسبابه قوة الى بغض أهل الأندلس لهذه الدولة، وذلك لكون هذه الدولة سنية بحتة بينما قد تأصل في نفوس أهل الأندلس ميراث فكري ينهض اتجاه هذه الدولة المرابطية، وعاد الى تلك البوادي ميراث فكرها التاريخي، وما فيه من مؤثرات شيعية أو اعتزالية أو خارجية، وكان أبو تومرت وخليفته عبد المؤمن يجسدان جانباً كبيراً من هذا الميراث البيئي للبداية المغربية، مما أدى الى انهيار دولة المرابطين وهي في أوج ازدهارها.^٨ كما أكد الدكتور شوقي ضيف ما أخذه ابن تومرت من التشيع قائلاً «أما الأسس التي ترجع الى التشيع فاربعة هي: الأمامة والمهدوية والعصمة والتنظيم الطبيعي»^٩، ثم مضى الدكتور ضيف قائلاً «وقد مضى ابن تومرت يغرس في نفوس اتباعه ما عرفه في بغداد عن الامام من الشيعة الاثني عشرية»^{١٠}. وبعد الطعن في نسب ابن تومرت الذي برّاه منه أكابر الباحثين، أخذوا يتقاذفون به في الاعتقاد الى جهات متعددة، وربما نسبوه الى الضدين. حيث يقول عنه عبدالواحد

١- عنان محمد عبدالله: دولة المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ص ٥٥٧، القاهرة ١٩٦٤.

٢- العبر ج ٥ ص ٢٦.

٣- روض القرطاس ص ٦٤.

٤- الصنهاجي البيذق ابوبكر: المقتبس من كتاب الانساب في معرفة الأصحاب ص ١٢، الرباط ١٩٧١.

٥- وفيات الأعيان ج ٥ ص ٤٦.

٦- العبادي عبد الحميد: المعجل في تاريخ الأندلس ص ١٨٢، القاهرة ١٩٥٨.

٧- النجار عبد المجيد: تجربة الاصلاح في حركة ابن تومرت ص ٥٦، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ط ٢، ١٩٩٥.

٨- العلاقات بين الخلافة الموحدية ص ٧.

٩- ضيف شوقي: من المشرق والمغرب بحوث ادبية ص ١٣٥، الدار المصرية اللبنانية طبع نوبار، شبراط ١، ١٩٩٨.

١٠- نفس المصدر ص ١٣٦.



المراكشي وكان على مذهب أبي الحسن الاشعري في أكثر المسائل إلا في أثبات الصفات «فانه وافق المعتزلة وفي مسائل قليلة غيرها»^١ وكذلك ذهب فيه الدكتور الغنای بقولها «واتخذ لحركته شعار التوحيد فاتباعه هم الموحدون، وهو امام الموحدين لأن ابن تومرت ينفي الصفات عن ذات الله تعالى، وهو في ذلك متأثر بالمعتزلة، بل أنه أخذ منهم هذا المبدأ... وتأثر تأثراً قليلاً بالاشاعرة»^٢ ولا نعرف هل أن الدكتور الغنای اطلعت على نهج البلاغة وخاصة الخطبة الاولى منه للأمام علي بن أبي طالب حيث فيها نفي الصفات عن ذات الله تعالى، وعلي عليه السلام سابق للمعتزلة في عقائده. فلماذا تأنف الدكتور الغنای عن نسبة ابن تومرت لعلي بن أبي طالب؟ ولكن لربما انها لا تريد ان تقول بتشيعه. واما الدكتور ابتسام خلف الله فانها تذهب الى اشعريته في الاصول ومالكيتها في الفروع، فتقول ظهرت الحركة الموحدية وانها قد استقرت على قاعدتين احدهما فقهية استمدت اصولها من المذهب المالكي، والاخرى عقائدية أخذت بالمذهب الاشعري^٣، وكانت الدكتور قد اسلف في صفحات سابقة عن شعارات الدولة الموحدية «وكان في مقدمة هذه الشعارات تصدير الرسائل والخطب الموحدية باسم الامام المعصوم والمهدي المعلوم»^٤.

ولا يتوانى الصلابي عن ترديد نفس رأى المراكشي والدكتور ابتسام، قائلاً «أن ابن تومرت من كبار الدعاة الى المذهب الاشعري بل أخذ منهم أكثر المسائل - إلا أنه في اثبات الصفات، وافق المعتزلة في نفيها وفي مسائل قليلة»^٥ ولا نقول للصلابي إلا ما قلناه للدكتور الغنای، ومما يؤسف له ان أكثر الباحثين يكرر ما قاله الذي يجده مدوناً في الكتب من دون تمحيص، ونحن نقول لجميع الذين كرروا هذا الادعاء وتعلقوا بهذا الرأي هل أن الامام المعصوم والمهدي المعلوم من اعتقادات المالكية أو الاشعرية في شيء؟ وهل علي بن أبي طالب

١- المعجب ص ١٨٨.

٢- الغنای مراجع عقيلة: سقوط دولة الموحدين ص ٤٩، منشورات جامعة بنغازي، ط ١، ١٩٧٥.

٣- العلاقات بين الخلافة الموحدية ص ١٧٩.

٤- نفس المصدر ص ١٧٦ حيث أن ابتسام اعتمدت في نقلها على (ابن صاحب الصلاة - المن بالأمامة على المستضعفين

ص ٦٦.

٥- الصلابي: دولة الموحدين ص ٤٩، عمان، رقم الأيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية ٢٩٢ / ٣ / ١٩٩٨.

هو الأسبق في الوجود الفكري أو المعتزلة؟ وحتى في الوجود الزمني من هو الأسبق؟
وعلى كل حال فإن ابن تومرت الذي ولد في سنة ١٤٨٥^١ وعلى قول آخر في سنة ٤٦٩ أو ٤٧٣ هـ^٢ وكان أهل بيته أهل نسل^٣ ورياط^٣ قام بالسوس بصورة أمر بالمعروف ناه عن المنكر سنة ٥١٥ هـ^٤، وكان ذلك بعد رحلة زار فيها المشرق والتقى كما يقال بالغزالي^٥، وهذا ما استدعى ابن تاشفين إلى طلبه للمحاججة في مجلسه بعدما وصلت إليه أخباره، وقد تفوق على خصومه من علماء البلاط السني المرابطي^٦، وقد أشار مالك بن وهب أحد فقهاء الدولة المرابطية على ابن تاشفين بقتله ولكن ابن تاشفين لم يفعل^٧.

وبعد هذا وذاك أعلن ابن تومرت ثورته المسلحة^٨، التي قامت على أسس دينية^٩ ضد المرابطين وتمكن في كل الوقائع من أن يهزمهم، وأعلن عن تأسيس دولته سنة ٥٤٢ هـ وأحاط نفسه بمجلس استشاري لتدبير شؤون الدولة يتكون من عشرة اشخاص مقربين له^{١٠} على رأسهم عبدالمؤمن بن علي، والذي يقول فيه ابن تومرت:

تجمعت فيك اوصافٌ خصصت بها فكُلُّنا بك مسرورٌ ومغتبِطٌ
فالسن ضاحكةٌ، والكفُ مانحةٌ والصدر متسعٌ والوجه منبسطٌ^{١١}

وقد خلف عبدالمؤمن هذا ابن تومرت على زعامة دولة الموحدين، التي مدّت نفوذها إلى الأندلس في أيامه.

١- وفیات الأعيان ج ٤ ص ١٢٤.

٢- الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٢٩٨.

٣- العبر ج ٦ ص ٢٢٦.

٤- المعجب ص ٢٤٥.

٥- من المشرق والمغرب ص ١٣٣ وما بعدها.

٦- سقوط دولة الموحدين ص ٢٧، من المشرق والمغرب ص ٢٥١-٢٥٢.

٧- المعجب ص ٢١٥.

٨- الصنهاجي البيذق ابوبكر: أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين ص ١٣-١٤.

٩- مجلة دعوة الحق - مقال - محمد ابن تاووت.

١٠- الحلل السندسية في الاخبار التونسية ص ١٠٢٠.

١١- روض القرطاس ص ١٨، النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٦٣.

ما يهمننا أكثر في بحثنا هذا عن دولة الموحدين ما أكدّه صاحب دائرة المعارف الشيعية بقوله «ولا يبدو التشيع عند الموحدين كما يبدو في شعر شعرائهم، الذي لا يختلف عن أي شعر شيعي آخر»^١. وقد تميز العهد الموحي بالاضافة الى النهضة الفكرية، والتحرر من التعصب، أنه رحّب بقدوم «فتوحات ابن عربي» الذي لا تقرّه المذاهب الفقهية باجمعها، وفي حين أحرق المرباطون من قبلهم «أحياء الغزالي»^٢.

وبعد العظمة التي وصلت اليها دولة الموحدين فقد دبّ الضعف فيها، وعندها تفكّكت في آخر أيامها الى ثلاث دول، وهي:^٣

١- الدولة الحفصية بتونس سنة ٦٢٧هـ - ١٢٣٠م.

٢- دولة بني عبدالواد بتلمسان، ونواحيها بالمغرب الاوسط ٦٣٣هـ - ١٢٣٥م.

٣- دولة بني مرين أو بني عبدالحق في فاس، وهي الدولة التي استقلت بالمغرب الاقصى بعد أن خاضت مع خلفاء الموحدين في عصر الاضمحلال حروباً ومعارك طاحنة استمرت ما يزيد على نصف قرن من الزمان، وانتهت بدخول بني مرين في النهاية مدينة مراكش سنة ٦٨٨هـ - ١٣٤٠م.

وأما في الأندلس فقد كانت مملكة غرناطة، وهي آخر ما تبقى للمسلمين من مملكتات في اسبانيا، وقد استقل بها بنو الأحمر أو بنو نصر. والذين ينتسبون الى ابيهم قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي المعروف بالتشيع لعلي بن أبي طالب، وأجدادهم الأوائل الذين دخلوا الأندلس هم الذين ثاروا فيه لاقامة حكومة شيعية.^٤

ومما يشار اليه بأن ثالث خلفاء الموحدين وهو المأمون بن المنصور بن عبدالمؤمن قد تغير على مباديء ابن تومرت، وأمر برفع اسم ابن تومرت من الخطبة.^٥

١- دائرة المعارف الشيعية ج ٣ ص ٤٧٠.

٢- الامير الشاعر ابو الربيع سليمان الموحي ص ٦٦.

٣- الماجي على حامد: المغرب في عصر السلطان ابي عنان المريني ص ٣٤ - ٣٥، بحوث جامعية، ١٩٨٦.

٤- انظر: الثورات الشيعية في الاندلس التي قام بها هؤلاء الاجداد لبني الأحمر في «أدب التشيع في الاندلس» ص ٣٨ وما بعدها.

٥- المغرب ج ٣ ص ٣٠٤.

٤- الحفصيون

أصبح من الواضح بأن الدولة الموحدية تحمل نفحة من نفحات التشيع خاصة في شخص مؤسسها الأول محمد بن تومرت، والعشرة من اصحابه الذين تأثروا به تأثرا كاملا، وبالاخص الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاني، والذي يعتبر من زعماء المصامدة، ومن أقدم اصحاب المهدي الموحي الحميمين منذ سنة ٥١٤هـ، وقد آمن بدعوة المهدي في أيام شبابه، وبذل قصارى جهده في مناصرته، ثم التحق باصحاب ابن تومرت العشرة، وكان يأتي بعد عبدالمؤمن بالمنزلة عند الموحيين.

وكان عبدالمؤمن يحله ويحترمه، ويأخذ برأيه في حلّ مشاكل الدولة بعد وفاة ابن تومرت، وقد أكرم اولاده من بعده - من بعد وفاة الشيخ أبي حفص - وأسند لهم المناصب والأماره في الأندلس وافريقيا.^١

والدولة الحفصية تنتسب لابي حفص هذا، وكانت بدايتها عندما اسند الناصر الموحي الى أبي محمد عبدالواحد بن أبي حفص امر افريقيا سنة ٦٠٣هـ، بعد اخماد الناصر للثورة التي قام بها يحيى الميورقي في تونس على الموحيين سنة ٦٠٢هـ وقفوله راجعا الى الأندلس. وكان عبدالواحد الحفصي لم يقبل تلك الامارة الا بشروط على الناصر الموحي، وقد قبل الناصر تلك الشروط.^٢ وهكذا بقي الحفصيون يحكمون افريقيا باسم الموحيين الى أن حدث منهم الانفصال الرسمي على يد أبي زكريا بن عبدالواحد الحفصي سنة ٦٢٦هـ، وبذلك ورثوا افريقيا لأنفسهم عن الموحيين.^٣

وقد اتسعت رقعة الامارة الحفصية حتى شملت طرابلس والجزائر والمغرب الاقصى.^٤ وقد تهيأت الظروف للأماره الحفصية بالتوسع أكثر بعد سقوط الخلافة في بغداد واعتراف امير مكنة بها سنة ٦٥٨هـ.^٥

١- راجع تاريخ افريقيا في العهد الحفصي ج ١ ص ٤٨، دولة الموحيين ص ٣٥٣، البيان المغرب ج ٣ ص ٢٥١.

٢- دولة الموحيين ص ٣٥٤، دائرة المعارف الشيعية م ٤ ص ٣٠٣، الاستقصا ج ٢ ص ٢١٦.

٣- العبادي احمد مختار: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ١٢١، مؤسسة شباب الجامعة.

٤- دائرة المعارف الشيعية م ٤ ص ٣٠٣.

٥- دولة الموحيين ص ٣٦٢، دائرة المعارف الشيعية م ٤ ص ٣٠٣.



وفي زمن أبي زكريا المؤسس الحقيقي لدولة الحفصيين جاءت محاصرة النصارى لبلنسية، وجاء ابن الأتار موفدا من حاكمها زيان والقي سينيته مستنجدا بالحفصيين لانتفاذ بلنسية^١، وابن الأبار هذا هو الذي استقرّ فيما بعد في بلاط الحفصيين وألف لهم فيما يقال «درر السط في خبر السبط» الذي هو من النثر الشيعي الواضح المعالم^٢.

وبعد موت المستنصر خليفة أبي زكريا سنة ٦٧٥هـ، وبعد انقضاء القرن السابع الهجري ضعف امر دولة الحفصيين، وتوقف الدعاء لها في المغرب والأندلس، ثم ما لبثت أن أضعفتها الحروب الاهلية، واستقلت بجاية من تونس وانتهز بنو مرين هذه الفرصة، فاخذوا يتدخلون في شؤون الدولة الحفصية^٣.

وقد دبّت القوة في جسم هذه الدولة أواخر القرن الثامن واولئل القرن التاسع الهجريين في زمن أبي العباس وأبي فارس، وامتد نفوذ الحفصيين ثانية الى المغرب الاوسط والاقصى والأندلس، ثم سرى فيها التدهور مرة ثانية فلم يبق لها في أواخر القرن التاسع الآ تونس^٤، والذي يهمننا من دولة الحفصيين هو أن دولتهم تتنسب الى جدّهم الاعلى أبي حفص الذي كان من أعمدة دولة الموحدين الشيعية، وقد بقي ابناءؤه أوفياء لهذه الدولة، فلنا أن نقول أن هذه الدولة وشجّت اصولها على التشيع، وأن الفروع قد أخذت من تلك الاصول وبسقت على ما غذته به الاصول.

٥- المرينيون

لقد أشرنا فيما سبق الى أن الدولة الموحدية ضعفت في آخر ايامها، وانها قد تفككت في أيام ضعفها الى مجموعة من الدول وقد أشرنا لها ايضا، وكان من بينها «دولة بني مرين أو دولة بني عبدالحق في فاس، وهي الدولة التي استقلت بالمغرب الاقصى بعد أن خاضت مع خلفاء

١- الزركشي - تاريخ الدولتين الحفصية والموحدية ص ٢٧ تونس ط ١٢٨٩٢.

٢- دائرة المعارف الشيعية م ٤ ص ٣٠٣.

٣- دولة الموحدين ص ٣٦٤.

٤- دائرة المعارف الشيعية م ٤ ص ٣٠٣.

الموحدين في عصر الاضمحلال حروباً ومعارك طاحنة استمرت ما يزيد على نصف القرن من الزمان، وانتهت بدخول بني مرين بالنهاية في مدينة مراكش».^١

ويرجع بعض المؤرخين نسب بني مرين الى النسب الشريف، حيث يقول بانتسابهم الى علي بن أبي طالب^٢، وكذلك ابن مرزوق يرجع نسبهم الى البيت النبوي الشريف.^٣ وتذكر المصادر التاريخية أن هذه الدولة قد نشأت قوية متعافية، ولكن الضعف قد دب فيها، ثم أنها ما لبثت أن استعادت مجدها خاصة في عهد أبي عنان وأبي العباس من سلاطينها الى أن جاءت نهايتها شأنها في ذلك شأن جميع الدول التي مرت في التاريخ «وبعد انهيار الحكم المريني في فاس آلت الأمور الى أبي محمد عبدالله بن محمد الادريسي وبقي يحكم البلاد ست سنوات الى أن جاء الوطاسيون».^٤

وفي الوقت الذي استقلّ المرينيون بجزء من ممتلكات الدولة الموحدية وهو المغرب الاقصى، فإن بني عبدالواد استقلّوا بالمغرب الاوسط في حين استقلّ الحفصيون بالمغرب الادنى^٥، وقد كان العداء مشتدّاً بين بني عبدالواد والمرينيين والحروب كذلك مستمرة، وقد تحالف بنو عبدالواد مع بني الأحمر حكام غرناطة وكذلك مع الحفصيين ضدّ المرينيين^٦، وبنو عبدالواد أو بنو زيان هم ولاية الجزائر من قبل الموحدين، وعندما ضعف أمر الموحدين انفصلوا بالمغرب الأوسط وجعلوا مدينة تلمسان عاصمة لهم، وترجع اصولهم الى قبائل زناتة الكبرى عرفوا في كتب التاريخ ببني عبدالواد.^٧

وهذه الدول مع ما كان بينها من الاختلافات الا أنها جميعاً قد ابتينت اصولها على التشيع، حيث أنها كانت اعضاءاً قد تفرّقت من جسم دولة الموحدين ذات المبادئ الشيعية، وهذا ما

١- المغرب في عصر السلطان ابي عنان المريني ص ٣٤.

٢- ابن الاحمر: روضة النسرین ص ٨، مطبوعات القصر الملكي الرباط، ١٩٦٢.

٣- ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا ابي الحسن ص ١٨.

٤- موسوعة المغرب العربي ج ٣ ص ٦١.

٥- تاريخ المغرب الكبير ج ٢ ص ٨٦٧-٨٧٥.

٦- دولة الموحدين ص ٣٤٨ «بتصرف».

٧- قادة فتح بلاد المغرب العربي ج ٢ ص ٢٣٤.



جعلنا نجد فيها ملامح التشيع تظهر بين الحين والآخر، ولا أدل على الميول الشيعية في دولة المرينيين من موقف السلطان أبي عنان المريني من ابن العربي حينما قال (بأن الحسين قتل بسيف جدّه) وما أَرادَه السلطان من تحريق قبره، حيث أن عزمه هذا يدلّ على مقام سيد الشهداء في قلبه مما دعاه الى تحريق قبر ابن العربي وهو ميت، فلا شك أن ما سيناله من العقاب لو ظفر به حيّا عقابا عظيما^١ والذي يدلل على وجود التشيع أو الحب لآل البيت في المغرب العربي آنذاك هو أن المغاربة بعد سقوط دولة المرينيين بايعوا رجلا من ابناء البيت العلوي وعلى وجه التحديد من الأدارسة.^٢

ولا بأس بأن نشير هنا الى أن عهد الوطاسيين - العهد التالي للمرينيين - كان ادبه ايضا يعجّ بنفحة شيعية، ومن الأدلة على ذلك هو تأثر ادباء ذلك العصر بأقوال امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ومنهم محمد بن أحمد بن غازي صاحب البيتين:

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى وللمشتري دنياه بالدين اعجب
وأعجب من هذين من باع دينه بدنيا سواه فهو أخزى واعجب^٣
ومما لا شك فيه أن معناهما مقتبس من قول علي عليه السلام:

«شر الناس من باع آخرته بدنياه، وأشر من ذلك من باع آخرته بدنياه غيره».

التشيع في الشمال الإفريقي والمؤرخون

ليس من مهمة البحث الدفاع عن فرقة معينة أو الانتصار لمذهب ما، وفي نفس الوقت ليس من شأنه الانتقاص من طرف معين، أو تبيان مثالب آخر، وكذلك ليس معنيّا برفع الظلامات على أيّ وقعت، ومن أيّ صدرت، اضافة الى هذا فانه غير مكلف بتحسين او تجميل، أو تزيين أو تحبيب اتجاه عقائدى أو مذهبي، وليس من نهجه تبغيض هذا أو ذاك، اذ ان ما سلف ليس موضوعا للبحث بالمرة، بل انه وفي الاساس مخصص لدراسة شعبة من شعب

١- دائرة المعارف الشيعية ج ٣ ص ٣٠٨ «بتصرف».

٢- الوافي بالادب العربي ج ٢ ص ٦٠١.

٣- نفس المصدر ص ٦٠٣.

الأدب العربي - المهمة - حسب ما نراه - وهو الأدب الشيعي في الشمال الإفريقي فقط وكفى. ولكي نفي الموضوع حقه، ونبين كل ما يتعلق به، علينا ان نعرض لبعض جوانب المعاناة، والتشويه، والقسوة من قبل المؤرخين والمؤلفين واصحاب القلم، خاصة منهم المغاربة للتشيع والشيعية وهذا كله أعطى انعكاساته واضحة على أدب التشيع هناك، لكي يتضح حجم المعاناة التي لقيناها خلال البحث، وذلك لأن جلّ المؤلّفين اذا كانت لغتهم وتعاملهم ونظرتهم الى الشيعة والتشيع بهذا الشكل، فكيف لهم في التعامل مع ادبهم؟ وأقل ما يمكن ان يقال، بأنه كان يحظى منهم بالاهمال وعدم الذكر والتسجيل في مصنفاتهم، وهذا ما لاحظناه واضحا، اذ انه وفي أكثر من مورد عندما يعرضون لاديب من مذهب أو فرقة اخرى غير الشيعة يصرحون بما كان ينتسب اليه ويعتقد به، واما اذا عرضوا لأديب شيعي، فانهم يعرضون عن ذكر تشيعه، ولا نهتدى الى كونه شيعياً إلا بعد العناء والبحث الشديد، ولربما نمسك أول الخيط عن تشيعه اذا وصف بالكفر والزندقة، وانهيال الشتائم عليه والسب المقذع، ولسنا بحاجة هنا الى سوق الادلة على معاناتنا، والتي سنذكر شيئا منها أثناء فقرات البحث القادمة خدمةً للموضوعية وحاجة البحث.

ومن الآثار والنتائج لمثل هذه الأعمال غير المنصفة والبعيدة عن الموضوعية ضياع الحقائق اولا، وضياع جانب مهم وكبير من تراثنا الأدبي العربي ثانيا، وهذا ما تكون اضراره كبيرة على اجيالنا والانسانية.

وقد تنبّه الكثير من الباحثين الى مثل هذه الافعال، واعتبروها تسويدا لصور التاريخ، وحينها يكون الإلتلاف للموروث العائد للاجيال، وهذا الهادي روجي ادريس عندما يريد البحث عن افريقية في زمن الفاطميين يقع في نفس العناء فيقول «مما لا شك فيه ان مصادرنا التي تكاد تكون كلها سنّية قد سوّدت صورة افريقية المضطهدة من طرف حكامها الجدد»^١. ورأينا ان نسوق بعض ما صرّح به بعض المؤرخين عن الشمال الإفريقي، وهؤلاء المؤرخون من أهل الشمال الإفريقي. وهذه هي الطامة الكبرى لأن هؤلاء المؤرخين أقرب إلى



موقع الحدث، ويفترض ان يكون اعتنادنا عليهم اكبر، فماذا فعل ان وجدنا عندهم مثل هذا النهج في التعامل مع الشيعة؟ فلا شك بأنه سيكون تعاملهم مع ادبهم اسوء، واليك ما قاله الثعالبي عندما يأتي على ذكر الشيعة فيقول «وان كانت الفرق الشيعية كلها ترجع الى اصل واحد، وهو دين المثنوية «دين المجوس» واثبات مقادير ما أخذته كل فرقة من هذا الاصل ينبغي ان يرجع فيه الى تاريخ المذاهب»^١.

وهذا ايضا صاحب نزهة الانظار يقوم بهجومه على الشيعة عند ذكره للفاطميين فيقول «اقول الشيعة فرقة مبتدعة يرون افضلية علي - رضي الله عنه - على الشيخين أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - ويرون استحقاق ذريته للخلافة دون بني امية وبني العباس»^٢. ثم يستمر في كيل الاتهامات للفاطميين بالكفر والزندقة في الفصل الذي عقده لهم من أوله الى آخره.

واليك آخر يفوق اصحابه بالتحامل على الشيعة، وتوجيه التهم التي يأتي عنها ادنى الانصاف، فيقول وهو يتكلم عن افريقية بعد رحيل الفاطميين عنها «وبانتقال الفواطم الى مصر خف الضغط الرافضي على افريقية... وقادتها الجدد هم من البربر وهم ابعد الناس على فهم عقائد الروافض التي هي عبارة عن خليط من الآراء الهندية، والفارسية، والعقائد اليهودية، والتثليث المسيحي، والافلاطونية اليونانية، ولذلك فعقولهم الصافية لا تقنعها مثل هذه السخافات، ولذلك هم أقرب الى أهل السنة بفطرتهم منهم الى غيرهم»^٣. ونحن نترك التعليق على مثل هذه النصوص، ننزهها، ولكي يحكم القارئ الكريم بنفسه ويقدر مدى معاناتنا في استخراج الأدب الشيعي ودراسته.

ولكننا، عندما نجد كتابا بعنوان «مرحلة التشيع في المغرب العربي وأثرها على الحياة الادبية» تحيا في نفوسنا جذوة الامل، ولكن وبيا للأسف الشديد - مع حصولنا لبعض ضالتنا - نجد الدكتور محمد طه الحاجري، قد خصص الكتاب لغير العنوان الذي وضعه على الغلاف،

١- تاريخ افريقيا الشمالية ص ٢٦١.

٢- مقدش محمود: نزهة الانظار في عجائب التواريخ والاعمال ج ١ ص ٣٢٧، تحقيق علي الزاوي محمد محفوظ دار الغرب الاسلامي، بيروت ط، ١٩٨٨.

٣- ابو محمد عبدالله بن ابي زيد القيرواني ص ٤٦ - ٤٢.

وقد جاء من اوله الى آخره للهجوم على الشيعة والتشيع، ثم أننا لم نجد أثرا فيه للعنوان الذي يحمله الكتاب من تبيان التأثيرات التي تركتها تلك المرحلة على الأدب في المغرب العربي، ونجد المؤلف أيضا في كل ثنية من ثنايا كتابه متحاملاً على الانتجات الأدبية، وعلى أصحابها، موجهاً اليهم التهم، وهذا ما ضيع علينا ما كنا نأمله منه.

ونجد هذا التحامل على تاريخ الشيعة والتشيع في المغرب العربي من قبل بعض المشاركة، فلم ينصفوهم في مؤلفاتهم. وبالرغم من بعد الشقة، فنجد السيوطي مثلاً - وكما يقول عنه الدكتور جبرئيل جبور - «انه لم يستنكف ان يصف دولتهم - الفاطميين - بالدولة الخبيثة العبيدية».^١ وينقل عن الذهبي قوله «فكانوا أربعة عشر متخلفا لا مستخلفا، وهو تحامل ظهر من كليهما».^٢ حيث أن السيوطي يكتفي بكلمات قليلة في كتابه^٣ لذكر الدولة الفاطمية «لم يزد جميع ما كتبه عنهم، لو حشر بسطور متكاملة عن أربعة عشر سطرًا عدد خلفائهم».^٤

وعلينا ان نعرف بأن الخطوط السياسية والاتجاهات العقائدية، والاعمال الثقافية المعادية قد مارست نشاطاتها في المغرب بالرغم من العاقبة التي حصل عليها التشيع فيما بعد هناك. خاصة وان المغرب كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بالمشرق، وانه يتأثر بكل شيء يحدث بالمشرق حيث انه - المغرب - كان ولاية من ولايات الدولة الاسلامية الكبرى التي مركزها المشرق اولاً، وان العلاقة التي تربطه بالمشرق سياسية عقائدية ثقافية ثانياً.

فالأمويون المعروفون بعداوتهم للشيعة صار المغرب تحت سلطتهم مدة لا يستهان بها، بل كانت لهم الشوكة القوية فيه، خاصة وانهم تم فتح المغرب على ايديهم، وارسلوا اليه من رجالاتهم ومن يعتقدون بالعداء لعلي بن أبي طالب سر التشيع وعنوانه من أمثال معاوية بن خديج^٥ وهذا ما جعل بعض المراكز المهمة في المغرب تعلن عن نفسها - لاحقاً - بأنها من اعداء

١- الملوك والشعراء: د. جبرئيل جبور ص ١٩٨، دار الافاق الجديدة، بيروت ط ١، ١٤٠١ - ١٩٨١.

٢- نفس المصدر.

٣- تاريخ الخلفاء ص ٥٢٤.

٤- الملوك والشعراء ص ١٩٨.

٥- انظر: السمهودي الشيخ علي بن عبدالله الحسيني «جواهر العقدين في فضل الشرفين، شرف العلم الجلي والنسب العلي ص ٢٥٠ - تحقيق د. موسى بناي العلي، منشورات وزارة الاوقاف العراقية، مطبعة العاني، بغداد ١٩٨٧» حيث يذكر فيه ان



الشيعة ومن اظهر الامثلة لتلك المراكز القيروان التي عرفت بأنها مركز لاعداء الشيعة، فقد كان علماؤها صفا واحدا قبال الفاطميين ودعوتهم الشيعية، واصبحوا جمرا تحت الرماد بعد استحكام دولة الفاطميين الشيعية وما لبث أن تفجر عداؤهم حينما عاونتهم الظروف السياسية في زمن المعز بن باديس الصنهاجي، فحلت تلك المقتلة الشنيعة للشيعة التي قال فيها القاسم بن مروان:

وسوف يقتلون بكل أرض
كما قتلوا بارض القيروان^١
وقول آخر من الشعراء:^٢

يا معز الدين عش في رفعة
انت ارضيت النبي المصطفى
وسرور واغتباط وجذل
وعتيقا في الملاعين السفلى
وجعلت القتل فيهم سنة
باقاصى الارض في كل الدول

وأمثال هذا الشعر الذي خلد مقتلة الشيعة في القيروان وأشاد بها كثير تكاد أكثر المصادر لا تخلو منه، والذي سنفرد له فصلا خاصا تحت عنوان مناسب. ولم يقتصر الامر في العدااء للشيعة على التثقيف الاموى، بل ان كل الخطوط السياسية التي تمكنت ايديها ان تنوش المغرب أدت مقدارا من تأسيس هذا العدااء، فالعباسيون لعبوا دورا كبيرا ايضا، وقد كان ممثلوهم من الأغلبة ينضهون بذلك العبء، وسوف نرى لاحقا الدور الاغلبى في الوقوف بوجه المد الشيعي الادريسي، وخاصة ما يعنينا وهو الوجه الأدبي لهذا الوقوف، ولا بأس ان نذكر بأن المقتلة التي حدثت في القيروان للشيعة، والتي اظهرت حقد أهل القيروان على التشيع عمليا بفعل العوامل الثقافية القديمة للامويين ومن بعدهم العباسيين كان تنفيذها في حينها على يد المعز بن باديس، والذي تقول المصادر عنه بانه فعل تلك الفعل المنافية لسيرة آبائه ولاة

معاوية بن خديج من السابيين لعلي بن ابي طالب ومن المشتركين في حرب صفين في صف معاوية بن ابي سفيان ضد علي وكان ممن يقتنون بصلاتهم بسب علي بن ابي طالب.

١- البيان المغرب ج ١ ص ٢٧٤.

٢- تاريخ المغرب في العصر الاسلامي ص ٥٧٢. كل المصادر التي ذكرت هذه الايات لم تذكر اسم الشاعر راجع البيان

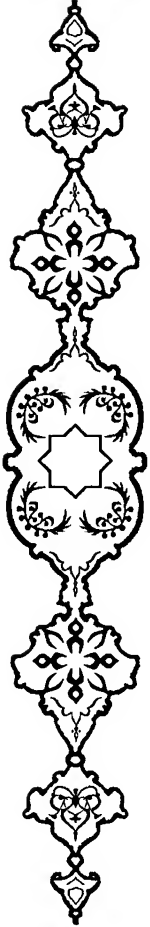
المغرب ج ١ ص ٢٧٤، تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص ٢٨٩.

الشيعة الفاطميين على المغرب بتحريض وتدريب وتربية احد رجال الخوارج القادمين على القيروان من مدينة «تِهْرْت» وهو أبو الحسن علي بن أبي الرجال الشيباني وذلك كما ذكر المرزوقي والجيلاني عندما اوردا سيرة المعز، حيث يقولان «ورباه ووجهه ولقنه العلم، ودربه على السياسة والملك الأديب الكبير أبو الحسن علي بن أبي الرجال الشيباني، احد دهاة السياسة الواردين على القيروان من مدينة تِهْرْت ويذكر المؤرخون ان هذا الرجل هو الذي لقن المعز مذهب أهل السنة، وكرّاه في مذهب أهل بيته وخلفاء الفاطميين بمصر، مذهب الشيعة، وذلك ما دفعه الى نبذ طاعة الفاطميين، واعلان الاستقلال عنهم بعد ذلك»^١ ومن هذا نفهم ان جميع الاطراف المعادية للشيعة في المغرب مارست ادوارها في العداء للشيعة.

ونحن نؤكد بأن العداء للشيعة لسنا معنيين به في هذا البحث، بقدر ما نريد ان نقول بان هذا العداء انعكس على اقلام المؤلفين الذين حفظوا لنا تاريخ المغرب بجميع جوانبه السياسية والادبية والعقائدية وغيرها، وهذا ما الحق الخسارة الفادحة في أدب التشيع حيث أن أكثر المؤلفين يكونون الحقد والعداء للشيعة وذلك ما دفعهم الى اهمال أكثر هذا الادب، ولم يحتفظوا لنا إلا بالقليل من هذا الادب، واللعن للشيعة فقط، وبذلك تضاعفت معاناتنا في الحصول على أدب التشيع في الشمال الإفريقي وبكل ما يتعلق به.

١- ابو الحسن الحصري القيرواني: محمد المرزوقي -الجيلاني بن الحاج يحيى ص ١٠، مطبعة المنار - تونس ١٩٦٣.

الباب الثاني



الأدب العربي والشيوعي
في شمال افريقيا
رؤية عامة

الفصل الأول

الأدب العربي في الشمال الإفريقي

- الأدب العربي في المغرب
- اتجاهات الأدب المغربي
- وسطية الأدب المغربي
- ضياع الأدب المغربي وأهماله
- تاريخ الانتاج الأدبي في المغرب
- تقدم الأدب المغربي وازدهاره
- المغاربة واختراع بعض الأعاريف
- الأدب المغربي ودوره في الصراعات السياسية
- خصائص وميزات الأدب المغربي

الأدب العربي فى المغرب

في فقرات سابقة من هذا البحث -وبشكل مختصر- ذكرنا كيف تم فتح الشمال الإفريقي من قبل المسلمين، وهذا الفتح هو الذي أوصل العرب الى تلك البلاد، وكذلك ذكرنا المحاولات الجادة التي قام بها من وصل من العرب هناك بتعريب تلك الاصقاع، ولا بد من الاشارة هنا الى نقطتين هامتين لهما علاقة وثيقة بالمسيرة الثقافية للمغرب العربي بعد دخول العرب اليه، وهما:

١- يمكن اعتبار الأدب جزءاً أساسياً في شخصية الانسان العربي، لا يمكن فصله عنها، بل يمكننا القول بأن كل ما يملكه الانسان العربي إبان بعثة النبي محمد ﷺ في الجزيرة العربية واطرافها هو الادب، وليس عهد فتح الشمال الإفريقي عن زمان البعثة المحمدية ببعيد، حيث أن جيش الفتح العربي الاسلامي الأول للشمال الإفريقي، كان يضم عدداً غير قليل من صحابة النبي ﷺ ذلك الذي يسمى بجيش أو «غزوة العبادلة». وحتى ما بعد هذه الغزوة الى تمام الفتح في نهاية العقد الثامن من القرن الهجرى الاول وبالتحديد في زمن الوليد بن عبد الملك الخليفة الأول، فإن الأدب وكما أكد على ذلك الكثير من الباحثين للادب العربي وتاريخه قد نهض من جديد في نفوس العرب بفضل سياسية بني امية التي اسدت رعايتها له متوخية منه



تحقيق ما تصبو اليه من اهداف تتماشى مع منهجيهما في الحكم، ومن هنا نصل الى استحصال النتيجة، وهي وصول الأدب العربي غصاً طرباً الى الشمال الإفريقي على ايدي العرب الاقحاح المملوئين ادباً، والمعتقدين بأنه مكمل هام لذواتهم وشخصياتهم، وبذلك يكون الأدب العربي قد روى أرض الشمال الإفريقي نقياً صافياً غير مشوب من منابعه الاصلية على ايدي اهله انفسهم، لم يمر عبر القنوات الناقلة التي قد تترك آثارها عليه، وتطبعه ببعض بصماتها، وحتى الاجيال اللاحقة من العرب الذين ولدوا هناك وكانوا خلفاء لآبائهم. يجدر الاشارة الى أن كل أهل البلاد الاصيلين في الشمال الإفريقي والذي تعربوا على أيدي العرب الفاتحين للشمال الإفريقي واصبحوا بعد ذلك ادباء عرباً. فإنهم قد أخذوا الأدب العربي بشكل أو بآخر من العرب، وعلى هذا يمكننا القول قاطعين بأن العرب انفسهم هم معلّمو الأدب العربي الى المغرب العربي، وبذلك نشأ لدينا أدب عربي مغربي سواء على أيدي العرب الوافدين الى أرض المغرب أو على ايدي المولودين للعرب من ابناء في المغرب أو على ايدي المغاربة انفسهم من غير العرب وكانوا قد أخذوا العربية وآدابها من العرب بطريق أو بآخر فانتجوا ادباً عربياً ربما فاق ما انتجه العرب بالاصالة من أدب زخرت به المصادر المعنية.

وهذا لا يعني أننا نريد ان نفى الابداع المغربي في الادب، وسلب المغاربة استقلال الشخصية الادبية ونكرر فيهم منهج التقليد بقدر ما نريد ان نقول بأن الدفقة الادبية الأولى وصلتهم عن طريق اقحاح العرب، ثم انهم تلقوها - المغاربة - فأبدعوا مع عدم استنكافهم في تقليد ماضى الأدب العربي وما عاصره من أدب، بل أظهروا إعجابهم واعتزازهم بكل ما يعود للمشرق من أدب وغير ادب.

وسنحاول لاحقاً ايضاح مدى الاستقلالية التي تتمتع بها المغرب، وكذلك ما كان يناغم به المشرق من انتاج عربي.

٢- الاسلام الذي وصل العرب بهيمته الى الشمال الإفريقي، وبتشجيع منه، وشرعوا استناداً على مبادئه بتعريب ذلك الشمال كان مبتنيا وبالاساس على الحضارة والثقافة، حيث أن عمليات الفتح التي قام بها العرب من أجل تبليغ تلك الحضارة، وتعميم ما تؤمن به وتحمله من

ثقافة، وكما يشير الدكتور الحاجري الى ذلك بقوله «والاصل في ذلك هو أن الاسلام ليس دنيا فحسب، ولكنه دين، وثقافة وحضارة معا، والحضارة الاسلامية هي في صميمها حضارة ادبية لغوية، بمعنى ان الأدب وهو التعبير الدقيق الجميل عن النفس الانسانية في شتى حالاتها ومختلف خواجهها هو ابرز ظواهرها كما هو شأن الحضارة العربية قبل الاسلام، واذا كان القرآن كتابا دينيا، فانه في الوقت نفسه كتاب العربية الاول الذي يمثل المثل الاعلى من بلاغتها، والذي قامت عليه حضارتها»^١.

وقد ذهب جل الباحثين الى هذا المذهب، بل اعتبروا أن الفتح الاسلامي - ولكل البلاد التي طالها الفتح - فتح ثقافي قبل كل شيء، وقد ذكر ذلك الكعاك بصريح العبارة قائلاً «القرآن الكريم هو قوام دين ودستور سياسة، وبحر اخلاق، وقاموس لغة، وديوان ثقافة، لذلك بني الفتح على الثقافة في يوم الفتح نفسه»^٢، حتى أن المسجد الذي هو مخصص للعبادة اصلاً في الاسلام، مارس مهاماً أخرى لا تقل منزلة من حيث الاهتمام في المساجد عن العبادة بل ولربما اعتبر بعضها في احياء كثيرة نوعاً مهماً من أنواع العبادة خاصة التعليم، وبكل علومه التي عرفها المسلمون في الشمال الإفريقي، ومن بينها العلوم اللغوية والادبية، إذ أن المسجد بقي الى مدة غير قليلة مدرسة وجامعة. لهذا نؤكد بأن كل ما يتعلق بالاسلام - خاصة الفرق والمذاهب والسياسة - قد أخذ وجوده في الأدب العربي المغربي، وكذلك كل ما يتعلق بالاسلام قد ترك أثره على هذا الادب.

اتجاهات الادب المغربي

على اساس الايضاحات السابقة، فإن الباحثين بشأن الأدب في الشمال الإفريقي انقسموا الى فريقين؛ فريق يقول باستقلالية هذا الأدب ويذهب الى إعطائه شخصية قائمة بذاتها لها مقوماتها، وعلمائها، وكونها تمثل مدرسة ادبية بذاتها، كما كان للادب العربي شخصيته

١- دراسات وصور ص ٣٢.

٢- مراكز الثقافة في المغرب ص ١٢.



المستقلة في المشرق وكذلك في الأندلس ، وهذا ما أشار اليه الدكتور الزبيدي ذاكراً المستشرقين الذين يتبنون هذا الاتجاه بقوله^١ «لقد تمسك فريق من المستشرقين مثل ريبيرا وبلاسيون^٢ وبيرير^٣، ودوزي^٤ ومن تابعهم بالرأي القائل باستقلال الأدب الأندلسي، وابتعاده عن الدائرة العربية الكبيرة فأكدوا في أبحاثهم أن الأندلسيين الناطقين بالعربية قد أصبحوا شعباً يختلف في خصائصه البشرية والاجتماعية والعقلية عن بقية العرب في المشرق وشمال افريقية».

ويذهب بعض آخر من الباحثين الى أن اتجاه الأدب في الشمال الإفريقي كان يشبه الأدب المشرقي، مرجعين ذلك الى إتحاد الأسس الثقافية والبشرية بين الادبين المغربي والمشرقي، وهذا ما أفصح عنه أبو القاسم كرو، قائلاً «الاساس الأول للثقافة والأدب في المغرب والأندلس هو القرآن وعلوم الدين، واللغة، والأدب الجاهلي تماماً كما كان في المشرق، ثم العنصر البشري الذي كون الأدب في المشرق كان هو نفسه الذي كونه في المغرب والأندلس».^٥ في حين يذهب جمع آخر من الباحثين الى أن الأدب المغربي سلك مسلك الوسطية وكان له منهج البين بين فهو يشابه الأدب المشرقي أحياناً، ويستقل معتزلاً بشخصيته أحياناً أخرى، فالدكتور بشير خلدون عندما يتكلم عن الشعراء المغاربة يقول «وطبيعي ان ينقسم الشعراء حتى في هذه الربوع بين متعصب للقديم حتى يحافظ على عمود الشعر العربي، وينسج على منوال البحري، وبين منتصر للجديد الذي تأثر بحركة البديع ليتبع طريقة أبي تمام التي تعتمد على التعقيد والغموض أحياناً، والغوص على المعاني»^٦، ويتابع كلامه قائلاً في اسطر لاحقة

١- الزبيدي على احمد: شخصية الأدب الأندلسي، مجلة الجامعة المستنصرية - تصدر عن رئاسة الجامعة المستنصرية - بغداد - العدد ٢ السنة الثانية - ص ١٠٠، ١٩٧١، مطبعة سلمان الاعظمي.

٢- انظر الادب الاندلسي ص ٣٦ الهامش ١٥٤ احمد هيكل حيث يذكر من أهم اعماله بحثه عن تأثر الشاعر الايطالي دانتي بالاسلام في الكيمية الالهية.

٣- له كتاب عن الشعر الاندلسي في القرن الحادي العشر الى عصر المرابطين.

٤- له مؤلفات عن تاريخ المسلمين في اسبانيا.

٥- عصر القيروان ص ٥٩.

٦- خلدون بشير: الحركة النقدية على ايام ابن رشيق المسيلي ص ٣١- الحركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨١.

«بل لقد تميز بعض الشعراء بفن معين لم يكن متأثراً فيه لا بالقديم ولا بالجديد، وانما طبيعة البلاد هي التي املت عليه هذا الاتجاه، كاشتهار عبدالله بن محمد الجراوي بوصف الديكة، وقهر ب الخزاعي بوصف الطين، ومحمد بن مغيب بالهجاء، كما تميز بعضهم بالفكاهة والمُضح، وبعضهم بالاراجيز كابن غالب علي بن عبدالكريم»^١ ولا نرى بأساً في قبول هذا المذهب عن الأدب المغربي وذلك لان الاسس الثقافية بين المغرب والمشرق متحدة والعنصر البشري الذي انتج الادبين واحدٌ هذا من جانب، ولان بلاد المغرب لها ظروفها وطبيعتها الخاصة من جانب آخر.

وسطية الادب المغربي

على الرغم من أن بعض الباحثين يجعلون الأدب العربي في الشمال الإفريقي والأدب العربي في الأندلس أدبا واحداً، ويدرسونه في مصنفاتهم على هذا الاساس، بل ويطلقون على الادبين «أدب المغربيين» إيماناً منهم بوحداية هذا الادب، الا أننا نرى بأن الأدب العربي في الشمال الإفريقي كان يتسم بالوسطية، كما كان موقع المغرب العربي الجغرافي في العالم العربي والاسلامي آنذاك، حيث أنه - الأدب العربي في الشمال الإفريقي - كان وسطاً بين الأدب العربي في المشرق والأدب العربي في الأندلس، وكذلك بالرغم من كل التأثيرات المشرقية فيه - كما أشرنا اليها - ومن التداخل القوى بينه وبين الأندلس، فقد التفت بعض الباحثين الى ذلك حيث يقول الدكتور الحاجري (ولعل أول ذلك وقوعه بين المشرق من ناحية والأندلس من ناحية اخرى، وهما قطبا الحياة الادبية في العالم الاسلامي، واذا كانت الأندلس لم تستطع بالرغم من المنزلة الادبية الرفيعة التي بلغت، ومن اجتماع اسباب السلطان القوى، ومن روح الاعتزاز الحاقمة عليها، أن تستعصم من فتنة المشرق، وذلك حين نرى رجلاً مثل ابن حزم يقول:

انا الشمس في جَوِّ العلوم منيرة ولكن عيبي ان مطلعي الغرب
ولو أننى من جانب الشرق طالع لجذّ على ما ضاع من ذكرى النهب
ولي نحو اكناف العراق صباية ولا عزّ أن يستوحش الكلف الصبُّ



فما بالنا بالشمال الإفريقي، وهو يرى كلاً من هذين يكتنّفانه قد بلغا من السلطان ومن الأدب مبلغاً لا يسامى، فهو دائم الشخوص اليهما؟ لا جرم كان ذلك مما جعل الحياة الادبية فيه قلقة مستوفزة، لا تكاد تستقر^١، ونحن هنا لا ننكر الامتزاج الشديد والتداخل القوى بين الادبيين المغربي والأندلسي لتوفر الاسباب والعوامل لذلك، كما كان حال الأدب المغربي مع الأدب المشرقي، الآننا لا نوافق من يجعلهما شيئاً واحداً ويدرسهما في باب واحد.

ولا نرى غضاضة بالقول بأن تأثيرات الأندلسيين على المغاربة أو تأثيرات المغاربة على الأندلسيين كانت تصوّر للبعض أن الادبيين أدب واحد، وكذلك نزوح الأندلسيين الى المغرب وعيشهم فيها أو مرورهم بها قاصدين المشرق، أو ذهاب المغاربة الى الأندلس، وجعلها تحت سلطانهم في بعض الفترات، أو سيطرة الأندلسيين على أجزاء من المغرب فن الممهدات لهذا القول. وأما عن التأثيرات الاندلسية على المغرب فلا يمكن لمنكر انكارها. فما كادت تهبّ نسمة في الأندلس حتى تجد ترجيعها في الارحاء المغربية، وقد ذكر الكثير من المؤرخين للادب العربي في الأندلس والمغرب ذلك ومنهم الدكتور باقر سماكة الذي يقول «ان التجديد في الشعر لم ينحصر في الأندلس أبان نهضتها، بل امتد منها الى اجزاء المغرب العربي، ويقصد بالمغرب العربي المنطقة من غربي ليبيا الى المحيط الاطلسي»^٢.

وقد كان التأثير الأندلسي على الأدب المغربي بالغ الاهمية وصل ذلك التأثير من الأندلس على المغرب بأسلووين هما: الرواية والمكاتبية أولاً، ووفود بعض الأندلسيين على المغرب ثانياً، وكان للوافدين الاثر الامضى على الأدب المغربي، وقد زخرت المصادر المعنية بدراسة تاريخ الادبيين بذكر اسماء الأندلسيين الوافدين على المغرب، والذين وضعوا بصماتهم واضحة على الأدب المغربي، وهذا الدكتور عبدالمنعم خفاجي، حيث يقول «ومن رحل الى المغرب من الأندلس، أبو عبدالله محمد بن أبي الخصال، وأخوه أبو مروان، وأبو محمد عبدالمجيد بن عبدون، وقد تخرّج عليهم من البلاد كثير مثل ابن ميمون، وابن ممشوق، وقد مرّ بك ان ابن هانيء لما

١-دراسات وصور ص ١٩.

٢-سماكة باقر: التجديد في الادب الاندلسي ص ٦٤، مطبعة الايمان، بغداد ط ١، ١٩٧١.

ضاقَت به بلاد الأندلس، لم يجد ملجأ إلا بلاد المغرب فنزل عند الفاطميين بها، فلاقى عندهم الإكرام والحفاوة»^١.

ضياع الأدب المغربي وإهماله

الظلمة التي لحقت الأدب العربي في الشمال الإفريقي لم يصب بها أي من أشقائه من الآداب في الانحاء الأخرى، التي انتجت أدباً عربياً سواءً أدب جواره القريب منه جداً وهو الأندلس، وسواءً أدب المشرق العربي. وقد تمثلت هذه الظلمة بأظهر صورها في عدم اعتناء المؤرخين للأدب العربي به - خاصة من القدامى - وذلك أنهم لم يفرّدوا له مؤلفات خاصة تعنى به وتهتم بشؤونه وتدوّن خصائصه، وتجلّد أفذاذه، وتخلّد عصوره، كما كان حالهم في التعامل مع الأدب المشرقي أو الأندلسي. وحتى وإن وجدت بعض المحاولات من أمثال ابن رشيق^٢ وابن الزيات وغيرهم^٣ فإنها لم تكن بمستوى الطموح ولا بمستوى ذلك الأدب، وقد اختصت بمقاطع زمنية معينة، ولربما كانت للفترة الزمنية التي عايشها ذات الكاتب.

اسلوب آخر للعثور على هذا الأدب وهو أن يعتمد الباحث عن الأدب المغربي إلى المؤلفات التاريخية فيجده شذرات متناثرة قد استفاد منها كتاب التاريخ^٤ في تنميق ما يذهبون إليه من آراء تاريخية ليس إلا سواءً كانت هذه الآراء سلباً أو إثباتاً، واعتبروه دليلاً على الحوادث التاريخية ولم يأتوا به في مؤلفاتهم كما يأتي به الباحث الأدبي المختص في هذا المضمار. ولذلك فإن

١- خفاجي محمد عبد المنعم: الأدب الأندلسي التطور والتجديد ص ٧٤٧، دار الجيل، بيروت ط، ١٩٩٢.

٢- ابن رشيق القيرواني «بضم الراء وفتح الشين» أديب، شاعر، ناقد عاصر الزيريين الصنهاجيين ورثة الفاطميين على إفريقيا، وقد غادر القيروان إلى صقلية بعد أن داهمها بنو هلال وغيرهم من القبائل العربية بتحريض من الفاطميين في مصر بعد تمرد المعز بن باديس الصنهاجي على الفاطميين، وتكرهه للتشيع مذهب آبائه والذي أوردتهم المغرب من الفاطميين، لابن رشيق مؤلفات كثيرة أشهرها نموذج الزمان، والمعدة في صياغة الشعر ونقده.

٣- من المؤلفين المغاربة له كتاب «التشوف» شرح فيه وترجم لكثير من المغاربة، حتى كاد لا يفارق مدينة من مدنها إلا وترجم لرجال عدة منها، ويذكر بأنه كان قاضياً للموحدين، إلا أنه لم يترجم لهم، ولكن ترجم للمرابطين.

٤- انظر كتابات المؤلفين التاريخيين أمثال: فوح ابن عبد الحكم، ومعجب المراكشي، ويان ابن عذاري، ورياض المالكي، ومعالم ابن الدباغ، ومغرب البكري وغيرها.

الدارس لهذا الأدب تتضاعف معاناته لهذه الاسباب ولغيرها، وناهيك عن الظلمة التي أشرنا إليها، فإن الخسارة التي لحقت بالاجيال نتيجة لإهمال جانب مهم من تراثه الادبي الفذ لا تعوض الأبعث التعويض، وذلك اذا تظافرت الجهود وللنهوض صفًا واحداً وبجدية كاملة لتدوين ودراسة ما فاتها من هذا الادب.

وقد حاول بعض الباحثين أن يرتقوا شيئاً من العيب الذي ارتكبه الاسلاف. فبذلوا جهوداً لا يستهان بها في دراسة الأدب المغربي بشكل منفرد متخصص أمثال: العلامة حسن حسني عبدالوهاب، محمد بن تاويت، محمد البعلاوي، عبدالله كنون، بشير خلدون، محمد طه الحاجري، عبدالسلام الهراس، عبداللطيف السعداني، محمود علي مكي، عبدالعزيز الأهواني وغيرهم، إلا أننا نجد أن هذه الدراسات والمؤلفات التي قام بها هؤلاء الافاذ دون مستوى الطموح في استقصاء كل الأدب المغربي وتسجيل كل ما يخصه مع اهميتها وموقعيتها، ونرى بأن هذا الأدب لا يزال مهتضم الجانب، مضيع الحق، أكثره مغمور لم يكتب له الظهور في بطون المخطوطات أو حبسته اسباب اخرى نشير الى بعضها لاحقاً منها التعصب والهوى.

وقد أشار الكثير من الباحثين الى هذه الظلمة التي حصلت للادب المغربي ومنهم الدكتور الحاجري بقوله «وإنا احسب ان اقليماً من أقاليم العروبة لم يظلم تاريخه الادبي، ولم تجتمع الاسباب لاهتضامه، كما ظلم هذا التاريخ في الشمال الإفريقي، واهتضم جانبه». ^١ كما أكد عدم العناية بتاريخ الأدب في الشمال الإفريقي الباحث الدكتور عبدالعزيز الأهواني، ولم يلق باللائمة فقط على الدارسين المحدثين، والذين صَبَّوا أكثر اهتمامهم على دراسة الأدب وتاريخه في موطن نشوء اللغة العربية، بل وانما ألقى بها تقلية ايضاً على ابناء تلك البلاد، وحملهم المسؤولية الكبرى في ذلك بقوله «كانت العناية بتاريخ الأدب العربي عند الدارسين المحدثين تنصب في المقام الاول على المركز الذي انطلقت منه اللغة العربية... ولم يكن هذا شأن الباحثين المحدثين وحدهم، وانما كان القدماء يشكون من أن الاقاليم البعيدة عن مهد العروبة لا تجد من

ابناء تلك الاقاليم انفسهم من يعنون باثارهم، ويحتفلون بانتاج شعرائها وادبائها... ولم تقف الشكوى عند الشعراء والادباء، وانما امتدت ايضا الى علماء تلك الاقطار»^١

وهذه الظلامة والضياع للادب المغربي خلقت عند البعض تصوراً سيئاً عن هذا الأدب وهذا التصور يتلخص في اعتقاد البعض بعدم وجوده أو بوجوده ضعيفا لا يستحق الاهتمام، وعندها تتضاعف المأساة في عدم توجيه الاهتمام المناسب له «وبذلك بدأ العربي في المغرب رسوما بالية واطلالا عافية، اذ لم يظفر بما كان جديرا ان يبذل له من جهد في بعثه وجلاله»^٢

وقد تتجسد صور الضياع للادب المغربي وادبائه واضحة بكل معالمها، في أن الاديب المغربي اذا عاش ومات في المغرب ترى بأن الستار مسدلا عليه، حتى ولو كان من الفطاحل والافذاذ، الا ما ندر، ممن لم يتمكن احد من اهماله، أو يدعو الاضطراب الى ذكره، ويكرر هو وحده على السنة الجميع، كمثال اذا مر ذكر المغرب لا غير. واما اذا ما انتقل الاديب المغربي عن المغرب الى الأندلس أو الى المشرق تراه يجد ما يستحقه من ذكر وتخليد له ولأدبه، وقد يكون ابن خلدون خير مثال على هذه الظاهرة، كما ذكر ذلك الدكتور الحاجري ايضا بقوله «وهذا هو الاصل في أن ابدأ الشمال الإفريقي - بادیء بدء، قبل زوال الاستعمار عنه - وكان ليس له في تاريخ الأدب العربي نصيب يذكر، وكأن هذا التاريخ قد انتهى الى مصر، فوقف عندها، ثم وثب وثبة بعيدة تجاوز به هذا الافق كله، ثم وقع به على الأندلس، فاما ما بينها، فقد بقي فراغا، أو شبه فراغ، لا ذكر له في تاريخ الأدب العربي، الا اذا وقع اديب من ادبائه الى المشرق كابن خلدون، فيذكر بذكره، أما ما هو مكانه من الحياة الادبية في المغرب، حيث كانت نشأته، وحيث تكونت ملكاته، وبرزت ملامح شخصيته، فلا شيء غير الصمت المطبق أو ترديد بعض ما كان المغرب يضطرب به من أمور سياسية»^٣.

١- جاد الرب ابراهيم الدسوقي: شعر المغرب حتى خلافة المعز، المقدمة بقلم عبدالعزيز الأهواني، دارالشفاقة،

القاهرة ١٩٧٣.

٢- دراسات وصور ص ١٨.

٣- نفس المصدر ص ١٦ - ١٧.



تاريخ الانتاج الادبي فى المغرب

لقد قارب المؤرخون للادب العربي في المغرب الاجماع على أن الانتاج الأدبي في المغرب كان متأخرا عن بقية الاقطار التي قطنها العرب وانتجوا بها ادبا عربيا، وقد اوعز هؤلاء المؤرخون تأخر المغرب عن بقية البلدان التي وصلها العرب في انتاج الأدب الى مجموعة اسباب كان من أهمها: فتح الأندلس الذي ما جعل العرب ليستقروا بالمغرب، وذلك لان جغرافية الأندلس وكونها تمتلك شيئا من الحضارة قبل ان يفتحها العرب المسلمون، والاستقرار السياسي فيها جعلها تجتذب اليها اغلب العرب القادمين من المشرق صوب المغرب بما فيهم كبار الادباء في ايامهم، ومن الباحثين في الأدب المغربي الذين أكدوا كون فتح الأندلس وتوجه انظار العرب واستقطابها للعرب من اسباب تنفس المغرب متأخرا بالادب العربي محمد بن تاويت وقد ذكر ذلك بقوله «فتح الأندلس سد على بواكير الأدب العربي الابواب وعاق سيرها في طريقها المستقيم نحو النشوء والارتقاء في هذه البلاد العربية، ثم كان قاطعا لخطوط الهجرة العربية فيها.... فكان هؤلاء لا يقتربون من تخوم البلاد حتى ينكبوا عنها الى الأندلس، وفيهم القالي، ومن أتى بعده، وفيهم صاعد البغدادى، وكلهم كانوا يشعرون وهم يقتربون منها، شعور المتنبي وهو في شعب بوان، كما افصح عن ذلك القالي نفسه»^١

ومن الأسباب التي جعلت المغرب تأتى متأخرة تاريخياً في انتاج الأدب العربي ما عجت به تلك البلاد من احداث سياسية غير مستقرة، وحروب وقتن داخلية شكلت على أهل تلك البلاد عدم الاستقرار في بلادهم من جانب ودعتهم الى الهجرة والنزوح عنها من جانب آخر، ولم يتناس محمد بن تاويت هذه الاسباب ايضاً فقال عنها «من المفروغ منه أن الأدب بالمغرب كان من الناحية التاريخية، آخر ما تنفست به العربية في اقطارها المفتوحة، فقد عرفت الاقطار الاسلامية على الاطلاق، شرقا وغربا ادبا عربيا نشأ فيها أو نزع اليها، قبل ان يعرف ذلك المغرب الاقصى... وهذا التأخير كان لاسباب جغرافية، وحضارية، واجتماعية، وسياسية عملت فيها الفتن والحروب، وعملت فيها أكثر من ذلك كله فتوحات الأندلس التي تسرب



فيها العنصر العربي من البلاد، بل تسرب منها عناصر مغربية كان يرجى منها أن تأتي بأكملها في بلادها، فأتت بذلك الأكل في البلاد التي نزلت أو آباؤها إليها، وفي مقدمة هؤلاء أبناء موسى وطارق واحفادهما كما كان في جبهة الانساب لابن حزم»^١.

وقد أكد الكثير من المختصين بالشأن المغربي هجرة ابرز الوجوه المغربية الى الأندلس ، وألقوا في هذا الباب الكتب، مضافاً الى هذا فقد تم التأكيد على أن المجتمعين المغربي والأندلسي قد اندكاً اندكاً وأسعا بسبب الهجرة المتبادلة بينهما كما يذكر ذلك الدكتور محمد رزوق بقوله «ونجد اساساً ان الانصهار بين المجتمعين وقع بالفعل، فحضور المغرب بالاندلس كان واضحاً لفترات عديدة، وجاهد المغربي جنباً الى جنب مع اخيه الأندلسي، وبهذا ساهم المغرب في مد عمر الأندلسيين لفترة طويلة الى حين سقوط غرناطة»^٢.

ومهما يكن من أمر فإن ولادة الأدب العربي في المغرب قد تأخرت عما كان لها من وقت، وكذلك تأخرت النهضة الادبية في المغرب تبعا لولادة الأدب ذاته، بالرغم من تعرب الشمال الإفريقي الذي واكب انتشار الاسلام فيه، وهذا ما سجله الباحثون عن الشأن المغربي ايضا، حيث يقول عبدالله كنون «لقد سارت العربية في المغرب أول الامر بسير الاسلام، مترسمة خطاه، ومتبعة آثاره... لكن الاداب العربية، قد آتت اكلها منذ ذلك الوقت ايضا، ولكن عوائق كثيرة حالت دون سيرها... فتأخرت النهضة الادبية في المغرب، وتقدمت الأندلس ، التي فتحت بعده، حيث لم تجد في طريقها شيئاً من تلك العراقيل»^٣.

ونحن هنا لا نريد أن نبرر للشمال الإفريقي تأخره من حيث المدة الزمنية في انتاج الأدب العربي، بقدر ما نريد الموضوعية وهي التي تدعونا برفع اللائمة بذلك عنه، وذلك لان القصور ليس في ذات المغاربة، بل أن الظروف هي التي فرغت المغرب من أهلها، أو شغلتهم بملق جراحهم وآلامهم وآهاتهم دون الالتفات الى الأدب، وقد كان هذا ما اصبحت به الجزيرة مهد

١- نفس المصدر ص ٩.

٢- رزوق محمد: الأندلسيون وهجراتهم الى المغرب خلال القرنين ١٦-١٧ ص ٢٧، إفريقيا الشرق، ط ٣، ١٩٩٨.

٣- النبوغ المغربي ص ٤٨.



الأدب العربي بلا منازع حيث أن فطاحل ادبائها هاجروا الى اطرافها، واصبح أدبهم ينتسب الى تلك الاطراف، وأنها منشأ الأدب الاول، وأما عن عامل الظروف، فأنت ترى المشرق العربي بكل أصقاعه، ماذا حدث للأدب فيه خاصة في فترة ما يسمّى بعهد الانحطاط بعد سقوط الدولة العباسية، وما آل اليه أمر العرب والمسلمين من الضعف والانحطاط والتفرق وأخذ الفتن والحروب فيهم مأخذها، وبذا لا يمكن أن يعتبر مجيء الأدب العربي في المغرب متأخر تاريخياً عيباً على المغرب، وكما قال ذلك محمد بن تاويت «وهنا يجب أن تكون اشارة الى أن هذا ليس عيباً»^١.

تقدم الادب المغربي وازدهاره

من أوضح الأدلة على ما ندّعيه للادب العربي المغربي، هو كثرة الادباء من شعراء وناثرين، حيث يمكننا القول بخصوص شعراء المغرب وكتّابه بأنه لا يتمكّن من احصائهم على كثرتهم، ومن بينهم تلك الاسماء الساطعة في سماء الأدب العربي أمثال ابن هانيء وأبي القاسم الفزاري، وابن رشيق، وابن شرف، وتميم الفاطمي، وأبي العباس الجراوي، والقاضي النعمان، والشريف الغرناطي، وابن خلدون، وابن بطوطة، وابن الأبار القضاعي، والادريسي، وابن حبّوس، وغيرهم الكثير وبرغم كل ما حصل من دراسات للادب المغربي إلا أن الباحثين يعتبرون هذه الدراسات غير موفية بالغرض قياساً الى سعة ذلك الأدب وموقعيته في الأدب العربي. وهذا الدكتور بشير خلدون ينبّه الى هذه المسألة المهمة قائلاً «لقد ظل الأدب العربي في بلاد المغرب وما يزال في حاجة مهمة الى البحث والأداسة، وما كتب عنه حتى الآن يمثل جهداً اولياً لمجموعة من الباحثين والدارسين، ولا يعطي صورة واضحة عن واقع الحركة الادبية والفكرية في هذه الرقعة»^٢.

وحتى عدم الاستقرار السياسي في المغرب العربي الذي أدّى بالنتيجة الى تأخر المغرب

١- الوافي بالادب العربي ج ١ ص ١٠.

٢- الحركة النقدية ص ٥.

في سلسلة الانتاج العربي، فإنه عندما زال عن تلك البلاد وأصبحت المغرب تشتمل على دول قوية، ضمّ بعضها كلّ المغرب كالدولة الفاطمية، وبعضها أضاف الى سلطانه القوي الأندلس كدولة المرابطين ودولة الموحيدين فقد انعكست النتيجة على الحياة الثقافية هناك، وأعطت أكلها يانعاً كما يذكر ذلك الغنيمي، اذ يقول «وقد ازدهرت الثقافة العربية الاسلامية في بلاد المغرب ازدهارا يكاد يصلها مع ازدهار الثقافة العربية الاسلامية في بلاد المشرق، وقد كان ذلك الازدهار يستمدّ وجوده من عدّة عناصر هامة منها الاستقرار السياسي والاقتصادي الذي شهدته البلاد في فتراتهما التاريخية»^١.

وقد بالغ بعضهم في مدح الإنتاج المغربي واعتبروه في بعض انواعه الادبية لا يساميه انتاج آخر في كلّ ارجاء بلاد العروبة، والأهم في هذه المبالغة، أنها كانت في شعر الاطلال الذي كان السمة البارزة للشعر العربي في مهد نشوئه وأرقى عصوره، وذلك هو العصر الجاهلي، فهذا المستشرق غومس يدّعي مبالغاً في مدح شعر الاطلال في المغرب بأنه لا يجاريه أي شعر في هذا الغرض، وفي أي صقع من أصقاع العروبة مدّعياً (أن الغرب وحده عرف كيف يبدع شعراً حول الاطلال)^٢، وهذا اعتراف كبير، وشهادة خطيرة لمنزلة الأدب العربي في المغرب.

ومن السمات البارزة على غو الحالة الادبية في الشمال الإفريقي، ما كان للمرأة من دور كبير في المجال الادبي والفكري، اذ انه من المعلوم وفي مجتمع محافظ كالمجتمع المغربي يجب أن يكون مستوى العلم والأدب والمعرفة مرتفعاً الى حالة عليا جارفة، حتى يسمح للمرأة بأن تخوض غمار الادب، ويكون لها الاضطلاع فيه أمثال ام هانيء، وزينب، وحفصة الركونية، حيث تقول الدكتورة خلف الله «وكان لانتعاش الحياة الادبية المغربية عموماً أثر كبير في اشتغال المرأة المغربية في العلم والمعرفة، ومن أمثلة ذلك ام هانيء بنت القاضي بن عطية التي درست على ولدها، وكان لها تواليف في الوعظ والارشاد، وزينب ابنة يوسف بن عبدالمؤمن - على الاصح -

١- موسوعة المغرب العربي ص ٢١٣.

٢- غومس أميلو غورسيه: مع شراء الأندلس والمتنبي ص ٨٥، نقله الى العربية الطاهر أحمد مكّي، مكتبة وهبة، القاهرة



وحفصة الركونية كانت استاذة نساء المنصور الموحيدي^١، والامر المهم في هذا النص هو أن الدكتورة خلف الله اعتبرت انتعاش الأدب هو السبب والباعث في ولوج المرأة أبواب العلم والفكر، وهذه شهادة على تقدم الأدب وازدهاره في الوسط المغربي، ولفترات غير قصيرة. والاخرى من النساء اللاتي كان لهن باع في العلم بفضل نشوة الأجواء الأدبية، ام عمر بنت أبي مروان بن زهرة طيبة دار المنصور، وابنتها كانت عالمة في صناعة الطب والولادة، وورقاء بنت يتنان الفاسية الادبية الشاعرة، وام العزيز السبتية التي كان لها شعر رائع، وام العز العبدرية، وكانت مجودة، روت عن ابياها صحيح البخاري^٢.

ويكفينا دليلاً قاطعاً على تقدم الأدب المغربي وازدهاره، ووجوده اثر تلك الموقعية التي فرضها لنفسه بين اوساط الأدب العربي المشرقية والاندرلسية، آخذا بيد الباحثين وبقوة لتتبع آثاره، واستقصاء اخباره، وجمعه وتدوينه، ودراسته والاعتناء به، وبالرغم من كل الضياع الذي لحق به، والحيف الذي جار عليه، ومع كل ذلك فان الذي سجله معظم النقاد والباحثين بأن الأدب المغربي لا يرقى الى ما كان عليه الأدب العربي في المشرق والأندلس إلا بعضاً منه مما ينتسب الى الوجوه المغربية كابن هانيء وامثاله.

المغاربة واختراع بعض الأعارض

البيئة المغربية بيئة خشنة ملتزمة بكل ما هو تقليدي وقديم، شأنها في ذلك شأن المشرق، وهذه الخشونة وذلك الالتزام جعلها لا تسمح بالقفز على معايير الآباء خاصة في الشعر، كما حدث ذلك من قبل الذين تخلصوا من موروث تلك المعايير لسبب أو لآخر، ولكن مع كل الخشونة المغربية وشدة تمسكها بالمورث فقد أثر عليها الجوار الأندلسي من جانب، ومن جانب آخر لربما أرادت أن تثبت وبالدليل كونها قادرة على الاختراع والابداع، وقد كان

١- العلاقات بين الخلافة الموحدية.

٢- انظر عن هذه الاسماء التي مرت من النساء الادبيات والعالمات في المغرب: ابن الخطيب لسان الدين: الاحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق، محمد عبدالله عتّان، دار المعارف بمصر ط ١، ١٩٥٥، المقري التلمساني: نفح الطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ج ٤ ص ١٧١ - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت.

ذلك عندما نزع اليها من أرض الأندلس مجموعة من الوشاحين فجاءهم المغاربة في النظم على طريقة الموشح، بل وأزادوا في ذلك بأن ابتدعوا هيكلية جديدة نظموا عليها شعرا، وقد سادت طريقتهم تلك لمدة غير قصيرة في ربوعهم المغربية وقد ذكر ذلك حنا الفاخوري في موجزه قائلا «وقد توافد على المغرب في هذا العهد - العهد الموحيدي - عدد من الوشاحين الاندلسيين، إذ كان هذا الفن محبوباً عند ملوك الموحيدين، واتصلوا بالشعراء المغاربة الذين نهجوا نهجهم وعالجوا فن التوشيح، والحقوه بالزجل، واستنبطوا نوعاً آخر من الشعر ذكره ابن خلدون في المقدمة، حين قال: ثم استحدث أهل الامصار في المغرب فناً آخر من الشعر في اعاريض مزدوجة كالـموشح، نظموا فيه بلغتهم الحضرية وسمّوه «عروض البلد» وكان أول من استخدمه فيهم رجل من أهل الأندلس نزل بفاس يعرف بأبن عمير، فنظم قطعة على طريقة الموشح لم يخرج فيها عن مذاهب الاعراب الا قليلاً فاستحسنه أهل فاس، وولعوا فيه، ونظموا على طريقته، وتركوا الاعراب الذي ليس من شأنهم وكثر سماعه بينهم واستفحل فيه كثير منهم...»^١.

ومما يذكر بأن الزجل قد عرفته البلاد المغربية ونظمت فيه حالها حال بلاد العروبة الاخرى، وقد اكدت ذلك الدكتورة خلف الله حين قالت «ومن أهم ما ظهر في حياة الأدب المغربي فن الزجل، أو ما يعرف فن الملحون ويشتمل على الاغراض الشعرية، والحرب، والوصف، والمدح، ومن أشهر الزجالين الزجال المغربي ابن غزالة، الذي ينظم الموشح والترنم فيلحن في الموشح ويعرب في الزجل»^٢.

الادب المغربي ودوره في الصراعات السياسية

ذكرنا في أول هذا البحث بأن العرب المسلمين عندما تفرقوا على الاقطار المجاورة لمركز الجزيرة العربية مكان نشوء الاسلام الاول، وعهد أدبه الرئيس، ذهبوا اليها وهم معبؤون بكل

١- الموجز في الادب العربي وتاريخه م ٣ ص ٣٥٢.

٢- العلاقات بين الخلافة الموحدية ص ٣٨٢.



ما يعجّ به مركز الاسلام، والعروبة الاول من تقاليد وعادات وعلوم وآداب وعقائد وصراعات سياسية وعقائدية.

ومما لا شك فيه فإن الأدب، بشقيه النثر والشعر، قد أخذ دورا حاسما في الصراعات السياسية التي تعج بها الساحة العربية الاسلامية في المشرق، وأن أولئك العرب الذين قدموا إلى الشمال الإفريقي قد حملوا معهم تلك السنة السياسية الادبية المشرقية إلى هناك، بل ويمكننا أن نقول أن هذه السنة قد نمت في المغرب، وكادت تضاهي وجودها في المشرق من حيث الاهتمام والسعة، وذلك لأن جميع المذاهب الاسلامية والصراعات السياسية والعقائدية التي كانت في المشرق اصبح لها تمثيل واسع في الشمال الإفريقي.

وقد كان لوجود الأدب المغربي وتدخله في الصراعات السياسية هناك مردودان؛ الاول على ذلك الأدب نفسه في تدعيمه، وتقوية جانبه، وتوسعته، والثاني على ذات الصراعات السياسية من حيث تقوية بعضها، وتضعيف البعض الآخر. مضافاً الى هذا كله، فإن تدخل الأدب في الصراعات السياسية في الشمال الإفريقي كتب لذكرياتها البقاء والخلود لما تناقلت الناس ذلك الأدب بالرواية والدرس والتدوين.

ومن الباحثين الذين أكدوا وجود الأدب في ساحة الصراعات السياسية المغربية محمد بن تاويت، حين يقول «رأينا فيما تقدم أن الشعر المغربي تدخل في الحوادث والصراعات السياسية، والصراعات العقائدية، ومعنى هذا الجو أن المغربي كان قابلاً للاستفادة من هذه الصرخات أو الدعايات الشعرية، وأن الدول والافراد استعملت هذا السلاح، كما كان يستعمل تماما عند العرب انفسهم في جاهليتهم واسلامهم، وهي ظاهرة يستبشر بها، ولا شك أنها كانت قد أدّت اهدافها وتراءت ابعادها»^١.

وأنت تجد هذا التأكيد من قبل جلّ الباحثين في التاريخ والأدب المغربي ومنهم - كذلك - الدكتور ابراهيم الدسوقي جاد الرب الذي جعل للشعر السياسي منزلة مهمة عندما تكلم عن

الشعر المغربي حتى خلافة المعز.^١

لقد اكّدنا على الشعر وتدخله في الصراعات السياسية والعقائدية، ولربما قد يتبادر الى الذهن بأن النثر لا دور له في ذلك، ولكن يمكننا القول بأن وجود النثر في ميدان الصراعات السياسية والعقائدية المغربية لا يقلّ شأنًا عن قرينه الشعر، ولا أدل على ذلك من مؤلفات محمد بن تومرت ومؤلفات القاضي النعمان أبي حنيفة وغيرها. وقد جمعت لنا المصادر ايضاً نصوصاً نظرية لمغاربة كتبها اصحابها بخصوص تلك الصراعات، التي دارت رحاها في المغرب بين الاطراف المتصارعة هناك مؤيدة لهذا الطرف أو متهكّمة هاجمة على ذاك.

خصائص وميزات الادب المغربي

نرى أن الخوض في خصائص الأدب المغربي امر شائك ومهم في نفس الوقت، وانه يحتاج الى زيادة في البحث والتفصيل، وذلك لان الأدب المغربي له تداخل واشترك في الخصائص مع المشرق من جهة ومع الأندلس من جهة اخرى، ومع كليهما من جهة ثالثة «أي أن الثلاثة يشتركون في خصائص واحدة في احيان كثيرة». ومن جهة رابعة فان الأدب المغربي، له خصائص انفرد بها، ولم يشترك فيها معه أي من الاداب المشرقية أو الاندلسية. هذا ويمكننا الجزم بأنه لا يمكن دراسة الأدب الشيعي في المغرب من دون التعرف على بعض خصائص الأدب المغربي بعنوانه العام، لانه جزء منه ولانه نشأ وترعرع بين ظهرائه، فلا بد وانه يشترك معه في بعض تلك الخصائص أو انه تأثر ببعض منها، مع ايماننا العميق بأن الأدب الشيعي المغربي له ميزاته الخاصة التي انفرد بها لنفسه ليس فقط عن الأدب المغربي بعنوانه العام، بل حتى عن الأدب الشيعي المشرقي الذي يلتقي معه في قاسم مشترك واحد.

وما يمكن أن نسجله من خصائص للأدب المغربي، هو أنه لم تكن الاداب المغربية صورةً طبق الاصل للاداب الاندلسية، كما يظنه البعض، بل كانت قائمة بنفسها، تعبّر عن شعورها

١- انظر شعر المغرب حتى خلافة المعز.



ولا تتأثر بالاندلس، إلا كما تتأثر بالشام والعراق^١، وبهذا تكون الخلاصة، هو أن الأدب المغربي غير الأدب الأندلسي^٢. ومن أهم ما تميز به المغاربة عن الأندلسيين أنهم لم يكونوا قد استغرقوا في الحضارة والمدنية، وانغمسوا في الرفاهية، كما كان ذلك حال الاندلسيين، فكانت تغلب عليهم رقة الطبع، ودقة التصوير، بل كانوا لا يزالون أقوياء النفوس، والطباع كما كان الشأن في شعراء المشرق، الذين نظرنا بهم وهم عرب أقحاح، تنقلوا في البادية، واعتادوا على خشونتها، فغلبت عليهم متانة الأسلوب، وجزالة اللفظ^٣. ويمكن أن نخلص إلى القول عن الأدب المغربي بأن «تجري الفصاحة والصدق، وطرح التصنع والابتذال كانت وما زالت من أهم ميزات الأدباء المغاربة، وهم لذلك أقرب ما يكون من طريقة العرب وشعراء العصور الأولى من عصور الأدب العربي»^٤، ولكن مع كل ما يسجل عن أدب المغاربة من شبهة للادب في العصر الأولى، إلا أنه يمتاز بجمال الالفاظ واناقتها، وعدم الغوص على المعاني وتجنب العمق في الأفكار^٥، وكذلك تمرده على الاوزان الخليلية - في بعض الاحيان - وانتشار الزجل بين ربوعه، وذبوع الحمريات بين اشعاره^٦، وهذا من التأثيرات الاندلسية على الأدب المغربي، ومن خصائص الأدب المغربي، ايضا أن اشعاره تجنبت الغزل بالمذكر، وذلك لأن حكام المغرب كانت تغلب عليهم صبغة الالتزام الديني، وبذلك منعوا بل وعاقبوا الشعراء الذين نظموا في هذا الغرض كما فعل عبدالمؤمن بن علي الموحيدي، وقد كان المرابطون أقسى منه في معاملة هؤلاء الشذاذ^٧.

١- النبوغ المغربي ج ١ ص ١٧٣.

٢- نفس المصدر ص ١٧٤.

٣- نفس المصدر.

٤- نفس المصدر ص ١٧٥.

٥- انظر: عصر القيروان ص ٦٠ - ٦١.

٦- انظر: الوافي بالأدب العربي ج ٢ ص ٤٠٦.

٧- نفس المصدر.

الفصل الثاني

الأدب الشيعي وموقعه الريادي في الشمال الإفريقي

- التشيع رائد الأدب العربي في المغرب
- مراكز التشيع في الشمال الإفريقي ودورها الثقافي
- مدينة فاس
- فاس فاتحة الأدب العربي والشيعي في المغرب
- جامع القرويين من مراكز التشيع الثقافية
- المهدية
- الجامع الأزهر الشريف
- مراكز التشيع الثقافية الأخرى في الشمال الإفريقي



التشيع رائد الادب العربي فى المغرب

لا ترانا نجانب الحقيقة إن قلنا بأن أول انتاج للأدب العربي في الشمال الإفريقي، كان على السنة الشيعة - وهو بيت قصيدنا وغاية من غايات بحثنا - وهذه مفخرة أخرى تضاف الى المفاخر التي يمتاز بها ادباء الشيعة، وفضيلة تضاف الى فضائل تاريخ الأدب الشيعي، وذلك أنه الفاتح الاول لباب أدب غني ترّ هو الأدب المغربي الذي أصبح فيما بعد جزءا مهما، وشعبة لا يستهان بها من شعب الأدب العربي.

وكون الأدب الشيعي هو التاج الأول للأدب العربي في المغرب، أو كون أدباء التشيع هم أول من قالوا أدبا عربيا مغربيا، قد صرح به أكابر الباحثين المغاربة، ممن ليس لهم علاقة بالشيعة، الآخدمة للموضوعية واعطاء كلّ ذى حقّ حقه. والذي أكد بأن الأدب الشيعي هو فاتحة الأدب العربي في المغرب، مع كون الأدب العربي هناك، ولد متأخرا هو محمد بن تاووت، حيث يقول «لهذا كله فقد تأخر الأدب العربي، فكانت أول بادرة له في هذه البلاد أوائل القرن الثالث أو أواخر الثاني، ان تحقق ما نسب للمولى ادريس الاصغر، أما الخطبة المنسوبة لطارق فكاد نجزم بكونها غير صادرة عنه، وهو من مغاربة جيله المبكر، وشاهد الانتحال فيها



اختلاف نصّها كما في الإمامة والسياسة، وعدم ذكرها بتاتا، كما في الاكتفاء لابن الكردبوس^١.
والمقصود بإدريس الأصغر هو إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو ثاني حكام الدولة الإدريسية الشيعية هذا أولا، وثانيا لا نريد الخوض في إبطال الخطبة المنسوبة لطارق بن زياد حيث أن ابن تاويت قد كفانا المؤنة، وتجنبنا للاطالة التي لا تعني صلب الموضوع في بحثنا.

ولربما يعترض على ما ذهبنا إليه في أن الشيعة ليس هم رواد الأدب العربي في المغرب في أبيات الرجز، التي قالها رجل من الأنصار، عندما وقعت له ابنة جرجير، بعد أن قُتل أبوها من قبل جيش المسلمين في غزوة العبادلة :

يا ابنة جرجير تمشي عقتك
ان عليك بالحجاز ربك
لتحملن من قباء قربتك^٢

فلا يمكن أن يصغى الى مثل هذا الاعتراض، وذلك لأن الانصاري هذا لا يمكن ان يحتسب على المغاربة، وانه كان كعابر سبيل في المغرب عاد الى مشرقه بعد انتهاء معركة الفتح الاولى، كما يفهم ذلك من هذه الابيات، وعندها لم يصغى الى المعترض بمثل هذه الابيات.

ونحن هنا لا ننفي ما بذلت من جهود من قبل غير المتشيعين في نشر العربية وترسيخها في ربوع المغرب العربي كما حدث ذلك على يد حسان بن النعمان الغساني، أحد ولاة افريقية من قبل عبد الملك بن مروان^٣، وكذلك لا تتغافل عن الجهود التي أنجزت من قبل عمر بن عبدالعزيز بارساله عشرة من الفقهاء لتعليم الناس القرآن والدين والعربية^٤، ولا نغف حق موسى بن نصير^٥ في نفس هذا السياق والغرض.

وبهذا يكون الأدب الشيعي هو رائد الأدب المغربي وعندها يصح ذلك الذي أطلقه

١- نفس المصدر ج ١ ص ١٠.

٢- الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٣٧.

٣- النبوغ المغربي ص ٤٩.

٤- نفس المصدر.

٥- نفس المصدر.



محمد بن تاويت على احد العصور المغربية من اسم حيث يسميه «العصر العلوي» وهو العصر الاول.^١

مراكز التشيع في الشمال الإفريقي ودورها الثقافي

لقد سعى الشيعة المغاربة، الى أن تكون لهم مدن ومؤسسات، تعنى بنشر الثقافة الاسلامية والعربية، وخاصة الشيعية منها، شأنهم في ذلك شأن كل الحركات السياسية والعقائدية. وقد كانت تلك المراكز والمؤسسات -بحق- مراكز للاشعاع الثقافي والادبي، والبعض منها قائم بهذا الدور حتى أيامنا المعاصرة، وسنحاول جاهدين ذكر أبرز مراكز التشيع الثقافية في المغرب العربي في الفترة التي نغنى بدراسة أدها، وكذلك ذكر الأدوار الثقافية التي مارسها، ومن أهم هذه المراكز:

١- مدينة فاس

مما لا خلاف فيه بأن واضعي الحجر الأساس لمدينة فاس هم الأدارسة، ولكن المؤرخين اختلفوا في الشخصية الادريسية التي بنت فاس، وعلى كل فإن مؤسسها هم الشيعة^٢، وكان الاختلاف، هل أن باني فاس ادريس الاول، أو ابنه ادريس الثاني؟ ومن الذين يتبنون الرأي القائل بأن مؤسس مدينة فاس ادريس الاول، صاحب دائرة المعارف الشيعية، حيث يقول عندما يشير الى مبايعة البربر له، واستجابتهم لدعوته «وعمد ادريس الى بناء عاصمة جديدة لدولته فاس فاس مدينة فاس سنة ١٧٢هـ»^٣، ومن المناصرين لصاحب دائرة المعارف الشيعية في رأيه هذا ليفي بروفنسال^٤، وقد اعتبر صاحب تاريخ المغرب الكبير رأي بروفنسال هذا الرأي الاقوى، وأورد مجمل الآراء فيمن هو المؤسس لمدينة فاس، أهو ادريس الأب

١- الوافي بالادب العربي ج ١ ص ٣٧.

٢- دائرة المعارف الشيعية م ٣ ص ٢٥٤.

٣- نفس المصدر

٤- ينقل هذا الرأي عن ليفي بروفنسال صاحب «تاريخ المغرب الكبير» ص ٤٨٧.



أو ادريس الابن؟^١ وكذلك ممن يذهبون الى أن ادريس الاول هو المؤسس لمدينة فاس صاحب موسوعة المغرب العربي فيقول في معرض كلامه عن ادريس الاول «وقد أدّى ازدهار الوفود في العاصمة ويلي الى دفع الامام ادريس للبحث عن مكان جديد ليكون عاصمة جديدة فكان اختيار مدينة فاس، حيث شملت عدوة القرويين، وعدوة الاندلسيين».^٢

فيما يذهب عدد آخر من الباحثين الى أن بناء مدينة فاس تتم على يد ادريس الثاني، ومنهم الدكتور سعد زغلول عبد الحميد، حين يقول «في هذه الظروف أعلن الأمام ادريس الأصغر في سنة ١٩٠هـ عزمه على الانتقال من ويلي، واتخاذ مدينة يسكنها هو وخاصته، ووجوه أهل دولته».^٣ والقائلون بأن ادريس الثاني هو الباني لمدينة فاس يستدلون بقول أحد الشعراء بما يخص مدينة فاس:

من نازل آل الله آل رسوله فأحب بهم أهلاً وأحب بهم مغني
مدينة ادريس بن ادريس التي بها قبره ثاوٍ ومنبره مبني^٤
هذا، وقد ألف أبو الحسن علي الجزنائي كتاباً أسماه «جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس» نشره الفريد بل، وقد طبع في الجزائر سنة ١٩٢٢ جمع فيه كل الآراء التي نقلت عن بناء مدينة فاس، ونحن هنا لا يهمنا من يكون الباني لفاس أهو ادريس الاول أو ادريس الثاني، بقدر ما أردنا أن نسرد بعض الآراء، بغية الإشارة الى الأهمية التي أخذتها مدينة فاس حتى في هذا المجال، والذي يهمنا هو أن بناءها تم بيد الشيعة لا غير.

وأما عن أهمية فاس في مجال العلم والأدب والثقافة، فقد راح المؤلفون تيهاً - عند ذكرها والمرور عليها - وتوصيف منزلتها العلمية والثقافية والأدبية، حتى أن صاحب المعجب يقول

١- تاريخ المغرب الكبير ج ٢ ص ٤٨٧.

٢- موسوعة المغرب العربي ج ١ ص ٣٨٦.

٣- تاريخ المغرب العربي ج ٢ ص ٤٤٤.

٤- جنى زهرة الآس ص ٢٨، الدر النفيس باب ٣ فصل ٣٥.



بشأنها (وما زلت أسمع المشايخ يدعونها بغداد المغرب)^١، حيث أن بغداد في حينها كانت عاصمة الدنيا ومقصد العلماء والادباء والمثقفين.

وقد اعتبر الغنيمي بناء مدينة فاس عهداً جديداً في تاريخ الثقافة العربية والإسلامية في المغرب الأقصى وغرب إفريقيا، حيث يقول «كان بناء عاصمة جديدة هي فاس من دلائل توحيد البلاد، حيث أن تأسيس مدينة فاس كان فاتحة عهد جديد في تاريخ الثقافة العربية والإسلامية في المغرب الأقصى وغرب إفريقيا، فقد أصبحت هذه المدينة مثابة للعلم، فيقصدوها العلماء»^٢، ويقول أيضاً عن فضل مدينة فاس ومنزلتها الثقافية «كما أن مدينة فاس العاصمة ظهرت ظهوراً ثقافياً واضحاً، وأصبحت هي والقيروان تمثلان نموذجاً للمدارس الإسلامية في المغرب»^٣، وهذا كلام يعطي لفاس أهمية ثقافية قصوى حيث يعتبرها مدرسة من مدارس ذلك الزمان.

ويذهب محمد بن تاويت إلى إعطائها لقب أم البلاد، والعاصمة الكبرى، وحاملة راية العلوم العربية، بقوله «وأخيراً نتصل بأم البلاد والعاصمة الكبرى التي حملت راية العربية وعلومها أزيد من ألف سنة لم تضعها من يدها، ولم تن في حملها، مهما اشتدت الكوارث الطبيعية عليها، إنها عاصمة إدريس؛ فاس العريقة في القدم، والجامعة لجاليتين عربيتين نزحت أحدهما إليها من الأندلس، والأخرى من القيروان، فكانت العدوتان عدوة الأندلس، وعدوة القرويين»^٤.

ولا نستغرب من هذا الإطار الضخم، الذي أفاضه هؤلاء الباحثون، وغيرهم على أحد المراكز الشيعية الثقافية، وذلك لكون تلك المراكز وكما يشهد جلُّ الباحثين والمحققين كانت منارات للثقافة ومنهلاً للعلم، وموتلاً للآداب في الشمال الإفريقي. وقد ذكر هذا الأمر بشكل صريح صاحب موسوعة المغرب العربي عندما أورد ذكر مدينة فاس، وأردفها بمدن شيعية أخرى

١- المعجب ص ٣٥٨.

٢- موسوعة المغرب العربي ج ١ ص ٣١٤.

٣- نفس المصدر ص ٣٠٧.

٤- الوافي بالآداب العربي ج ١ ص ١٣.



هي اصيلا، وطنجة، وسبتة في زمن الأدارسة، حيث يقول «فانتشرت الثقافة في جو هادئ وسادت اللغة العربية في أمن وسلام، وكلما ازداد نشاطها وهبت مزيدا من العلم والفكر والثقافة، وهكذا ازدهرت تلك القلاع والمنارات العلمية، ونجحت في اداء دورها في عهد الأدارسة»^١.

وكان آخر من حكم فاس من الأدارسة الحسن الحجام، وبزوال دعوته زالت دولتهم التي اسسها جدهم ادريس الاول^٢، ولم ينته الدور الثقافي والعلمي والادبي الذي أخذته مدينة فاس على عاتقها بنهاية دولة الأدارسة والمؤسسين لها، ولكنها بقيت من بعدهم تحمل الراية، وكأنها قد أخذت على نفسها أن تديم المشوار الذي بدأته في عهد المؤسسين، حتى كادت تفوق عهدها الأول عطاءً وفعالية، كما يذكر ذلك لها صاحب تاريخ المغرب الكبير «وانتهت مدينة فاس في أيام المرابطين والموحدين من بعدهم من الغبطة، والرفاهية، والدعة، والأمن، والعافية، ما لم تبلغه مدينة من مدن المغرب، لا سيما في زمن المنصور الموحدي وولده محمد الناصر، وكانت المساجد فيها سبعمائة وخمسة وثمانين، ودور الضوء اثنتين واربعين، والسقايات ثمانين، والحمامات ثلاثة وتسعين، وأحجار عمل الكاغيد اربعمائة»^٣.

٢- فاس فاتحة الادب العربي والشييعي في المغرب

مادمنا نبحت عن أدب التشيع في المغرب العربي، لنا أن نقول بأن هذا المعلم الشييعي قد ترك لنا الكثير من الأدب الشييعي سواء ما أنتجه الادباء الشيعة شعرا ونثرا، وفي مختلف الاغراض بين ظهراني تلك المدينة، وسواء ما قاله الادباء في تمجيد وتحليل هذه المدينة ومعالمها. وأما بخصوص ما وصلنا من أدب ينسب للمتشييعين الفاسيين فسنذكره تباعاً حسب فقرات البحث وتسلسل مواضيعها، ولكن الشيء الاهم هو الرأي القائل بأن أول أدب عربي

١- موسوعة المغرب العربي ج ١ ص ٣٠٨.

٢- دولة الادارسة في المغرب ق ٢ ص ٢٨.

٣- تاريخ المغرب الكبير ج ٢ ص ٥٢٣، نقلا عن جنا زهرة الآس ص ٣٣.



في المغرب الأقصى قد قيل في مدينة فاس، فكانت انطلاقته الاولى منها، وهذا ما يذهب اليه الأستاذ محمد بن تاويت بعد أن يورد الأدلة على عدم صحة ما ينسب لطارق بن زياد من خطبة، معتبرا البداية للأدب العربي هناك بخطبة ادريس الثاني، أو بما ينسب من شعر لادريس الأول:

أليس أبونا هاشم شدّ أزره وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
فلسنا نملّ الحرب حتى تملنا ولا نشتكي ما يعول من النكب^١

وعلى هذا تكون فاس أول بلد في الشمال الإفريقي قيل فيه الأدب الشيعي ايضا.
وأما بواكير النثر الذي كان في فاس أو على محاذة قريبة جدا منها، فهو ما نقلته لنا كتب

١- هذان البيتان تتعلّق بهما جملة من الملاحظات، وهي: ان الشطر الثاني من البيت الثاني جاء كما أوردناه، وهذه رواية ابن الأبار في الحلة السيرة ص ٣٩٥ في النسخة التي حققها عبدالله انيس الطباع، وابن الأبار في روايته ينسبهما الى ادرس الاول، وأما الآخرون ممن أوردوا هذين البيتين فانهم يروون الشطر الثاني من البيت الثاني «ولا نشتكي مما يؤول الى النصب» وهم السلاوي في الاستقصا ج ١ ص ١٦٩، والجزنائي في جنى زهرة الآس ص ١٧، والجزنائي يورد كلمة النكب بدلاً من كلمة النصب، وسعدون عباس نصر الله في دولة الادارسة في المغرب القسم الاول ص ١٠٢ - ١٠٣، وهؤلاء جميعا ينسبون الابيات الى ادريس الثاني ويوردون ذكر القصة الآتية في سبب قوله هذين البيتين، وهي:

أن داود اسحاق بن القاسم بن عبدالله بن جعفر بن ابي طالب قال: شهدت مع ادريس بن ادريس بعض غزواته للخوارج الصفرية من البربر فلقيناهم وهم ثلاثة اضعافنا، فلما تقابل الجمعان نزل ادريس فتوفاً وصلى ركعتين ودعا الله تعالى، ثم ركب فرسه، وقدم للقتال، فقاتلناهم قتالاً شديداً، فكان ادريس يضرب في هذا الجانب مرة ثم يكرّ الى الجانب الثاني..... فطفقت انظر اليه واديم النظر، واديم الالتفات نحوه..... فاعجبني ما رأيت منه من شجاعة وقوة جأشه، فالتفت نحوي، وقال لي: يا داود ما لي أراك تديم النظر اليّ؟ قلت: أيها الامام أنه اعجبني منك فعال لم أرها في غيرك. قال: وما هي يا داود؟ قلت أولها: ما أراه من حسنك وجمالك وشبابك، وثبات عقلك، ومن طلاقة وجهك، وما خصصت به من البشر عند لقاء عدوك. قال: ذلك من بركة جدنا رسول (ص) ودعائه لنا وصلاته علينا، ورائة عن أبينا علي بن ابي طالب (ع). قلت: أيها الامير أنا اتعجب من كثرة تغلبك على سرجك، وقلة قرارك في موضعك. قال: ذلك في زعم الى القتال، وحزم وصرامة وهو احسن العرب، فلا تظنّه رعباً وأنشأ يقول:

أليس أبونا هاشم شدّ أزره..... البيتان.

ومنهم من نسب هذين البيتين الى ابي طالب والد الامام علي بن ابي طالب (ع) وأن احد الادريسين استشهد بهما. ومهما يكن من أمر هذين فأتهما من اوائل الشعر العربي الشيعي الذي قيل في ربوع الشمال الإفريقي، والفاسيون هم الذين قالوهما أو استشهدوا بهما.

هذا، وعلى فرض صحة رواية ابن الأبار للبيتين فان عجز البيت الثاني يحتمل أن يكون «ولا نشتكي ما قد يعول من النكب» باضافة قد لتلا يخل الوزن.



التاريخ من خطبة ادريس الاول التي ألهاها بعد أن بايعه الاوائل من البربر. والتي قال فيها بعد البسملة والحمد لله والصلاة على النبي وآله «أيها الناس لا تمدّوا الأعناق الى غيرنا، فان الذي تجددونه عندنا من الحق لا تجددونه عند غيرنا».^١ وأنت ترى هذه الخطبة على ايجازها تحمل الاهداف الكبرى التي حملها أهل البيت، وهي حقّهم الشرعي في الخلافة» وأنها لاتصلح الآلهم.

ولو لم يكن فضل لفاس على الأدب العربي، والأدب الشيعي الآ ما قيل بشأنها، وشأن معالمها من شعر، لكفاها فضلاً مستطيلاً، ولكان لنا دليلاً ساطعاً على الاهمية الادبية لهذا المركز المهم من مراكز التشيع الادبية، ويمكننا القول جازمين بأن الشعر الذي في هذا الغرض يمكن أن يكون سفرأ ادبياً ثميناً لو جمع ودرس، ولا نرى بداً هنا من ذكر بعض من غرر الشعر الذي قيل بشأن فاس ومعالمها، ومن ذلك البيتان الذي سبق ذكرهما:

منازل آل الله آل رسوله... بيتان

وقول آخر:

لما اختارت نجل الرسول محمد^٢

أيا فاس حيّ الله ارضا من ثرى

وقول الشاعر:

قلْبُ اذا نامت العينان لم ينم

ادريس نام بفاس كالعروس له

كاللث حلّ مع الأشبال في أجم

أحلّ بارئه في حزم حرّمته

ردّ الغيور يد الجاني عن الحرم^٣

يردّ عنهم يد المؤذي بصولته

وقال أبو الفضل النحوي في مدح فاس:

والساكنون اهنهم لقد رزقوا

يا فاس منك الحزن مسترق

وماؤك السليل الصافي أم ورق

هذا نسيمك أم راح لراحتنا

١- الاستقصا ج ١ ص ٥٥.

٢- ابن العماد الحنبلي عبدالحى بن احمد بن محمد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ص ٢ - أشرف على تحقيقه وأخرج احاديثه، عبدالقادر الأرنؤوط، حققه وعلّق عليه محمود الأرنؤوط - دار ابن كثير دمشق، بيروت ط ١، ١٩٨٦.

٣- الانصاف في تاريخ الاشراف ص ٩١.

أرضٌ تخللها الانهار داخلها حتى المجالس والاسواق والطرق^١

وقال آخر يمدح فاس، ويمدح مؤسسها ادريس الثاني:

تسود على بلاد الله فاس	وحق لها بما خصت تسود
كفاها أن أقام بها ملك	عظيم القدر ليس له عنيد
أليس لها على البلدان فضل	فتأتيها الركائب والوفود
أليس لها مجابي الارض تجبي	وعنها لا تميل ولا تحيد
أليس ترى عباد الله طراً	وكلهم لمالكها عبيد ^٢

وكذلك قال أبو عبد الله المعيني متشوقاً الى فاس وواصفاً لها:

يا فاس حيّا الله ارضك من ثرى	وسقاك من صوب الغمام المسبل
يا جنة الدنيا التي اربت على	حمص لمنظرها البهي الاجمل
غرف على غرف ويجري تحتها	ماء ألدّ من الرحيق السلسل
وبجامع القروي اشرف ذكر	بجد أول كالأديم أو كالفيصل ^٣

وهناك في فاس سيف ينسب لادريس بن ادريس قد وضعوه في منارة مسجدتها الجامع، بعد أن عثروا عليه اعتزازاً من أهلها بهذا التراث العظيم، وتيمناً بهذا الأثر من آل البيت عليهم السلام، وقد جرت للشعراء مساجلات في شأن هذا السيف، فمنهم من يثني على وجوده، ويستحسن وضعه في تلك المنارة، ويعتبر أن يمينه دفع الضرر والشر عن فاس، وهؤلاء طبعاً ممن كانوا يحملون ميول الحب والولاء لأهل البيت عليهم السلام، حتى لو لم يكونوا شيعة بالمعنى المعروف، ومنهم - الشعراء - من حمل على هذا السيف وأزرى بالفاسيين لاعتزازهم به، معتبراً ذلك نذير شؤم وشر. ومن الواضح بأن هذا الصنف الأخير من الشعراء ممن وقفوا بالصف الآخر. لكل ما يتعلق بأهل البيت عليهم السلام، ونذكر بعضاً من هذه المساجلات

١- نفس المصدر.

٢- جذوة الاقتباس ص ٤٢.

٣- الانصاف في تاريخ الاشراف ص ٩٢.



الشعرية بين المنتصرين للسيف، والشائتين له، ومن ذلك قول الفقيه الربّاني أبي عبدالله محمد بن سعيد الحبّاك:

شهر المشرفي فوق المنار عزة للورى ودين النبي
سيف ادريس مخمد للأعادي وانتصار الملوك بالمشرفي^١

وقد كان هذان البيتان ردّاً على قول مسعود بن أبي القاسم بن أبي طلاق:

قالوا بجامع فاس سيف ادريسا وكلّهم قائل زوراً وتليسا
ما جعله غير طلسم لساكنيها لكي ينال بها الأحزان والبؤسا^٢

وردّ على البيتين السالفين الشيخ أبو زيد المكودي، بقوله:

قال سيف المنار بفاس هو طلسم ذلّة وهوان
أخطأوا ليس ذاك الآ لعرّ بهرت منه سائر البلدان

وذكرها ايضا الأستاذ النحوي المقرئ أبو المكارم منديل بن أجروم، قائلاً:

ساموا بفاس سيف ادريسهم فوق المنار لا لأمر مخوف
بل شعروا بقول خير الورى جنتكم تحت ظلال السيوف

وقال الفقيه النحوي أبو عبدالله محمد بن موسى بن ابراهيم في نفس الغرض:

يقولون زجراً أن فاساً قضى لها بذلتها سيف المنار المشيد
لقد اخطأوا في زجرهم ضلّ سعيهم هل العز الا تحت ظل المهند

وقد أشاد بوجود السيف هذا في تلك المنارة بفاس الفقيه أبو عبدالله محمد بن محمد بن

عبدالرحمن المعروف بالريبب، بقوله:

سرّ فاس لاهل فاس بدا في وضع ادريس بالمنار حسامه
منهم العز للنداء فأورى ناره معلما وشال علامه

يشير الى اظهار العلامة والمنار اللذين احدثها أمير المؤمنين المتوكل أبو عنان.

١- نفس المصدر.

٢- نفس المصدر ص ٩٣.

ومن لطيف ما قيل في شأن هذا السيف، ما ينسب لادريس بن راشد الفهري:
 سلّ ادريس بالمنار حساما منبئا ذاك عن شديد العقاب
 داعياً للصلاة ان لم تجيبوا فحقيق الجزاء ضرب الرقاب
 وكذلك قول أبي عثمان سعيد السراقي المشهور بشهبون:

لادريس سيف اظهر الدين للورى بافاق منار للأذان تقيدا
 فمن ظنّ أن الذل اورثنا به فهل ذلّ الآ ظالم ضلّ واعتدى
 ومن الشعر في سيف ادريس قول أحمد بن يحيى بن عبدالمثنان:

انكر السيف بالمنار بفاس قائل ذاك داعي تمام
 لا يرعك الحسام سلّ عليها جنة الخلد تحت ظلّ الحسام
 فالآيات السالفة تجعل من وجود سيف ادريس في تلك المنارة وجوداً للدين وادامة
 للفرائض وهذا من روائع حسن التعليل، مضافاً الى أن تلك الآيات تربط بين هذا السيف
 وبين حديث النبي ﷺ «الجنة تحت ظلال السيوف».

جامع القرويين من مراكز التشيع الثقافية

يعتبر جامع القرويين، المعلم الثقافي والعلمي البارز في مدينة فاس، من المراكز الثقافية
 المهمة التي ينسب الفضل في تأسيسها وإيجادها الى الشيعة.

وقد تمّ بناء جامع القرويين في سنة ٢٤٥هـ - ٨٦٠م على عهد يحيى بن محمد^١، وتذكر
 المصادر بأن الذي بناه سيدة القيروانية اسمها فاطمة، وأبوها تاجر ثري اسمه محمد بن
 عبدالله الفهري هاجر الى فاس من القيروان، ولم تكن له ذرية من الذكور، وإنما خلف بنتين
 مريم وفاطمة.^٢

ولجامع القرويين منزلة علمية عظيمة، فيمكن القول بأن جميع المؤلفين لتاريخ العلم
 والثقافة والأدب، قد اطبّقوا على المكانة الرفيعة له، والدور الفاعل الذي أدّاه هذا الجامع، والى

١- روض القرطاس ص ٣٢.

٢- موسوعة المغرب العربي م ١ ص ٢٩٨، روض القرطاس ص ٣٢.



وقتنا الحاضر، وقد أسهب صاحب موسوعة المغرب العربي في الثناء على جامع القرويين وعدد مآثره، ومن كلامه عن هذا الجامع ننقل ما يلي: «وكان انشاء جامع القرويين أو مسجد فاس من المفآخر الاسلامية، التي تمت في عهد الامام يحيى بن محمد، اذ أن جامع فاس من مساجد الاسلام المشهورة في تاريخ الغرب والعالم الاسلامي، فقد اصبح مركزاً للعلم، والأداسة من أول نشأته، وقد تحول بعد ذلك الى جامعة ولا زال الى اليوم يارس دوره كجامعة كبرى مثله مثل الجامع الازهر، ولكن جامعة القرويين اقدم عمراً من جامعة الأزهر، وهي عمدة الجامعات الاسلامية وربما عمدة جامعات الدنيا... واليها يعزى فضل نشر اللغة العربية بين البربر، وبين المثلثين القاطنين في اقليم السهوب والصحراء الجنوبية... حتى لقد قصدها احد بابوات الكنيسة في روما طلباً للعلم، وتطلعاً لدراسة كل تقدم علمي في الميادين العلمية، والتي كانت تدرس في جامعة القرويين»^١ ونحن نرى بأن هذا النص قد اغنانا عن التعليق عليه لما فيه من اشارة كاملة الى موقعية واهمية وعطاء جامع القرويين، والشيء الآخر الذي اثبتته صاحب موسوعة المغرب العربي هو أن الذي اعطى فاس تلك الاهمية، وجعلها كعبة طلاب العلم حتى بعد خمود جذوتها السياسية هو جامع القرويين حيث يقول (فقد كان قيام فاس هو الخطوة الحاسمة في قيام المغرب العربي المسلم، فقد أصبحت فاس مركزاً للثقافة العربية، وأخذت جامعتها - جامعة القرويين - تثبت مكانتها الى جانب مراكز العلوم الاسلامية الاخرى»^٢.

٣- المهدية

من يلاحظ مسيرة الشيعة بالمغرب العربي، يرى أنهم تمسكوا وبشدة، بعقيدة المهدي والمهدوية، وان هذين المصطلحين يعودان لمبدأ واحد. وهو اعتقاد تميز به الشيعة أكثر من غيرهم، حتى وإن وجد عند الفرق الاسلامية الاخرى. والذي يدلل لنا على شدة تمسك الشيعة المغاربة بهذا المعتقد هو انتباههم المتميز له وتأكيدهم عليه في أكثر من جانب، من أجل

١- موسوعة المغرب العربي م ١ ص ٢٩٩ - ٣٠٠.

٢- نفس المصدر ص ٣١٠.

ترسيخه ولفت الانتظار اليه، وقد كان الجانب الأدبي أحدها والذي سنعرض له مفصلاً عندما نعرض للاعتقادات الشيعية عند المغاربة، ومعالجتها في أدبهم، ومن الجوانب التي سخرها الشيعة لهذا المعتقد عندهم هو اتخاذ لقب المهدي من قبل أبرز قاداتهم، بل ومن قبل مؤسسي دولهم هناك كما حدث لعبيد الله أول خليفة للفاطميين مؤسس الدولة الفاطمية، ومحمد بن تومرت أول خليفة لدى الموحدين ومؤسس دولتهم حيث تلقّب كل منهما بـ «المهدي» وهناك شيء مهم آخر، حاول الشيعة من خلاله ممارسة عملية التذكير الدائم، والدعاية الاعلامية فيه لمبدأ المهدي، وهو تقصير الامصار، واعطاؤها اسم المهديّة نسبة الى المهدي، وهكذا ايضا فإن ما سميت بالمهديّة في دولهم من المدن الشيعية التي أقاموها في المغرب العربي كانت امهاتها، بل عواصم تلك الدول.

لقد اتخذت اسم المهديّة مدينتان من مدن الشمال الإفريقي، وهما المهديّة التي أسسها الفاطميون بدلا من رقّادة، عاصمة لهم في افريقية، القطر التونسي في ايامنا المعاصرة. والمهديّة التي اتخذها الموحدون عاصمة لهم في القطر المغربي في ايامنا الحاضرة ايضا.^١ وأما عن مهديّة الفاطميين فقد أسسها كما قلنا عبيد الله المهدي أول خلفاء الفاطميين ومؤسس دولتهم، وقد ذكر ذلك الداعي ادريس حين قال «وأقام المهدي بالله في رقادة اياما، ثم أمر بعمارة المدينة البيضاء المسماة المهديّة».^٢

وقد ذكر ابن الأبار ان بناءها كان «يوم السبت لخمس خلون من ذى القعدة سنة ثلاث وثلثائة»^٣، وأما البكري فقد ذكر في مغربه بأن بناء المهديّة كان في سنة ٣٠٠هـ، وقد اعتبر عمل عبيد الله المهدي هذا بتأسيس المهديّة ثاني اعماله من حيث الاهمية بعد تأسيسه الدولة وهو العمل الأول.

١- راجع «مفردة مهديّة» في «المنجد في الاعلام» ص ٦٩٠ لويس معلوف ط ١٢ المطبعة الكاثوليكية، لبنان، بيروت حيث ذكر أن هناك مدينتين واحدة أسسها الفاطميون، والثانية اتخذها الموحدون عاصمة لهم وقد كانت تحسّل اسما غير هذا من قبل.

٢- تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب: القسم الخاص من كتاب عيون الاخبار ص ٢٠٩ الداعي ادريس عماد الدين - تحقيق

محمد اليملاوي - دار الغرب الاسلامي - بيروت ط ١٩٨٥.

٣- الحلة السيرة ج ١ ص ١٩٢.

وقد قال احد شعراء افريقيا:

بنيت بارض المغارب دار
لاذت ببرد الماء لما ايقنت
دانت لها الاقطار والامصار
أن القلوب على الحسين حراراً

وقال شاعر آخر مهتماً بعباد الله المهدي عند انتقاله اليها واتخاذها عاصمة لدولته بعد الرقادة:

ليهنك ايها الملك الهمام
حططت الرحل في بلد كريم
قدوم فيه للدهر ابتسام
رعته لك الملائكة الكرام
لئن عظم الحرام وما يليه
لقد عظمت بأرض الغرب دار
هي المهديّة الحرم الموقى
كأن مقام ابراهيم فيه
وان لثم الحجيج الركن اضحى
لئن شاب الزمان وشاب ملك
كملكك ايها المهدي ملك
لك الدنيا ونسلك حيث كنتم
فكلكم لها ابدا اماماً

وينقل الدكتور جبرئيل جبور بعد ذكره الأبيات بأن احدهم - المناوئين للفاطمين - قد زعم لهم كادوا يكفرون^٣ والمقصود بمن كادوا يكفرون الفاطميون واتباعهم وهذه الاتهامات والادعاءات عليهم ليست علينا بالجديدة من قبل اعدائهم.

واما عن دور المهديّة الفاطمية في الثقافة والعلم - وهو بيت قصيدنا - فهذا لا يمكن لمنكر

١- عبد المنعم محمد: الروض المعطار ص ٥٦٢ - تحقيق د. احسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط ٢، ١٩٨٠ وقد أورد ابن البار في الحلة السراء البيتين ولكن برواية تختلف قليلاً عن رواية الحميري:

حطت بارحاء المغرب دار
لانت ببرد الماء ايقنت
دانت لها الامصار والاقطار
ان القلوب على الحسين حرار

٢- البيان المغرب ج ١ ص ١٨٤.

٣- الملوك الشعراء ص ١٩٣.

ان يجحده اذ أنها بقيت علما رائدا في زمن بقاء الفاطميين بالمغرب، وحتى بعد انتقالهم الى مصر، وكانت قد اظهرت لنا الكثير من العلماء والادباء، الذين زخرت باسمائهم جلّ المؤلفات المغربية، ويقول الدكتور محمد طه الحاجري عن المهديّة الفاطمية ومكانتها بأنها «قاعدة من قواعد النشاط الأدبي والعقلي في المغرب العربي، وقد أخرجت طائفة من الشعراء والادباء ذكر بعضهم ابن رشيق، من أهل القرن الثاني في انموذجه، كما أشار الى ذلك التجاني بقوله (وفي انموذج ابن رشيق، منهم من له البدائع كعبدالله بن ابراهيم بن مثنى، وعلي بن عبد الكريم بن أبي غالب، ومحمد بن حبيب كما ذكر بعد ذلك بأن ابن رشيق خصهم بالتأليف في كتاب سماه «الروضة الموشية في شعراء المهديّة»^١.

وسنعرض لاحقا للأدب الشيعي في عهد الفاطميين بالمغرب العربي، ولا شك بأن عاصمة ذلك الأدب هي المهديّة وكفى لها فخرا بهذا، حيث أن الأدب في المغرب في عهد الفاطميين كان في اروع عصوره وأزهرها والمهديّة لا تزال باقية حتى الآن.^٢

واما المهديّة الثانية وهي «مهدية الموحدين التي كانت في مكان مدينة الرباط الحالية بساحل المغرب الاقصى، والتي بنيت على اسم المهدي بن تومرت»^٣.

ولقد كتبت الدكتورة سحر السيد عبدالعزيز سالم مؤلفا خاصا عن هذه المدينة، بيّنت فيه جميع فضائلها، وتاريخها.^٤

واما عن موقع المهديّة الموحدية الثقافي والعلمي والادبي فيكفي ما قاله عن عهد الموحدين الادبي محمد بن تاويت (يعتبر هذا العهد تجسيدا للقيمة التي انتهى اليها الأدب العربي في شتى ألوانه، وفي مختلف انشطته).^٥ ومن غير الخفي بأن المهديّة هذه كانت عاصمة الدولة الموحدية التي أشاد ابن تاويت بالادب في عهدها هذه الاشادة، اذ يمكننا القول بأن مركز

١- مرحلة التشيع ص ١٢-١٣ دائرة المعارف الشيعية م ٥ ص ٤٤٣.

٢- دائرة المعارف الشيعية م ٥ ص ٤٤٣.

٣- نفس المصدر.

٤- مدينة الرباط في التاريخ الاسلامي «منذ نشأتها حتى نهاية عصر بني مرين د. سحر السيد عبدالعزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٦.

٥- الوافي بالأدب العربي ج ١ ص ٩١.

الإشعاع كانت هي المهدية، وهي مأمن كل العلماء والادباء وفيها ايضا كتب محمد بن تومرت، مؤلفاته التي تفوح تشيعا، والتي ستكون احدى ما سنسوقه من النماذج النثرية لادب التشيع في الشمال الإفريقي في الفقرات القادمة من البحث.

الجامع الازهر الشريف

لا غرابة ان اتينا هنا بذكر الجامع الازهر مع اننا قلنا سابقا بأن مصر لا تدخل في الحدود الجغرافية للشمل الإفريقي، والأزهر وكما هو معلوم يقع في مركز مصر وعاصمتها، وذلك لان الأزهر الشريف ما أسس الأبيجود وأيد مغربية اختطه في الأيام الاولى التي فتحت فيها مصر، سنة ٣٥٨هـ^١ - ٩٦٩هـ عاصمة لها ورسمت القاهرة عاصمة لها ورمست معها جامعها الازهر، وكانت الجهود والايدي متمثلة بجوهر الصقلي المغربي قائد جيوش الشيعة الفاطميين المغاربة. وقد نقل أكثر المؤرخين ذلك ومنهم الدكتور أحمد عبدالرزاق أحمد حين يقول «وباستكمال الفتح، ووضع أساس القاهرة، وبناء القصر لنزول الخليفة، وتشيد الجامع، أرسل جوهر الى المعز يدعوه للقدوم الى مصر مقر ملكه الجديد، فغادر المعز شمال افريقيا، ودخل مصر في ٧ رمضان سنة ٣٦٢هـ / يونيو ١٩٧٢م، حاملاً معه توابيت آبائه الثلاثة، المهدي والقائم والمنصور»^٢.

ومنذ الأيام الاولى التي دخل فيها المعز الفاطمي القاهرة ادام الجامع الازهر نشاطه العلمي والثقافي والادبي، الذي بدأه في الايام الأولى لتأسيسه على يد بانيه جوهر الصقلي، ولا يزال الازهر الشريف يواصل العطاء حتى أيامنا الحاضرة حتى أنه يعد من أكبر الجامعات العربية الاسلامية اذا لم يكن له مركز الصدارة عليها جميعاً.

ولسنا في مجال تفصيل نشاطاته الفذة الكثيرة وخاصة الادبية منها لانه وكما اشرنا

١- اتعاظ الحنفا ص ١٣٨ النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٧٣، أحمد عبدالرزاق أحمد تاريخ مصر وآثارها الاسلامية ص ٣٦- دار

الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٣ م. ماجد عبدالمنعم، ظهور خلافة الفاطميين ص ١٠٥ دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٤.

٢- تاريخ مصر وآثارها الاسلامية ص ١٧٩، هذه المعلومة اخذها عن خطط المقرئ ج ١ ص ٣٥٣.



لا تدخل مصر ضمن موضوع بحثنا، وسنحاول انشاء الله افراد بحث خاص لها في المستقبل، ولكننا اردنا ان نقول ونؤكد، بان الأزهر الذي كانت انطلاقا تأسيسه من الشمال الإفريقي، كان مركزا ثقافيا وأديبا مهما ومن مراكز التشيع التي يشار لها بالبنان، بل ومن مراكز العروبة والاسلام، وقد أفردت له مؤلفات خاص وضخمة لتبيان ما قدمه من نشاط على مر العصور والاجيال.

مراكز التشيع الثقافية الاخرى في الشمال الإفريقي

بالاضافة الى المراكز المهمة سالفة الذكر وهي فاس الادريسية، والمهدية الفاطمية، والمهدية الموحدية، والتي كانت جميعا منبع اشعاع للثقافة والأدب العربي وخاصة للثقافة والأدب الشيعيين منه، فقد كانت هناك بعض المراكز الاخرى في الشمال الإفريقي تولت نفس المهمة وبرز فيها رجال أثروا الأدب العربي، وخاصة الشيعي منه بنتائج لم يتمكن التاريخ أن يعفو أبداً عنها، وبقيت دائماً بدوامه، ومن هذه المراكز: البصرة وكرت، وطنجة، وسبتة، واصيلا وغيرها، وهذه المراكز لا تقل اهمية عن المراكز الثلاثة الكبرى الا انها وعلى كل حال تعتبر من التوابع لها نظراً لسعتها واستقطابها رجالات الأدب والثقافة، وذلك لما حظيت به من احتوائها مراكز الحكم الشيعي آنذاك وصيرورتها كعواصم له، استهوت انظار وقلوب الأدباء فحطوا رحالهم فيها، فاخذوا منها واعطوها.

وأما أهم ما يمكن أن يقال عن هذه المراكز، فإن أغلبها قد مضى الشيعية أنفسهم. ومنها البصرة التي مضى عنها أبو العيش ابراهيم بن القاسم الادريسي^١ وقد مدحه الشعراء لذلك، ومنهم احمد بن الفتح المعروف بالخرزاز التاهري بقوله:

مَجَّ الإله اللهو الاقينة بصرية في حمرة وبياض
الخمير في لحاظتها والورد في وجناتها والكشع غير مفاض



في شكل مرجى ونسك مهاجر وعفاف سنيّ وسمت أباضي
تاهرت أنت خلية وبرية عوّضت منك ببصرة فاعتاضي
لا عذر للحمراء في كلفي بها أو تستفيض بأبحر وحياض
ما عذرها والعيش عيش اذ بها ملك الملوك ورائض الرواض^١

وهذه الأبيات لابن الفتح التاهرتي، بعثت فينا تداعي المعاني، اذ هي ذكرتنا بالآبيات التي قالها ابن شهيد الأندلسي الشاعر أبو عامر، عندما انتقل من قرطبة الى مالطة ملتحقاً بالعلويين متشيعاً وقالوا الامويين وهي:

أرى أعينا ترونوا اليّ كأنما تساور منها جانبيّ اراقم
وهل يقدم البازي على الطير في الضحى اذا زال عن ريش الجناح القوائم؟
سلام عليكم لا تحية شاكر ولكن شجّي تنسّد منه الحلاقم
وما قرعت سنيّ عليكم ندامة وأوشك غداً أن يقرع السن نادم
عليكم بداري فاهدموها دعائما ففي الارض بناؤون لى ودعائم
لئن اخرجتني عنكم شرّ عصابة ففي الارض اخوان على أكارم
وان هشمت حقي امية عندها فهاتا على ظهر المحجة هاشم
ولا غرو من تلك القلانس جانباً اذا عرفت حقي هناك العمائم^٢

ولربما كان ابن فتح على غير التشيع وانتقل اليه بانتقاله إلى البصرة فقال هذه الأبيات. ومن يدري، لربما قد تأثر ابن شهيد بهذه الأبيات، وأخذ منها معنى آبياته التي قالها في انتقاله الى الحموديين الشيعة، أو انه توارد خواطر لا غير.

١- الروض المعطار في اخبار الاقطار ص ١٠٩، لقد اورد صاحب دائرة المعارف في مجلده الخامس ص ٣٤٧ تحت عنوان مدن ادرسية ذكر البصرة قائلاً: (وكانت نساء البصرة مخصصات بالجمال الباهر، يقولون ليس بارض المغرب اجمل منهم، ويقول فيهن أحمد بن فتح التهرتي في أبيات في مدح الحسين) ثم يورد الآبيات الا أن يرى شطره الاول كالآتي «ما حاز كل الحسن الاقينة...» المغرب ص ١١٠ البكري.

٢- ديوان ابن شهيد الاندلسي ص ١٥٣ - ١٥٤، ابن بسام - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق ١ م ١ ص ٣٢١ - ٣٢٢ - تحقيق - د. احسان عباس، دار الثقافة بيروت، ١٩٧٩.

ولا غرابة، ان أخذ المغاربة من الأندلسيين، أو الاندلسيون من المغاربة، حيث كان التداخل حاصلًا بينها وادبها أدب المغربيين كما يسميه البعض.^١ والمقطوعتان صادرتان من شاعرين شيعيين.

وكذلك مدينة كرت، فؤسّسوها هم الأدارسة، وقد بناها منهم أحمد بن القاسم بالقرب من مدينة البصرة، وأحمد بن القاسم هو ممدوح بكر ابن حماد، بقوله:

ان الساحة والمروءة والندى	جمعوا لأحمد من بني القاسم
واذا تفاخرت القبائل وانتمت	فافخر بفضل محمد وبفاطم
وبجعفر الطيار في درج العلى	وعليّ العضب الحسام الصارم
انني لمشتاق اليك وأتما	يسمو العقاب اذا سما بقوائم
فابعث اليّ بمركب اسمو به	عليّ أكون عليك أول قادم
واعلم بأنك لن تنال محبة	الا ببعض ملابس ودراهم

«فبعث اليه ببغلة سنية، وصلة جزلة، وكان له فيه امداح كثيرة».^٢

وبكر بن حماد هذا من الشعراء المذبذبين الذين لم يعرف لهم قرار من طرف أو مبدأ، وسنعرض له في مكان مناسب من البحث، ولكنه مدح الأدارسة الشيعة في كثير من اشعاره، ولربما كان من المتشيعين الأقوياء في تشيعهم، ولكن هذا هو شأن الشعراء في مدح الضدين والوقوف معها في أشعارهم معتبرين ذلك لا يؤثر على المبدأ.

واما مدينة اصيلة فانها قامت على انقاض مدينة فينيقية قديمة، وقد جدد بناءها القاسم بن ادريس... ثم تولى امرها ابراهيم بعد والده القاسم... ثم آل امرها الى الحسن الحجام، فكان يستعمل عليها الولاة، وبقى الأدارسة يتولون امرها حتى سقوط دولتهم».^٣

١- البستاني فؤاد أفرام: المجاني الحديثة عن مجاني الاب شيخوم ٥ ص ٩، دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية، منشورات الآداب الشرقية، بيروت ١٩٥٨.

٢- البيان المغرب ج ١ ص ٢٣٦.

٣- دولة الادراسة في المغرب ص ٥٢.



وقد كان لها ذكر من الكثير من الشعراء والكتاب، ومنهم الشاعر ابراهيم بن محمد الاصيلي من بني زياد الهواريين الذي يقول:

سقى غربي ارضي بنى زياد سحائب ما يجف لها غروب
ولا زال النعيم يعمّ قوما ازاؤهم من الشرق الكثيب^١

ويذكر صاحب موسوعة المغرب العربي اصيلا، وطنجة وسبتة ويخصها بفضل انتشار المدارس فيها، وبروز الكثير من العلماء حين يقول «ولقد انتشرت المدارس في اصيلا وسبتة وطنجة، واشتهر من علمائها الكثيرون من العلماء أمثال ابن العباس أحمد بن عبد الرحمن الهراوي»^٢.

وسبتة مدينة بناها الفينيقيون، وقد أسس فيها بنو عصام الغماريون امارتهم الاسلامية، وبنو عصام كانوا يدينون بالطاعة والولاء للادارسة^٣، وقد شهد الأدب في حضارتهم وامارتهم رواجاً.

واما ما يخص مدينة طنجة، فإنها من أقدم المدن الساحلية في الشمال الإفريقي، وبموقعها هذا أخذت اهميتها الخاصة، ولها حضارة عريقة حيث يقول محمد بن تاويت «اتخذها الفينيقيون مركزا تجارياً هاماً على الزقاق، واتخذها الرومان مركزا استراتيجيا، وأطلقوا اسمها على اقليم شاسع كان يتسع لكل القطر المغربي أحيانا، وبه عرف عند الفاتحين الأول، وبها كان مركز الحكم والقيادة لطارق بن زياد، ثم كان موطناً اساسياً لفرق الخوارج والمعتزلة الى أن جاء المولى ادريس»^٤.

وقد أثنى محمد بن تاويت على جميع هذه المراكز وغيرها، معتبرا اياها مراكز للثقافة الأولى، وهو يقول: «وعلى كل حال فبالاستقراء والاستئناس نجد ان مراكز الثقافة الأولى، كان جلّها على السواحل الشمالية للمغرب، مثل مليلة، والنكور، وسبتة، وطنجة، واصيلا،

١- الروض المعطار ص ٥٢، البيان المغرب ج ١ ص ٢٣٥.

٢- موسوعة المغرب العربي م ١ ص ٣٠٧.

٣- الوافي بالادب العربي ج ١ ص ١٢.

٤- نفس المصدر.

والبصرة التي كانت تحاذي البحر أو تقاربه، يضاف الى هذه المراكز الساحلية العاصمة الخطيرة فاس، بعد العاصمة الخارجية سجلهاسة»^١ ولا يفوتنا أن نخص المسيلة قاعدة بلاد الزاب بالذكر وكما يقول البكري عنها «المسيلة، والشيعية تسميها المحمدية» ثم يورد ارجوزة أحمد بن محمد المروزي فيها، وهو يذكر نزول اسماعيل المنصور العبيدي:

ثم الى مدينة مرضية	است على التقوى محمدية
أقبل حتى حلها ضحية	بالنور من طلعت المضية
فحل في معسكر المسيلة	في هيئة كاملة جميلة
للمنصر في ارجائه مخيلة	بنعمة من ذي العلى جلييلة ^٢

وهذه المدينة بناها الشيعة ايضا، اذ أن بانيتها هو علي بن حمدون الجذامي المعروف بالاندلسي^٣، وقد خلفه ابنه يحيى وجعفر وله رئاسة ونباهة في أيام العبيدية مذكورة^٤، وقد سكن جعفر بن علي المسيلة فعظم شأنه^٥ وابنا علي بن حمدون من الشيعة^٦، ولابي القاسم محمد بن هانيء الأندلسي فيها مدائح شهيرة، حيث أنه لما خرج من الأندلس هارباً اليها وقع، ومدينتها قصد، فرحبا به وأجلّاه الى أن أعلقاه بالمعز معد بن اسماعيل، فاستفرغ عليه شعره، وقصر عليه مدحه، وسنعرض له لاحقاً. وكان من مآثر هذين الرجلين والتي تضاف الى المسيلة ايضا أنهما كانا شاعرين الا أن الطبعتين المختلفتين لحلة ابن الأبار تختلفان في الشعر المروي لهما، فمرة ينسب الى يحيى واخرى الى جعفر، والشعر الذي وصل إلينا من احدهما

١- نفس المصدر ص ١١.

٢- المغرب ص ٥٩.

٣- الحلة السيرة ج ١ ص ٣٠٥.

٤- نفس المصدر.

٥- نفس المصدر.

٦- يذكر تشيعهما ابن الأبار في الحلة السيرة ج ١ ص ٤٣٥ تحقيق عبدالله انيس الطباع، وهجرتهما الى الاندلس بعد مقتل زيري بن مناد الصنهاجي، واستضافة الحكم المستنصر بالله الأموي لهما الى أن سمي بهما له فتنكر لهما وأزعجهما، وأمر بالثناء عليهما بكفران النعمة. ولكن يحيى كان من شهامته ينادي على نفسه معارضاً للمنادي، لابل جزاء من آثر بني مروان على ولد فاطمة بنت رسول الله (ص). ولابن الأبار قول يختلف عن مصير الرجلين وما انتهى اليه.



في وصف الفرس:

ومستماً في خلقه لم ينحس
عاري الاديم من الملاحه مكتس
صلّت اليه الخيل فهو أمامها
وهو المقدّم عندها في الانفس
وكان لون أديمه من سوسن
وكان لون لجامه من نرجس^١

وبلحاح عام، فإن المسيلة قد كان لها دورٌ كبير، أثرت به الأدب العربي والشيعي منه بشكل خاص، وقد ذكر هذا الدور والاهمية للمسيلة الدكتور محمد طه الحاجري، بقوله «وإذا كانت المسيلة، أو الحمديّة قاعدة بلاد الزاب، فإنها لم تلبث أن أصبحت مركزاً كبيراً من مراكز الحياة الادبية في المغرب العربي، وخاصة حين تولّى امرها جعفر بن علي بعد ابيه علي بن حمدون الذي لقي حتفه في قتال الخوارج، فجعل من مجلسه ندوةً ادبية رفيعة، وأراد أن يكون قصره مظهرًا من مظاهر الترف الادبي»^٢.

وقد خرّجت المسيلة الكثير من الرجال المخلصين للتشيع، وكانوا مظهرًا من مظاهر التفوق الأدبي سواء فيما انتجوه من أدب أو فيما قيل بهم، ومن هذه الأعلام جعفر بن فلاح الكتامي أبو الفضل، الذي يعدّ من رجال العبيدية الفاطمية أيضاً، ولم تذكر عنه المصادر سوى امتداح ابن هانيء اياه، وحسبه بذلك نباهة وكفاءة^٣، وذكر معه ابنه ابراهيم في مدحه، وكان ابن هانيء، قد قال:

كانت مساءلة الركبان تخبرني
عن جعفر بن فلاح اطيّب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت
اذني باحسن مما قد رأى بصري^٤
وجعفر الكتامي رافق جوهر الذي انفضّه المعز الفاطمي لافتتاح مصر، وكان لجعفر في هذا الفتح الدور الفعّال، وقد أنفضّه جوهر الى الشام فافتتح دمشق، وأقام الخطبة باسم

١- في الحلة السيرة تحقيق حسين مؤنس ج ١ ص ٣٠٨ نسبت الايات الى يحيى بن علي، وان كلمة (ينحس) في الشطر الأول رويت (يبحس)، وأما علي تحقيق د. عبدالله انيس الطباع ج ١ ص ٤٣٥، فقد نسبت لجعفر بن علي وعلى الكيفية التي نقلناها هنا.

٢- مرحلة التشيع ص ١٤ - ١٥.

٣- الحلة السيرة ج ١ ص ٣٠٥.

٤- تاريخ الجزائر العام ج ١ ص ٣١٨.



المعز لدين الله الفاطمي في دمشق وأعمالها، وأمر بالنداء في الأذان بحبي على خير العمل^١،
وللشاعر مقداد بن حسين الكتامي قصيدة في دخول جوهر مصر، وما كان من جعفر بن فلاح
بالشام، يقول فيها:

ونحن جلبنا الخيل شعناً ضوامرا من الغرب تجتاز المفاز اشهرا
عليها الكتاميون من آل حمير^٢ ومن لَفَّ لَفَّ الجيش من آل بربرا
نهز الرماح السمر ما كان ذابلاً طويلاً، ومربوع الأنابيب جحدرا
إذا ما نزلنا منزلاً، حشد الدجى إلينا نجوم الليل فيه معسكرا
كتائب لا تألو النبي حفيظة لها، وعلياً والمعز وجوهرا
ثمانون ألفاً يلبسون إلى الوغى ملابس حزم خلعة وسنورا
يحقون طوع الأمر أروع يعتلي إلى النصر ميمون النقية أزهر
تلاد^٣ الملوك الصيد من آل هاشم صغيراً، ومولاه كبيراً مؤمراً
تلبس للحرب المغيرة وارتدى إلى الحرب برداً نشرة وتأزراً
... ..

إذا اعترك الخطب انتضى في سواده عقيقة رأي كالشهاب فنورا
سما فحشا ما بين مصر وبرقة رؤالاً، وآسادا ضراغم هصراً
كما اعتصم الطود المقطم ليله يؤم إلى الجند الذي قد تمصراً
... ..

فما ابتكروا إلا نعاماً مشردا إلى الشام أو هاماً بمصر مكسرا
ولما نفى عنها القذى أو أزالها من الجذب فاستهدى لها العيش اخضرا
رمى كل ثغر من فضاها بصخرة وسوم تسويما إلى الشام جعفرا

١- تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ص ٧٠٠.

٢- هذا الشاعر يؤمن بعروبة البربر وأنهم من العرب الحميريين أهل اليمن.

٣- تلاد الملوك: الذي نشأ صغيراً عندهم، وجوهر نشأ صغيراً في بيوت الخلفاء الفاطميين.

٤- الرئال: أولاد النعام.



فسلّ أي رأس من كتامة جحدر يدحرج مَنْ في الشام هاماً مطيراً
أقام بها سوقاً من الضرب في الطلى فناجز ما بين الفرات ودمراً
فترى هذه القصيدة تكشف عن مستوى ما وصل اليه الشعر في العصر الفاطمي، حيث أنه
يحاكي الشعر المشرقي قوة، وخاصة المجاهلي منه، في جزالة الالفاظ، وعدم اللجوء الى الغريب
الوحشي، وانسياب المعاني، والوصول اليها بتمكن، اضافة الى الموسيقى العالية التي تتناسب
والغرض الذي سيقّت له القصيدة.

وهناك مراكز ثقافية اخرى في الشمال الإفريقي، كانت تحسب على التشيع تارة، وعلى غيره
أخرى، ولربما حمل بعضها العداء للشيعية في فترات من تاريخها، ولذا لم نر من الصواب أن
نعتبرها مراكز ثقافية أو ادبية شيعية، بل آثرنا الاشارة لها بشكل عابر منفرد، لأنها قد ضمت
التشيع وأدبه وثقافته في جوانحها، ومن تلك المراكز: القيروان، تونس وهما حاضرتا الأدب
طيلة القرنين الأول والثاني واستمر لهما الشأن الادبي والثقافي في العصور اللاحقة.

والقيروان أسسها عقبة بن نافع الفهري القائد الأموي سنة ٥٠ هـ^٢، وقيل ٥١ هـ^٣، وقد
مارست دورها في تعريب الشمال الإفريقي أيام تأسيسها الاولى، حتى اصبحت كعبة القصاد
من كل الارحاء، وكان لمسجدها الذي جدد بناءه حسان بن النعمان سنة ٨٤ هـ أكبر الاسباب
في هذا التعريب، فقد كان كما هو شأن المساجد في الاسلام مثابة للعلم والمتعلمين، ولما جاء
الاغالبة ولادة عن العباسيين واستقلّوا استقلالاً ذاتياً بالمغرب جعلوا عاصمتهم القيروان التي
عمّروها وأسموها العباسية^٤، ومعروف ما كان يحمله الاغالبة من حبّ للادب وتشجيع له
حتى أن بعض ابناء البيت الاغلب كانوا ادباء، ومنهم ابراهيم بن الاغلب الذي نقلت له اشعار
كثيرة، منها ما أرسله لبهلول بن عبدالواحد المدغري أو المطغري، يدعوه فيها لطاعة
العباسيين ونقض بيعه الأدارسة:

١- تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ص ٦٩٦ - ٦٩٧ وكان الداعي ادريس قد ذكر من القصيدة اربعة وعشرين بيتاً.

٢- تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص ١٠٤.

٣- دراسات وصور ص ٣٧.

٤- نفس المصدر ص ٩٤.

عرضت عن البهلول ما أن أصابه
ليركب نهج الحق، والحق واضح
فلا تترك رشد الهدى بضلالة
وبايع لهارون الأمام بطاعة
تبدل منه طاعة بخلاف
ونهج العمى وعر المسالك عاف
كمستبدل رنق الشراب بصاف
تجده على الاسلام خير مكاف
وكانت هذه الأبيات ردًا على أبيات بعثها المدغري لبراهيم بن الاغلب^١، أوهها:

لئن كنت تدعوني الى الحق ناصحا لتكشف عن قلبي ضمير خلاف^٢
وهنا نلاحظ بأن ابن الاغلب قد ألزم أبياته بنفس حرف الروي لأبيات المدغري.
ومع كل ما كان من الاغلبة، إلا أن أكثر رجال إمارتهم كانوا شيعة، أو كانت لديهم ميول
شيعية كما أوضحنا ذلك، وكان أكثر هؤلاء ادباء كالمروزي وأبو اليسر الرياضي، وقد أصبح
المروزي قاضياً للقيروان من قبل عبيدالله المهدي بعد انتصار الفاطميين على الاغلبة
واندحار دولتهم^٣.

وهكذا مارست القيروان نشاطها الثقافي والادبي في عهد الفاطميين حتى سمي أحد
عصورها بالعصر العبيدي بالرغم من قوة المذهب المالكي فيها، ومخالفتها الصريحة لمذهب
الدولة الفاطمية. وقد وصفها وأشاد بموقفها العلمي الشاعر أبو القاسم الفزاري عندما كان
في صف أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي، وكان الفزاري من أعداء الفاطميين - في حينها - وقد
هجاهم في قصيدته هذه، التي قالها في شأن القيروان:

فهل للقيروان وساكنيها
بلاد حشوها علم وحلم
عراق الشرق بغداد وهذي
ولست أقيس بغداداً اليها
عديلاً حين يفتخر الفخور
واسلاماً ومعروفاً وخيراً
عراق الغرب بينهما كثير
وكيف تقاس بالسنة الشهور
إذا ما رامها منهم غدور
بلاد تقصف العظماء قصفاً

١- الحلة السراء ج ١ ص ١١٢، شعر المغرب حتى خلافة المعز ص ٣٠.

٢- نفس المصدر.

٣- دائرة المعارف الشيعية م ٥ ص ٣٠٢.



بلاذَ خطَّها اصحاب بدرٍ وتلك اختطَّ ساحتها أميرُ
بناها المستجاب وقد دعا في جوانبها دعاء لا يبورُ^١

ولم تقف مسيرة العطاء لمدينة القيروان حتى بعد انتقال الفاطميين الى مصر وتولي الصنهاجيين لشؤون المغرب من قبل بل ازدادت عطاءً، فكان منها ابن رشيق القيرواني، وابن شرف، والرقيق، والقزاز، وأمثالهم الى أن جائتها الزحفة الهلالية فغادرها أكثر رجالاتها، ويثنى عليها صاحب حياة القيروان، قائلًا (ويكفي أن نعرف أن عدد الشعراء الذين ذكرهم ابن رشيق - عن القيروان - ستة وسبعون شاعراً من الفحول النبغاء في هذا الفن من الأدب).^٢

وقد نالت القيروان اهتمام الكتاب والمؤلفين فافردوا لها أسفاراً ومن هؤلاء الكتاب ابن الدباغ الذي ألّف معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان، وأبو القاسم محمد كرو الذي ألّف عصر القيروان والدكتور عبدالرحمن ياغبي الذي ألّف حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها، والعلامة حسن حسني عبدالوهاب الذي كتب بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، وغيرهم، ولا بأس أن ننقل ما قاله المروزقي والجيلاني عن القيروان «لم يكذبزغ فجر القرن الثالث على القيروان، حتى أصبحت كعبة القصاد لطلاب العلم الواردين عليها من الأندلس والمغرب والسودان، وانتشرت العلوم الدينية والادبية والرياضية في جميع الطبقات بفضل الوافدين عليها من الخارج والراجعين من ابنائها من رحلاتهم العلمية الى الشرق في القرن الثاني للهجرة».^٣

وأما عن تونس المدينة فيحدثنا الدكتور محمد طه الحاجري: بأنها أسست عقب سقوط قرطاجنة، ومؤسسها حسان بن النعمان، وكان تأسيسها لغرض عسكري، لذلك اجتلبت اليها عددا من صناع السفن المصريين المهرة، وبعد مجيء عبدالله بن الحباب واليا على افريقيا سنة ١١٦هـ قوي مركزها العسكري وذلك بانعام بناء الدار التي انشأت فيها لصناعة السفن، كما وأنه أعاد بناء المسجد الذي بني في عهد حسان، والذي اصبح لا يكفي لمقتضيات الحياة

١- أبو عبدالله بن أبي زيد القيرواني - حياته وآثاره ص ٢٣.

٢- ياغبي عبدالرحمن - حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها ص ١٠١ - بيروت ١٩٦١.

٣- المروزقي محمد - الجيلاني بن الحاج يحيى - ابو الحسن الحضري القيرواني ص ٧ - ٨ - مطبعة المنار مكتبة المنار.

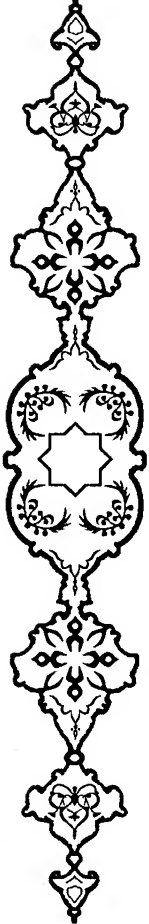


الاسلامية هناك، وهذا المسجد هو الذي سمي فيما بعد بجامع الزيتونة، وقد أخذ يمارس بالاضافة الى دور المسجد كدار للعبادة دوره كمركز من مراكز العلم الى أيامنا هذه.^١

وقد خرّجت لنا الديار التونسية الكثير من الأدباء، خاصة وأنها اصحبت فيما بعد جزءا مهما من الدولة الفاطمية التي قامت على أراضي افريقيا في الاصطلاح القديم، وتونس جزء منها.

وبعد هذا العرض لمراكز الثقافة الشيعية في المغرب العربي لربما فاتنا ذكر بعضها من أمثال سوسة، ورقّادة، ومليّة، ولكننا أعرضنا عن ذكرها بناءً على أهمية المراكز التي فضّلنا القول عنها، وكذلك سنعرض لما لم نعرضه عند ذكر الادباء الشيعة الذين ينتسبون الى تلك المراكز ان كانت هناك ضرورة لذلك، أو الذين كانت لهم مواقف أدبية تهمنا، وقد وقعت في أحد المراكز التي لم يرد ذكرها.

الباب الثالث



الأدب الشيعي
في الشمال الإفريقي...
عصوره ورجاله

الفصل الأول

العصور الأدبية الشيعية في الشمال الإفريقي

- مركزات تقسيم الأدب الشيعي الشمال افريقي الى عصور
- العصر الأدريسي أو العصر العلوي
- خصائص الأدب في العصر الادريسي
- العصر الفاطمي
- خصائص الأدب في العصر الفاطمي
- العصر الموحي
- خصائص الأدب في العصر الموحي
- العصر الحفصي
- خصائص الأدب في العصر الحفصي
- العصر المريني
- خصائص الأدب في العهد المريني
- عهود اخرى
- الأدب الشيعي المغربي..... ضياع أو تضييع؟

مرتكزات تقسم الأدب الشيعي الشمال افريقي الى عصور

ليس من الغريب أن تقسم الأدب الشيعي في الشمال الإفريقي الى عصور ادبية شيعية، وقد لاحظنا في تقسيمنا لادب التشيع في المغرب العربي الى عصور ادبية، الوجودات الشيعية أو التي يقال بتشيعها هناك، وكذلك نظرنا الى الفترات التاريخية التي امتد وجود التشيع على مساحتها الزمنية في الشمال الإفريقي. وعدم الغرابة في هذا التقسيم متأتية من ترسمها خطى أكثر الباحثين الذين وجدنا منهم جيداً ناجحاً، ومن أولئك الباحثين الشيخين محمد وعلي النيفر في مؤلفهما «عنوان الاريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم واديب»^١، حيث أنهما قسّما دراسته على خمسة عصور استحصيا فيها من أرادا دراستهم والبحث عنهم.

وقبل أن نشرع بهذا التقسيم للأدب الشيعي في الشمال الإفريقي على العصور التي كان للتشيع هناك فيها وجود جماهيري، ودول سياسية، وصولات ادبية، وكيانات ثقافية، لا بدّ من التأكيد على أن بعض الباحثين عن الأدب المغربي في الشمال الإفريقي اعتبروا أدب التشيع

١- انظر عنوان الاريب من ج ١ ص ١٨٤ وما بعدها، حيث قسّم دراسته الى خمسة عصور: عصر الفتح، العصر الاغربي، العصر العبيدي، العصر الصنهاجي، العهد الحفصي.



هو فاتحة الأدب العربي، وبدايته هناك، وهذا الرأي يتبناه من الباحثين بن تاويت في وافي^١، بينما يذهب بعض آخر من الباحثين، الى أن الأدب العربي كانت بدايته في المغرب على يد المهالبة، الذين ذهبوا كولاة الى الشمال الإفريقي من قبل العباسيين، وصاحب الرأي الثاني هو الدكتور محمد طه الحاجري، حين يقول: «يعتبر مبتدىء الأدب العربي في المغرب هو يزيد بن حاتم المهلبي، وذلك لاتخاذ الأدب مقرأ له في دار الأمانة، يجتمع فيه الادباء الذين خلصوا للأدب وتوفروا عليه، وممارسة الأمير وظيفته ازاءهم، بتشجيعهم، وبرّهم، وبسط رعايته عليهم»^٢. ومع ما لاحظناه على هذا النص، من أنه لا يشير الى أن يزيد بن حاتم أنتج ادبا عربياً، ولكنه شجّع الأدباء ورعاهم، وجعل لهم مجلساً ادبياً في دار امارته، وان تلك الممارسة كانت وظيفيه ولم تثبت كونه أدبياً منتجاً للأدب، في حين يؤكّد محمد بن تاويت بأن ادريس بن ادريس كانت له خطبة اعتبرها ابن تاويت النص الادبي الاول الذي جادت به المغرب باللغة العربية، الا أننا - لو سلمنا بذلك - لا نرى تعارضاً بين هذين الرأيين، وذلك بأن الشمال الإفريقي يقسم وكما هو معلوم الى ثلاثة اقسام شاسعة وهي المغرب الادنى، والمغرب الاوسط، والمغرب الاقصى هذا بالاضافة الى برقة وطرابلس، وأن كل واحد من الذين نسب اليهما ابتداء الأدب العربي هناك كان يسكن في صقع من هذه الاصقاع الآتفة، وكما هو معلوم ايضاً بأن المولى ادريس كان في المغرب الاقصى، فكان هو منتج الأدب العربي الأول هناك، وكذلك يزيد بن حاتم في صقعه الذي يسكنه منه، اضافة الى أننا نرى بأن ابن تاويت قد لاحظ أمراً هاماً، وهو أن (ادريس الاصغر) كما يسميه، عربي ولد في الارض المغربية، ولكن يزيد بن حاتم جاءها مهاجراً من المشرق، فادريس أول عربي مغربي انتج ادبا عربياً، وبهذا يكون الأدب الشيعي - وعلى كل حال - رائداً للأدب العربي في الشمال الإفريقي، أو على الاقل أن له الريادة في جزء مهم من أجزاء ذلك الشمال وهو المغرب الاقصى وليس هذا بالغريب على الشيعة، ولا

١- انظر الوافي بالادب العربي ج ١ ص ١٥.

٢- دراسات وصور ص ٥٠.



بالكبير عليهم حيث أنه قيل «وهل ترى من أديب غير شيعي».^١

والشيء الذي يجب أن يشار إليه، هو أن الكثير من العرب قد دخلوا المغرب، سواء مع جيوش الفتح في صدر الاسلام أو في زمن بني امية، وسواء جاءوها وافدين عليها فرادى أو جماعات لسبب أو لآخر، وقد كان أكثر هؤلاء العرب ادباء، وخلف لنا التاريخ شيئاً من ادبهم الذي انتجوه على أرض الشمال الإفريقي، ومنهم أبو ذؤيب الهذلي الشاعر الذي استشهد هناك^٢، و(أبو الخطّار حسام بن ضرار الكلبي الذي يذكر أنه أحد امراء الامويين على الأندلس من قبل أمير افريقيا بشر بن صفوان الكلبي وشعره يعكس الروح العصبية والقبلية التي كان يضطرب بها المشرق آنذاك)^٣، والحكم بن ثابت السعدي الشاعر المعروف كان مع الجيش الذي بعثه المنصور العباسي لقمع ثورة البربر، وأبو مالك امان بن الصمصامة بن الطرماح بن حكيم^٤، والطرماح هذا شاعر الخوارج الأكبر في المشرق، وغيرهم الكثير. ولكن أي من المؤرخين للادب العربي في المغرب العربي لم يعتبر احداً من هؤلاء هو السباق لانتاج الأدب العربي في الشمال الإفريقي ولم يعلل الباحثون ذلك التجا في هؤلاء، ولا نظنّه، إلا لأن هؤلاء قد عاد بعضهم الى موطنه الاول المشرق، ولذلك لا يمكن أن يقال عنه مغربي، والبعض الآخر قد هجر المغرب عابراً الى الأندلس، فكانت المغرب له ممراً عبر منها الى الأندلس وفيما بعد اعتبر اندلسياً في البلد والأدب، وعندها لا يمكن أن يقال عنه مغربي، واما الثلة التي بقيت منهم في المغرب وانتجت ادبا مغربيا، ولم ينسب لها قصب السبق في انتاج الأدب العربي هناك فلا نحسبه إلا لأنها انطوت تحت لواء إحدى الزعامات السياسية، التي استحوذت فيما بعد على كلّ شيء وحتى زعامة الادب، كما كان ذلك من قبل الأمير يزيد بن حاتم المهلبي والذي نسب اليه ابتداء الأدب هناك مع أنه لم يرق الأبر عاية الادباء، وتوفيره مجلساً ادبياً لهم في دار الأمانة.

١- كاشف الغطاء محمد الحسين: أصل الشيعة وأصولها ص ٤٠، تحقيق علاء آل جعفر، مؤسسة الأمام علي، قم ١٤١٥.

٢- الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٣٧.

٣- دراسات وصور ص ٥٠.

٤- نفس المصدر ص ٥٢.



العصر الادريسي أو العصر العلوي

بعد أن تتبعنا تاريخ التشيع في أيام الفتح العربي الاسلامي الاولى للشمال الإفريقي، وعلى مختلف الروايات التاريخية التي حدد فيها المؤرخون، السنة التي بدأت عمليات الفتح منطلقة من غرب الاسكندرية، وعلى وجه التحديد نحو برقة الليبية الى الأيام، التي تم فيها انشاء أول وجود رسمي للتشيع في النصف الأول من العقد الثامن من القرن الأول الهجري والمتمثل بالدولة الادريسية لم نجد للتشيع خلال هذه الفترة أي وجود أدبي يذكر.

وكل ما تمكنا من الحصول عليه، هو أن أقدم رجالات الاسلام ومن عرفوا بتشييعهم لعلي بن أبي طالب، أمثال أبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر، والمقداد بن الاسود الكندي، وعبدالله بن عباس، وغيرهم قد وطأت اقدامهم أرض الشمال الإفريقي مع جيوش الفتح الأولى، ولكنهم رجعوا الى المشرق بعد تمام العمليات العسكرية التي شاركوا فيها في حينها أو انهم مكثوا قليلاً هناك ثم عادوا، وكما ذكرنا بأن أكثر من هذا هو وصول الحسن والحسين عليها السلام أرض الشمال الإفريقي وهم أئمة التشيع والأساس الذي بُني عليه، وكذلك وجدنا بأن بعض التابعين ممن عرفوا بتشييعهم لعلي بن أبي طالب ايضاً قد وصلوا الى المغرب، واستوطنوها أمثال حنش الصنعاني. ويضاف الى هذا بأننا وجدنا، أن أكبر قادة التشيع وأئمة، قد أولوا للمغرب اهتماماً خاصاً وأرسلوا اليه من ثقافتهم، لكي يقوموا هناك بنشر أفكار التشيع والدعاية له، وقد كان ذلك من قبل سادس أئمة أهل البيت عليهم السلام جعفر بن محمد الصادق عندما أرسل الى الشمال الإفريقي السفيناني والحلواني ونزلاً في حينها أرض الجزائر من المغرب العربي. ولكننا كذلك لم نجد أي أثر يذكر لوجود أدبي شيعي، لا في الفترة التي ذهب فيها التابعون من الشيعة الى الشمال الإفريقي، ولا في المدة التي وصل فيها الداعيان الشيعيان سنة ١٤٥هـ^١ الى سنة ١٧٠هـ وهي السنة التي وصل فيها ادريس بن عبدالله ابن الحسن الى المغرب، وشرع هو ومولاه الحميم راشد في التحضير لانشاء دولتها بالتعاون مع عبد الحميد الأوربي البرانسني البربري، بل أن كل ما وجدناه، هو قيام الداعيين الشيعيين بالدعوة للتشيع، والتبليغ له، وأنها

١- بدر احمد: هجرة الثقافة من المشرق الى المغرب في القرن الثاني للهجرة، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، العدد



مارسا هذا النشاط ونجحافيه، بعد أن وجدا الارضية بين ابناء المغرب مهياة لقبول ما جاء من اجله، وأن حبّ أهل البيت عليهم السلام والتعاطف معهم قد سبقهما الى ربوع الشمال الإفريقي. وعلى هذا يمكننا القول جازمين بأن أرض الشمال الإفريقي لم تنتج ادبا شيعيا بالمعنى الاصطلاحي للادب إلا بعد مجيء ادريس بن عبدالله اليها وانشائه دولة شيعية على اراضيها، أي انه لم يسجل لنا تاريخ الأدب أي نصّ ادبي شيعي ينسب الى المتشيعين في المغرب، إلا بعد أن وصلها ادريس الحسني، وتمكن من تكوين الدولة العلوية الحسنية الادريسية الشيعية فيها. وبناءً على هذا، نقول بأن الأدب الشيعي في الشمال الإفريقي بدأ مسيرته مع بداية عهد الأدارسة هناك، وعندها نستطيع اطلاق اسم العصر أو العهد الادريسي على أول عصر لادب التشيع في المغرب، بعد أن قررنا تقسيم الأدب الشيعي فيها الى عصور ادبية.

لقد امتدّ عهد الأدارسة في المغرب على مساحة زمنية طويلة بالقياس الى أعمار الدول الاخرى التي حكمت في أرض الشمال الإفريقي، حتى أن عهد دولتهم تداخل في وجوده مع دولة الفاطميين، إذ أن تأسيس الدولة الادريسية وكما تذكر المصادر كان سنة ١٧٢هـ^١، وقد كانت نهايتها سنة ٣٧٥هـ^٢. أي أن عهد الدولة الادريسية امتد لقرنين وثلاث سنين، وعليها يكون العهد الادريسي بهذا العمر من السنين ايضا. وأنه تداخل في بعض سنينه وارجائه مع العهد الفاطمي، ولربما بقي ممتدا بعد رحيل الفاطميين الى مصر، حيث أن رحيلهم كان سنة ٣٦٢هـ عندما وصل المعز لدين الله القاهرة. ولذا كان امر هذا العهد الادبي شائكا متداخلا مع العهد الفاطمي الذي يليه واعتبرناه - الفاطمي - أيضا عهدا مستقلا لأسباب سنذكرها في حينها.

ومع كل ما يمكن تسجيله من ملاحظات الضعف أو القوة أو غيرها على هذا العصر، إلا أن الشيء الاهم الذي يجب ذكره وقبل كلّ شيء عن هذا العصر وأنه لو لم يكن أي فضل للادارسة وعهدهم الادبي على الأدب العربي بعنوانه العام، وعلى الأدب الشيعي منه بشكل خاص غير السبق والريادة لانتاج أدب عربي في الشمال الإفريقي، وازدادتهم رصيذاً الى

١- الاستقصا ج ١ ص ٥٥.

٢- الادارسة في المغرب الاقصى حقائق جديدة ص ٧٥.



الاديين، لكفى به فضلاً وفخراً لهذا العهد الأدبي، الذي اعتبرناه أول العصور الادبية الشيعية في المغرب، وكذلك أول العصور الادبية العربية هناك.

حتى أن الأستاذ عبدالله كنون^١ يعتبر قيام الدولة الادريسية فتحاً عربياً اسلامياً مهماً للمغرب، ويعتبره أهم الفتوح، وأكثرها ثماراً، لما آل اليه من تعريب المغرب، واعطاء اللغة العربية أكلها، بادب عربي تزامن مع الايام الأولى لقيام تلك الدولة.

ويعود نهوض الحركة الادبية في أول أيام الأدارسة، الى جملة من الاسباب من أهمها: أن الحكام الأدارسة انفسهم عرب اقحاح متذوقون للادب، ويفهمونه فهماً حقيقياً، وأنهم ادباء متمكنون في الادب، سواء الشعر منه أو النثر، وهذا ما سجله لهم التاريخ الادبي في الشمال الإفريقي، إذ أن ادريس بن عبدالله الزعيم الأول للدولة الادريسية ومؤسسها خطب في انصاره عند بيعتهم له خطبة تحاكي خطب العرب في جاهليتهم وصدر الاسلام قوة وبلاغة ولقد سقنا جزءاً من هذه الخطبة فيما سبق، وكذلك كان ادريس بن ادريس ثاني أئمة الأدارسة، فكان خطيباً بارعاً، وشاعراً لاذعاً، يسترسل في خطبته، وينساب في شاعريته، ومن ذلك خطبته بعد أن بويع بالخلافة للدولة الادريسية، وهو ابن احدى عشرة سنة (الحمد لله أحمد، واستعينه، واستغفره واتوكل عليه، واعوذ به من شر نفسي، ومن شر كل ذي شر، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، المبعوث الى الثقلين بشيراً ونذيراً، وداعياً الى الله باذنه، وسراجاً منيراً صلى الله عليه وعلى آل بيته الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، أيها الناس انا الذي قد وليت هذا الامر الذي يضاعف فيه للمحسنين فيه الاجر، وللمسيئين الوزر، ونحن والحمد لله على قصد جميل، فلا تمد الاعناق الى غيرنا فان الذي تطلبونه من الحق انما تجدونه عندنا.^٢ فلا يمكن أن نسجل على هذه الخطبة لآ ما قلناه على خطبة ابيه، بأنها تحاكي خطب العرب في أيام الجاهلية وصدر الاسلام قوة وبلاغة، وأنها مع إيجازها تحمل معاني عظمية، وانها قد حازت على كل ما يكون من شرائط

١- انظر: النبوغ المغربي ج ١ ص ٤٥ - ٤٨.

٢- الانصاف في تاريخ الاشراف ص ٧٥.

للخطبة الناجحة، بايضاح مطلب الخاطب وايصاله الى هدفه من وراء الخطبة. وذلك أنها قد شئت فيها رائحة التشيع قوية، وذلك بذكر الآل عندما صلى على النبي، والاشارة الى أن آية التطهير تشملهم، وانهم هم أهل البيت دون غيرهم، وأن من أراد الحق، يجب أن يلتزم بهم فقط، مضافاً الى أنه أكد حقهم في الخلافة، وهذا ما تذهب اليه الشيعة.

وقد نسب لادريس الثاني شعر كثير منه:

أليس أبونا هاشم شدّ أزره... بيتان

ومنه قوله:

لو مال صبري بصبر الناس كلهم	لضلّ في روعتي أو في جزعي
وكيف يصبر مطوي هضائمه	على وساوس همٍّ غير منقطع
إذا الهموم توافت بعد هجعته	كرّت عليه بكأس مرة الجرع
بان الاحبة واستبدلت بعدهم	هتماً مقيماً وشملاً غير مجتمعاً
كأنني حين يجري الهم أذكرهم	على ضميري مخبول من الفزع
تأوي همومي اذا حرّكت ذكرهم	الى جوانح جسم دائم الهلع
وله ايضا:	

أبهلول قد حملت نفسك خطة	تبدلت منها ضلة برشاد
اضلّك ابراهيم مع بعد داره	فاصبحت منقادا بغير قياد
كأنك لم تسمع بمكر ابن اغلب	وقد رمى بالكيد كل بلاد
ومن دون ما منتك نفسك خاليا	ومتناك ابراهيم شوك قتاد ^٢

وبهلول المخاطب بهذه الأبيات هو ابن عبدالله بن عبد الواحد المطغري الشخص البربري الذي اختاره ادريس الثاني وزيرا له تماشيا مع السواد الاعظم من رعايا دولته وهم البربر،

١- الحلة السيرة ج ١ ص ٣٩٧ - تحقيق د. عبدالله انيس الطباع، هكذا في الحلة، ولكن محمد بن تاويت في كتابه (الوافي بالادب العربي في المغرب الاقصى) يروي كلمة مال في البيت الأول «مد»، وكذلك في الحلة اربعة أبيات، وأزاد عليها ابن تاويت بيتين على ما نقلناهما هنا.

٢- الاستقصا: ج ١ ص ١٦٤.



ولكنه - بهلول - انحرف عن الامام ادريس الثاني الى العباسيين بتشجيع ومكيدة من ابراهيم بن الاغلب والى افريقيا.^١

ولم يكن من الأدارسة فقط ادريس الاول الاب، وادريس الثاني الابن، شعراء، بل كان من اعقابهم الذين خلفوهم على زعامة دولتهم، من عرفوا بانهم شعراء ايضا، ومن اولئك الاعقاب القاسم بن ادريس و ابراهيم بن الحسن ويحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس وغيرهم، وقد شهد لهم بذلك جملة من الباحثين في الأدب المغربي ومنهم محمد بن تاويت حين يقول «ومهما يكن، فان امراء الأدارسة قالوا شعرا، فكانوا كبنى امية في الأندلس، مبكرين بالحركة الادبية، وهكذا كان ادريس والقاسم ثم ابناؤهما واحفادهما، مثل ابراهيم بن الحسن، الذي وفد على الخليفة الاموى المستنصر عام ثلاثة وستين وثلاث مائة، ومعه ولده محمد، فأقاما بالأندلس الى ان غدر ابن عامر بالحسن بن جنون، فقال ابراهيم يهجو هذه الابيات:

فيما ارى عجبا لمن يتعجب	جلت مصيبتنا وضاق المذهب
انى لا كذب مقلتي فيما ارى	حتى اقول غلطت فيما احسب
ايكون حيا من امية واحد	ويسوس هذا الملك هذا الاحدب
تمشى عساكرهم حوالى هودج	اعواده فيهن قرد اشهب
ابني امية اين اقمار الدجى	منكم وما لوجودها تتغيب ^٢

وهذه الأبيات لابراهيم الادريسي، بدايتها تذكرنا السنة الشعرية التي عرف بها شعراء الشيعة، تلك التي تفوح منها رنة الحزن، واستشعار المصيبة في كل حين، وأن ما يلاحظ على هذه الأبيات ايضا بأن شاعرها سلك فيها سبيل المداهنة السياسية اذ انه امتدح الامويين مع ان المعروف عن الشيعة بانهم لا هوى لهم بالامويين، بل ان الامويين أول اعدائهم، ولكنه لما أتهم المصيبة على يد ابن أبي عامر المتسلط على الخليفة الاموى، اراد ان يحرك عواطف الامويين عليه مع عدم ايمانه بكل ما هو اموى.

١- انظر دولة الادارسة في المغرب: سعدون عباس نصر الله، ص ٩٩.

٢- الوافي بالادب المغربي ج ١ ص ١٩.

ويواصل محمد بن تاووت ثناءه على البيت الادريسي مؤكداً، على انهم بيت علم وأدب، وان بيوتهم مقصد العلماء والادباء، وذلك بقوله: «وكان بيت ابراهيم الادريسي بيت علم وادب، وكان ابنه أحمد - كما يقول البكري - عالمهم فكان يحفظ السير والتواريخ، نسابة عاقلاً حليماً مبعجلاً، وكان يعرف باحمد الفاضل كما كان أحمد الأكبر بن القاسم له علم كذلك، وكان يشهد مجلس يحيى بن ادریس بن عمر بن ادریس العلماء، والشعراء، وكان من جلسائه أبو أحمد الشافعي الذي قصده من المشرق لا محالة، وكان ممن يتكلم عنده في العلم، وكان له عديد من النساخ والوراقين ينسخون له.

كما كان ينتجعه الناس من الأندلس وغيرها، فيحسن الى جميعهم، وينصرفون عنه اكرام منصرف. كما يقول البكري الذي ذكر ان هذا الأمير كان أهل فاس قد بايعوه، فاقام بها مدة الى ان قدم مصالة بن حبوس فتقدم الى مدينة الزيتون، وكانت قاعدته قبل دخول فاس فخرج اليه وبعد حرب طاحنة انهزم وحمل الى المهديّة، حيث هلك بها سنة ٣٣٤هـ^١. ومن الواضح بانه اذا كانت زعامة الدولة الادريسية على هذا المستوى من الحب والتذوق والعشق للادب، وانها، فلا بد للادب ان ينتعش فيها، ويتنفس الصعداء.

ومن الاسباب التي دعت الأدب، الى ان يشق طريقه في أيام الأدارسة، وهو ان الدولة الادريسية مبتنية على اسس عقائدية، ولها اتجاه سياسى واضح، إذ أنها تمثل الحالة الهاشمية العلوية الشيعية التي رفعت لواء الثورة بوجه العباسيين في المشرق، ولذلك فقد كانت بحاجة الى الاعلام، والدعاية السياسية، والتذكير باهدافها، ومبادئها من جانب، والى منافسة الاعداء والوقوف بوجه المناوئين من جانب آخر، ومن المعلوم بأن هذا كله من وظائف الاعلام وكان الأدب - وكما هو معلوم - يؤدي بعض ادواره، بل اهم هذه الادوار.

وعلى هذا نجد الأدارسة، قد سخرُوا الأدب لبعض وظائفه، وأهمها وهو الاعلام، وعندها تهيأت للادب فرصة الانتعاش والنمو في عصر الأدارسة.

ومن تلك الممارسات الاعلامية التي سخر فيها الأدب في أيام الأدارسة لخدمة قضيتهم،



وبالنتيجة فقد كانت عائدة على الأدب نفسه، ما حصل من مكاتبات واشعار بين ادريس الثاني والبهلول المدغرى من جانب، وبهلول المدغرى وابراهيم بن الاغلب من جانب آخر. ويضاف الى هذه المشاركات الاعلامية للادب في ظل الأدارسة الامداح التي مدح بها الأدارسة من قبل بعض الشعراء أمثال بكر بن حماد الذي قال في مدح أحمد بن القاسم بن ادريس:

ان السماحة والمروءة والندى	جمعت لاحمد من بنى القاسم
وقال في أبي العيش في بعض وقائعه:	
سائل زواغة عن طعان سيوفه	ورماحه في العارض المتهلل
وديار نفرة كيف داس حريمها	والخيل تمرغ في الوشيح الذبل
غشى مغيلة بالسيوف مذلة	وسقى جراوة من نقيع الحنظل ^١
ويبدو أنه صار شاعر الامارة. ^٢	

ومن هؤلاء الشعراء ابراهيم بن ايوب النكورى الذي مدح احد امراء الأدارسة بابيات:

أأحرهم من يمينك ري نفسي	ورزق الخلق من تلك اليمين
ويحجب عن جبينك طرف لحظي	ونور الارض من ذاك الجبين
وقد جبت المهامة من نكور	الك بكل ناجية أمون ^٣

ونحن نلاحظ هنا مدى المبالغة في هذه الأبيات وكذلك - اذا صح - ما يسمى بالباطنية، وبذا يمكننا القول بأنه ليس ابن هانيء هو وحده من سلك مسلك المبالغة في شعره، وأشار الى عقائد الباطنية، بل ان المغاربة لربما اتخذوا هاتين الخطتين سنة شعرية تميزوا بها.

ومن هؤلاء الشعراء ايضا سعيد بن هاشم المصمودى الذي هجا البرغواطيين بعد مقتلهم تحت راية أبي غفير الذي حارب ادريس الثاني، حيث يقول:

١- نفس المصدر ج ١ ص ٢٥.

٢- نفس المصدر.

٣- نفس المصدر ص ٢٠.

قفى قبل التفرق فاخبرينا وقولى واخبرى خبرا يقينا
هموم برابر خسروا وضلوا وخابوا لا سقوا ماء معينا
يقولون النبي أبو غفير فاخزى الله ام الكاذبينا
الم تسمع ولم تر يوم بهت على آثار خيلهم رنينا
رنين الباكيات بها ثكالى وعارية ومسقطة جنينا
سيعلم قوم تامسنا اذا ما أتوا يوم النشور مهيميننا
هنالك يونس وبنو ابيه يوالون البوار مهطعيننا
اذا وريا ورى رمت عليهم جهنم قائد المستكبرينا
فليس اليوم ردتكم ولكن ليالى كنتم متميسرينا^١

وهذه القصيدة تذكرنا بمعلقة عمر بن كلثوم التي مطلعها:

الا هبّي بصحنك فاصبحنا ولا تبقى خمور الأندرينا
ونلاحظ هنا في هذه الأبيات ما يفصح عن شدة تعلق المغاربة بالمشرق، ورغبتهم في اقتفاء
اثاره الادبية سيما الجاهلية منها، ولا نحسب هذا الأعلى اعتقاد المغاربة باصالة المشرق الادبية
وان من لا يحاكي المشرق في ادبه لا يمكن ان يقال عنه اديب عربي موفق.
وليس الشعر وحده الذي دخل ساحة الاعلام السياسى والعقائدى في دولة الأدارسة، بل
إن النثر كان له دور لا يستهان به، إذ أنه نزل ساحة الصراع وأدّى شيئاً من دور الأدب في ذلك
المعترك، وهذا ما نلاحظه واضحا على الخطب التي القاها أئمة الأدارسة الاوائل على انصارهم
ومبايعيهم بعد مراسيم البيعة، وقد مرت بنا خطبتا ادريس الاول وادريس الثانى وكيف سخرا
جزءا منها لذلك.

وقد اكّدت لنا أكثر المصادر، بأن العرب الذين سبقوا الأدارسة في المغرب العربي، كانت لهم
محاولات جادة في التعريب، وبناء المساجد التي تمارس عمليات التوعية الثقافية، من أمثال

١- نفس المصدر ص ٢٠، متميسر: يعنى ينتسب الى ميسرة الصفرى الشاعر.



حسان بن النعمان^١ وكذلك كانت لبعضهم مجالس ادبية من أمثال يزيد بن حاتم المهلبى الا ان على الظاهر - الأدب لم يعرف له بداية رسمية في المغرب الا في عهد الأدارسة. وقد ذهب بعضهم الى ان الجهود التي بذلت من قبل الأدارسة لم تستطع ان تعمل شيئا ملموسا مع كل ما قامت به الا انها مهدت السبيل. بل واعتبروا أول من نقل الحضارة الاسلامية الى المغرب هم الأدارسة والى ذلك يذهب صاحب موسوعة التاريخ الاسلامي حيث يقول «وينسب للادارسة انهم أول من نقلوا الحضارة الاسلامية الى المغرب»^٢.

وعلى كل حال، فإن عهد الأدارسة، إنما تخضت فيه الجهود العربية الادبية التي مهد لها العرب قبل الأدارسة وآت اكملها في عهدهم، إذ أن هذه الجهود بدأت منذ أيام الفتح الاولى، ولكن عدم الاستقرار السياسى في المغرب، وما حدث من الكَرّ والفَرّ بين العرب والبربر، وما حدث من معارك طاحنة دارت بين الفريقين، انما عرقلت بل أخرت العطاء الأدبي العربي المغربي تاريخيا، وكذلك ما حصل من هجرة صوب الأندلس من قبل أكثر العرب الوافدين على المغرب، حال دون اعطاء الثمار في المغرب، وهذا ما جعل الحركة الادبية في الأندلس تسبق تاريخيا نظيرها في الشمال الإفريقي.

ومما اكده الباحثون أيضا بأن التأثير الشقا في الذي تركه الأدارسة، قد عمّ الشمال الإفريقي ولم يقتصر على المغرب الاقصى الذي تشكّلت دولتهم فيه، ومن أكدوا ذلك الدكتور سوادى، حين يقول «ترك الأدارسة أثرا واضحا في الحياة الثقافية ليس في المغرب الاقصى فحسب، بل في جميع انحاء المغرب العربي الاسلامي»^٣.

ولا يمكن ان نتصور بان الجهود التي بذلها الأدارسة سهلة بسيطة حتى تمكنوا من تسيير عجلة الأدب العربي في الشمال الإفريقي، ولكنهم بذلوا جهودا مضنية حتى ذللوا الصعاب

١- راجع التبوغ العربى ص ٤٩ نشاطات حسان بن النعمان والى الامويين على افريقية، وكذلك عن نشاطات عمر بن

عبد العزيز الخليفة الاموى التي بذلها في افريقية.

٢- موسوعة التاريخ الاسلامي ج ٤ ص ١٨٤.

٣- عبد محمد سوادى: دراسات في تاريخ المغرب العربى ص ١٠٢ جامعة البصرة، ١٩٨٩.

التي كانت تقف بوجه حركة المسيرة الادبية، ومن تلك الجهود التي بذلها الأدارسة انهم استقدموا الكثير من العرب الذين يحملون الثقافة المشرقية وأناطوا بهم المسؤوليات والمناصب الحكومية، وجعلوا لهم بعض الاشراف على العملية الثقافية في دولتهم.^١

وهذا ما جعل قلوب بعض البربر تتوغر عليهم، وكما ظهر ذلك من بهلول بن عبدالله المدغرى، وذلك لأن تجربة البربر مع بعض العرب كانت مريرة، مما دفع البربر الى النفور في بعض الاحيان من كل ما هو عربي^٢ وكان من أول نشاطات هذه الوفود تعليم اللغة العربية للبربر، وفتح الكتاتيب، وتأسيس الرباطات، وكانت هذه وتلك اشبه بمدارس اولية تعد طلابها للجلوس في حلقات جامع القرويين^٣.

حتى أن الأستاذ عبدالله كنون يوعز تعريب قبائل الشمال الإفريقي، الى الجهود التي بذلها الأدارسة في حينها، حيث يؤكد بأن ما لم تصله اليد الادريسية من تلك القبائل بقى على بربريته الى ايامنا المعاصرة، ويعتبر الأستاذ كنون ايضا جامعة القرويين التي تأسست في عهد الأدارسة كان لها الدور الفاعل على الحياة الفكرية والثقافية في عموم الشمال الإفريقي.^٤

وقد اكد ذلك ايضا، صاحب موسوعة المغرب العربي.^٥

ومع كل ما اعطيناه من اهمية للعصر الادريسي، الا انه يبقى عصر الشروع والبداية، ولذلك لم يتمكن الأدب فيه ان يصل الى مستوى الطموح لأسباب عديدة، منها الاضطراب السياسي، والصراعات الداخلية التي حدثت بين ابناء البيت الادريسي نفسه من جهة وبين الأدارسة ومناوئهم من جهة اخرى، ومن ذهب الى ان الاضطرابات السياسية كان لها ذلك

١- انظر: احمد بدر، المرجع السابق، ص ٨٩.

٢- انظر نموذجا من السياسات التعسفية التي مارسها يزيد بن ابي مسلم والى الامويين من افريقية في زمن يزيد بن عبدالملك مع سكان تلك البلاد من البربر في «تاريخ المغرب الكبير» ح ٢ ص ٢٩٢ وكذلك انظر اخبار هذه الوفود في القرطاس ص ٤، الاستقصا ج ١ ص ١٦٣ - ١٦٤. تاريخ المغرب وحضارته ص ٤١٠.

٣- الامير الشاعر ابو ربيع ص ٥٧.

٤- انظر النبوغ الادبي ص ٥٣ - ٦٠.

٥- موسوعة المغرب العربي ١ ص ٢٩٨ - ٣٦٨.



الاثر السلبي، الدكتور حسن ابراهيم حسن^١ إذ يقول: ومن تلك الصراعات ما وقع بين ابناء ادريس الثاني بعد وفاة ابيهم، وقد بدأ الصراع عندما نكث عيسى اخو محمد بن ادريس الثاني البيعة التي اعطاها لاختيه صاحب شالة وتامسنا، وطلب محمد من اخيه القاسم صاحب طنجة ان يقمع تمرد عيسى ولكنه أبي وكتب الى اخيه معذرا:

سأترك الغرب نهبا وان كنت	في الغرب قتيلا ونديا
وأسمو الى الشرق في همة	يعزُّ بها ربّاً من أحبّا
وأترك عيسى على رأيه	يعالج في الغرب هما وكريا
ولو كان قلبي عن قلبه	لكنت له في القرابة قلبا
وان احدث الدهر من ريبة	شقاقا علينا واحداث حربا
فأنسى ارى البعد سترنا لنا	يجدد شوقا لدينا وحبنا
ولم نجد قطعا لراحماننا	نلاقى بها آخر الدهر عتبا
وتبقى العداوة في عقبننا	وأكرم به حين نعقب عقبا
وأوفق من ذاك جوب الفلاة	وقطع المخرم نقبا فنقبا ^٢

ومن اشار الى عدم نزوج الأدب في العهد الادريسي، وعدم تلبية حاجات المرحلة، وذلك لما كان عليه من حداثة عهد في البيئة المغربية ولعدم توفر العدد الكافي من الادباء لتغطية الاحداث آنذاك، محمد بن تاويت عندما علّق على حال الشعر والنثر في عهد ادريس الثاني ودورها في التعامل مع الازواضع السياسية والقضايا الاجتماعية الاخرى وذلك عندما يقول «وفي معظم هذه الاحداث كان للادب بعض الاصداء المخافتة، اغلبها اصداء الشعر، ودونها اصداء النثر، فمن الشعر نجد ابائنا للمولى يتصل بها بسياسة الدولة، وبعضها بعواطفه الخاصة.^٣

١- تاريخ الاسلام السياسي ج ٣ ص ١٧٧.

٢- الحلة السراء ص ٤١٣، جذوة الاقتباس ج ١ ص ٢٠٣ هامش رقم ٢٦٧.

٣- الوافي بالادب المغربي ج ١ ص ١٨.



خصائص الأدب في العصر الادريسي

تتلخّص هذه المميزات فيما يلي:

١ - يعتبر هذا العهد البداية والمنطلق للادب العربي المغربي بعنوانه العام، وللادب الشيعي المغربي بشكل خاص.

٢ - لقد ترك لنا هذا العهد نصوصا ادبية شعرية ونثرية لا بأس بها، تتناسب من حيث الكم مع حداثة انطلاقة الأدب في المغرب.

٣ - النصوص الادبية التي سجلها لنا مؤرخو الأدب عن العهد الادريسي، بعضها ينسب لعرب اقحاح سواء جاؤوا توا من المشرق العربي، وسواء ولدوا في ربوع المغرب، ونشؤوا هناك. وبعض النصوص التي احتفظت لنا بها كتب الأدب عن العهد الادريسي، كان ينسب الى غير العرب من البربر خاصة، ومن تعلموا العربية واجادوا في ادبها.

٤ - يعتبر هذا العهد هو البداية والمنطلق حتى في إنشاء المراكز الثقافية الشيعية بشكل خاص، والاسلامية بشكل عام، حيث كان جامع القيروان الذي تم بناؤه في زمن الأدارسة هو الدليل الشاخص على هذه الفضيلة للعهد الادريسي.

٥ - بالنظر لحداثة عهد المغرب العربي بالمسيرة الادبية فقد كان ينظر بعين الاجلال الكبرى للمشرق، ويحاول تقليده واقتفاء آثاره الادبية سواء بالاستشهاد فيها أو النسخ على منوالها، وكما اشرنا الى ذلك. وقد كانت هناك بعض المحاولات من المغاربة في هذا العهد لتكوين الشخصية المغربية الادبية المستقلة.

٦ - بالرغم من حداثة عهد المغرب من حيث الالتحاق بمسيرة الأدب العربي الا ان نصوصه الادبية كان اكثرها يتسم بمجالة الالفاظ، وعمق المعاني. باعتبار ان المغاربة كانوا متأثرين في حينها بالمشرق، ولكن هذا ليس معناه بأننا لا نجد بعض الغثاثة والركاكة في مجمل النصوص المغربية الادبية. حيث انها لا يمكنها ان تصل الى مستوى الأدب المشرق الذي حاولت هي تقليده في أكثر من موضع.



٧- ذكرت بعض النصوص الادبية في هذا العهد بحق أهل البيت عليهم السلام في تولي خلافة المسلمين، وأشارت ايضا الى مظلومية أهل البيت عليه السلام الا انها لم تفصح بشكل كامل وبين عن عقائد التشيع كما حدث ذلك في العصور اللاحقة خاصة في العهد الفاطمي، وعهد الموحدين.

٨- كان لهذا العهد الفضل في نشر اللغة العربية والحضارة والثقافة العربية والاسلامية في ربوع الشمال الإفريقي.

٩- كان للشعر صوت اعلى من صوت اخيه النثر في هذا العصر، ولم تذكر لنا اسماء مؤلفات نثرية ادبية فنية، ولا حتى مؤلفات غير فنية كالمصنفات التاريخية او غيرها وكلما وصلنا من نثر متمثلا ببعض الخطب والكتابات الديوانية والرسائل باغراض مختلفة، وقد برع بعض الكتاب في العهد الادريسي ومنهم الكاتب أبو الحسن عبدالله بن مالك الانصاري، حيث كان من العرب الوافدين على الامام ادريس الثاني فصيّرَه كاتباً له، وقد كان أبو الحسن يتمتع بثقافة عالية، فاقت ثقافة غيره في المغرب، وكان يوصف بأنه عليم فهيم بليغ، قام بالامر خير قيام. ومن المهام التي اناطها به ادريس الثاني كتابة عقد شراء موضع مدينة فاس من اصحابه.

١٠- كان للاضطراب السياسي الذي اصاب الدولة الادريسية أثره الواضح على الأدب في ذلك العهد كما وكيفاً. اذ أن هذا الاضطراب كانت انعكاساته على الأدب في العهد الادريسي سلبية.

١١- كانت الصراعات السياسية التي حدثت بين الأدارسة واعداء دولتهم عوامل تشجيع للادب في بعض الاحيان، وهذا ما اضاف رصيذاً كمياً الى الأدب في تلك الفترة، وخاصة السياسي منه اذا صح التعبير.

وقد اصبحت للشعر سوق نافقة، بفضل تلك الصراعات، خاصة وأن الاطراف المتصارعة كانت تتبادل الاشعار في مكاتباتها، وذلك ما حدث مثلاً بين ادريس الثاني وبهلول المدغري، وبين ادريس الثاني نفسه وابراهيم بن الاغلب.

العصر الفاطمي

يعتبر هذا العصر، من أهم عصور الأدب العربي في المغرب بشكل عام، هذا، اذا لم يكن هو الأهم من بين عصور الأدب العربي هناك. وذلك لان الأدب قد وصل في العصر الفاطمي الى

حالة من النضج، لم يتمكن من بلوغها في العصور السابقة ولا اللاحقة لهذا العصر، هذا من جانب ومن الجانب الآخر فإن الكمّ والكيف للأدب الذي تركه ذلك العصر لم يتمكن أى عصر آخر ان يترك لنا مثله، وكذلك فإنّ لوامع الأسماء الأدبية، وبرزها التي عرفها المغرب، كانت قد انضوت تحت لواء الفترة الزمنية للعصر الفاطمي هناك في شمال افريقيا.

وبناء على هذا يمكن اعتبار العصر الفاطمي هو العصر الذهبي للادب العربي في المغرب، والشيعي منه على وجه الخصوص. ومما جعل الأدب يصل الى حالة النضج الذي وصل اليه أبان العهد الفاطمي في شمال افريقيا، ويترك لنا ذلك الكمّ الهائل من الادباء الذين عرفتهم الارض المغربية والذين أثروا الأدب بانتاج ركيز كثير، حالة النضج العامة التي وصل اليها عموم العالم العربي والاسلامي آنذاك، اذ أنّ ترجمة العلوم والفنون، وزيادة الوعي، وانتشار المراكز العلمية والتربوية، والمدنية الرفيعة، والانفتاحات الثقافية التي آتت أكلها ضمن تلك الفترة، كان لها الاثر الفاعل على عموم الاوضاع السياسية والاجتماعية والادبية في تلك الحقبة، ويشهد على ذلك ما كان افرزه المشرق في نفس الفترة وفي جميع المجالات آنفة الذكر، حيث ان تلك الفترة كانت ضمن القرن الرابع الهجري على وجه التحديد، ذلك القرن الذي كان متميزا في كل ثنية من ثنياه من بين كل القرون التي عرفها تاريخ العرب والمسلمين.

لقد أشرنا للعهد الادريسي بأنه يتداخل تاريخيا مع العهد الفاطمي، والذي دعانا الى اعتبار العصر الفاطمي عصرا مستقلا هو ما وصل اليه الأدب من نضج في عهد الفاطميين من حيث الكمّ والكيف، وكثرة الادباء اولا، ولأنّ الأدب الشيعي اصبح واضح المعالم بيّن الخصائص، وانه اصبح أكثر جرأة في تصريحه بالعقيدة والانتساب الشيعي؛ بعكس ما كان عليه الأدب الشيعي أيام شقيقه العهد الادريسي الذي سبقه في البداية التاريخية، والذي كان يداهن في بعض الاحيان لعدم ميكنة الأدراسة السياسية، بينما كانت الشوكة السياسية للفاطميين من القوة حتى انهم صرّحوا بمذهبية دولتهم وفي أيامهم الاولى، بل أنهم حاولوا فرض مذهبهم على كثير من الاجزاء المغربية التي كانت لا تدين به وبالقوة، كما حدث في بعض الاجزاء الليبية.

وأما عن بداية هذا العصر فيمكن اعتبارها من السنة التي أعلن فيها عبيد الله المهدي عن تأسيس دولته في المغرب، وهي سنة ٢٩٦ هـ، حيث يقول أبو القاسم كزّو (ومثل ما رأينا العصر الأغلب يبدأ بمؤسسه إبراهيم ابن الأغلب نرى العصر الفاطمي يبدأ بمؤسسه عبيد الله المهدي المتوفي سنة ٣٢٤ هـ، وقد وصف بأنه: كان رجل الدنيا دهاء وعقلا، متضلعا بالعلوم والأدب عارفا بالسياسة، وتدبير الملك، ومن شعره الذي كتبه الى بعض المخالفين المنشقين عليه، قوله:

فان تستقيموا استقم لصلاحكم وان تعدلوا عني اَرَ قتلکم عدلا
واعلو بسيفی قاهرًا لسيوفکم وادخلها عفوا واملوها قتلا^١

فبالإضافة الى استفادتنا من هذا النص - الذي ذكره محمد كزّو - تحديد بداية العصر الفاطمي، نستفيد شيئا مهماً آخر، وهو أنّ هذا العهد بدأ برجل اديب، متضلع بالعلوم، من الساسة والدهاء، والأبيات الشعرية المنسوبة له والتي ذكرت اعلاه خير دليل على كونه أديبا، وهذا ما يهمننا.

والشيء الذي يهمننا في كون عبيد الله المهدي أول خلفاء الفاطميين ومؤسس دولتهم في المغرب أديبا هو أنّ هذا العصر بدأ بداية طيبة حسنة مع الادب، وذلك بكون أول رجاله أديبا، فمن المحتم أن يفهم الادب، ويعين عليه. وعندها يمكننا ان نتوقع للادب في هذا العصر مستقبلا زاهرا، وفعلا فقد تحقق للادب ذلك المستقبل المشرق في العصر الفاطمي بالمغرب العربي، خاصة وان خلفاء الدولة الفاطمية الذين خلفوا عبيد الله المهدي يمكن ان يقال عنهم بأنهم اديباء حقا وحقيقة، وذلك بما خلفوه لنا من أدب يستحق التقدير، وقد يشهد بفضل هذا الأدب المنسوب لاولئك الخلفاء جملة من الباحثين المختصين بالشأن الفاطمي والشأن المغربي، ومن هؤلاء الباحثين محمد عبدالغني حسن الذي يقول «وكان خلفاء الدولة قبل الفتح الفاطمي لمصر يعيشون في المغرب، ويحتفظون بخصائص العروبة القوية، ولم تفسد سنتهم، بل كان بعضهم ينظم الشعر، كالخليفة القائم بامر الله الذي اتبع سياسة ابيه عبيد الله المهدي في التطلع

الى غزو مصر، قبل ان تحضر جيوش المعز لدين الله سنة ٣٥٨ هـ على يد القائد جوهر الصقلي، ويروى صاحب «سيرة الأستاذ جؤذر» ابياتا للخليفة القائم يفتخر فيها بنفسه، وبشرف آبائه، فيقول:

تبدلت بعد الزعفران وطيبه صدى الدرع من مستحكات السوامر
الم ترنى بعد المقامة بالسرى ولين الحشايا بالخيل الضوامر
وفتيان صدق لا ضغائن بينهم يثورون ثورات الاسود الخوادر
أرونى فتى يغنى غنائى ومشهدى اذا هيج الوادى لوقع الحوافر
أنا الطاهر المنصور من نسل أحمد بسيفي اقد الهام تحت المغافر^١
وكذلك (كان المعز شاعرا ايضا وأديبا، وقد نسب له المؤرخ ابن خلكان صاحب «وفيات الاعيان» ابياتا يقول فيها:

لله ما صنعت بنا تلك المحاجر في المعاجر
امضى وأقضى في النفو س من الخناجر في الحناجر
ولقد تعبت بيينكم تعب المهاجر في الهواجر^٢

ويعلق صاحب «مصر الشاعرة في العصر الفاطمي» على هذه الأبيات قائلا:

(وعلى الرغم من ظهور الصنعة والتعمل في المحسنات البديعية على هذا الشعر، فإن روح العاطفة فيه تبين لنا أثر العيون التي تخفيها المحاجر في قلوب الناظرين)^٣، ويقول صاحب «النجوم الزاهرة» عن العزيز أنه (كانت لديه فضيلة، ولديه شعر جيد)^٤، وقد روى الثعالبي في يتيتمته شعرا قاله - العزيز - في وفاة ولد له مات يوم عيد، وهو:

نحن بنو المصطفى ذوو محن يجرعها في الحياة كاظما
عجيبة في الانام محنتنا أولنا مبتلى وخاتما

١- حسين محمد عبد الغني: مصر الشاعرة في العصر الفاطمي ص ٨-٩ الهيئة المصرية الامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣.

٢- نفس المصدر ص ٩.

٣- نفس المصدر ص ١٠.

٤- النجوم الزاهرة ص ١٦٣.



يفرح هذا الوري بعيدهم ونحن اعيادنا مآتمنا^١
وقد يقال بأن العزيز كان خليفة للفاطميين في مصر، ولم يكن مغربيا، ولكننا نرى بأن كل ما كان لدى العزيز فهو مغربي، حيث انه وصل مصر من المغرب شابا قد استكملت شخصيته عناصر البناء الثقافي، ولم يلبث في مصر الا سنين قليلة حتى اصبح بعدها خليفة للفاطميين، بعد ان توفي والده المعز سنة ٣٦٨ هـ، الذي دخلها وابنه العزيز سنة ٣٦٢ هـ. وكذلك نحن نحسب تميم ابن المعز مغربيا ايضا، لانه وصل الى مصر أكبر سناً من اخيه العزيز، وان بناء شخصيته الثقافية قد تم في أرض المغرب ايضا، وقيم هذا يمكن ان يقال عنه بأنه أشعر ابناء البيت الفاطمي، وكان عند الفاطميين كابن المعتز عند العباسيين.^٢ ولربما قد اعتبر بعضهم بأن تميم ابن المعز لدين الله اشعر من جميع المعاصرين للعهد الفاطمي من المغربيين والمصريين، وسنحاول افراد فقرة خاصة لقيم وشاعريته.

ولما كان الخلفاء الفاطميون ادباء فقد بدأ الأدب ناهضاً وفي أيامهم الأولى، وذلك انهم أولوا الادباء اهتماما خاصا وتقديرا متميزا، وقد شهد الكثير من الباحثين لهم بذلك، ومنهم الدكتور شوقي ضيف بقوله: (وقد أكثر عبيد الله المهدي وخلفاؤه من نثر الحب، وتكاثرت طيور الشعراء من حولهم تلتقط هذا الحب في القيروان وفي المهديّة عاصمتهم الجديدة..... وكان المهدي نفسه شاعرا يحسن نظم الشعر، وتداولت الكتب قطعة طريفة تنسب له تارة، وتارة اخرى تنسب الى داعيته أبي عبد الله الصنعاني، وهي:

من كان مغتبطا ببلين حشية	فحشيتي وأريكتي سترجي
من كان يعجبه ويهجه	نقر الدفوف ورنة الصنج
فأننا الذي لا شيء يعجبنى	الآ اقتحامى لجة الوهج
سل عن جيوشي اذ طلعت بها	يوم الخميس ضحى من الفج ^٣

١- يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٢٣.

٢- ضيف شوقي: تاريخ الادب العربي عصر الدول والامارات، ليبيا وتونس، صقلية ص ٢١١، دار المعارف، القاهرة.

٣- المغرب ص ٥١.

وقد علق نفس الدكتور شوقي ضيف على هذه الأبيات قائلاً: (وهذه اخلاقية مثلى لمؤسس دولة)^١. وهنا يضاف الى الخلفاء الفاطميين داعيتهم الاول حيث أن المصادر تعتبره والخليفة الاول للفاطميين فرسي رهان في حبها للادب، بل أصرت على انها أديبان حتى أنها تنسب الأبيات الانفة الذكر مرة للخليفة ومرة الى داعيته الاول، والمؤسس الحقيقي لدولة الفاطميين في المغرب.

ومن يشهد ايضا للخلفاء الفاطميين، على أنهم ادباء، ولهم الصدارة في حب الادب، وطلب العلم صاحباً كتاب «المعز لدين الله الفاطمي»^٢، والدكتور خضر أحمد عطاء الله والذي يقول: «وشجعه - المعز - على ذلك البيئة التي نشأ فيها، فقد اشتهر والده المنصور بسعة الاطلاع، ولم تشغله مهام الخلافة، واعباء الحكم عن البحث والتأليف... بل أنه - المنصور - كثيراً ما كان يحتم على ابنه المعز أن يتوفر على الدرس، ويؤلف الكتب، ويقرض الشعر، وليس هذا وحده، فقد حرص على حث العلماء على الاستزادة من العلم، حتى لقد أثر عنه أنه كان يأمر قاضيه أبا حنيفة النعمان، وغيره بالنظر في القرآن، وتأليف الكتب في علومه»^٣، ومن الطريف جداً ما يقال بأن مخترع قلم الحبر هو المعز لدين الله العبيدي^٤، وهذا ما يعتبر ركيزة للبنية الثقافية والعلمية عند الخلفاء الفاطميين.

ويرجع الباحثون حب الخلفاء الفاطميين للادب - وخاصة - الشعر منه، وهذا طبعاً ما دعا الى النهوض الأدبي في العصر الفاطمي الى جملة من الاسباب، منها: أنهم - الخلفاء - عرب أقحاح يتذوقون الأدب العربي - خاصة الشعر - ويفهمونه^٥، ومن تلك الاسباب ايضا المنافسة السياسية بينهم وبين الدولة العباسية في بغداد^٦، ومن الاسباب المهمة في نهوض الأدب

١- تاريخ الادب العربي عصر الدول والأمارات ص ٢١١.

٢- انظر: المعز لدين الله الفاطمي ص ٣٦٥.

٣- عطا الله خضر احمد - الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي ص ٣٥٠ - دار الفكر العربي ط ١ القاهرة.

٤- تاريخ الجزائر العام ص ٣٠٦.

٥- انظر: الحياة الفكرية في مصر ص ٢٤٨.

٦- مصر الشاعرة في العصر الفاطمي ص ١٤.

في العصر الفاطمي وكما أوضحنا أن الدولة الفاطمية قامت على أسس عقائدية ومذهبية، وقد اتخذت لنفسها أسلوبا سياسيا خاصا، توفر به على نفسها الدعاية لمذهبها، وكان لا يمكن لها الاستغناء مطلقا عن تشغيل كل الوسائل الاعلامية لصالح قضيتها التي اقامت على اساسها دولة أرادت لها ان تعمّ كل العالم الاسلامي، ناهيك عن أن هذه الدولة ومنذ الايام الاولى لتأسيسها وجدت لها اعداء الداء منهم تقليديون كالعباسيين والامويين، ومنهم صنعهم الحدث وردة الفعل السياسية، كالخوارج وبعض البرابرة من جيرانهم ورعايا دولتهم، ومن المعلوم بأن الأدب هو المادة الاساسية لتمويل الاعلام موضوعيا من شعره الى نثره. وهذا ما دفع الخلفاء الفاطميين الى ايلاء الأدب اهمية قصوى واستثنائية، كانت فيها العائدة على الأدب نفسه بالنهوض والانتعاش، بالاضافة الى تحقيق الفاطميين لاهدافهم المرجوة من خلال هذا الادب، وقد اشار الى ذلك كثير من المختصين بالشأن الفاطمي، ومنهم محمد كامل حسين، عندما يقول: «ومن عوامل ازدهار الشعر في العصر الفاطمي أن القائمين على شؤون البلاد اتخذوا من الشعر وسيلة من وسائل دعوتهم السياسية على نحو ما تتخذ الاحزاب السياسية اليوم بعض الصحف، لتعبر عن اتجاه هذه الاحزاب وآرائها، وقد ذكرنا أن الفاطميين عرفوا قدر هذه الدعاية فاهتموا بها أيما اهتمام، واصطنعوا كل ما يفيدهم في دعوتهم من علماء وادباء وشعراء، وكان الفاطميون على قدرة وكياسة في فن السياسة، فعرفوا أن الشعر العربي منذ العصر الجاهلي كان من أهم وسائل الدعاية للقبيلة في العصر الجاهلي، وللاحزاب السياسية والفرق الاسلامية بعد ظهور الاسلام، وأن بعض الشعراء في العصر العباسي أمثال مروان بن أبي حفصة، وأبان بن عبد الحميد اللاحق وغيرهما ادخلوا في شعرهم بعض الآراء الفقهية في الدفاع عن الخلافة العباسية ضد الطامعين من العلويين، فلم يشأ الفاطميون أن يتركوا سلاح الشعر»^١.

ويظهر من هذا الكلام أن الفاطميين اعطوا للشعر عناية خاصة، وهذا ليس معناه أنهم أهملوا النثر ولكن عنايتهم الاكثر كانت للشعر، وقد اقتنى الخلفاء الفاطميون في مصر سنة



اسلافهم الاوائل من الخلفاء الذين أسسوا الدولة في المغرب، واعطوا الشعر عناية خاصة، بل كانوا هم شعراء، وكان من مظاهر هذه العناية، وكما يحدثنا المقرئ عن بركة الحبش التي كان بها طاقات، وعليها صور الشعراء، كل شاعر اسمه وبلده، وعلى جانب من هذه الطاقات قطعة من القماش كتب عليها من شعر الشاعر في المدح، وعلى الجانب الآخر رف لطيف مذهب، وأن الخليفة الأمر بحكم الله دخل مرة هناك وقرأ الأشعار، فأمر بوضع صرة على كل رف تحتوى على خمسين ديناراً، وأن يأتي كل شاعر ويأخذ صرته. وعندما يعلق محمد كامل حسين على هذا النقل للمقرئ يقول: «فلا أكاد اعرف دولة من الدول الاسلامية أقامت للشعراء هذا التمجيد»^١ وحسب ما ينقل العماد الاصفهاني في خريدته أن الفاطميين جعلوا من وظائف الدولة وظيفة «مقدم الشعراء»^٢.

ومن هذا كله يمكننا أن نعرف حال الشعر في العصر الفاطمي، وذلك لما كان الشاعر عندهم ينال كل تلك الحظوة، وذلك التقدير المعنوي والمادي من لدن الخلفاء الفاطميين والمسؤولين في دولتهم. حتى أن الدكتور عارف تامر، قد اعتبر بأن الفاطميين جعلوا للادب دولة، ولم يغفلوا استعمال سلاح الشعر خدمة لعقيدتهم ودولتهم، وذلك حين يقول «نستطيع ان نقول على ضوء ما ذكر لنا التاريخ ان الفاطميين جعلوا للادب دولة، واتخذوا من الشعر سلاحا يدافعون به خصومهم، فاكثروا من استحداث المواسم والحفلات، وافتتخوا في اقامة حلقات الشعر، حيث كان الشعراء يتبارون في انشاد قصائدهم، ويتنافسون في الاجادة والاتقان.... وبالعالم الفاطميون في الاهتمام بالشعر، وتقريب الشعراء على اختلاف مذاهبهم، فاتخذوا أكثر هؤلاء الشعراء اداة لنشر الافكار الفاطمية، وتحقيق سياسة الفاطميين، ومنازلة العباسيين، وحرص الشعراء على اتقان الشعر والاكتثار منه»^٣، ومن هذا يتضح بأن الشعر الاكثر رواجاً في العهد الفاطمي هو الشعر السياسي، وخاصة المتصل منه بالمنافحة عن الفاطميين سياسة

١- نفس المرجع.

٢- المقرئ: الخطط ج ١ ص ٤٨٦.

٣- تامر عارف: تعميم الفاطمي ص ١٠-١١ مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٢.



وعقيدة، وهذا ليس معناه أن بقية الاغراض قد اسدل عليها الستار، حيث نجد شعرا رائعا وفي مختلف الاغراض التي نظم فيها العرب في شعر العهد الفاطمي وسنعرض لنماذج منها في فصل الشعر.

وقد أكد الصبغة السياسية والعقائدية في الأدب الفاطمي والشعر منه على وجه الخصوص جملة من الباحثين كان منهم مصطفى الزمرلي عندما حقق القصيدة الفزارية، وعلق على بعض أبياتها، وذلك بقوله «فاصطبغت الحركة الفكرية بصبغة الأدب الشيعي الاسماعيلى، في معظمها لان الفقهاء، والائمة كانوا من شيعة الاسماعيلية، والعلوم حكمية تتناول الفلسفة والعلوم الحسابية، وخصوصا علم التنجيم... والشعر الفاطمي كان سياسيا جدليا الا ما شذ منه»^١ ولا نريد هنا ان نطيل في ذكر النماذج الشعرية على ذلك، بل سنكتفى بذكر بعض النماذج التي على الصبغة العقائدية السياسية الجدلية في شعر الفاطميين، ومن ذلك قول تميم بن المعز الفاطمي يمدح اخاه العزيز:

جئت الخلافة لما ان دعتك كما	وافى لميقاته موسى على قدر
كالارض جاد عليها الغيث منهملا	فزانها بضروب الروض والزهر
ما انت دون ملوك العالمين سوى	روح من القدس في جسم من البشر
نور لطيف تناهى منك جوهره	تناهيا جاز حد الشمس والقمر
معنى من العلة الاولى التي سبقت	خلق الهيولى وبسط الارض والمدر
فانت بالله دون الخلق متصل	وانت لله فيهم خير مؤتمر
وانت آيته من نسل مرسله	وانت خيرته الغراء من مضر
لو شئت لم ترض بالدنيا وساكنها	مثنوى وكنت ملك الانجم الزهر
ولو تفاظنت الالباب فيك درت	بانها عنك في عجز وفي حصر ^٢

١- القصيدة الفزارية في مدح الخليفة الفاطمي المنصور لابي القاسم الفزارى ص ٥٤ - ٥٥ دراسة وتحقيق مصطفى الزمرلي،

تقديم ومراجعة حمادى الساحلى ومحمد اليعلاوى دار مغرب الاسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩٥.

٢- خريدة القصر ص ١٧٧.

فسياسية هذه القصيدة بينة واضحة، اذ انها عرضت لمسألة الخلافة والحكومة، وأحقية العزیز بها على أساس والانتخاب الالهی وهذا ما یذهب الیه الشیعة فی الامامة وخلافة المسلمین، ثم العقائد الاسماعیلیة والجدال عنها بأسلوب فلسفی لا غبار علیه، حیث أن الشاعر اعتبر خلیفة الفاطمیین نورا لطیفا وانه معنی العلة الاولى، تلك التي سبقت خلق الهیولی، وسبقت تسطیح الارض وما علیها وأن هذا الخلیفة آیه الالهیة وامتداد من رسول الله ﷺ، وانه یملك الاشاءة فی كل ما یرید ویرغب، وما الى ذلك، ومن أمثال هذا الشعر لدى الشعراء الفاطمیین نجد الكثير.

وینضم الى صف القائلین بازدهار الشعر العقائدی السیاسی، واستفادة الفاطمیین من الشعر واستخدامه لدعوتهم السیاسیة، الدكتور محمد زغلول سلام، وذلك حیثا یقول: «ومما دعا الى ازدهار الشعر أن القائلین على شؤون البلاد اتخذوا منه وسیلة من وسائل دعوتهم السیاسیة، وكانوا یشجعون الشعراء فی مدائحهم على الحدیث عن المذهب واصول الدعوة الفاطمیة، وعقائدهم فی الائمة والعلم الباطن، وكما يتحدثون عن حقهم السیاسی فی الخلافة»^١. ومن الطبیعی أن هذا الاهتمام الضخم للشعر من قبل الفاطمیین، جعله یخطو خطوات راسخة على سبیل التقدم والرقی، حتی كاد أن یفوق الشعر المشرقی، بالرغم من كون العصر الذي عاش فیہ الفاطمیون، هو القرن الرابع الهجری، وذلك القرن قد عرف اعظم أعلام الشعر العربی فی المشرق.

ولم یقتصر هذا التقدم على الشعر فقط، بالرغم من كل تلك العناية التي اولاهها اياه الفاطمیون، بل ان شجرة شقیقه النثر قد بسقت فروعها، وامتدت جذورها. ولربما كانت الاسباب مشتركة فی تقدم الشعر والنثر، حیث أن الائمة الفاطمیین، كانوا خطباء متكلمین، ذوی لسن، وكان لهم ولع بالعلم والتألیف، وكانوا ایضا یشجعون على ذلك كله، ویطلبون من دعائهم وعلماء دولتهم الاجادة فی العربیة واسالیبها، والتألیف فیها وفی غیرها من العلوم، وقد اكد هذه المنقبة للخلفاء الفاطمیین كل من تعرض لسیرة حیاتهم، ومن اولئك الدكتور محمد



كامل حسين، بقوله: «وكان الائمة يجيدون فن النثر كما كانوا يعرفون الشعر فقد كان الائمة يقولون الخطب الدينية في المسجد الجامع ويقرأون ما عرضه عليهم الدعاة في مجالس الحكمة، وقد يبدلون بعض اجزاء هذه المجالس»^١ وقد حفلت المصادر الخاصة بالفاطميين بذكر العديد من الصفحات النثرية كالخطب والاقوال المنسوبة للائمة الفاطميين، والتي تدلل على اجادتهم فن النثر والاعتناء به لا بل انهم كانوا يلتذون به ويحثون عليه ويثيرون على انشائه. وكما ينقل القاضي النعمان عن المعز ذلك، بقوله: «والله، اني لاجد من اللذة، والراحة، والشهوة في النظر في الحكمة ما لو وجده أهل الدنيا لا طرحوها له، ولو لا ما اوجب الله سبحانه من امور الدنيا لاهلها، واقامة ظاهرها، ومصالحهم فيها لفرضها لتلذذ في الحكمة، والنظر فيها، وان كان الذي قلّدت من امور الدنيا والنظر فيه حكمة بالغة لمن ابصر، وحجة لمن تدبر ونظر»^٢. وهذا النص يكشف لنا مدى قوة السبك النثري لدى المعز الخليفة الفاطمي، وكذلك يوضح لنا اهتمامه بالعلم والفلسفة وانه على درجة عالية من الثقافة وتشجيع العلماء.

وكذلك من الاسباب التي دعت النثر أن يتقدم كشقيه الشعر في العهد الفاطمي، هو التوظيف الذي وظفه فيه الفاطميون لخدمة سياسة دولتهم، وترويج عقائدهم، التي ابتنيت عليها اسس دولتهم، وقد اكد استخدام النثر لهذا الغرض من قبل الفاطميين صاحب «الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي» حين يقول «وكما تأثر الشعر بالعقائد الفاطمية تأثرت الكتابة بهذه العقائد تأثيرا يظهر في السجلات التي تصدر في الاعياد والمواسم، أو في تولية امام أو احد رجال الدولة من وزراء وقضاة، ففي مثل هذه السجلات كان الكتاب يلمون بالعقائد، ويؤولون بعض ايات القرآن الكريم، تأويلا يتفق مع مذهبهم الفاطمي، ويذكرون في كتاباتهم رأى الفاطميين في كل مناسبة وكل عيد، فالسجلات التي صدرت في عهد العزيز كانت تنصب على ولاية علي بن أبي طالب والائمة المنصوص عليهم من بعده، وسجل مأتم عاشوراء كان في الحسين بن علي وما لاقاه أهل البيت من أهوال، وسجل رؤية رمضان في ذكر عقيدة

١- ادب مصر الفاطمية ص ٣٠٦.

٢- القاضي النعمان: المجالس والمسائرات ص ٩٤.

الفاطميين في هلال رمضان»^١. ولربما يلاحظ على هذا القول بأن هذا ما كان يفعله الفاطميون في مصر، ولكننا نقول بأن هذه المراسيم التي فعلها العزيز في مصر كانت من السنن التي اختطها له آباؤه الخلفاء الأربعة في المغرب بمناسبة الأعياد، وعاشوراء، والتنصيب للخليفة أو ل أحد رجال الدولة أو غيرها. وكذلك أكد صاحب «أدب مصر الفاطمية» توظيف النثر للسياسة والعقائد الفاطمية قائلاً: «وهكذا كانت هذه السجلات حافلة بالمعتقدات الفاطمية، التي لا يمكن أن تصدر عن دولة غير فاطمية المذهب»^٢.

ومن كل هذا نستحصل نتيجة واحدة، وهي أن الدولة الفاطمية أولت عنايتها أيضاً بالنثر، خدمة لها سياسة وعقيدة، وهذا الاهتمام بالنثر كانت عائدته على النثر أيضاً، حيث أنه استفاد من هذا الاهتمام تقدماً ورقياً.

ومن الفنون النثرية التي لوحظ عليها ذلك التقدم في العصر الفاطمي الخطابة، وذلك لتوظيفها من قبل الدعاة والخلفاء أحسن توظيف في خدمة قضيتهم، وقد أكد ذلك الدكتور محمد طه الحاجري حين يقول: «وشيء آخر من مظهر النشاط الأدبي هو المظهر الخطابي»^٣. وسنفرد فصلاً للخطابة الشيعية في المغرب لاحقاً.

وما دمنّا في ذكر الدعاة والذين كانوا يمثلون مظهر ادبيّا بنشاطاتهم التي بذلوها من أجل الدعوة للفاطميين، وقد كان الفضل في تأسيس دولة الفاطميين لهم، حيث أبو عبد الله الشيعي الصنعاني أول هؤلاء الدعاة، ومن ثم صاروا جهازاً رئيسياً من أجهزة الدولة وكانوا يمثلون جزءاً هاماً أيضاً من موكب المهدي، ويسعون بين يديه ومعهم أبو عبد الله^٤، ومع كثرة هؤلاء الدعاة فإن المصادر لم تحتفظ لنا إلا باسماء قليلة منهم، وكذلك لم تحتفظ المصادر بكل نشاطاتهم، ولكنها أوردت بعض المناظرات التي يمكن أن تضاف رصيда مهبا للادب النثري^٥. ومن هؤلاء الدعاة الشريف الذي أورد ذكره المقرئزي أثناء كلامه عن انهدام ملك الاغالبة، وبني رستم وبني مدرار،

١- الحياة الفكرية في مصر ص ٢٧٨.

٢- ادب مصر الفاطمية ص ٣١٦.

٣- مرحلة التشيع ص ٤٢.

٤- مرحلة التشيع ص ٣٥.

٥- معالم الايمان ص



ووصول عبيدالله المغرب، ونزوله في رقّادة، وذلك بقوله: «وامر يوم الجمعة أن يذكر اسمه في الخطبة، وتلقب بالمهدى امير المؤمنين في جميع البلاد، فلما كان بعد صلاة الجمعة جلس رجل يعرف بالشريف - ومعه الدعاة - ودعوهم الى مذهبهم»^١. ومنهم علي بن سليمان الداعى الذي اورد ذكره ابن عذارى في كلامه عن تمرّد نفوسة على عبيدالله المهدي، وذلك حين يقول: «فاخرج اليهم عبيدالله علي بن سليمان الداعى في جمع كثير»^٢، ومن هؤلاء الدعاة ايضا أبو طالب، وأبو عبدالله، وأبو يحيى، وقد اورد اسماءهم صاحب معالم الايمان.^٣

ومما لا شك فيه بأن الحاجة تصبح أكثر هؤلاء الدعاة كلما احدثت بالدولة الفاطمية خطر من الاخطار، أو تمرّد عليها بلد من بلدان المغرب، أو رجل من رجاله، اذ انهم يجردون عن السنتهم، وهي صوارمهم التي ينافحون بها عن الدولة الفاطمية، وسياستها ومذهبها ومعتقداتها، ومن موارد اشتداد الحاجة الى جيش الدعاة أيام ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي، حيث أن هذه الثورة من اخطر الثورات على الفاطميين بالمغرب، ولم يعد الخوارج وحدهم يناضلون الفاطميين، بل انضاف اليهم كل من كان يبغض دولتهم، وسلّوا جميع الاسلحة ومنها الدعاية، والاعلام، والمناظرات، فعندها نزل الدعاة بكل ما لديهم من قدرة علمية وقدموها على طبق ادبي. وهذا الدكتور الحاجرى عندما ينقل بعض المناظرات التي تولّى جانباً منها دعاة الفاطميين يقول: «ولنا أن نعتبر مثل هذه المناظرات التي كانت تدور حول «الامامة» أثراً من آثار قيام دولة الشيعة في افريقية، ومظهرها من مظاهر نشاطها الأدبي الناشيء عن ذلك»^٤.

ولا يفوتنا، ونحن نتكلم عن الاسباب التي دعت الى نهوض الأدب وازدهاره في العصر الفاطمي، أن نؤكد بأن ثراء الدولة الفاطمية كان من بين تلك الاسباب التي شاركت في الرفة الادبية.^٥

١- اتماظ الحنفا ص ٩٢.

٢- البيان المغرب ج ١ ص ١٧٩.

٣- معالم الايمان ص

٤- مرحلة التشيع ص ٤٠.

٥- مصر الشاعرة في العصر الفاطمي ص ٨.

ومما يمكن ان يلاحظ على العصر الفاطمي هو كثرة ادبائه وعلمائه ومؤرخيه، وقد كانوا من المجوِّدين في الأدب والعلم والتاريخ، ولا نرغب هنا باستحصاء جميع هذه الاسماء لان معظمها سيرد في البحث كل حسب ما تقتضيه الحاجة، ولكننا نذكر بعض الاسماء التي نستكشف منها عظمة هذا العصر أمثال ابن هانيء الذي كان يقابل المتنبي في دولة الحمدانيين المشرقية، وقد خلّد التاريخ اشعاره بالتبجيل والاكبار، حتى لقبوه متنبي الغرب، وعلي بن محمد الايادي التونسي المنشأ والملتحق بالمهدية، والذي عمّر طويلا ومات في أيام المعز لدين الله سنة ٣٦٥هـ^١، والقاضي النعمان أبو حنيفة صاحب التأليفات الكثيرة التي يربو عددها على الخمسين مؤلفا، وابناء عائلته والذين تولوا جميعا هو واسلافه مناصب القضاء للفاطميين في المغرب وبعد انتقالهم الى مصر، وأبو اليسر الرياضى الذي كان كاتباً للاغالبة، ثم احتفظ بنفس هذا المنصب في بداية الدولة الفاطمية، وأحمد بن محمد المروزي صاحب الاراجيز الخالدة في تخليد وقائع الفاطميين وقاضيه في القيروان، وأبو القاسم الفزارى صاحب القصيدة الفزارية الشهيرة، والتي جاء بها معتذرا من المنصور العبيدى بعد انتصاره على أبي يزيد الخارجى بعدما كان الفزارى في صفه حيناً من الزمن وقد هجا العبيديين آنذاك، ومنهم ايضا أبو جعفر القزاز التميمي صاحب المؤلفات اللغوية الشهيرة، ومن مشهورى رجال العصر الفاطمي المؤرخ الكبير الرقيق القيروانى^٢. وكذلك من رجال الدولة الفاطمية العلماء الادباء الفضل ابن نصر الذي عرف بابن الرايس^٣ ومن اولئك الافاذ أبو العرب محمد بن أحمد التميمي رافع لواء التاريخ والانساب^٤ ويجب الانتباه الى أن أبا العرب لم يكن من المواليين للفاطميين الا انه كان من العلماء البارزين في عصرهم ولذلك ذكرناه. وأبو بكر اللؤلؤى الذي برع في اللغة

١- حسني حسن عبدالوهاب: مجمل تاريخ الادب التونسي ص٩٦، مطبعة المنار، تونس ١٩٦٦.

٢- راجع عن حياته مقدمة كتاب «المختار من قطب السرور» تحقيق عبدالحفيظ منصور، طبع مؤسسة عبدالكريم بن عبدالله - تونس ١٩٧٦.

٣- هو الفضل ابن النصر المعروف بابن الرايس ابو العباس، من الادباء العلماء، كان يسكن بسوسة ثم انتقل الى القيروان، ونال حظوة ورتاسة، له شعر رائع ونثر غرض، واغلب شعره في رثاء ابنه الاوحد الذي قتل في جزيرة شريك، توفي سنة ٣٤٤هـ «البيان المغرب ج ١ ص ٨٨».

٤- البيان المغرب ج ١ ص ٨٠.



والنحو خاصة^١، وكان ينسب الى مجموعة من هؤلاء العلماء والادباء والمؤرخين تدعيم الحكم الفاطمي^٢ بالاضافة الى رفعهم لواء الأدب والعلم والتاريخ عاليا. حتى أن عاصمة الفاطميين قد اصبحت قاعدة من قواعد النشاط الأدبي على حدّ تعبير الدكتور الحاجري^٣.

ولما ذكرناه من اسباب وغيرها يعتبر المختصون بالشأن الفاطمي ان لا غرابة ولا غرو في انتعاش الأدب في هذا العصر، وقد كرس ذكر آراء المختصين هذه صاحب «شعر المغرب حتى خلافة المعز» اذ يقول «فلا غرو أن تروج سوق الأدب في المغرب في ظل الفاطميين، وان ترتفع عقيرة المادحين الصادحة بالثناء على السادة الجدد»^٤.

وتؤكد المصادر للفاطميين بانهم اعطوا الحركة الفكرية والثقافية في عهدهم اهتماما كبيرا، ولم يقتصر اهتمامهم على الأدب فقط بل ان حركتهم كانت شمولية جامعة وعميقة، اذ يقول الدكتور سوادى عبد محمد عن ذلك «تتميز الحركة الثقافية والفكرية التي ارسى الفاطميون اسمها في بلاد المغرب ومصر بالعمق والشمولية، فقد تعهدوها بمستلزمات النمو، وآثروها باستيعاب علمائهم ونضجهم، واهتمام خلفائهم، بالاشتغال بالعلوم والفنون والمعارف، فقرّبوا العلماء والنحاة وعلماء الحديث والفقه والأدب واصحاب المواهب والكفاءات من المؤرخين والادباء والشعراء والمتصوفة، وصنفوا مئات من الكتب، وكتب الحديث والعلوم والطب ونسخوها، واوجدوا مراكز العلم والثقافة في القيروان والمهدية.

أما العلوم التي عني بها الفاطميون واشتغلوا فيها، فهي جميع العلوم الاسلامية أو الدينية التي اطلقوا عليها العلوم النقلية أو الشرعية، مثل علم التفسير والقراءات والحديث والفقه والكلام وعلوم اللغة العربية مثل النحو واللغة والبيان والادب، وكذلك أخذوا في العلوم

١- احد ادباء القيروان، ومشاهير لغويها ونحاتها قام بشرح اكثر دواوين العرب «طبقات النحويين واللغويين ص ٢٥٦ الزبيدي.

٢- الحركة النقدية على ايام ابن رشيق المسيلي ص ٢١.

٣- مرحلة التشيع ص ١٢.

٤- شعر المغرب حتى خلافة المعز ص ٥٦.

العقلية والحكمة... وتشتمل على الفلسفة والهندسة، وعلى النجوم والموسيقى والطب والكيمياء والرياضيات والعلوم الطبيعية والتاريخ والجغرافية. أما في مجال التاريخ فقد حفل العصر الفاطمي بطائفة من المؤرخين والرحالة، سجلوا تاريخ الفاطميين واحداثهم منذ انتشار دعوتهم في بلاد المغرب، وقيام دولتهم هناك ووصول الخليفة المعز لدين الله الفاطمي الى مصر، وظهور الفاطمية سنة ٣٦٢ هـ..... ومن مؤرخيهم عريب بن سعد المتوفى سنة ٣٦٦ هـ الذي سجل تاريخهم في المغرب، ونقل عنه كثير من المؤرخين»^١.

ومما يلفت النظر عن الثقافة والأدب في العهد الفاطمي، هو رواجهما بلغات والسن مختلفة، وهذه منقبة عظيمة للثقافة والأدب الفاطمي، وحسب علمنا انها لم تتوفر لكل الكيانات السياسية الاسلامية ما عدا هذا الكيان الاسلامي الشيعي، وقد اكد ذلك صاحب تاريخ الجزائر العام حين يقول «ويندو ان الدولة العبيدية عملت على نشر الثقافة الاسلامية، وخدمة العلم بمختلف اللسان واللغات، فقد احتفظ التاريخ بوثيقة ملكية يصرّح فيها الخليفة المعز بأن دعاته منتشرون في الاقاليم يدعون الى الدولة، ويبشرون بأيامها، وينشرون علمها، وينذرون بأسسها بتصاريف اللغات واختلاف اللسان^٢، وهو نفسه كان يحسن لغات جميع الامم التي تتصل بالخلافة العبيدية كالبربرية والرومة والايطالية، والنوبية علاوة على التوسع في علوم العربية»^٣.

وكان الفاطميون قد اولوا الفلسفة اهتماما استثنائيا، وعلى الظاهر ان هذا الاهتمام الاستثنائي الذي حظيت به الفلسفة من بين العلوم الاخرى من قبل الفاطميين كان لاسباب عقائدية سياسية ايضا، ولكن عائدته على الفلسفة نفسها قد حصلت ايضا، ومن الذين ذكروا اهتمام الفاطميين بالفلسفة بالرغم من ان المغاربة ما كان لهم ولع بهذا النوع من العلوم قبل الفاطميين صاحب تاريخ الجزائر العام بقوله «ومما يدلنا على انتشار الروح العلمية يومئذ كثرة حلق الجدل، والبحث بين العلماء الشيعة ومعارضهم من أهل المذاهب الاخرى فكان أول

١- دراسات في تاريخ المغرب العربي ص ٢٢٢-٢٢٦.

٢- تاريخ الجزائر العام - تقلا عن الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٥٨.

٣- تاريخ الجزائر العام ج ١ ص ٣٠٥.



عهد المغرب بالفلسفة ومباحثها المتزجة بعقائد الشيعة»^١.

ومن اكدوا ادخال الفاطميين للفلسفة الى بلاد المغرب واشتغالهم بها الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي حين قال «الا ان الفواطم ادخلوا معهم في المغرب عقائدهم في الدين ممزوجة بالفلسفة، فاشتغل بها في زمنهم بعض أهل قرية افريقية وبعض من دخل في طاعتهم من الأدارسة»^٢.

وبناءً على ما تقدم يمكننا ان نجزم بان المدن الفاطمية الشيعية كانت هي بدورها مراكز للاشعاع الفكري والأدبي كما يؤكد ذلك الدكتور محمد زغلول سلام (وكانت حاضرة الدولة الاولى «القيروان» وما يتصل بها من المدن التي انشأها الفاطميون كالمهدية، والمنصورية مركز النشاط الأدبي والفكري في الدولة، ثم انتقل هذا المركز بعد انتقال سلطة الخلافة الى القاهرة، وظلت القيروان مركز اشعاع وعطاء مستمر، وتبادل بينها ومركز الخلافة الجديد في مصر والقاهرة)^٣، ويظهر لنا من خلال النص اعلاه بالاضافة الى كون المدن الشيعية مراكز اشعاع فكري وأدبي ان المغرب بقيت مرتبطة بالفاطميين حتى بعد انتقالهم منها الى مصر، وخاصة منه الارتباط الأدبي والفكري وان كل ما يمكن ان يسجل للمغرب في عهد تولى الزيريين لها بعد انتقال الفواطم منها واستخلافهم عليها من قبل الفاطميين من أدب وفكر ينضاف ويحسب على العصر الفاطمي لان المغرب اصبح في حينها ولاية من ولايات الدولة الفاطمية يخطب لهم بها، ويقام الحكم باسمهم الى ان حصلت الردة على الحكم الفاطمي من قبل المعز بن باديس الصنهاجي وخالف بذلك سيرة الثلاثة السابقين من أبائه والذين كانوا يدينون بالولاء والطاعة للخلافة الفاطمية في مصر و يقيمون حكمهم باسمها في المغرب. وعندها حصلت مقتلة الشيعة في القيروان والتي خلدها بعض اعداء الشيعة من الشعراء بقصائد حفلت بها كتب الأدب والتاريخ ومن ذلك قول القاسم بن مروان:

وسوف يقتلون بكل أرض
كما قتلوا بارض القيروان^٤

١- نفس المصدر ص ٣٠٦.

٢- خفاجي محمد عبد المنعم الادب في الاندلس التطور والتجديد ص ٧٤٦.

٣- سلام محمد زغلول - الادب في العصر الفاطمي - الكتابة والكتاب - ص ٢٢٤ - منشأة المعارف الاسكندرية.

٤- البيان المغرب ج ٢ ص ٢٧٤.

وقول آخر:

يا معز الدين عش في رفعة
انت ارضيت النبي المصطفى
وسرور واغتيباط وجذل
وعتيقا في الملاعين السفلى
وجعلت القتل فيهم سنة
باقاصى الارض في كل الدول^١

ويقول آخر:

وكانت لهم بالشرق نارٌ فاطفيت
فما ملكوا بالكفر شرقا ولا غربا^٢
وكان الفاطميون قد ردوا على الزيريين، بان سرحوا عليهم القبائل العربية من بنى هلال وغيرهم ودفعوها لاقتلاع جذور الحكم الزيرى، فكان ما كان، وبعدها تذكر المصادر، بأن من ورث الزيريين، قد بادر لطلب الصفح والعفو من الخليفة الفاطمي، وأعلن عن إذعانه لطاعتهم، وبين خطأ سلفه في خلع طاعة الفاطميين، فقبل منه الفاطميون ذلك، وبهذا يعنى ان النشاط الأدبي والفكري في المغرب استمر ثانيا ملتحقا بالعصر الفاطمي، على الرغم من وجود نزعات قوية معادية للتشيع والدولة الفاطمية.

ومما يدل على ارتباط المغاربة بالعهد الفاطمي حتى بعد رحيلهم الى مصر، وحتى بعد حين من سنوات الانتقال الأولى هو توافد الأدباء والشعراء المغاربة على الخلفاء في القاهرة وامتدادهم اياهم بقصائد خالدة، ومن أولئك أبو الحسن علي بن محمد الأخفش، وهو شاعر من أشرف المغاربة، اجاد في مدح الخليفة الحافظ وغلا في تجويد الفاطميين وإعلاء شأنهم ومن شعره في مدح الحافظ:

بشر في العين الا انه
من طريق العقل نور وهدى
جل ان تدركه اعيننا
وتعالى ان تراه جسدا^٣

وهذه الأبيات تدل دلالة واضحة على رسوخ العقائد الفاطمية لدى المغاربة حتى بعد انتقائهم منها الى مصر.

١- نفس المصدر.

٢- نفس المصدر.

٣- انظر ذكر الشاعر والابيات في «تاريخ الدولة الفاطمية: حسن ابراهيم حسن، ص ٤٥٠ - ٤٥١.



وقد بقي الأدب على حالة الازدهار التي تركها عليه الفاطميون في المغرب، بل يمكننا ان نقول بأنه خطى خطوات واسعة، لربما فاق حالة الازدهار التي كان عليها في أيام الحكم المباشر للفاطميين بالمغرب، ونستدل على ما ذهبنا اليه هنا، بما جاد به المغرب من نخبة طيبة من الادباء والعلماء والمؤرخين في هذه الفترة، أمثال الرقيق القيرواني، وعلي بن عبد الغني الحصري، وابراهيم بن اسحق الحصري، وابن رشيق، وابن شرف وغيرهم.

ولا يمكن أن نتناسى تلك الفضيلة للفاطميين في خدمة الفن والفكر، هي تأسيسهم للأزهر الشريف هذه الجامعة التي داومت على رفا الحركة الفنية والفكرية ومنذ أيام تأسيسها الاولى و«التي لا يزال المسلمون يستفيدون منها حتى اليوم»^١.

وكانت مجالس العلم وصفوفه تشمل كل العلوم، وجميع العلماء بكل اتجاهاتهم السياسية والمذهبية، ولم تقتصر على الرجال فقط، بل كان ولا يزال للنساء فيها حظ وافٍ حيث كان داعي الدعاة يعقد مجلسا للنساء يلقي عليهن شيئا من علوم أهل البيت»^٢.

ولربما من يسأل ما علاقة الازهر بهذا البحث الذي اخرج مصر من ساحته الجغرافية واختص بالشمال الإفريقي، والجواب هو ان الذي أسس الأزهر هو الرجل المغربي جوهر الصقلي قائد الفاطميين الذي فتح لهم مصر وبنى القاهرة وانشأ فيها الازهر، وقد حدث هذا ولم يكن الملك الفاطمي قد انتقل بعد الى مصر ولا يزال في المغرب، وقد واصل الازهر عطاءه ولا تزال مصر ولاية تابعة للفاطميين افتتحوها توات، ولهذا يمكن ان تعتبر الازهر احد مراكز الاشعاع الفكري والفني للفاطميين وهم محسوبون على الشمال الإفريقي.

خصائص الادب في العصر الفاطمي

لقد استأثر الأدب الفاطمي عناية مجموعة من الباحثين، بالرغم من ضياع أكثر ذلك الأدب، وسنعرض لهذا الضياع في فصل خاص.

١- دائرة المعارف الشيعية ٣م ص ٢٠٦.

٢- الخطط ص ٢١٥.



ونحن هنا نحاول سلوك المنهج الموضوعي في تبيان خصائص الأدب الفاطمي غير مغالين في حبهم، ولا مبغضين لهم متتبعين مثالبهم قاصدين تهويلها كما يفعل البعض. ومن الخصائص التي نسجلها للأدب الفاطمي، أن النهضة الأدبية في العصر الفاطمي سجلت رقما عاليا على سلم التقدم والرقى من حيث كثرة الأدباء، ومدى ما وصلوا اليه من تفوق في فن القول والشعر والنثر على السواء. وقد كان ذلك بفضل الرعاية والتشجيع من لدن الخلفاء الفاطميين للأدب والادباء.

إن الأدب تمكن بفضل قوته وازدهاره ان يصبغ الحركة الفكرية في عهد الفاطميين بصبغته الشيعية الاسماعيليه، لان كبار الادباء كانوا من العلماء والفقهاء، والذين يدينون بالمذهب الاسماعيلي، وبهذا فقد تمكنوا من وضع بصماتهم الفكرية على عموم الحياة الفكرية هناك من خلال ادبهم الذي تمكنوا من توفير كل عناصر القوة والنجاح له، وقد انزلوه الى ساحة الصراع الفكري بالاساليب فلسفية وعلوم حسابية خصوصا علم التنجيم... قد ظهر هذا واضحا في الشعر الفاطمي الذي قيل عنه كما سبق بانه «كان سياسيا جدليا الا ما شذ منه».

ومن هذا الجدل الشعري السياسى قول تميم بن المعز الفاطمي وهو يردّ على ابن المعتز في ادعائه الحق للعباسيين في الخلافة:

اي رسم لآل هند ودار درسا غير ملعب ومنار

هاشمى اذا نسبت ومخصو ص بيت من هاشم غير عار

انزل الغيظ في قلوب الاعادى واحل الجبار دار الصغار

الى ان يقول مخاطبا العباسيين:

يا بنى هاشم ولسنا سواء في صغار من العلا وكبار

ان نكن ننتمى لجدّ فانا قد سبقناكم لكل فخار

ليس عباسكم كمثلي علي هل تقاس النجوم بالاقمار

وقد زخر الأدب الفاطمي بالمفردات الشيعية، وخاصة منه الشعر ومن ذلك مفردة

«وصى الاوصياء» التي وردت في قول ابن هانيء وهو يمدح المعز لدين الله الفاطمي:

نؤمّ وصيّ الاوصياء ودونه صدور القنا والمرهفات البواتك^١

ومما يضاف الى خصائص الأدب من حيث اهتمامه بالعقائد الشيعية، هو التركيز على ذكر ولاية علي بن أبي طالب في الشعر والنثر، واكثروا من ذكر حديث «يوم غدیر خم». وقد خص الدكتور محمد هادي الاميني عيد الغدير عند الفاطميين بمؤلف خاص اسماه «عيد الغدير في عهد الفاطميين» نظرا لاهتمام الفاطميين بهذا الحدث الذي يعتبرونه الاساس الأول لقيام عقديتهم التي بيّنت عليها دولتهم.

ومن خصائص الأدب الفاطمي، أنه ركّز على تخليد جهاد الخلفاء الفاطميين ضد أعدائهم ووقائعهم التي حاربوا بها اولئك الاعداء سواء في اقامة الدولة وتدعيم أركانها، وسواء بوجه من أراد الايقاع والمؤامرة بدولتهم.

ولا بأس هنا من ان نذكر تصورات الأستاذ الهندي، رجب على الأستاذ بالجامعة السيفية بالهند للادب الفاطمي، والتي نقلها عنه، صاحب الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي والتي يقول فيها «امتاز الأدب الفاطمي عن غيره، وكانت له وحدة امتيازية، ومن خصوصياته ان اعلام الأدب الفاطمي ينطقون عن الكلمة البديعة التي يعبرون بها عن التخيلات النادرة، ويفردون ما في أنفسهم من تلك المعاني بالفاظ غريبة وعبارات لطيفة، ويجمعون في عباراتهم ما استطاعوا وامكنهم كل ندرة وغرابة من بدائع الالفاظ وتراكيب المعاني، كفعل غيرهم من أهل البلاغة، فلا يكتفون بذلك فقط، بل انهم مع كونهم محتوين على تلك المزايا الادبية بشأن امتيازي يعبرون عن المعقولات والحكمة والفلسفة بتلك الوحدة الامتيازية وهذا هو الأدب الفاطمي»^٢.

ومن عرض لخصائص الأدب الفاطمي بالذكر، على حسين الخربوطلى بقوله «ولا يخفى ان الأدب الفاطمي مع كونه محتويا على تلك البدائع يحتوي على فنون، ويجمع مزايا ليست

١- ديوان ابن هانيء الاندلسي ص ٢٤٢.

٢- الحياة الفكرية في مصر ص ١٣ «عن الأستاذ الشيخ رجب علي».

في غيره. ان الأدب الفاطمي حيناً يبذى التوحيد والعدل، وحيناً يفصح بالشرع والعقل، انه حيناً يلقي إلينا الباطن والتأويل، وحيناً الحجة والبحث»^١.

ومن هنا يظهر ان اهم خصائص الأدب الفاطمي - والتي تعنى بحثنا بالصميم - هو انه سخر نفسه - للمنافسة السياسية والعقيدية، وانه سلك كل السبل من أجل النجاح والتوفيق في هذه المنافسة، وعلى ما يبدو بانه حقق هدفه المنشود في هذا الزوال السياسي اذ انه تمكن من تأييد سياسة الفاطميين وعقيدتهم وتخليدها، والدليل على ذلك هو الهياج الذي اصاب اعداء الفاطميين فاخذوا ينسجون عليهم التهم من هنا وهناك، ويتهمونهم حتى في المسلمات لانها طرحت بقوة من قبل المدافعين عن الفاطمية خاصة الادباء. وهذا ليس معناه أن الأدب الفاطمي لم يشارك الأدب العربي في مجمل الخصائص العامة التي كان يحملها بل انه شاركه فيها خاصة وان الأدب الفاطمي حفظت عنه اشعار في مختلف الاغراض الشعرية التي قال فيها العرب شعرا، وان هذه الاشعار التي تركها الفاطميون في مختلف الاغراض لا تختلف عن الاساليب الشعرية العربية من حيث التعصب القديم، او النسج على منوال المحدثين، أو الاستقلال بطريقة خاصة املتتها طبيعة البلاد.^٢

العصر الموحيدي

تكلّمنا في الفقرات السابقة من هذا البحث عن الدولة الموحدية وتشيعها ونحاول الان الكلام عن الأدب في عصر الموحدين، وأهم ما يمكن ان يقال عن أدب الموحدين، هو ان اجلى مظهر التشيع لدولة الموحدين قد بان في ادبها، وقد ذكر ذلك لادب الموحدين صاحب دائرة المعارف الشيعية اذ يقول وكما أن التشيع لدى الموحدين لا يبرز في شيء كما يبرز في شعر شعرائهم»^٣، ويؤكد صاحب دائرة المعارف الشيعية للادب الموحيدي الصبغة الشيعية ايضا

١- عماد الدين الداعي والمؤرخ الفاطمي: على حسين الخربوطلي، ص ٨٧.

٢- انظر الحركة النقدية على ايام ابن رشيق ص ٣١.

٣- دائرة المعارف الشيعية م ٣ ص ٣٠٢.



وذلك عندما يتكلم عن السعديين وتشيعهم وتشيع ادبهم حين قول «ان مدح المنصور السعدى كان ينال منه الرضا اذا اعتمد على تلك الجزالة التي نصل في بعض الاحيان الى درجة الجليلة، وهي جزالة سبق ان اغرم بها الخلفاء الفاطميون في شاعرهم ابن هانىء، ثم اعزم بها الخلفاء الموحدون في شاعرهم ابن حبوس، ومن اتى بعده مثل الجراوى والسلمى ثم الخطابى، ولاغرو فان هؤلاء جميعا من مدعى الفاطمية والخلافة، وكانوا جميعا بذلك الطموح الذي حقق مراميه الفاطميون في الشرق بعد المغرب، ثم وجدنا الموحدين يحملون بتحقيقه في الشرق بعدما احرزوا الفتوح العظيمة في الغرب... وللهازالى قصيدة في مدح المنصور بعد احد فتوحاته هي من اعرق شعر الشعراء في التشيع»^١، ثم يورد القصيدة.

ومن هذا يظهر بان الأدب الموحدى أدب شيعى، وذلك لان الخلفاء الموحدين كان يشار اليهم بالتشيع، وخاصة مؤسس الدولة الموحدية ابن تومرت وكذلك فان اعظم ادبائهم كان يقال بتشيعهم ايضا كما مر علينا في النص اعلاه، وكما يقول محمد بن تاويت عن اشهرهم ابن حبوس «ولا شك ان هذه الحادثة وقعت له حينما فرّ من المرابطين الذين كان شاعرهم، فبلغهم عنه - كما يقول صاحب المعجب - حماقات، خاف مغبتها ففرّ الى الأندلس»^٢ ولكننا نرى ابن حبوس انه قد عاد الى الموحدين واصبح شاعرهم واطهر ما يعتقد به في شعر، وهو ما كان يوافق عقائد الدولة الجديدة، واما ما يثبت تشيع أبي العباس الجراوى نفس اشعاره ومنه قصيدته التي يمدح فيها عبدالمؤمن بن علي ويهنته في وقعة مخلص بلقون سنة ٥٥٦ هـ الذي حقق فيها العرب انتصارا عظيما في الأندلس حيث يقول:

اعليت دين الواحد القهار	بالمشرفية والقنا الخطار
لوراء موسى ما فعلت وطارق	زريا بمالهما من الآثار
اتممت ماقد أمّلوه وفاتهم	من نصر دين الواحد القهار
بعراب فيل فوقهن اعارب	من كل مقتحم على الاخطار

١- نفس المصدر ص ٣٠٢.

٢- الوافي بالادب العربي ج ١ ص ٩٢.

اكرم بهن قبائل اقلالها
انظر اذا اصطفت كتابتها الى
لو انها نصرت عليا لم تر
في الحرب يغنيها عن الاكثار
ما تحمد الكتاب في الامصار
خليل ابن حرب ساحة الانبار^١

فالجراوى يفصح عن تشيعه لعل بن أبي طالب، حتى انه لما رأى تلك الجيوش وما عليها من قوة وهيبة تخشى ان تكون تحت امرة علي لتنصره وعندها لم يتمكن معاوية ان يغير على اطراف دولة علي بن أبي طالب الانبار وما حولها.

ولا شيء يوضح تشيع الأدب الموحيدي أكثر من الدعاية الشيعية التي تبناها أدب الموحدين في اذاعة الشعارات والاعتقادات الشيعية، وذلك كان في الخطب والرسائل الموحدية التي كانت تنصدرها كما يقول ابن صاحب الصلاة - عبارة بأسم «المهدي المعصوم والمهدي المعلوم».

ومما دعانا الى الإتيان بالدلة على شيعية الأدب الموحيدي، هو تلك الإدعاءات من البعض على عدم وجود الميول الشيعية عند الموحدين مطلقا، وقد عرضنا لبعضها في فصول سابقة، ولا بأس ان نختم بهذا القول لصاحب دائرة المعارف الشيعية والذي يوضح بشكل صريح جدا شيعية الدولة الموحدية وآدابها خاصة في عهدها الاول، وذلك لان المأمون الموحيدي - وكما مرّ علينا - انقلب على مبادئ المهدي الموحيدي محمد بن تومرت وذلك حين يقول «وتعتبر دولة الموحدين لا سيما في عهدها الاول دولة شيعية في جذورها وميولها وآدابها»^٢.

وقد كان الأدب من العظمة والرفعة في عهد الموحدين حتى اعتبره بعضهم عن افضل عصور الأدب العربي، وانه القمة في عصور الأدب العربي، وقد ذهب الى هذا الرأي محمد بن تاويت عن أدب الموحدين بقوله «ويعتبر هذا العهد تجسيدا للقمة التي انتهت اليها

١- المن بالامامة ص ١٧٢.

٢- دائرة المعارف الشيعية م ٣ ص ٩٣.



الأدب العربي في شتى ألوانه، وفي مختلف انشطته^١ ونحن نوافق ابن تاويت فيما ذهب إليه الا اننا نعتبر الأدب الفاطمي هو قمة الأدب الشيعي في المغرب خاصة وذلك لان هذا العصر الشيعي من بدايته حتى نهايته، وانه صرح بكل معتقدات التشيع وفي كل ثنية من ثنياه. ومما بعث على ازدهار الأدب في العصر الموحدى هو كون مؤسس الدولة الموحدية محمد بن تاويت أديبا فذاً احتفظ لنا التاريخ بماذج من ادبه شعرا ونثرا فن نثره كتاب «اعز ما يطلب» وكتاب «الامامة» وغيرهما.

ومن شعره قوله يصف عبدالمؤمن بنعلى الذي صار خليفة على دولة الموحدين من بعده :
تجمعت فيك اشياء خصصت بها فكلنا بك مسرور ومغتبظ
فالسن ضاحكة والكف مانحة والصدر متسع والوجه منبسط^٢
وقوله:

تجرد عن الدنيا فانك انما خرجت الى الدنيا وانت مجرّد^٣
وايضا كان يتذوق الادب، ومن تذوقه الأدب تمثله دائما - وكما ينقل عنه - بآيات المتنبي:
اذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في امر حقير كطعم الموت في امر عظيم^٤
وكذلك خلفاء ابن تومرت فقد كانوا ادباء، ويتذوقون الأدب ومنهم عبدالمؤمن بن علي الذي ينسب له قوله:

هو الفتح لا يجلو غرائب الشرح أصاب بني التجسيم من بأسه القرع
أتتنا به البشرى على حين غفلة بمهلك قوم كان وعدهم الصبح^٥
وكان عبدالمؤمن ممن يصغي للشعر ويشيب عليه، ويشجعه، وقد التف حوله العديد من

١- الوافي بالادب العربي ج ١ ص ٩١.

٢- روض القرطاس ص ١٨.

٣- النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٥٥.

٤- نفس المصدر.

٥- البيان المغرب ج ٣ ص ٢٢.



الشعراء، ومن هؤلاء الشعراء اكابر شعراء ذلك الزمان أمثال ابن حبوس، وأبي العباس الجراوى، حتى ان عبدالمؤمن من اعتزازه بالجراوى قال له يوم الاحتفال بتحسين جبل الفتح «جبل طارق»: «يا أبا العباس انا نباهي بك أهل الأندلس»^١ مشابها في ذلك مقولة المعز الفاطمي في شاعره ابن هانيء «كنا نريد ان نباهي به شعراء المشرق» وقد عمر الجراوى طويلا، فكان شاعر عبدالمؤمن وشاعر خلفائه يوسف ثم يعقوب المنصور ثم الناصر.^٢

ولم يتوان خلفاء الموحيدين بعد عبدالمؤمن عن اجلال الادباء والشعراء، وكانوا قد قربوا الادباء والعلماء وشجعوهم واثابوهم بالمال والمقال، ومن اولئك يعقوب المنصور الذي يقول لأبي بكر ابن يحيى بن عبدالجليل بن عبدالرحمن بن مجبر الفهرى شاعر المغرب، والمتوفى سنة ٥٨٨ هـ «..... كما ان الشعراء عيال عليك يا أبا بكر».^٣

وينقل صاحب المعجب ان عبدالمؤمن عندما اراد العبور الى الأندلس اعلن التثير العام في المغرب، ومن استنفره قبائل هلال بن عامر، وقد كتب اليهم رسالة يشجعهم فيها، وقد ذيلها بقصيدة اليك مطلعها:

اقيموا الى العليا هوج الرواجل وقودوا الى الهيجاء جرد الصواهل^٤
وقد كانت قصيدة رصينة السبك، محكمة الاسلوب وهذا يدل على اهتمامه بالشعر، وتذوقه له، واطلاعه عليه.

وقد ذكر صاحب روض القرطاس انصاف ابيات قيلت على الاجازة ونسبها الى عبدالمؤمن مع وزيره أبي جعفر ابن عطية وقد مرّا في بيت اطلت منه امرأة جميلة.^٥
وقد سجل من بحثوا الشأن الموحيدي لخلفائه هذه الفضيلة في كونهم ادباء ومشجعين

١-العلاقات بين الخلافة الموحدية ص ٣٨١.

٢-الوافي بالادب العربي ج ١ ص ١٣٩.

٣-البيان المغرب ج ٣ ص ١٤٤، العلاقات بين الخلافات الموحدية والنثر الاسلامي: ابتسام مرعى خلف الله، ص ٣٨١.

٤-المعجب ص ٢٢٤.

٥-روض القرطاس ص ١٣٣.



للادب ومن الذين سجلوا ذلك للموحدين الدكتور حكمت الاوسي اذ يقول «كان خلفاء الموحدين وامراؤهم على العكس من سلفهم المرابطين يتمتعون بثقافة جيدة، تؤهلهم ان يتحدثوا حول ارسطو مع فلاسفة المسلمين، وفي الاتجاه الهيليني... بل ان بعض خلفاء الموحدين، وبعض امرائهم كانوا ينظمون الشعر الجيد، بالاضافة الى تذوقهم له، فهناك ابيات يقال ان المهدي بن تومرت مؤسس دولة الموحدين قد انشدها قبل وفاته بقليل حينما رأى في منامه رجلا واقفا له بياض بيته، فأخذ يحاوره بالشعر والرجل يرد عليه شعرا ايضا... ولم يكن خلفاء الموحدين من المشجعين على الأدب والمتذوقين له والمقربين لرجاله فحسب، بل كانوا كذلك مشاركين فيه منتجين له ناقدين للشعر في بعض الاحيان»^١.

ويبدو أن الاسس العقائدية التي بنيت عليها اركان الدولة الموحدية كانت من اهم العوامل ايضا في ازدهار الحركة الفكرية والفنية في المغرب في أيام الموحدين، وذلك لانهم ارادوا من الفكر والفن ان ينافحا عن دولتهم سياسة وعقيدة، ولأن مؤسس الدولة ومن خلفه عليها كانوا من العلماء والادباء، وبهذا فقد كانت الحصيلة لنفس الفكر والفن، مع كون نفس الدولة الموحدية استفادت منها لغاياتها الخاصة. وقد اشار الى هذا الدكتور عز الدين عمر موسى حين يقول «ان ازدهار المعارف وتنوعها من سمات العصر الموحي البارزة،... بفضل من طابع الدولة العقائدى، وتشجيع الخلفاء والسادات من بنى عبدالمؤمن، بما اجزلوا من عطاء لاهل الفكر والادب، وما اسسوا من مدارس، وما شيّدوا من مساجد، وما نظموا من خزائن الكتب»^٢.

وكان الموحدون قد أبدوا عنايتهم، ومنذ ايامهم الاولى بالادب بشكل خاص، وبالشكل الاخص لكتابة الرسائل، حتى أن المهدي كان يكتب رسائله بنفسه ولمرات عديدة^٣، وكان قد

١- الأوسي حكمت علي: الادب الاندلسي في عصر الموحدين ص ٤٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ساعدت جامعة بغداد على نشره / تسلسل التعضيد (١٥) لسنة ١٩٧٦/٧٥.

٢- موسى عز الدين عمر: الموحدون في المغرب الاسلامي تنظيماتهم ونظمهم، ص ٥٣ - ٥٤، دار الغرب الاسلامي، بيروت ط ١٩٩١.

٣- مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ص ٩٠ - ٩١ تحقيق علوش، رباط الفتح ١٩٣٦.

اوكل مهمة الكتابة إلى أحد «العشرة أهل الجماعة» وهو أبو الربيع سليمان الحضرمي الذي قتل في معركة البحيرة^١، وكان المهدي عين شخصاً لمساعدة أبي الربيع في كتابة الرسائل لاهتمامه بها وقد كان المساعد هو ملول بن ابراهيم بن يحيى الصنهاجي، وهو من أخى المهدي بينه وبين هرغه، وكان يوصف بالفصاحة والبداهة والعلم باللسن، وقد اقام بتينملل حتى توفي^٢.

وكان ينقل عن عبدالمؤمن انه يبحث عن كتاب لهم خبرة ودراية بالاعمال الادارية، فلما انتصر عمر الهنتاني على الماسي في أواخر ٥٤٢ هـ، وبمحث عمن يكتب له الى الخليفة بالنصر فدل على أبي جعفر أحمد بن عطية، فكتب رسالة بليغة، ما ان وقعت في يد عبدالمؤمن حتى استقدمه فاستكتبه ثم استوزره وجمع له الكتابة والوزارة^٣، ويعتبر أبو جعفر ابن عطية من مفاخر الأدب العربي، وقد حاز الأدب الموحي هذه المفخرة فيه الأدب العربي، وكان من رسالته تلك التي اورثته الوزارة «كتابنا هذا من وادى ماسة بعدما تجدد من امر الله الكريم، ونصر الله تعالى المعهود المعلوم، وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم، فتح، بهر الانوار اشراقا، واحدق بنفوس المؤمنين احداقا، فلا تطيق اللسان لكنه وصفه ادراكا، ولا لحاقا، جمع اشتات الطلب والادب، وتقلب في النعم اكرم منقلب، وملا دلاء الامل الى عقد الكرب:

فتح تفتح أبواب السما له وتبرز الارض في اثوابها القشب^٤

وقد انتهى امر أبي جعفر بن عطية بالقتل على يد عبدالمؤمن مع اخيه أبي عقيل بن عطية الذي كان كاتباً ايضاً. بعد ان اوغر قلب عبدالمؤمن عليهما من قبل حسادهما ولم ينفعهما اى اعتذار، ولقد ندم عبدالمؤمن اشد الندم على فقدان ابن عطية، وذلك عندما اراد امتحان الشعراء بهجو ابن عطية فأسمعوه، فاعرض عنهم وقال وذهب ابن عطية، وذهب الأدب معه^٥. وكان أبو عقيل لا يقل شأناً عن اخيه أبي جعفر في الكتابة، وكان ايضاً يشاركه في المعتقد

١- الصنهاجي أبو بكر علي: اخبار المهدي وابتداء دولة الموحدين ص ٣٣ - باعثناء ليفي برونسال باريس ١٩٦٤.

٢- نفس المصدر ص ٣٩.

٣- الموحدون في المغرب الاسلامي: عز الدين عمر موسى، ص ١٦١.

٤- الاستقصا ج ١ ص ١٣١، نفح الطيب ج ٧ ص ١١٠.

٥- نفس المصدر.



وقد ذكرت ذلك الدكتور خلف الله حين تقول «أما رسائل أبي عقيل ابن عطية (٥٢٠-٥٥٣م) فكانت مثل رسائل أخيه انموذجا احتذاه من تبعه من الكتاب، ومن الجدير بالذكر ان هذه الرسائل تفضح تشيعها الواضح، والقول بعصمة المهدي»^١، وهذا «الجدير بالذكر» من قبل الدكتور خلف الله هو ما يعنيها، وهو بيت قصيدنا في بحثنا هذا.

ويقال بان عدد الكتاب في الحضرة الموحدية كان كبيرا ولذلك يعين شخص من بينهم، وهو اكثرهم كفاءة بعنوان «رئيس الكتاب»^٢، ولاهمية الكاتب الموحدي كان يقوم بكتابة نص البيعة للخليفة الجديد، وخلال البيعة العامة يقرأ الكاتب ذلك النص لكل مجموعة من المبايعين.^٣

وقد كان لجميع الكتاب سنة في الكتابة أيام الموحدين، وتقصد بالسنة الكتابية، أن الرسالة التي يصوغها الكاتب، لها تخطيط وشكل هندسي، اشبه ما يكون بالثابت، واما المتغير فيها فهو الاسلوب الكتابي الذي يتوقف على الكفاءات المتفاوتة بين الكتاب، وقد ذكر الدكتور عز الدين تلك السنة في هيكلية الرسالة بقوله «واما طريقة الكتاب فقد كادت ان تسير على نسق واحد لو لا الاختلاف اليسير في بعض الجزئيات، فالرسائل تبدأ بذكر «من امير المؤمنين» الى من ترسل اليه، فالدعاء المناسب للمرسل اليه، فالسلام، فالبعدية، فالتمجيد، فالصلاة على النبي ﷺ، وقد يصل على آل النبي وعترته، فالترضية على الصحابة، فالمهدي، غير أن ذكر المهدي قد اهل في خلافة المأمون، وأول خلافة الرشيد»^٤.

ولا يفوتنا هنا بأن الصلاة على آل النبي وعترته من السنن الشيعية، ونحن في اطلعنا على بعض الرسائل الموحدية لم نجد رسالة تخلو منها، وهذا ما يشير الى تشيع الأدب الموحدي ايضا. ولادل على تشيع الأدب الموحدي أكثر مما ذكرنا في النصوص السابقة التي صد عن صاحب دائرة المعارف الشيعية وغيرها الا اننا نجد من اللازم الاشارة في كل

١- العلاقات بين الخليفة الموحدية والمشرق الاسلامي ص ٣٨٠.

٢- الموحدون في المغرب العربي ص ١٦٢.

٣- نفس المصدر ص ١٦٤.

٤- الموحدون في المغرب الاسلامي ص ١٦٥.

مناسبة ملائمة، وذلك لان مهمة البحث هي هذه.

وعندما بدأنا بذكر الكتابة والكتاب وأهميتها، وخصائصها عند الموحدين، لا يفهم من هذا بأن الشعر كان فاقدا للأهمية، وانه مصاب بالخمول والركود عندهم، لا بل انه أخذ موقعا متميزا ايضا في الدولة الموحدية، وقد اسلفنا في كلامنا عن الشعر، وما كان عليه، ونردف قائلين ان الموحدين لاقى عندهم الشعر رواجا وقبولا وتشجيعا، وتمكنوا من توظيفه لاهدافهم احسن توظيف، ولا نريد الاحاطة بكل المناسبات التي ادى الموحدون فيها الخدمة للشعر والشعراء لان هذه ليس من مهمة البحث، بقدر ما نريد اثبات هذه القضية وسنورد عليها دليلا واحدا كي نستشعر من خلالها ازدهار الشعر في العهد الموحدى، ومن ذلك ما نقله ابن عذارى والسلاوى عندما قدم ابن منقذ سفير الايوبيين الى الخليفة الموحدى يعقوب المنصور، وقد مدحه بقصيدة يول فيها:

فأشكو بحرا ذا عباب قطعته	الى بحر جود ما لآخره ساحل
اليك امير المؤمنين ولم تزل	الى بابك المأمول تزجى الرواحل
قطعت اليك البر والبحر مؤمنا	بأن نذاك الغمر بالنجح كافل
وحزن بقصديك العلى فبلقتها	وادنى اعياك العلى والنواضل
فلا زلت للعلياء والجود بانيا	تبلغك الآمال ما انت آمل

فاعطاه لكل بيت الف دينار وقال له «انما اعطيناك لفضلك وليئتك»^١.

وقد كتب للموحدين منقبة الاهتمام بالشعر أكثر الباحثين، ومنهم حسن الامين الذي يقول «كما يمكن القول ان الدولة الموحدية كانت أول دولة مغربية تهتم بالشعر يسجل مآثرها، وبالمدائح تنشد تمجيدها، واقبل الشعراء على عبدالمؤمن المؤسس الثانى للدولة، ومركز دعائها، وموسع اطرافها، أقبلاو يمدحونه ويهنؤونه، وقام في المغرب أدب جديد لكننا لا نستطيع الآن في هذا المقال الموجز دراسة هذا الادب»^٢.

١- البيان المغرب ج ٣ ص ١٨٤، الاستقصا ج ٢ ص ١٨١.

٢- الأمين حسن: دولة الموحدين الاسلامية ص ٢٨، دار الزهراء، بيروت، ١٩٨٦.

وقد كانت الدولة الموحدية تطمح الى مد نفوذها على كل العالم الاسلامي وفعلا خطب لها في مكة، ولكنها لم تتمكن من تحقيق كامل اهدافها فاعتاضت عن ذلك بالتبادل الثقافي بينها وبين مشرق العالم الاسلامي خاصة، فجاءت من هناك الوفود العلمية، وكذلك ذهبت الوفود من المغرب الموحدية الى المشرق، وهذا ما يدل على الاهتمام الكبير من لدن الدولة الموحدية بالعلم والعلماء، وقد اشار الى ذلك حسن الامين ايضا بقوله «على انهم -الموحدون- اذا كانوا يبلغوا المشرق عسكريا، فقد ضلوا على ارتباط ثقافي به، وارتباط دعائي جعل الوفود العلمية تغد اليهم من المشرق، وجعل وفودهم تضي اليه من المغرب من أمثال عبدالواحد المراكشي، وأبي موسى الجزولي، وعلي بن يقطان السبتي الطيب، وأبي الخطاب عمر بن دحية السبتي، واخيه عثمان أبي عمر، وابراهيم بن يحيى بن حافظ المكناسي، وأبي زكريا يحيى بن معط، ابن الاثير الصنهاجي، وعمر بن مودود السلماسي، ويحيى بن عبدالرحمن القيسي المعروف بالاصباني، ومحمد بن يحيى الخزرجي الى كثير من امثالهم من هنا وهناك»^١.

واهم ما يلاحظ على عصر الموحدين هو التحرر والانتعاش الفكري حيث كان مغايرا تماما للعهد الذي سبقه وقام على انقاضه وهو عهد المرابطين. ولعل اهم مظهر للتحرر الفكري في هذا العصر هو انتشار علوم الفلسفة، وازدهار دراستها، وكانت قبل لا تعنى غير الزندقة والاحاد، ينظر الى من يخوض في شيء منها نظرة ازدراء، وربما يرمى بالحجارة، أو يحرق ان زلَّ في شبهة.^٢

وبسبب تقدم المغرب بالفلسفة ودراساتها، كانت هي الملجأ في حل بعض المعضلات التي كانت تطرأ على دارسي الفلسفة آنذاك، ومن ذلك ما وجهه فردريك الثاني ملك ايطاليا الى علماء سبته من الأسئلة، وقد تولى الاجابة في حينها على تلك الاسئلة الفيلسوف عبدالحق بن سبعين السبتي^٣، الذي ضمّن الاجابة كتابا سماه «المسائل العقلية»^٤، وقد نهضت الفلسفة نهضة

١- نفس المصدر ص ٢٧.

٢- انظر نفح الطيب ج ١ ص ١٢٤.

٣- انظر ترجمة ابن سبعين في «عنوان الدراية ص ١٣٩.

٤- طبع هذا الكتاب سنة ١٩٤١ في بيروت من قبل المعهد العلمي الفرنسي في اسطنبول.

عالية خاصة في عهد يوسف بن عبدالمؤمن الذي ولع هو نفسه بهذا العلم، واستصحب في ركابه فلاسفة ذلك العصر خاصة أبا بكر محمد بن الطفيل، وابن الطفيل هو الذي دلّ يوسف الموحيدي على أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد، فاستدعاه خليفة الموحدين وضمه الى حاشيته واعتنى به.^١

خصائص الادب في العصر الموحيدي

- ١- لقد ازدهر الأدب في العهد الموحيدي حتى اعتبره بعض الباحثين قمة الأدب العربي.
- ٢- كانت النهضة الادبية التي شهدها عصر الموحدين شاملة لشق الأدب على السواء الشعر والنثر.
- ٣- مع كل ما تقدم من تبجيل للادب الموحيدي يضاف له بانه أدب الدولة المغربية التي كانت قيادتها ومؤسسوها من المغاربة انفسهم وقد وصل الى ما هو عليه من التقدم والرقى.
- ٤- امتاز العهد الموحيدي بان حكامه ووزراءهم من الادباء الممتازين وقد خلفت لنا المصادر نماذج لا يستهان بها من ادبهم.
- ٥- امتاز الأدب الموحيدي أيضا بانه أدب سياسى عقيدى لان الدولة الموحدية بنيت من أول ايامها على اسس عقيدية. وقد كان للادب الموحيدي شرف دخول حلقات الصراع والمنافحة عن دولته سياسة وعقيدة، وكذلك لقي الأدب والادباء كل تشجيع من سادات الدولة الموحدية، على ما ادياه من دور عظيم في خدمة هذه الدولة وساداتها، وفي نفس الوقت قد احسن سادات الموحدين كيفية استخدام الأدب لاغراضهم السياسية.
- ٦- كانت السمة الشيعية واضحة المعالم على الأدب الموحيدي شعره ونثره، وقد كان أكبر ادباء العصر الموحيدي موسومين بالتشيع بمن فيهم من قيل بأدبيتهم من حكام الدولة الموحدية، ومن غير الحكام كان يشير الى أعلام ذلك العصر من الادباء بالتشيع أمثال ابن حبوس، وأبي العباس الجراوى، وأبي جعفر بن عطية.

١- ابن الأبار: تحفة القادم ص ٩٦، اعداد بناء وعلّق عليه د. احسان عباس، دار الغرب الاسلامي ط ١، ١٩٨٦.



٧- لما كان التحرر الفكري والانفتاح الثقافي من سمات العهد الموحيدي بلحاظه العام، فقد أخذ الأدب نصيبه من هذا الانفتاح من حيث الصراحة في التعبير، ومن استفادته من العلوم التي أصبحت محللة مباحة كالفلسفة والمنطق.

٨- بالرغم من الدلائل الواضحة على استقلال الشخصية المغربية في عهد الموحيدين، وإن الموحيدين أصبحوا قوة اسلامية تهوى اليها القلوب، والآ أن الأدب بقي وفي أكثر من منحى من مناحيه يناغم الأدب المشرقي متمثلا فيه الاصاله والريادة.

العصر الحفصي

أشرنا في فقرات سابقة من هذا البحث، الى تاريخ الدولة الحفصية، وقلنا في حينها أنها تنتسب الى أبي حفص عمر الهنتاني احد العشرة المقربين من ابن تومرت، مؤسس دولة الموحيدين، وكذلك ذكرنا بانها -اي دولة الحفصيين- تكونت بعد تفكك دولة الموحيدين، وكان مركزها في المغرب الادنى تونس في ايامنا الحاضرة، وعرفنا كذلك بأن كل ما كان ينساق لدولة الموحيدين يمكن ان يعطى للدولة الحفصية، وخاصة تشيع الموحيدين الذي اتسم به ادبهم، وعلى هذا نحاول الاشارة الى أدب الحفصيين وبهذا المبتنى، وكما سجلنا لتشيع الموحيدين بانه تجلى في اعلى مظاهره وصوره في ادبهم، وكذلك يمكننا ان نسجل هذه الظاهرة لادب الحفصيين حيث انه افصح عن تشيع الموحيدين بأجلى الصور وأوضحها. وقد ذكر ذلك صاحب دائرة المعارف الشيعية معتمدا على مقال لمحمد بن تاويت في مجلة «دعوة الحق» اذ يقول «ولكن النشاط تحول الى تونس مرة اخرى وتجددت الدولة بالحفصيين منها، ولا نستبعد ان يكون ابن الأبار «الشيوعي» كتب لهم «درر السمط» وهو كتاب «في رثاء الحسين»^١ وهنا نقول اولاً ان الحفصيين أفصحوا عن تشيعهم من خلال الادب، وثانياً من يطالع على كتاب «درر السمط في خبر السبط» -والذي سنعرض لشيء منه لاحقاً باعتباره احد النماذج الثرية الشيعية، بل اجلاها- يجد انه نسخة مصورة للتشيع المشرقي بل ان الشيعة المشاركة لا يقولون باكثر مما

قاله ابن الأبار في درره، خاصة في إمامة أهل البيت، وعصمتهم، ومظلوميتهم، ووجوب موالاتهم، والبراءة من أعدائهم ولعنهم، و«درر السمط» له أهمية خاصة على التشيع المغربي يمكننا أن نقول عنه بأنه بقي وعلى مر العصور المغربية التي جاءت بعد تأليفه من قبل ابن الأبار لأبي زكريا الحفصي عامل تهيج للمغرب واثارة نحو التشيع. وذلك لما يحمل من قوة في أسلوب الطرح، وتقديم الدليل، وذكر لمنزلة أهل البيت، وعظم الفواجع التي حلت بهم على أيدي أعدائهم من الأمويين وغيرهم.

ومن العلامات الأخرى لشيعية الأدب الحفصي، والتي أوضحت بدورها تشيع الحفصيين تلك البدايات التي التزمت بها الرسائل الحفصية، وهي الصلاة على النبي وآله، ومن المعلوم بأن الصلاة على آل مع النبي سنة شيعية، حيث إن غير الشيعة يكتفون بالصلاة على النبي وحده، وقد ذكرت الدكتورة خلف الله مجموعة من الرسائل الحفصية منها «بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على النبي الكريم وعلى آله وسلم تسليماً»^١.

ومن الأدب الشيعي الحفصي تلك الأمداح التي كان يلقيها المستمعون والمداحون في ليلة العاشر من المحرم ونهارها وربما كانت تبدأ تلك الاحتفالات بهذه المناسبة في اليوم التاسع^٢ من المحرم. ويؤكد ذلك للحفصيين وادبهم صاحب «تاريخ إفريقية في العهد الحفصي» فيقول «ولم يقبل المذهب السني منذ عهد بعيد سوى الاحتفال بعيد سنوى ثالث، غير محدد بما فيه الكفاية من حيث طبيعة وطرق الاحتفال به «الصوم والصدقة مبدئياً» وهو عيد العاشر من المحرم، أو «عاشوراء» وهذا الغموض بقطع النظر عن التأثيرات الشيعية التي فعلت مفعولها في بعض البلدان، لا سيما إفريقيا الفاطمية، قد ساعد على ظهورها أو بالاحرى تركيز في بعض الطقوس الشيعية الريفية أو الحضرية، التي مازالت منها بعض الامثلة الكثيرة والمتعددة قائمة في بلاد المغرب، ومن المحتمل جداً أن تكون مدينة تونس قد طبقت في العصر الحفصي ليلة ويوم

١- العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق «من نص الرسالة رقم: ٢٥ ص ٧٥-٧٧ ملحق ص ٤٠٣.

٢- تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والامارات، ليبيا، تونس صقلية ص ١٢٥-١٥٣



عاشوراء هاتين العادتين اللتين اشارت بعض المصادر الي تطبيقها في تلك المدينة خلال القرن السابع عشر»^١.

ومما يثير الدهشة، أن كل الكتاب الذين تعرضوا لموضوع ذكر عاشوراء من قبل المغاربة، يطلقون عليه اسم «عيد عاشوراء». وحتى من ذكروه في المواسم الفاطمية، والمعروف بأن عاشوراء يوم حزن وذلك لان الحسين بن علي بن أبي طالب وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ قد قتل في هذا اليوم سنة ٦١ هـ من قبل بنى امية، في كربلاء من أرض العراق، ولذلك اتخذ الشيعة أهل البيت هذا اليوم، يوم حزن وعزاء من تلك السنة إلى أيامنا المعاصرة، ومعلوم ان يوم عاشوراء وذكرى مقتل الحسين عليه السلام كم أثرى فيها الشيعة الأدب العربي، ويمكننا ان نقول بأن أكثر الادباء من غير المسلمين، الذين انتجوا ادبا بالعربية، قد خلدوا الحسين وعاشوراء في ادبهم، ناهيك عن الادباء المسلمين سنيهم وشيعيهم، وقد جمع بعضهم بعض هذا الأدب فصار مجلدات، ومنهم السيد جواد شبر في «أدب الطف» ولكن، لا نعرف من اين وعلى اى شيء اعتمد هؤلاء المؤلفون في اعتبار عاشوراء ويومه عيداً.

وكان من اهم الاسباب التي جعلت الأدب ناهضاً مزدهراً في هذا العصر، هو كون المؤسس الاول لدولتهم أدبياً شاعراً خطيباً^٢، ولذلك استنّ لاخلافه حب الادب، ووجوب تشجيعه، وقد أكد ذلك لرجل الدولة الحفصية الاول الدكتور شوقي ضيف بقوله: «عنيت هذه الدولة بالحركة الادبية - وحظيت بعهدا - بغير قليل من النشاط والانتعاش، وكان للشعر والشعراء من ذلك نصيب موفور، اذ فتحت الدولة الحفصية الابواب للشعراء في افريقية التونسية وطرابلس كى يفدوا عليها مادحين وينالوا جوائزها السنية، وكان مؤسسها أبو زكريا يحيى ابن عبد الواحد شاعراً، فسنّ للحكام الحفصيين من بعده نثر الجوائز والعطايا على الشعراء، مما جعلهم يتكاثرون^٣، ومن اكد انتعاش الأدب في العهد الحفصي ايضاً، وأشار الى كون حكام هذا العهد كان بعضهم يوصف بأنه أدبياً، وانهم جميعاً يتذوقون الأدب ويشيرون عليه صاحب

١- تاريخ افريقية في العهد الحفصى ج ٢ ص ٤١٥.

٢- الموجز في الادب العربي، البيان المغرب ص ٢١٥.

٣- تاريخ الادب العربي عصر الدول والامارات ص ٨٨.

«تاريخ إفريقية في العهد الحفصي» حين يقول «ان سلاطين بني حفص هم انفسهم، او على الاقل بعضهم لم يكتفوا بتشجيع الشعر، بل كانوا ينظمون الشعر ايضا».^١

وقد نشطت روح طلب العلم في عهد الحفصيين، كما وان الحركة الثقافية بشتى نواحيها قد حظيت هي الاخرى بالنشاط والفعالية، وقد اعترف بذلك للحفصيين وعهدهم الجليلي، قائلا «واما علوم اللغة والاداب، فانها كانت تدرس في الجزائر في كتاب سيبويه، والايضاح لأبي على الفارسي، والجمل للزجاجي، والعقد الفريد لابن عبدربه، وزهر الاداب للحصري، والقانون لأبي موسى الجزولي، والمفصل للزحشرى، وأدب الكاتب لأبي محمد ابن قتيبة، وامال القالى، وديوان الحماسة لأبي تمام، وشعره، وشعر المتنبي، وأبي العلاء ومقامات الحريري، ومقصورة ابن دريد».^٢

ونستظهر من هذا النص، مدى ارتباط الشمال الإفريقي في زمن الحفصيين بالمشرق، وهذا دليل على ترابط الأدب العربي، وعلوم العربية، في بينها، وفي كل العصور والامصار، حتى اذا كانت تلك الامصار متباعدة ويحكمها اهلها الذين لربما ينحدرون من اصول غير عربية. واما الاستظهار الآخر من النص السابق هو أن المغرب كان له ارتباط وثيق بالاندلس، ولربما فاق الارتباط المغربي بالاندلس في زمن الحفصيين غيره من الازمان، وذلك لسقوط بلانسية في زمن الحفصيين وهجرة أكثر الأندلسيين الى حاضرة بني حفص، وبذلك كان التأثير الأندلسي على الأدب المغربي في هذه الحقبة اكثر، وكان من ابرز الملتحقين بالمغرب الحفصي من الأندلس ابن البار، الذي انشد أبا زكريا الحفصي سينية، التي يطلب فيها النجدة لبلانسية التي حاصرها النصارى، حيث ارسله زيان حاكم بلانسية طالبا المساعدة من أبي زكريا، والتي مطلعها:

ادرك بخيلك خيل الله اندلسا ان السبيل الى منجاتها درسا^٣

وقد جدد المهاجرون الاندلسيون بدورهم ايجاد الشعر الإفريقي خاصة الذي كان على عهد

١- تاريخ إفريقية في العهد الحفصي روبرار برنشفيك.

٢- تاريخ الجزائر العام ج ٢ ص ٤٦.

٣- تاريخ الأدب العربي عصر الدول والأمارات ص ١٣٣.



ابن رشيق، وابن شرف، والحصريين، قبل مائتي عام من هذا الوقت.^١ وقد ظهر التأثير الأندلسي في العهد الحفصي من خلال التألق، واللفظ المتكلف، وحب النكتة، واختيار الصور والمقامات.^٢ وتجدر الإشارة إلى أن هنالك بعض القادمين من الأندلس غير ابن الأثير على المغرب الحفصي أمثال الكاتب ابن سعيد، وابن عمه الوزير ابن أبي الحسن، وقد ذكر ادبيهما المقرئ في نفحه^٣، وأبو الحسن حازم القرطاجني الذي أصبح شاعر البلاط الحفصي، والمتوفى سنة ٦٨٤ والمشهور بمقصودته التي تشتمل على ألف بيت والمهداة إلى المستنصر الحفصي.^٤

وقد حظى العهد الحفصي بمجموعة لا بأس بها من مشاهير الأدباء والعلماء، منهم ابن خلدون الذي كتب مقدمته في مدينة «فرندة» من أعمال مقاطعة وهران سنة ٧٧٦ هـ - ١٣٧٤ م.^٥

خصائص الأدب في العصر الحفصي

- ١ - انتعش الأدب في هذا العصر، وذلك لكون سلاطينه من الأدباء، وكانوا أيضا يشجعون على الادب، ويميزون العطاء والمدايا عليه.
- ٢ - كان من اسباب انتعاش الأدب الحفصي كثرة المهاجرة من الاندلسيين، ومن كانوا لوامع في سماء الادب.
- ٣ - انعكاس التأثيرات الاندلسية على الأدب الحفصي لكثرة الادباء الأندلسيين الذين وفدوا على المغرب في هذا العهد.
- ٤ - امتاز هذا العهد بمشاهير الادباء والعلماء وفي مختلف أنواع الفنون والعلوم.
- ٥ - ظهور المسحة الشيعية على بعض مفاصل الأدب الموحدى، وذلك لتشيع حكامه ووجود بعض الادباء الشيعة في هذا العصر.

١- غومس غارسيا: الشعر العربي ص ١٢٥، مدريد، ط ٢، ١٩٣٤.

٢- تاريخ افريقيا في العهد الحفصى ج ٢ ص ٤٢٦.

٣- نفع الطيب ج ١ ص ٦٨٤ - ٦٨٦.

٤- تاريخ افريقيا في العهد الحفصى ج ٢ ص ٤٢٧.

٥- تاريخ الجزائر العام ج ٢ ص ٤٤.



٦-بالإضافة الى تأثير الأدب الحفصي بالاندلس، فانه كان قد تأثر بالأدب المشرقي، وذلك لتدريس مصادر الأدب المشرقي في مدارس الحفصيين ومعاهدهم.

العصر المريني

الدولة المرينية من الدول التي نشأت بعد تفكك الدولة الموحدية، إذ أن مؤسسيها كانوا تحت لواء الموحدين ايضا سياسة وعقيدة. ولهذا ترانا لا نغفل عن الحق كثيرا اذا قلنا بأن أكثر ما كان للموحدين اتسم به المرينيون، وخاصة الادب، وبالاخص السمة الشيعية في ادبهم. وذلك لجذور التشيع المتأصلة في نفوس المرينين. ولكي نسند ما ذهبنا اليه، ونطمئن القارىء بالدليل، نؤكد له ذلك بالدليل عما ينقل عن تشيع المرينين، حيث يقول القادرى «ان السلطان أبا عنان المريني رحمه الله كان له من التشيع في حب آل البيت، والتوسع عليهم في المرتبات ما سبق من قبله، واعجز من يأتي بعده، وكان لا تهدأ له عين اذا كان ببلد الا اذا اورد عليه من ولد الشرفاء»^١.

ولا ينسى ذلك الموقف الذي اتخذته السلطان أبو عنان المريني نفسه من أبي بكر محمد بن العربي المعافرى الإشبيلي، الذي نسبت اليه تلك المقولة «ان الحسين قتل بسيف جده» فسمع بها الاشبيليون، فهجموا عليه، فركب البحر هاربا الى المغرب، وسار مراکش واشتكى اميرها، فوجد الخبر قد وصله، فأمره بالسير الى فاس، فسار اليها ليستوطنها، ولكنه اصابه المرض الذي مات فيه عندما سمع ما عمل أهل اشبيلية في داره من هدم، ولما وقف أبو عنان على كلامه اراد تحريق قبره، وكان اذ ذاك حاضرا ابن الخطيب السلماني رسولا من صاحب الأندلس ابن نصر الى أبي عنان، فكلّمه فيه، وقال انه قد مضى الى ما قدمت يداه، فتركه حينئذ ولم يحرق قبره، وزعم بعضهم ان ما اصاب ابن الخطيب من الحرق جزاء على منع أبي عنان من ذلك.^٢ ولا نرى ادل على صدق تشيع أبي عنان من هذا الحادث، حيث انه اراد تحريق قبر من يعادى أهل البيت. وقد كان للتشيع لآل البيت في أيام المرينيين من القوة في المغرب حتى «أن الناس كانت

١- القادرى عبدالسلام بن الطيب: الدر السنّى في بعض من بفاس من اهل النسب الحسنى ص ٢٣- فاس ١٣٠٩ هـ.

٢- مقالة عن كتاب ذكر مشاهير اعيان فاس في القديم: مجلة البحث العلمى، المركز الجامعى للبحث العلمى، الرباط، ص ٩٧.



تجتمع عند قبر ادريس بن عبدالله ايماناً بكراماته من سائر اقطار المغرب، حتى خيفت الفتنة بسبب ذلك، فبعث أبو عبدالله عثمان ابن يعقوب جيشاً لتفريقهم عنه وتحسيم الفتنة^١. ومما يذكر بان التشيع في عهد المرينيين جاءته دفعة من القوة اضافة الى قوته، وكان لهذه القوة تأثير مباشر وكبير على الأدب في العهد المريني، وهذه الدفعة من القوة تتمثل بهجرة بني نصر او بني الاحمر حكام غرناطة في الأندلس الى المغرب المريني، وكان لهؤلاء النصرين عراقة في التشيع حيث أخذوه من ابيهم الاول الصحابي الجليل قيس بن سعد بن عبادة الانصاري^٢، المعروف بتشييعه لعلي بن أبي طالب والمتولى لمصر من قبله، والذي هاجر ابناؤه الى الأندلس وكانت لهم ثورات باسم التشيع هناك^٣، ومن ذريتهم بنو الاحمر اصحاب غرناطة، ومن بني الاحمر الوافدين على المغرب أبو الوليد اسماعيل بن الاحمر بن الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالاحمر^٤، ولأبي الوليد هذا مؤلفات كثيرة منها «نثر فرائد الجمان في نظم فحول الزمان» حققه الدكتور محمد رضوان الداية، وطبعته دار الثقافة سنة ١٩٦٧م، وله ايضا «اعلام المغرب والأندلس» حققه ايضا الدكتور الداية، وطبعته مؤسسة الرسالة. ولاسماعيل أبي الوليد ابيات في نسبهم، يمدح فيها احد امراء بني الاحمر:

ساد الملوك بنسبة سعدية	لا يعترية في الهياج ذهول
بعلى المعلى جدّه سعد الرضا	مولي الندى، قد افسح التنزيل
حامى الرسول وسيد الانصار من	صحب الرسول وسيفه مسلول ^٥

وله ايضا بعدما عاتبه الشريف السبتي الغرناطي القاضي الفقيه أبو القاسم بن أحمد على خطأ في رسالة وجهها ابن الاحمر الى قبر رسول الله ﷺ بالمدينة، فقال معتذرا من الخطأ:

- ١- الشاطبي الغرناطي ابراهيم ابن موسى - الاعتصام ص ٤٥ - المكتبة التجارية القاهرة ١٩٣٢.
- ٢- انظر مقدمة «اعلام المغرب والأندلس» ص ٦ بقلم د. محمد رضوان الداية - لمؤلفه ابي الوليد اسماعيل بن الاحمر (٨٠٧هـ). تحقيق محمد رضوان الداية - مؤسسة الرسالة.
- ٣- أدب التشيع في الأندلس ص ٤٠.
- ٤- انظر ترجمته في: درة العجال ج ١ ص ١١٦ ابن القاضي، جذوة الاقتباس ص ٦٩، اللوحة البدرية في الدولة النصرية ص ٤ لسان الدين ابن الخطيب - القاهرة ١٣٤٧.
- ٥- اعلام المغرب والأندلس ص ٩٠ - ٩١.

حبوت جنابى يا سليل محمد
 بدت شمسها في هالة السعد مثلما
 بعذراء ما سنى سناها وأعجا
 توضع رياءها من المسك اطيبا
 فلا زلت تسديها على الخلق نعمة
 ولا بن الاحمر كذلك في أهل البيت، وهو من الادلة على تشيعه:

الى السادة الاخيار ابناء هاشم
 هم آل خير الخلق أحمد والالى
 بنى الحجر والبيت العتيق الممجد
 بهم عز دين الله في كل مشهد^١

ومن الادلة التي تضاف الى ما ذكرناه عن تشيع بنى الاحمر، وتذهبهم لآل البيت ما ينقله اسماعيل ابن الاحمر في نثير الجمان عن عناية السلطان النصرى، اسماعيل بن فرج بأهل البيت، وذلك عندما يتكلم اسماعيل بن الاحمر عن المظاهر الدينية في المغرب في القرن الثامن الهجرى أيام دولة بنى مرين، عندما نزع هو من غرناطة اليها، بقوله «العطف على آل البيت الذي أخذ يشكل عاطفة عارمة في بعض الاحيان، فقد اعتنى السلطان النصرى اسماعيل بن فرج بأهل بيت رسول الله ﷺ فبذل في فداء بعض اعلامهم ما يعز بذله، ونقل منهم بعضا من حرف خبيثة^٢ ولا يفوتنا ايضا ان نذكر دليلا آخر على ولاء بنى الاحمر لاهل البيت وتشيعهم ما كان من احد سلاطينهم وهو يوسف الثالث الذي كان شاعرا والذي أثر عنه ديوان تضمن الكثير من الشعر الشيعى.

وما دمنا قد وصلنا الى معرفة تشيع المرينيين، وانعكاس آثار هذا التشيع على ادبهم، وما دمنا ايضا عرفنا بأن الأدب المريني من العلامات الدالة على تشيع المرينيين اذا يحق لنا ان نتكلم عن الأدب في العصر المريني. وأهم ما يمكن ان يسجل لهذا الأدب - كما سجل لمن سبقه من آداب التشيع في الشمال الإفريقي هو كون حكام هذا العصر من الادباء ومن مشجعى العلم والفن، وقد قال محمد بن تاويت في وافية بهذا الخصوص (ومما يجدر ذكره ان البيت المريني كان يساهم بنفسه في الحركة الادبية، فالامير عبدالواحد بن يعقوب يقرض الشعر، ويقول

١- نفس المصدر ص ٩١.

٢- نفس المصدر.

٣- ابو الوليد اسماعيل بن يوسف الأحمر: نثير الجمان في نظم فحول الزمان، ص ٤٨، تحقيق، محمد رضوان الداية.



في الافتخار كما قيل:

فرقت في الميدان كل ملك
وجعلت للاسلام حذا مالكا
وجمعت بين جراءة ونسوك
كى لا يغيره العدا بسلوك
وكان ابن تاويت قد ذكر له شعر ونثرا غير هذا.^١

ويقول محمد بن تاويت في مكان آخر من وافيته عن البيت المريني (وبعد فان القرن الثامن يعدّ العصر الذهبي في الدولة المرينية، ففي هذا القرن بالذات كان ريعان الشباب للدولة نفسها، وللحضارة المغربية عامة، والأدب منها خاصة، اذ ان المرينيين كانوا لاول وقتهم بداءة رحلا، اقتعدوا كرسى الملك بعد الموحدين، وخشونة البداوة لما تزايلهم، وحاجتهم الى الحضارة تدفعهم الى الاستعانة بسيدات القصر اللاتي صرن ازواجهن شأنهم في ذلك شأن المرابطين الاول، ولم يكن شأن الموحدين الذين كانوا يرتفقون بعضا الأدب والعرفان منذ قيامهم بالامر، فكان ملوك المرينيين الاول كذلك، وما كان القرن الثامن يهل عليهم حتى كان من ملوكهم وامرائهم ادباء يحبرون النثر، ويقرضون الشعر، كعمر بن عثمان بن يعقوب، وأبي الحسن على وابنيه أبي عنان، وأبي فارس عبدالعزيز ثم أبي العباس أحمد بن أبي سالم، واستبحر المغرب بعلمائه وادبائه، فلم يقتصر بذلك على عواصمه العلمية الاولى، بل صرنا نجد علما وادبا بارعا في مدن اخرى مثل مكناسة وتازة بعدما كانت مراکش تكاد تستقل بحمل راية التراجم، خاصة، فكان منها ابن عبد الملك وغيره، ولاول مرة نسمع من الأندلس تقديرا لعلماء المغاربة، واعترافا بطريقتهم المثلى».^٢

وقد سجل لسلطين بنى مرين تشجيعهم للعلماء والادباء، الكثير من المؤلفين ومنهم الدكتور الداية، اثناء تقديمه لكتاب «اعلام المغرب والأندلس»، اذ يقول «وقد نبغ صاحب الترجمة في عهد أبي عنان المريني الذي قربته في جملة العلماء والادباء والشعراء».^٣
ونظرا لكون الحكام المرينيين علماء وادباء في انفسهم، وأنهم قربوا العلماء والادباء،

١- الوافي بالادب العربي بالادب ج ٢ ص ٤١٠ وما بعدها.

٢- نفس المصدر.

٣- مقدمة كتاب «اعلام المغرب والأندلس» ص ٧.

وبسطوا لهم الوجه واليد، فقد انعكس ذلك على الفكر والفن في أيامهم فانتعشا وازدهرا، وكذلك تكاثر العلماء والادباء في الحضرة المرينية، سواء منهم من هو مغربي بالاصل، وسواء من جاءهم مهاجرا من الأندلس ومن المشرق، وهذا ايضا ما اعطى عامل تقوية للادب والعلم في أيام بني مرين ودولتهم. وما كان «من مظاهر نشر الثقافة والاداب بفضل تشجيعهم ما ظهر به عبدالعزیز المملوكي، من شعر يتصل بهم وباجدادهم، ثم ما كان من أبي سعيد عثمان ابن يعقوب الذي يرجع اليه الفضل في ظهور كتابين على ساحة التأريخ المغربي، واعتبرا فيما بعد اهم مصادره الاولى، هما «الانيس المطرب بروض القرطاس»، و «الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية»^١. وكذلك «لاننسى أنه في هذا التاريخ، كان بالمغرب ابن خلدون التونسي، وابن المرزوق التلمساني، فسجلت لابن خلدون قصائد ورسائل طوال، كما سجلت لابن مرزوق، ويكفي لان يكون المغرب محفزا لابن خلدون على تأليفه كتابه، الذي اهدى منه النسخة الاولى الى السلطان المريني، اعترافا منه بالجميل كما الف ابن مرزوق «المسند الحسن»^{*} استجابة لرغبة السلطان أبي الحسن، ثم كان ابن الخطيب يؤلف كتابا بوحى من سلطان آخر، وهو كتاب «اعمال الاعلام»، وهؤلاء جميعا لهم مراسلات ومطارحات فيما بينهم، ويصح ان يجعل هذا «الثالث» مشعلا نيرا للادب في منتصف القرن الثامن»^٢.

ومن اهم مناقب العهد المريني، أنه حفل بعدد كبير من العلماء والادباء، بالاضافة الى من ذكرناهم، وقد كان أكثر هؤلاء من المؤلفين، وهذه اشارة اخرى تضاف الى العهد المريني، وهي ازدهار أدب التصنيف فيه، وهذه الاشارة ايضا تضاف الى كل الآداب التي تتصل بالموحدين كالحفصية وغيرها، ومن اسماء المؤلفين في تلك الفترة محمد بن عبد الملك، وأحمد أو محمد بن عذارى، ومن كان منهم بالعهد الحفصي، ابن رشيد الذي رحل الى المشرق، وكان له

١- الوافي بالادب العربي ج ٢ ص ٤١١.

*- اسم كتاب ابن مرزوق الكامل «المسند الصحيح من احاديث السلطان ابي الحسن» سيرة حياة ابي الحسن ابن ابي سعيد بن يعقوب، وقد كان ابن مرزوق تلمسانيا تلقى علومه في المشرق، الا ان نبوغه قد ظهر في بلاط المرينيين الذين اتصل بهم وتلمسان نفسها من جملة ممالكهم.

٢- الوافي بالادب العربي ج ٢ ص ٤٧٣.



مناظرات مع المالكية، وبعد عودته للمغرب أَلَفَ «مَلَّ العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجه الوجه، الى الحرمين مكة وطيبة»، والعبدري، وأبو القاسم بن أبي العباس العزفي، وقد كان أبو العباس صديقاً لمالك بن المرحل الشاعر المعروف ولأبي القاسم شعر في آل البيت منه، قوله:

ذرية المصطفى أنى احبكم وحبكم واجب في الدين مفترض

وهذا الشاعر هو الذي جمع كتاب ابيه «الدَّر المنظم في مولد النبي العظيم»، ويقال بأن عائلة

العزفي من العوائل الشيعية في المغرب.^١

ومن الذين عاشوا في ظل دولة المرينيين من العلماء والادباء ابن جزى الكلبي، الذي رتب رحلة ابن بطوطة، وابن زمرك، والعالم الشهير التباهي، وأبو علي المكناسي الحسن ابن عثمان ابن عطية صاحب المشاركة في العلوم والفنون، وصاحب الارجوزة التي خاطب بها أبا عنان، وأبو جعفر الجنان المكناسي، والشريف أبو العباس السبتي الصقلّي، الذي يقول عنه ابن الخطيب «امام الأدب الذي لا يجاريه الرضى ولا مهيار» ويظهر من هذا الكلام تشيع الشريف الصقلّي، وأبو محمد عبدالمهيمن الحضرمي صاحب أول المقامات بالمغرب وابن آجروم النحوي المعروف الذي مرّ علينا شعره في سيف ادريس، وغيرهم الكثير.^٢

ولا بأس ان نذكر بأن محمد ابن تاويت لديه بعض الشطحات التي تدل على عدم اطلاع الرجل على التشيع والأدب الشيعي، ومع هذا فإنه يتحامل على التشيع والأدب الشيعي هنا أو هناك، مضافا الى أنه يجتهد في تحديد ما كانت تدين به الدول المغربية من مذاهب بدون دليل، ولربما أفصحت الادلة على خلاف ما اجتهد به، ونحن لانريد استحصاء ذلك على ابن تاويت لان هذا ليس ممن مهمة البحث، ولكن نورد شيئا واحداً لكي نستدل على بعض ما قاله ابن تاويت، ولم يكن فيه على صواب، وذلك في ما ذكره عن قصيدة الزناقي أبي عبدالله محمد البائية في مدح المستنصر بالله أبي العباس المريني والتي اتسمت بالطول، وكان مطلعها:

لذكرك احلى في اللسان واعذب وقربك اشهى للفؤاد واطيب

١- نفس المصدر ص ٣٨٥ - ٤٠٢.

٢- انظر المجلد الثاني من الوافي بالادب العربي.



يقول «والقصيدة تنظر في أولها الى قصيدة الفرزدق في زين العابدين»

طربت وما شوقا الى البيض اطرب ولا لعباً منى وذو الشيب يلعب^١
ولا ندرى ماذا نقول، وهذا البيت الذي أورده ابن تاويت هو أول بيت من بائية الكهيت بن
زيد الاسدي، التي هي إحدى هاشمياته، وكان الكهيت قد عرض هذه القصيدة على الفرزدق
طالباً منه ابداء نظره في شعره وشاعريته، فقال له الفرزدق ادع يا ابن اخي، وان قصيدة الفرزدق
في مدح الامام زين العابدين ميممة، مطلعها:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحلّ والحرم^٢

ومن الذين ضمتهم الحضرة المرينية، وفي نفس الوقت يعتبر من مفاخرها أبو القاسم
الشريف الحسن السبتي المعروف بالغرناطي (٦٩٧ هـ - ٧٨٠ هـ)، هذه الشخصية التي تمثل
الامتزاج الأندلسي المغربي، وقد كان له ديوان شعر وهو من المفقودات المغربية، ولم يبق من
شعره الا ما نقله صاحب نثر الجمان، وصاحب نفح الطيب، وقد نقل محمد بن تاويت قصيدة
له يبدأها بالغزل وينوه فيها بحبه لآل البيت وولائه لهم:

دعيني من مقال العاذلين	وخلي بين تهيامي وبينني
ومن يك ساليا فلدي حب	سلو القلب عنه غير هين
علقت فمقلتي للقوم حرب	بأعزل وهو شاكي المقلتين
مليح الدل شافت كل قلب	شمائله وراقت كل عين
جنى وحمى فلم أطلب بشاري	محاجره ولم أنقاض ديني
أهيم بخده وبمبسميه	فأنسب بالحمى والابرقين
عقدت مع الغرام فبعت فيه	وقارى والتصبر صفقتين
وهمت بناعم العطفين فيه	عذاب الصب عذب المرشفين
تدير على عيناه كؤوسا	كان سلافها من رأس عين

١- انظر: الوافي بالادب العربي ج ٢ ص ٤٨٨.

٢- ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٢٣٨ دار الكتاب العربي، ١٩٩٤.



واعلام الصفا والمأزمين
تكون دموعها فى الحب عوني
يصون السر عنهم كل صون
فجرحت الدموع الشاهدين
وماء الدمع فوق الوجنتين
سكيب القطر فوق بهارتين
وآذن نوم احداقي بين
ولم تزه الربى بكمال زين
يهب عليه بالأبردين
لما أبدى حمام الشاطئين
فنلقي فى الهوى متطارحين
لتوبة عند بطن الواديين
يرى بك ثالثا فى النبرين
بعيد بين هذب الناظرين
وأيد ناظريك بحاجبين
وقيصر فى مقام الحاجبين
فعالك عن فؤاد غير لين
ظبى الثقفى قاتلة الحسين
على فتكات لحظك من يدين
بك الخيرات هامية اليدين

فأحلف بالمحصب والمصلى
لا نتصرن بالاجفان حتى
وحين تعرفوا كلفى وقلبي
كنفت المقلتين ليشهدا لى
فلو أبصرت ناظرى المعنى
بصرت بوردين يسح منها
إذا أعرضت أعرض كل صبر
واسم تبد الرياض بحسن زى
كأن نسيمها مما أقاسي
كان الزهر غب سما بكته
اهيج لها الهوى وتهيجه لى
وقد هاج الحمام الوجد قلبي
بعيشك هل ترى ثانى وحيد
وهل يدنو من الآمال صب
فان يكن الجمال حباك ملكا
فما أرضى لملكك أن كسرى
تخبرني وفى عطفك لين
وأعرف فى لحاظك ما رأت فى
وألقى فى الهوى بيدي ومالي
علام الغب عنى لا أغبت

وتعتبر هذه القصيدة من باب آخر بأنها من الشعر الحسينى فى الشمال افريقى.^١

وله قصيدة اخرى تدل على تشيعه بشكل أوضح:

يحثها السير بين الغور والأكم
عرض الفلا وذميل الأيفق الرسم
أعلام لبنان أو كثنان ذى سلم
مرماه لا صدد منهم ولا أحم
للمجد رجب وظل للعلی عمم
فصرت من ريب هذا الدهر في حرم
رهط وأخفر ما لا مجد من ذمم
الآ بقومي في أيامنا القدم
وهن ما هن من طيب ومن كرم
لهم أواصر من ودّ ومن رحم
الآ بنائع سمّ أو عبيط دم

يا أيها الراكب المزجي مطيته
أبلغ بسبّة أقواما ودونهم
ولجّ ذى ثبيج طام كأن به
ألوكّة عن غريب داره قذفت
أنبي بأندلس آوى الى كنف
وأن غرناطة الغرا حللت بها
ليس كأخرى بلى ربع بها وجفا
وأنكرتني مغانيتها وما عرفت
لها مضارب من آل النبي بها
وفتية من بني الزهراء قد كرموا
لقلت لا جادها صوب الحيا أبدا

.....

ما ضرّني ان نبا بي أو نأى وطني منها ولي شرف البطحاء والحرم
وكانت هذه القصيدة قد قالها بعد أن غادر سبّة الى غرناطة ويظهر منها افتخاره بانتسابه
للبيت النبوي الشريف، وكذلك يتبع فيها سنة العرب الشعرية وكأنه قد حاكى البيت:

يا أيها الراكب المزجي مطيته سائل بني أسد ما هذه الصوت^١

ومن نثره الذي يدل على تشيعه، شرحه وتقييده على «درر السمط» لابن الآبار^٢، وكان
في الوقت الذي شرح فيه الغرناطى «درر السمط»، وكما يقول ابن تاووت نقلا عن النباهي (بأن
الزعر الى التشيع قد عادت الى الأندلس، وكان رئيس الكتاب الشيخ العلامة أبو الحسن ابن
الجياي، قد شهر بالتشيع لآل البيت الكريم^٣، ولا بد من الإشارة هنا بأن الشرح لـ «درر
السمط» قد استمر في العهود اللاحقة فيها هو الماغوطى، من ادباء العصر السعدى التالى لعهد

١- نفس المصدر.

٢- نفس المصدر.

٣- نفس المصدر.



الحفصيين، يشرح ذلك الكتاب بطلب من المنصور السعدي، وكان المنصور السعدي قد أعطى الماغوطي وزن ذلك الشرح ذهباً^١.

ونحن لا نريد الاسفاف والاطالة في ذكر السعديين وتشيعهم وما انعكس من ذلك التشيع على الأدب لان هذا خارج عن المساحة الزمنية التي خصصنا بحثنا لها. بقدر ما نريد ان نطلع القارئ على الفترة المتاخمة لنهاية الدولة الحفصية، والتي كانت معروفة بتشيع ادبها، ومن الشواهد على ذلك بالاضافة الى شرح «درر السمط» قصيدة الهوازي أبي عبدالله محمد بن علي في مدح المنصور بعد احد فتوحاته، وهي «من أعرق شعر الشعراء في التشيع والاعلان به، والتمسك بشعاراته» ومنها:

فتوح جنى المنصور في عرصاتها	ازاهر نصر يانع من غصونها
ولا غصن الا من قناة قديمة	ولا زهر الا من ثبابة سنانها
ولا روض الا من حماة كماتها	ولا سقى الا ما جرى من طعانها
كتائب منصورية قذفت بها	مرام نأت عن ارضها ومكانها
تهيم بها الارواح حتى كأنها	تناغى عزيف الجن في دورانها
وتطوى بساطا ارضها بقنابل	سنابكها أطوى لها من بنانها
سحائب من مراكش قد أثارها	صبي النصر يحدوها حراء عنانها
يؤم بها الصحراء يرتاد امة	سدى أنفت اسادها عن عرينها
فكم ملك قد رامها فتعصبت	عليه ومجت في مجون حرانها
فلما همت تلك السحائب فوقها	أفاقت وهبت من كرى هيمانها
الى الملك الشهم الذي لقحت به	لقاح الحروب بكرها وعوانها
الى ابن البتول المجتبى من نجارها	وفرع العلى المختار من مرانها
الى ابن الهدى وابن الندى وردى العدا	وفخر بنات المصطفى وهجانها

بنى الحسن السبط الزكى الذي خبت به فتن الاسلام في هيجانها^١
وكذلك اشعار أبي فارس عبدالعزيز بن محمد القشتالى «٩٥٧ هـ - ١٠٣٢» صاحب كتاب
«مناهل الصفا» في تاريخ السعديين، في مدح المنصور السعدى ايضا: اثناء فتح السودان
يعنو الى المسنون من اسيافه قلب المعاند وهو قلب واجب
ايروم احزاب الضلال سفاهة غلبا لحزب الله وهو الغالب
صبت على السودان منه صواعق فهمت على اسحاق منه مصائب
يروى عن المنصور فيه (محمد) ما اسندته الى (الوصى) مناسب
وهل ابلغ في اظهار التشيع من تلقيب علي بن أبي طالب بلقب «الوصى» ومن الملاح
الشيعية في شعر القشتالى قوله ايضا في مدح المنصور:

اذا زار استكان الاسد رعبا وترهب منه ان هدر الفحول
بنى المهدي اتم للبرايا شمس لا يعارضها افول
واقرب ما لكم في الغيب ملك الى عيسى بن مريم لا يزول^٢

ومما يضاف الى العصر المريني هو احياء ذكرى عاشوراء الامام الحسين عليه السلام حيث ان علي
حامد الماجي ونهجا على سنة المؤلفين يذكر تحت عنوان (عيد عاشوراء) عندما يعرض
للاعياد في زمن أبي عنان المريني فيقول «احياء لذكرى استشهاد الحسين عليه السلام، الا ان التقليد
الشعبي في فاس اضاف الى ذلك احياء ذكرى وفاة فاطمة الزهراء، وحتى وفاة الرسول، فقد
كان الموسيقيون يمتنعون عن العمل في شهر المحرم، فقد وجّه السلطان أبو عنان رعايته واهتمامه
لاسعاد الاطفال في هذه الليلة..... وتحر الذبائح في يوم عاشوراء وتوزع على الفقراء»^٣

ومع كل ما سجلنا للعصر المريني الا انه يعتبر على عهد الانحطاط للادب العربي، ويشهد
على ذلك نفس المعاصرين لهذا العهد كما ينقل ذلك عنهم الدكتور الداية عندما يقدم لكتاب

١- دائرة المعارف الشيعية م ٤ ص ٣٠٤.

٢- نفس المصدر.

٣- المغرب في عهد السلطان ابي عنان المريني ص ٢٦٥ على حامد الماجي ١٩٨٦.



ابن الاحمر «نثير الجمان» وذلك حين ينقل جواب عبدالرحمن بن صالح المكوذي الفاسي الى ابن الاحمر حينما اراد منه ابن الاحمر ان يرسل له ما يشاء من شعره او نظمه كي يشبته في كتابه فيتأخر بالجواب وقد كان الجواب «ابطأت استحقارا لشعري، واستضعافا لما صدر من نثري ونظمي، وهجرا للادب وطريقته، وقلبي لمجازه وحقيقته، طريقة كثر قائلها، وقل نائلها، فلو امكن ان يجتمع في زماننا أبو تمام باغترافه من بحره، وأبو الطيب باقتطافه من زهره، وأبو العلاء ينحته من صخره، على استخراج درهم واحد من أهل زماننا لما حظوا منه بنائل، ولما وقفوا في امورهم على طائل، دهر وفي الله من حوادثه، سيان ذو العلم فيه والجاهل»^١.

خصائص الأدب في العهد المريني

- ١- برزت ملامح التشيع على أدب العصر المريني بشكل واضح.
- ٢- ظهر بعض الادباء البارزين في هذا العصر، ومن احتفظ لنا تاريخ الأدب باسمائهم باعتزاز.
- ٣- نشطت حركة التأليف والتصنيف في هذا العصر.
- ٤- اعلت حالات امتزاج الأدب الأندلسي بالادب المغربي تجلت في هذا العصر، وذلك لنزوح كل من تبق من العرب في الأندلس الى المغرب، حيث ان الأندلس خرجت من أيدي العرب في هذا العصر، وانهارت آخر قلاعهم هناك غرناطة، وبذلك ظهر التأثير الأندلسي باعلى صورة على الأدب المغربي شعره ونثره.
- ٥- بالرغم من كل الانتعاش الذي سجله الأدب في هذا العصر، وكثرة الأدباء إلا أن هذا العصر، يعتبر على عصر الانحطاط للادب العربي.
- ٦- كان لعاشوراء الامام الحسين عليه السلام وجود ملحوظ في الأدب المريني.

عهود أخرى

اشرنا في الفقرات السابقة من هذا البحث الى اهم العصور الادبية، حسب القوى السياسية التي حكمت الشمال الإفريقي وحسب ازمانها التاريخية، وقد اشرنا ضمنا الى ما انتهى اليه امر المغرب العربي بعد الحفصيين والمرينيين، وذلك عندما اوردنا ذكر السعديين، وقد اوردنا ذكرهم لما أثر عنهم من انتساب للبيت العلوي، أولا، ولما حفل به ادبهم من تشيع والافهم خارجون تاريخيا عن الفترة التي حددنا بحثنا فيها، وقد اهملنا ذكر الوطاسيين حلقة الوصل بين المرينيين والسعديين وذلك لاننا لم نجد ما يخص بحثنا من أدب التشيع في الشمال الإفريقي. ولا بد من الاشارة الى بعض الدول - ان صح التعبير - التي حكمت في بعض اجزاء الشمال الإفريقي متزامنة مع الحفصيين والمرينيين واولئك هم بنو عبدالوادر بنو زيان الذين كانوا ولاية الجزائر من قبل الموحيدين، وعندما ضعف امر الموحيدين انفصلوا بالمغرب الاوسط وجعلوا مدينة تلمسان عاصمة لهم، وترجع اصولهم الى قبائل زناتة، وقد عرفوا في كتب التاريخ ببني عبدالوادر، وقد كان العداء مستمرا بينهم وبين المرينيين، واسفر عن عدة حروب وقد تحالفوا مع بني الاحمر حكام غرناطة ضد المرينيين، وكذلك مع الحفصيين ضد المرينيين، وهذا ليس بالغريب بين الدول الاسلامية على كل مساحة الوطن الاسلامي، مع كونهم جميعا من اتباع الموحيدين - ومن ظاهر ما نقل عن بني الوادر بانهم كانت لديهم - ميول شيعية، لربما أثرت فيهم جذورهم الموحدية على ذلك.^١

والذي يعيننا في بني عبدالوادر اهتمام دولتهم بالعلماء والادباء والشعراء، حتى ان يحيى بن خلدون (ت ٨٧٠) وهو اخ المفكر الكبير والمؤرخ ابن خلدون استطاع ان يصل الى وظيفة الحجابة في زمن الأمير حمو موسى الثاني (٧٥٣ - ٧٩١)، وكان هذا الأمير محباً للعلماء والادباء، وكان هو نفسه ادبياً شاعراً وله كتاب اسمه «نظم السلوك في سياسة الملوك» وصف فيه غرناطة في جهادها بالمال والرجال.^٢

١- راجع: دولة الموحيدين ص ٢٤٧ وما بعدها على محمد محمد الصلابي، دارالبيارق، عمان رقم الايداع لدى دائرة المكتبة

الوطنية - ١٩٩٨/٣/٢٩٢.

٢- المغرب ص ١٣٦ البكري.



في عهد بنى زيان على العموم بلغ جماعات من اشهر العلماء والكتّاب والمفكرين، ولعل أهم هؤلاء عبدالرحمن الثعالبي مؤلف «جواهر الحسان»، والمقرى مؤلف «نفح الطيب» وقد سجلت لهذه الدولة منقبة بناء المدارس القيمة التي تعتبر من آيات الفن المعماري العربي، واجرت على طلبتها وشيوخها الارزاق.^١

الأدب الشيعي المغربي... ضياع أو تضييع؟

ذكرنا في صفحات سابقة من هذا البحث بعض الوان التحامل الذي ظهر في مؤلفات أكثر المؤلفين على التشيع من القدامى والمحدثين، واشرنا في حينها ان هذه مشكلتنا واسقاطاتنا ولا يدفع ثمنها الا الاجيال بما يخسرون من تفريطاتنا بترائنا بسبب هذا التحامل، وبما يصلهم من افكار لا توافق الحقيقة عن هذا او ذاك وهذا ما يؤدي الى اصابهم بخسائر كبيرة في التلقى الثقافي، ولا نعرف متى يحين احترام الرأي الآخر ويترك التعصب جانبا؟ وهذا الكلام نتقدم به الى الجميع، كى تعم الفائدة، وترتفع الخسائر التي ذكرناها، وتنصف الحقيقة ولا يفرط بل لا يغمط حق احد، ولا يساء الى احد.

وما دفعنا الى هذا الكلام هو المعاناة التي صادفتنا خلال البحث عن أدب التشيع في الشمال الإفريقي حيث وجدنا ان أكثر هذا الأدب قد اصابه الضياع بسبب الاتلاف المتعمد، أو سبب الاهمال المتعمد ايضا، لا لشيء الا لكونه شيعيا وكفى، ولا بأس ان نذكر من يعمل مثل هذه الاعمال الى ان الأدب الشيعي المشرقي اضعاف الأدب الشيعي المغربي، ولا يمكن ان يحصى مطلقا فالتشيع باقى وادبه باقى، وتلك الاعمال لا تروي عطشا، وانما خسارتها على نفس المغرب لانها اتلاف، وتضييع لتراثه، وانتهاك لحرمة اسلافه وحرمان الاجيال من عطاء اوائله.

ونؤكد، لو أن الأدب الذي انتجه المتشيعون في الشمال الإفريقي، قد وصلنا جميعا. لكانت ثروة هائلة تضاف الى الأدب العربي، كما اضاف أدب المتشيعين المشاركة عطاء الى الأدب العربي لا يستهان به ولا يشك في قيمته، وقد اشار الكثير من الباحثين الى ضياع الأدب

الشيعي في المغرب، والتفريط به، ومن اشار الى ضياع الأدب الشيعي في المغرب محمد بن تاويت عندما اورد ذكر الشاعر أبي القاسم الشريف السبتي الغرناطي، وذكر له قصيدة في رثاء الحسين عليه السلام وقصيدة اخرى مستدلا بها على تشيعه، وذكر ان له تأليفات مفقودة ومن بينها ديوانه، يقول «والديوان من باقى تواليفه الادبية مفقودا وكل ما نعرفه من شعره، ما ذكر في نحو الموقبة والاحاطة والنثير والنفح، وما خال به شرحه المذكور من نماذج تأتى، غالبا ضمن تمثيلة بأشعار المتقدمين والمحدثين»^١، وقد اكد ضياع الأدب الشيعي في المغرب ايضا ابراهيم الدسوقي جاد الرب حينما ذكر فقدان شعر المديح في المغرب، اذ يقول: «واذا رحلنا الى شعراء المديح بعد ذلك لم نعث الا على شذرات نادرة طيلة الفترة التي انتهت بسيطرة الفاطميين على المغرب عام ٢٩٦ هـ مع ان مدحا كثيرا قد نظم في الاغالبية والأداسة وان مداحين كثيرين قد لاذوا ببلاط القيروان، والقصر القديم، ورقادة وبلاط فاس.

لقد ضاع ذلك المديح، ولم يبق منه غير ابيات، او مقطوعات وبعض اخبار تتعلق به، واسماء بعض رجاله»^٢. ويديم جاد الرب تدمره وشكواه وآسفه على ضياع ذلك الأدب قائلا «والمعروف ان الواصل من شعر غربي الدول الاسلامية في القرون الثلاثة الاولى قليل، والمفقود كثير»^٣، ومن الواضح بأن التشيع وادبه كان في هذه القرون الثلاثة اقوى ايامها في المغرب، ثم ان جاد الرب يؤكد ان الضائع من ذلك الأدب ليس ابياتا أو قصائد، بل دواوين بأكملها حين يقول «لقد ضاعت دواوين المغرب، كما ضاعت دواوين الأندلس الراجعة الى الفترة التي ندرسها»^٤.

ثم يقول «ولو وصلنا دواوين شعر مغربية ترجع الى فترة دراستنا لتوسعنا في مناقشة تأثير المغرب بالمشرق تأثرا عاما متمثلا في تقليد موضوع أو اسلوب، وتأثرا خاصا... ولكن ما الحيلة واليد صفر من الدواوين المغربية مع ان الاثار متكررة الى وفرة الشعر المغربي، وجودته

١- الوافي في الادب ج ٢ ص ٤٤٥.

٢- الشعر المغرب حتى خلافة المعز ص ٤٧.

٣- نفس المصدر ص ٣٥.

٤- نفس المصدر ص ٣.



في تلك الفترة»^١، ونحن نكرر القول بان هذه الفترة التي يعينها جاد الرب وهي حتى انتقال الخلافة الفاطمية من المغرب الى مصر هي العصر الذهبي للأدب الشيعي في المغرب، وبما لا شك فيه فان الأدب الشيعي بضياع هذه الدواوين هو الخاسر الاول. ومن اشار الى وفرة الشعر المغربي في هذه الفترة المالكي^٢ والزبيدي^٣ وغيرهما.

وقد كان الضياع الذي لحق الأدب الشيعي في المغرب على نوعين، الاول ضياع نتاج بعض الادباء وبالكامل اذ انه لم يذكر عنهم شيء الا كونهم ادباء، وكان عندهم نتاج أدبي كثير ومن ذلك ما ينقله صاحب دائرة المعارف الشيعية عن ضياع شعر الشياظمي وعبدالواحد بن أحمد اذ يقول «كما لا شيء لدينا من شعر عبدالواحد بن احمد، وأبي الحسن الشياظمي، هذا الشعر الشيعي الذي اشار اليه محمد بن تاووت فيما تقدم من القول»^٤، وأما النوع الآخر الذي لحق بنتاج المتشيعين المغاربة ان يذكر نتاج الاديب ويهمل بعضه الآخر، وهذا الذي اصابه الاهمال هو القسم الأكبر من نتاجهم ومنذ ذلك ما يذكر صاحب اختصار الاخبار، عندما يورد ذكر الشاعر مالك بن المرحل المعروف بتشيعه حيث يقول «لشاعر سبته مالك بن المرحل قصيدة طويلة، في وصفها لم نعر منها بعد البحث الشديد الاعلى هذا البيت:

سلام على سبته المغرب أخية مكة أو يثرب^٥

ولم يقف الامر في هذا عند صاحب «اختصار الاخبار» اذ ان الرجل بذل جهدا على حد قوله ، ولكن الفاجعة الكبرى عند كبار المؤلفين أمثال الثعالبي في يتميته، والعماد الاصفهاني في خريدته وابن سعيد في مغربه وامثالهم قد عمدوا متقصدين الى اهمال كل القصيدة، مهما بلغت وذكر ما يروق لهم من ابياتها وما يتماشى مع رغباتهم وميولهم، وقد عانى الكثيرون من

١- نفس المصدر.

٢- في ادب مصر الفاطمية ص ٧٠، محمد كامل حسين.

٣- نفس المصدر. ص ١٦٨.

٤- دائرة المعارف الشيعية م ٤ ص ٣٠٥.

٥- الانصاري السبتي محمد بن القاسم: اختصار الاخبار عما كان بثغر سبته من سنى الآثار، ص ٩٩، تحقيق، عبدالوهاب

منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٩٦.



هذا الاسلوب في تضييع الأدب - وخاصة الشيعي منه - وتأملوا، واعتبروه جريمة بحق تراثنا الادبي، ومن هؤلاء الباحثين الدكتور محمد كامل حسين عندما يبحث «أدب مصر الفاطمية» فيعاني ما عانينا وحينئذ يقول «هناك جناية اخرى ارتكبتها التعالي والباهرزي والعماد وابن سعيد المغربي وغيرهم من المؤلفين الذين ارادوا ان يحفظوا في كتبهم شيئا من الشعر، فعمدوا الى عدة ابيات من القصيدة، ولم يدونوا كل القصيدة»^١، بل ويؤكد الدكتور كامل حسين بشكل صريح ضياع الأدب الفاطمي الذي هو عصب الحياة في الأدب الشيعي المغربي ويوجه اتهامه في هذا الضياع الى الايوبيين اذ يقول «فضاع الشعر ولم يبق الا النزر اليسير، أو قل لم يبق الا اسم الشاعر احيانا ان قدر لاسمه البقاء، ونحن لا نتردد في اتهام الايوبيين بجنايتهم على تاريخ الأدب المغربي بتعمدهم ان يحوا كل أثر أدبي يمتد للفاطميين بصلة»^٢. ومما يظهر من بعض اقوال الباحثين بان ما وصلنا من الأدب الشيعي المغربي وصلنا عفوا، ولم تقصد الاشارة اليه، ولا تسجيله من أجل ايصاله الى الاجيال، وانما جاء متناثرا هنا أو هناك لغاية تخدم من نقله وليس من أجل نقل هذا التراث الى اللاحقين، وممن اوضح هذه الحقيقة عن كيفية نقل الأدب الشيعي صاحب دائرة المعارف الشيعية عندما اورد بعض اشعار التشيع المغربي، وقال في جانب من تعليقاته على ما جمعه في دائرته «انما هو نتف وقفنا عليها مبثوثة في بعض ما انتشر من تلك الذخائر لم يتعمد ناشروها أخذه فيما نشره، وانما جاء صدفة، ولو تعمد احد الاستقصاء لظفر بكنوز من ذلك»^٣.

ولو اردنا ان نقدم بعض امثلة للمؤلفات التي عمد مؤلفوها الى اهمال أو تضييع الأدب الشيعي فهي كثير، ومنها البيان المغرب لصاحبه ابن عذارى الذي يبدأ بالسب المقذع والشتيمة للفاطميين من أول ذكره لهم والى آخر ما ينتهي من ذلك الذكر، فكيف نأمل ممن هذا اسلوبه مع فئة من المتشيعين المغاربة ان تطاوعه نفسه لان ينقل لنا ادبهم، وكل ما اورده اما

١- في ادب مصر الفاطمية ص ٧٠.

٢- نفس المصدر ص ١٦٨.

٣- دائرة المعارف الشيعية ج ٤ ص ٣٠٥.

لحاجة مؤلفه لذلك، وقد كانت تلك الحاجة ايضا لتأكيد الشتيمة، وادامة اللعن لهم، والطعن بهم. ومن تلك المؤلفات ايضا «تاريخ شمال افريقيا» لعبدالعزیز الثعالبي، لم نلاحظ عليه الا ما لاحظناه عن ابن عذارى ومؤلفه. هؤلاء من القدامى، واما من المحدثين فنشير الى النموذج واحد وهو «تاريخ المغرب وحضارته» لصاحبه الدكتور حسين مؤنس الذي يظهر حقدا في كل كلمة ذكر فيها التشيع في المغرب العربي، حتى انه عندما اورد ذكر الثائر الشيعي أبي الفهم الخراساني الذي ارسله الفاطميون لتحريك كتامة على بنى زيرى لاضعافهم يقول «وقد رأينا كيف انتهى امر هذا الثعلب التيس في بطون رجال صنهاجة»^١ بينما عند ذكره لأبي ركوّة الاموى النسب، والمعروف باتجاهات ثورته الاموية في شمال افريقيا ضد الفاطميين يقول «وانتهى هذا الطامح الجريء» فكيف يتسنى لنا ايضا من هكذا مؤلف مع ايماننا بعلمه واقتداره ان نحصل على أدب شيعى للفاطميين او غيرهم ينقله في طيات مؤلفاته اذا كان يتعامل مع التاريخ بمكيالين لا داعي لهما في وقت فرغ من الامويين والفاطميين. وكل منها محسوب على الدول الاسلامية الماضية وقد سجل لنا التاريخ حسنات وسيئات كل منها، ومع كل التحامل الذي كان من الدكتور مؤنس على الفاطميين الا ان الحقيقة قد تجبره في بعض الاحيان على ان يتفوه بامور - لربما لا يرغب بقولها بناء على ما لاحظناه منه - تثبت لنا وجود الأدب الشيعي وبقوة خاصة عند الفاطميين، وذلك عندما يرد ذكر النعمان بن محمد القاضي ويعتبره ألمع فقهاء المذهب الاسماعيلي يقول «ويعتبر كتابه افتتاح الدعوة من اجمل نماذج النثر في ذلك العصر»^٢.

وهذه شهادة يحسب لها حساب لانها من متحامل على الفاطميين. خاصة وانه يستمريء في مقتلة الشيعة في القيروان، في آخر مؤلفه وبياركها. ولا يفوتنا ان نسجل هنا استغرابنا من هذا التحامل الذي يحمله الدكتور مؤنس على التشيع، وعلى الظاهر انه لا يعرف أبسط الامور عن الشيعة وهذا ما فهمناه من كلامه حينما يورد ذكر جعفر الصادق عليه السلام فيقول «جعفر الصادق

١- تاريخ المغرب وحضارته ١٢ ج ١ ص ٦٨٣.

٢- نفس المصدر ص ٤٩٢.

هو الامام الرابع في سلسلة ائمة الشيعة^١، ونحن لا نعرف، من اين أخذ الدكتور مؤنس هذه المعلومة عن الشيعة، وای شيعة هم الذين امامهم الرابع جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، حيث انه - وحسب علمنا - لا توجد فرقة من بين فرق الشيعة تضع جعفر الصادق عليه السلام اماما رابعا لها، وعلى الظاهر، أن الدكتور مؤنس، يردد ما يقوله أعداء الشيعة عنهم، بدون تروؤ ولا تحقيق، وهذا ما الحق بالتراث العربي الاسلامي الخسائر الفادحة فكرا وفنا.



الفصل الثاني

زعماء الشيعة من أبرز أدباء الشمال الإفريقي

- الأدب وتأصله عند زعماء الشيعة
- ادريس بن عبدالله بن الحسن
- ادريس بن ادريس بن عبدالله
- ادباء آخرون من امراء الإدارة
- أبو عبدالله الصنعاني
- عبيد الله المهدي
- محمد القائم بن عبيد الله المهدي
- اسماعيل المنصور بن محمد القائم
- معد بن اسماعيل
- تميم ابن المعز لدين الله الفاطمي
- العزيز الفاطمي
- القاضي النعمان أبو حنيفة
- امراء ادباء آخرون من العهد الفاطمي
- محمد بن تومرت

الأدب وتأصله عند زعماء الشيعة

من اهم المآثر والفضائل التي تسجل للتشيع في الشمال الإفريقي أن معظم قاداته وامراءه كانوا ادباء، وليس هذا فقط بل انهم من الادباء المجيدين، وقد جاءت الشهادات من الكثيرين لهم بذاك، وهذه الفضيلة التي امتاز بها امراء وقادة التشيع في المغرب العربي تضاف الى ادبه، والتي -وربما- يتميز بها عن باقي آداب الفرق الاسلامية الاخرى في ذلك الصقع من الارض العربية الاسلامية.

ولا نرى هذا بالشئ الغريب على قادة التشيع في الشمال الإفريقي أن يكونوا ادباء مرموقين، وذلك لان اكثرهم، او كلهم ينتمون الى النسب الهاشمي، والأدب للهاشميين وبني هاشم خصيصة وشجت عليها اصولهم، وبسقت فيها فروعهم، وقد شهد لهم بذلك القصي، والقريب، وهذا الجاحظ يعبر عن ذلك لهم، وكأنما جمع لهم شهادات الاولين والآخرين حين يقول «ثم ليس في الارض قوم انطق خطيبا، ولا أكثر بليغا، من غير تكلف ولا تكسب، من بني هاشم، وقال أبو سفيان بن الحارث:»^١

بأننا نحن اجرؤهم جنانا

لقد علمت قريش غير فخر

١- هو ابو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم.

واكثرهم دروعا سابغات
وامضاهم اذا طعنوا سنانا
وادفعهم عن الضراء فيهم
وابينهم اذا نطقوا بيانا^١

وقد ذكرنا بعض الجوانب الادبية لبعض قادة التشيع في المغرب العربي اثناء فقرات البحث السابقة، وكما ذكرنا بعض أقوال المختصين في الشأن المغربي والتي أكدوا فيها كون قادة التشيع هناك من الادباء والادباء المرموقين، وكما اوردنا بعض النصوص الادبية من نثر وشعر لقادة التشيع في الشمال الإفريقي بقصد الاستشهاد بها على بعض ما طرح من آراء وقضايا في ما مضى من فصول. وكان من بين من ذكرت اسماءهم بعض ابناء البيت الادريسي الحسني، وبعض المنتسبين للسلالة الفاطمية، وكذلك بعض من يقال بأنهم ادباء من الموحيدين وغيرهم، وسنحاول هنا الاشارة الى بعض قادة التشيع، ومن يقال بأنهم اعلام في الادب:

١- ادريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام

عرفنا كيف قدم ادريس الى المغرب، وقام بتأسيس أول دولة علوية هاشمية شيعية في المغرب^٢، وقد سميت هذه الدولة باسمه، واعقبه نسبوا اليه فسموا الأدارسة، وقد ملأوا كل أرجاء الشمال الإفريقي، وعبروا الى الأندلس، وانتشروا الى صقلية^٣، ولا يزال المغرب العربي يزدهم بهم ويعطيهم اهمية واحتراما. ويسمون في ايامنا المعاصرة بـ«الشرفاء أو الاشراف»^٤.
واما عن كون ادريس بن عبدالله أديبا؛ فلم تسعفنا المصادر بنصوص ادبية ثرية او شعرية نستدل منها على ذلك، وكل ما أورده تلك المصادر عن ادريس المدح والثناء والشهادة له بصفته

١- الجاحظ عمرو بن بحر: مجموع رسائل الجاحظ ص ٥٨ تحقيق محمد طه الحاجري، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٣.

٢- دائرة معارف القرن العشرين ص ١٢٢، دائرة المعارف الاسلامية البستاني مادة ادريس ص ٥٤٤.

٣- انظر: الادارسة في المغرب الاقصى، حقائق جديدة، ص ٢١.

٤- راجع: دائرة المعارف الشيعية ج ٣ ص ١٢ وما بعدها.

٥- انظر: الاعلام ج ٢ ص ٢٧٩ خير الدين الركلى، دار العلم للملايين، بيروت ط ٧، ١٩٨٦: حيث يذكر ان ادريس بن عبدالله مؤسس الدول الادريسية وهو اول من دخل المغرب من الطالبين (اهل دار القيطون)، والطالبيون، والغالبون، والدباغون والكتانيون، والتفشاويون، والودغيريون، والدرقاويون، والزكاريون.

أديبا عالما سياسيا بارعا، باستثناء خطبته التي القاها في جموع المبايعين له من انصاره، بعد تمام البيعة له في ويليى المغربية، وكذلك باستثناء بيتين من الشعر ذكرناهما في مكان سابق، وهما:

اليس أبونا هاشم شد أزره^١

وهذان البيتان بعضهم من ينسبها الى ابنه ادريس الثانى.

واما خطبته، فقد اوردها أكثر من مصدر، ولكن هذه المصادر منها من اطلال في ذكر هذه الخطبة لادريس، ومنها من اختصر. وقد اختلفت المصادر في بدايتها ففهم من قال بان بدايتها بعد البسملة والحمد والصلاة على النبي وآله قال: يا ايها الناس لا تمدوا الاعناق الى غيرنا فان الذي تجدوه عندنا من الحق، لا تجدونه، عند غيرنا.^٢

ومن المصادر من قال انها بعد البسملة والحمد والصلاة على النبي وآله «اما بعد فاذكر والله في ملوك غيروا، وللأمان خفوا، ولعهد الله، وميثاقه نقضوا، لبنى نبيه، قتلوا... فعسى تكونوا معاشر اخواننا من البربر اليد الحاصدة للظلم والجور وانصار الكتاب والسنة، القائمين بحق المظلومين من ذرية النبيين، فكونوا عند الله بمنزلة من جاهد مع المرسلين، ونصر النبيين... واعلموا معاشر البربر انى اتيتكم، وانا المظلوم الملهوف الطريد الشريد الخائف الموتور الذي كثر واطره، وقتل ناصره وقتل اخوته وأبوه وجده واهله، فاجيبوا داعى الله... انا ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عم رسول الله ﷺ، ورسول الله وعلي بن أبي طالب جدائى، وحمزة سيد الشهداء، وجعفر الطيار في الجنة عمائى، وخديجة الصديقة وفاطمة بنت اسد الشقيقة، جدتائى وفاطمة بنت رسول الله ﷺ وفاطمة بنت الحسين سيد ذرارى النبيين امائى، والحسن والحسين ابنا رسول الله ﷺ أبواى، ومحمد وابراهيم ابنا عبد الله المهدي والزكى اخواى».^٣

ومن المصادر من قال ومن خطبة ادريس «الحمد لله الذي جعل النصر لمن اطاعه وعاقبة السوء لمن عانده، ولا اله الا الله المتفرد بالوحدانية... ادعوك الى كتاب الله وسنة نبيه، والى

١-الحلة السرياء ص ٣٩٥.

٢-الاستقصا ج ١ ص ٥٥، الدر النقيس باب ٢ فصل ٥.

٣-دولة التشيع ص ١٠٥-١٠٨.

عدل الله فى الرعية، والقسم بالسوية... اعلّموا عباد الله ان من واجب الله على أهل طاعته المجاهدة لاهل عداوته ومعصيته باليد واللسان، وفرض الامر بالمعروف والنهي عن المنكر»^١. ولا نرى اختلافا فى هذا جميعا فى بدايتها، ولكننا نقول بأن كل مؤلف جاء بمقطع من هذه الخطبة، وان البداية التى اثبتتها صاحب الاستقصا، والدر النفيس، ومما يلاحظ على هذه الخطبة بأنها تحاكي فى اسلوبها الخطب العربية فى صدر الاسلام، والعهد الاموى، وأكثر من ذلك فانها تحاكي خطب أهل البيت الاوائل حيث قوله «انا المظلوم... الموتور الذى كثر واتره، وقل ناصره» فهذا القول عينه قد تكلم به الحسين بن علي بن أبي طالب فى كربلاء^٢، وقوله «انا ادريس... ورسول الله وعلي بن أبي طالب جدائى، وحمزة سيد الشهداء وجعفر الطيار...» فانه قد تكلم على زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب فى خطبته، فى مجلس يزيد بن معاوية عندما ادخل السبايا من آل البيت الى مجلسه فى دمشق بثله تقريبا ان لم يكن نصا^٣. وكذلك فى هذه الخطبة عبارة تسترعى انتباه المحقق والباحث النبه وهى «وفاطمة بنت رسول الله ﷺ، وفاطمة بنت الحسين سيد ذرارى النبيين أُمّاي» حيث انه - ادريس - اعتبر الحسين سيد ذرارى النبيين وهذا ما يؤكد تشيعه واعتقاده بان الائمة من ولد الحسين ﷺ. وهو اعتقاد تؤمن به الفرق الشيعية الا الكيسانية ممن يؤمنون بامامة أبي هاشم محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب.

وقد وصف الدكتور محمود اسماعيل ادريسا بالحنكة السياسية بعد ان نقل مقطعا من خطبته حين يقول «وتنم هذه الخطبة عن براعة سياسية، اذ حرص على رضا كافة القبائل على اختلاف مذاهبها، فقد استرضى السنة حيث دعا الى كتاب الله وسنة نبيه، والخوارج حين نص على «الامر بالمعروف والنهي عن المنكر»، وتعبر اقواله فى «التوحيد» و«العدل» عن حرصه على كسب المعتزلة، ونحن نقول مع جودة ما ذهب اليه الدكتور اسماعيل فلماذا لا يصرح بالحقيقة بشكل كامل ويقول بتشيع ادريس، وذلك لانه اذا اراد ان يستجلب رضا هذه الاطراف

١- الادارسة ص ٢٠٦. د. محمد اسماعيل.

٢- انظر خطبة الحسين بن علي بن ابي طالب فى «حياة الامام الحسين» ج ٣ ص ٣٨٠ باقر شريف القرشي، مطبعة باقرى، قم.

٣- نفس المصدر ص ٣٨٥ - ٣٨٨.

ويستعمل السياسة معها فمن المحتم انه ليس منها في مذهبه، وايضا نقول للدكتور اسماعيل الا يمكن الاعتقاد بان هذه التي اشار اليها جيمعا ادريس في خطبته من اعتقادات الشيعة في الحقيقة والواقع، حيث ان هذه هي صلب المعتقدات الاسلامية، وقد نادى بها ادريس القائد الشيعي. ولا نحسب هذا القليل الذي وصلنا عن ادريس من الأدب الاعلى ضياع الأدب الشيعي في المغرب الذي اشرنا له.

٢- ادريس بن ادريس بن عبدالله بن الحسن

ومهما يكن من امر ادريس بن عبدالله بن الحسن فانه قد وصل المغرب ناجيا من مذبحه فغ التي ادارها العباسيون في البيت العلوي، واسس دولة في المغرب، الا ان الايدي العباسية لم تترك ملاحقته حتى في تلك الديار القصية، وتمكنت من اغتياله بعد سنوات قليلة من تكوين دولته الفتية^١، وكان قد تزوج بامرأة بربرية اسمها كنزة تركها حاملا بعد وفاته، ولم يعقب بعد، فاشار رجال الدولة من البربر على راشد مولى ادريس بن عبدالله وظهره في تأسيس دولة، ان «ايها الشيخ المبارك، تقوم بأمرنا كما كان ادريس يفعل فينا حتى تضع الجارية، فان وضعت غلاما ربيناه، وبابنا تهركا بأهل بيت النبوة، وذرية رسول الله ﷺ، وان كانت جارية نظرنا لانفسنا»^٢، وهكذا انتظر البربر فوضعت كنزة غلاما، وكان الوفاء من المنتظرين لذلك الغلام الذي سمى بادريس، وهو ادريس بن ادريس بن عبدالله المعروف بادريس الثاني^٣، فبويع بالخلافة وهو ابن احدى عشرة سنة^٤ و«كان الامام ادريس الثاني عالما بالكتاب قائما بمحدوده، راويا للحديث، جوادا، كريما، حازما، فاضلا»^٥، وقد نقل عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام

١- انظر: مقاتل الطالبين ص ٤- ٨ وما بعدها لتعرف على الاقوال المتعددة في اغتيال ادريس بن عبدالله.

٢- اعمال الاعمال فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، لسان الدين الخطيب، ص ١٩٦، نشره، ليفي برنفسال، بيروت ١٩٥٦- الاستقصا ج ١ ص ١٦٠ السلاوي.

٣- الاعلام ج ١ ص ٢٧٨.

٤- دولة الادارسة في المغرب ص ٩٦.

٥- تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص ٢٠١.

«ادريس بن ادريس بن عبدالله كان نجيب أهل البيت وشجعاهم»^١ وقد جاء بلفظ آخر «ادريس بن ادريس بن عبدالله من شجعان أهل البيت، والله ما ترك فينا مثله»^٢.

وبعد هذا الذي عرفنا عن ادريس الثاني فهو اديب مقتدر، له شعر رائع، ونثر بليغ، لا بل ان ادريس هذا هو مؤسس الأدب العربي، والأدب الشيعي في المغرب، وذلك ما يذهب اليه محمد بن تاويت حين يقول «فكانت أول بادرة له - يعنى الأدب - في هذه البلاد اوائل القرن الثالث، وأواخر الثاني ان تحقق ما نسب للمولى ادريس الاصغر»، ويقصد بذلك محمد بن تاويت تلك الخطبة التي ألقاها ادريس الثاني طالبا البيعة من رجال دولته من البربر وعامة الناس هناك بالخلافة معتبرا ادريس الثاني مغربيا خالصا، والا فقد سبقه أبوه بخطبة وعلى الظاهر انه قد اعتبره على المشاركة مع ان خطبته وخلافته بالمغرب، ومن خطبة ادريس الثاني تلك «أيها الناس: انا قد ولينا هذا الامر الذي يضاعف للمحسن فيه الاجر وللمسيء الوزر، ونحن والحمد لله - على قصد جميل، فلا تمد الاعناق الى غيرنا، فان ما تطلبونه من اقامة الحق تجدونه عندنا» ثم دعا من تخلف من الحاضر الى بيعته^٣.

ونقلت لنا المصادر ايضا، خطبته التي ألقاها بعد اتمامه بناء مدينة فاس، حيث قال فيها «اللهم انك تعلم اني ما اردت ببناء هذه المدينة مباهاة، ولا مفاخرة، ولا سمعة ولا مكابرة، وانما اردت ان تعبد بها، ويتلى بها كتابك، وتقام حدودك، وشرائع دينك وسنة نبيك محمد ﷺ، ما بقيت الدنيا، اللهم وفق سكانها، وقطانها الى الخير، واعنهم عليه، اكفهم مؤونة اعدائهم، وادر عليهم الارزاق، واغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق والنفاق انك على كل شيء قدير» فأمن الناس على دعائه، فكثرت الخيرات، وظهرت البركات^٤ ويظهر من هاتين الخطبتين انها لا تختلفان في اسلوبهما عن خطبة ابيه السابق ذكرها، وانه - اي ادريس الثاني - خطيب مفعوه، ملم باساليب العرب بالخطابة، وقد احاط ايضا بلغتهم ايا احاطة مع ان نشأته بربرية خالصة،

١- دولة الادارسة في المغرب ص ١٠٥.

٢- الانصاف في تاريخ الاشراف ص ٨.

٣- دولة الادارسة ص ٩٦، الانصاف ص ٧٥ «مع اختلاف قليل».

٤- الانصاف ص ٨٨.

وهذه لربما من الفضائل التي امتاز بها أهل البيت على بقية بيوتات العرب ورجالاتها. ومما نسب الى ادريس بن ادريس من شعر، الأبيات التي ارسلها الى البهلول بن عبدالله المدغرى أو المطغرى عندما كاتبه اياه بعد ان حاول ابراهيم بن الاغلب استمالة الى العباسيين، محاولا اظهارهم له بانهم هم اصحاب الحق، قوله:

ابهلول قد حملت نفسك خطئة تبدلت منها ضلة برشاد
أضلك ابراهيم من بعد داره فاصبحت منقادا بغير قياد
كأنك لم تسمع بمكر ابن أغلب غدى آخذا بالسيف كل بلاد
ومن دون ما ممتلك نفسك خاليا ومناك ابراهيم شوك قتاد
وأياها هذه الأبيات عندما نقلتها المصادر أوردت فيها اختلافات كثيرة، ونحن لا نحسب هذه الاختلافات الآلى التصحيف واجتهادات المحققين.^١

وكان ادريس قد كاتب ابراهيم بن الاغلب، وحذره من عاقبة افساد بهلول عليه، وخوفه الله في هذا الأمر الذي به مخالفة للحق، واساءة الى عترة رسول الله ﷺ التي أوصى الله بمودتها، وضمن تلك المكاتبة قوله:

اذكر ابراهيم حق محمد وعثرته والحق غير مقول
وأدعوه للأمر الذي في رشده وما هو لو لا رأيه بجهول
فان أثر الدنيا فان امامه زلازل يوم للعقاب طويل^٢
ويظهر من هذا بأن ادريس قد تأثر بالاسلوب الأندلسي فى المكاتبات، وإذ تبتدأ فيه الرسائل بالشعر أو تضمن شعرا، خاصة وأنه استقدم الكثير من عرب الأندلس واستعملهم فى دولته. وكذلك نستشعر من شعر ادريس المتقدم بأنه قد اطلع على أساليب العرب الشعرية

١- انظر المصادر الآتية لثرى الأبيات والاختلاف فى نقلها الذى ذكرناه: تاريخ المغرب العربى هامش ص ٤٥٦ سعد زغلول، الوافى بالادب المغربى ج ١ ص ١٨، الحلة السيرة ج ١ ص ٥٥، الاستقصا م ١ ص ١٦٤. ومن تلك الاختلافات فى البيت الأول بدل كلمة «حملت» كلمة «سمت» ومنهم من أوردوها «ستمت»، وفى البيت الثالث بدل كلمة «بالسيف» كلمة «بالمكر» ومنهم من أوردوها «بالكيد»، وفى البيت الأخير بدل كلمة «شوك» كلمة «خرط».

٢- الحلة السيرة ج ١ ص ٥٥.



وتأثر بها، فجاءت - وكما رأينا - أبياته محكمة عميقة في معانيها، مع وضوح في المعنى، وعدم غرابة في الالفاظ، متينة السبك مع عدم تكلف.
وهذا كل ما وصلنا من أدب ادريس، ولا نعرف هل أن الأيدي امتدت لاتلاف شيء منه فلم يصل إلينا، أو أنه لم يكن مكثرًا، وما أتى منه من أدب جاء لحاجة دعتة الى قول الشعر أو القاء الخطبة. ولكن على كل حال قد استظهرنا من هذا القليل بأنه أديب متمكن في الادب.

٣- ادباء آخرون من امراء الادارسة

لم يقتصر امر الأدارسة في كونهم ادباء على مؤسس دولتهم ادريس الاول وعلى مرسى دعائمها ادريس الثاني، بل ان المصادر نقلت لنا شيئًا من الأدب عن بقية امراء الأدارسة الذي خلفوا الادريسين على شؤون الدولة واداموها حتى عام ٣٧٥ هـ.
وقد عرضنا لأسماء بعض منهم في فصول سابقة من هذا البحث واشرنا الى شيء من ادبهم، حسب ما استدعانا الى ذلك سياق البحث، وقد كان القاسم بن ادريس وابراهيم بن الحسن وغيرهما. والقاسم هو ابن ادريس الثاني وهو صاحب الأبيات الثمانية التي اجاب بها اخاه محمد عندما طلب منه محاربة أخيه عيسى عندما خرج على محمد، والتي مطلعها:^١
سأترك للمراغب الغرب نهبا وان كنت في الغرب قيلا وندبا
ذكرناها في موضع سابق.

واما ابراهيم بن الحسن، فهو صاحب الأبيات التي هجا فيها ابن عامر المتسلط على الامويين في الأندلس، في آخر ايامهم، والتي مطلعها:^٢
فيما ارى عجباً لمن يتعجب جلّت مصيبتنا وضاق المذهب
وهي خمسة ابيات ذكرناها ايضا في مكان سابق وقد اورد ابن الأبار اسمه

١- الحلة السراء ج ١ ص ١٣٢ - ١٣٣ ابن الأبار تحقيق د. حسين مؤنس، تاريخ الاسلام السياسي ج ٣ ص ١٦٢ د. حسن ابراهيم حسن.

٢- الوافي بالادب ج ١ ص ١٩.

ابراهيم بن ادريس الحسنى، في رجال المائة الرابعة وذكر له القصيدة التي مطلعها البيت السالف الذكر، وقال عنه «ابراهيم بن ادريس العلوي الحسني المنبوز بالمؤبل، كان أدبياً شاعراً، وكان في أيام المنصور بن أبي عامر... وعاش الفتنة، اصله من المغرب، وسكن قرطبة، الى ان سيره ابن أبي عامر عن الأندلس، وهو القائل يخاطب المروانية بقرطبة لما رأى غلبة ابن أبي عامر على هشام واستبداده بالامر دونه: «ثم يورد الأبيات التي ذكرنا مطلعها»^١

٤- ابو عبدالله الصنعاني المعروف بالشيعة داعية الفاطميين الاول

آثرنا ذكر أبي عبدالله الصنعاني مع قادة التشيع في الشمال الإفريقي حين كلامنا عن الادباء منهم، في حين لم يعرف الصنعاني بانه من النسب الهاشمي العلوي، ولم يكن من أهل البيت عليهم السلام في شيء، وكذلك لم يعرف بانه استلم قيادة دولة لكيان سياسي بالشكل الرسمي، ولكن الذي دعانا الى ذلك تلك الجهود الجليلة التي بذلها للتشيع في المغرب العربي حتى يمكننا ان نقول جازمين انه لو لا أبو عبدالله لم يتمكن الفاطميون من تكوين دولتهم، ولما كان للتشيع تلك الدولة والسطوة هناك، وكذلك مما دعانا الى اضافته لهذا الفصل أن أبا عبدالله قد تزعم التشيع لمدة غير وجيزة هناك وذلك منذ دخوله أرض المغرب العربي سنة ٢٨٠ هـ وحتى مجيء عبيدالله المهدي اليها وشروع قيام الدولة الفاطمية بمبايعته كأول خليفة لها سنة ٢٩٦ هـ^٢

وأبو عبدالله هو الحسين بن أحمد بن الزكريا واصله يمانى من صنعاء^٣، ونشأ بالكوفة وكان وهو بالكوفة معلماً ويتولى نشر مبادئ المذهب الشيعي الاثني عشري^٤، ومن هذا يظهر بأنه من اصحاب العلم والثقافة منذ بدايات حياته بالاضافة الى كونه من رجال السياسة

١- الحلية السيرة ج ١ ص ٢٢٧.

٢- تاريخ الدولة الفاطمية ص ٢٠.

٣- وفيات الاعيان ١٩٢٢.

٤- العبر ج ٤ ص ٣٢، اتعاظ الحنفا ص ٦٨، دولة التشيع ص ١٣٥، في التاريخ الفاطمي ص ٢٢٤.



البارعين^١ وقد اثنى عليه ابن الأبار في حلتة حين يقول «أبو عبدالله الشيعي داعية عبيدالله المهدي كان - مع قوده الجيوش وخوضه الحروب - عالما ادبيا، شاعرا».^٢
ونسب اليه ابن الأبار أبياتا من الشعر، وقال عنها انه قال بعد ايقاعه بجيش بني الاغلب:

من كان مغتبطا بلين حشية	فحشيتي واريكتي سرجى
من كان يعجبه ويبهجه	نقر الدفوف ورثة الصنج
فانا الذي لا شيء يعجبنى	الا اقتحامى لجّة الوهج
سل عن خمبسى اذ طلعت به	يوم الخميس ضحى على الفجّ ^٣

ويقول ابن الأبار معلقا على هذه الأبيات لأبي عبدالله «البيت الاول من هذه القطعة كقول امرئ القيس:

يا ربّ غانية صرّمت حبالها
ومشيت متّدا على رسلي
وابيات القصيدة كلها خلاف ذلك، وكقول الآخر، ويستشهد به

لِمَنِ الدِّيارُ بِرَمَتَيْنِ فَعَاقِلٍ
دَرَسَتْ وَغَيَّرَ آبِها الْقَطْرُ

وهي من الضرب الاحد المضمّر من ضروب العروض لاول اعاريض الكامل وعكسه، وهو الثاني:

ولنعم حسو الدرع انت اذا
نَهَلْتَ من العلق الرماحُ وَعَلَّتْ^٤

ومن هذا يظهر، بأن أبا عبدالله الشيعي له اطلاع واسع على اشعار العرب، وانه مقتدر على محاكاتها. ومن ذكر هذه الأبيات لأبي عبدالله، البكرى في المغرب.^٥
وقد مدح اكابر شعراء الفاطميين أبا عبدالله الشيعي ومنهم، سعدون الورجيلي، وذلك

١- كاشف الغطاء محمد الحسين - الشيعة اصلها واصولها ص ١٦٠.

٢- الحلة السيرة ج ١ ص ١٩٤ تحقيق حسين مؤنس.

٣- نفس المصدر ص ١٩٥.

٤- نفس المصدر ص ١٩٥-١٩٦.

٥- المغرب ص ٥١.

في القصيدة الرائية التي مدح فيها عبيد الله المهدي، وضمنها مدح داعيته الشيعي قائلاً للمهدي:
يا من تخير من خيار دعائه أرجاهم للعسر والميسور
حتى استمال اليه كل قبيلة ورمى اليه قياد كل عثور
اشبهت موسى وهو حيتك التي تلقى فتلقف افك كل سحور^١
تشير هذه الأبيات إلى تلك المنزلة المهمة والخطيرة التي كان يتمتع بها أبو
عبد الله الشيعي في الدعوة الفاطمية في المغرب، وفي اقامة دولتها، وتوطيد اركانها، حتى اعتبره
الورجيل آية من آيات تلك الدعوة، كما كانت عصا موسى آية لرسالته، وبهذه الآية ارغمت
انوف الجميع في الانقياد للفاطمين.

٥- عبيد الله المهدي

عبيد الله بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق مؤسس
الدولة الفاطمية بالمغرب سنة ٢٩٦ هـ وأول خلفائها والملقب بالمهدي^٢ باني مدينة
المهدي التي اصبحت مركزا للعلم والادب، التي تركت للادب العربي والشيعي ثروة كبيرة، وكان
الأدب الذي تركته تلك الدولة موضع اعتزاز كل من كتب منه وبُحث فيه.
وقد شهد لعبيد الله هذا الكثير من القدامى والمحدثين بالفضل والعلم والادب، فمن القدامى
ابن الأبار اذ يقول عند ذكره اياه «وكان، مع نجدته وشهامته، مفوها فصيحاً عالماً أديباً»^٣.
ومن المحدثين أبو القاسم محمد كرو، فيما قال بخصوصه «كان رجل الدنيا دهاً وعقلاً، متضلعا
في العلوم والآداب، عارفاً بالسياسة وتدبير الملك»^٤.
ومع هذا الثناء عليه، الا ان المصادر لم تذكر شيئاً من نتاجه الادبي، وهذا يدل على ضياع
الأدب الشيعي في الشمال الإفريقي.

١- انعاظ الحنفا ص ١٠٦، افتتاح الدعوة ص ١٥٤-١٥٥.

٢- وفيات الاعيان ٣م ص ١١٧، اعلام ح ٤ ص ١٩٧، عبيد الله المهدي امام الشيعة الاسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب.

٣- نفس المصدر ص ١٩٣.

٤- عصر القيروان ص ٣٩.



وكان رجل من شعراء الأندلس يقال له الاخمش التطيلي، قد ردّ على ابيات المهدي ضمّنها الرسالة التي اجابها به النكوري:

كذبت، وبيت الله، لا تحسن العدلا ولا علم الرحمن من قولك الفضلا
وما انت الا جاهل ومنافق تمثّل للجهال في السنّة السفلى
وهمتنا العليا لدين محمد وقد جعل الرحمن همّتكَ السفلى^١
ومما ينسب لعبيد الله المهدي من شعر انه اذ رأى ابنة محمد القائم، ونظر اليه، فسُرّ به يقول:
مبارك الطلعة ميمونها يصلح للدنيا وللدين^٢
ومن الجدير بالذكر ان الأبيات الآتفة الذكر، والتي اولها:

من كان مغتبطا بلين حشية

اختلفت في نسبتها نسخ الحلة السيرة لابن الابار، فالنسخة التي حققها الدكتور عبدالله انيس الطباع نسبتها الى عبيد الله المهدي^٣، بينما النسخة التي حققها الدكتور حسين مؤنس نسبت تلك الأبيات فيها الى أبي عبدالله الشيعي^٤.

ومن شعر عبيد الله المهدي، ما ينسب له عندما وصله كتاب من ابنه محمد القائم، وهو يحارب البربر بجمهة تاهرت، فبكى عند قراءته، وانشأ يقول:

يا وحشتي للغريب في البلد النازح، ماذا بنفسه صنعا؟
فارق احبابه فما انتفعوا بالعيش من بعده وما انتفعا^٥

«وعندما مرض المهدي أخذ اولياؤه ومحّبّوه بالتوافد عليه لزيارته، وقد جاء جمع منهم يوما لعيادته في مرضه الذي توفي به، وقد منع من الدخول معهم عليه الشاعر القائد خليل بن اسحق، وكان بليغا، فكتب الى امير المؤمنين بهذه الابيات:

١- الحلة السيرة ج ١ ص ١٩٤، البيان المغرب ج ١ ص ٢٤٦، المغرب ص ٩٥.

٢- الكامل ج ٢ ص ٥٣ الحلة السيرة ج ١ ص ١٩٤، اتعاظ الحنفا ص ٩٧.

٣- الحلة السيرة تحقيق د. عبدالله انيس الطباع ص ٤٢٦.

٤- الحلة السيرة تحقيق د. حسين مؤنس ج ١ ص ١٩٥.

٥- الادب بافريقية في العهد الفاطمي ص ٣١.

حلفت وان قلت الذي ليس في قلبي فلا غفر الله المهيمن لى ذنبي
لأنت امير المؤمنين على الظمأ احب الى قلبي من البارد العذب
فاصبح دين الله بعد دروسه جديدا كما انبا به جدك المنبي
فلما انتهت الأبيات الى المهدي بالله، أمر بدخوله من ساعته، فدخل اليه، وانشد الأبيات
بين يديه»^١.

وعندما توفي المهدي سنة ٣٢٢ هـ رثى بمرث كثيرة، ومن رثاه عثمان بن سعيد بن الصيقل^٢
بقصيدة بلغت ٣٣ بيتا ذكرها الداعي ادريس، وكان مطلعها:
وهت مرر الصبر فانحلت ورثت عرى الحزم فاجتثت^٣

٦- محمد القائم بن عبيد الله المهدي

أبو القاسم محمد القائم ثاني خلفاء الدولة الفاطمية بويع بعد وفاة ابيه في المهدية ٣٢٢ هـ،
وتوفي فيها سنة ٣٤٤ هـ، وكان قد ولد في سلمية من أرض الشام ثم قدم المغرب مع ابيه عبيد الله
وظاهر كلام المؤرخين عنه يفصح لنا بأنه من الادباء المفوهين من ابناء البيت الفاطمي حيث
كانوا ينعنون بأنه شجاع شهيم مقدم اديب شاعر فاضل^٤، وكان قد مدحه أحد الشعراء
بقوله:

يا بن الامام المرتضى وابن الوصي المصطفى وابن النبي المرسل
الله اعطاك الخلافة واهبا وراك للاسلام أمنع معقل
نلت الخلافة وهي أعظم رتبة نيلت وليس من علاك بأفضل

١- تاريخ الخلفاء الفاطميين ص ٢٣٨ - ٢٤٩ الداعي ادريس.

٢- عثمان بن سعيد ذكره محمد البعلادي في هامش «٩٤» من كتاب «تاريخ الخلفاء الفاطميين» عندما حقق الكتاب، وقال
عنه «شاعر من موالى الاغالبه استقدمه الحكم الثاني الى قرطبة، ويبدو انه مثل اضرايه من الشعراء السنة تأرجح بين الولاء
للملوك الفاطميين، والعداوة لهم» وللاستزادة انظر عنه «رياض النفوس ج ٢ ص ٤٧٧».

٣- تاريخ الخلفاء الفاطميين ص ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٤١ الداعي ادريس.

٤- انظر: الاعلام ج ٦ ص ٢٥٩، البداية والنهاية ج ١١ ص ٢١٣ المبرج ج ٢ ص ٤٩ - عمدة الطالب في انتساب الى ابي طالب
٢٣٦، الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٤٥٥، النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٨٧.

فمنعت حوزتها وحزت حريمها
وقد مدحه ايضاً خليل بن اسحق بقوله:

وما ودعت خير الخلق طرا
ولكنى طلبت رضاه عني
فعاش مملكا ما لاح نجم
على الثقلين من جن وانس

وقد حفلت المصادر بذكر شعره ونثره، ومما يظهر من شعره بأنه كان طويل النفس في نظم القصائد الشعرية، متمكن من الاسلوب الجدلي، كثير الفخر بنفسه وبآبائه ونسبه الى البيت النبوي المطهر، وانه ينتقى كلماته الشعرية انتقاء من دون تكلف بما يفي لها بجزالتها، وبعدها عن الغريب، وتعبيرها الدقيق العميق على المعاني التي يهدف اليها من خلالها، ومن قصائده الطوال تلك التي ارسلها الى ابيه المهدي في المهديّة، عندما كان يجاهد على ثغور دولتهم الفاطمية اعداءها يقول فيها:

سلام على آل النبي ورهطه
تحية من امسى بتاهرت قائما
قبائل من تيم وقيس وخندف
ومن كل حيّ قد اتانا زعيمهم
وفتيان صدق من ذوابة هاشم
يقدون هامات العدى دون حقهم
انا ابن رسول الله جدى وجدهم
ومفخرنا العالى على كل مفخر
جبريل منّا حين قمنا وعصبة
وما كان من مجد وفخر فاننا

وشيعته أهل النهى والفضائل
يحفهم بين الملا والقبائل
وممن يمن في عزها المستطاول
وفارسهم عند اختلاس الذوابل
أتونى ببيض مرهفات فواصل
ويحمون دين الله فعل الاوائل
اذا ذكر الاقوام عند التفاضل
عليه سلام بالضحى والاصائل
الى الله ندعو عند ذكر التباهل^٢
حويناه قسرا بالقنا والمناصل

١- تاريخ الأدب العربي عصر الدول والأمارات ص ٢١٢.

٢- يشير الى حديث المباهلة مع نصارى نجران والذي تذكر قصته كتب الحديث والسيرة وعندها لم يخرج النبي (ص) معه للمباهلة من المسلمين على كثرتهم مع نصارى نجران غير علي وفاطمة والحسن والحسين.

انا ابن رسول الله والبيت والصفى
وفاطمة الزهراء امى ومن بها
وقد قمت ادعو الناس حقا الى الذي
الى منهل فيه الهدى وشرائع
فان يستقيموا استقم لصلاحهم
عمرت بلاد الغرب بعد فساده
فلم يبق في سهل من الغرب فاسق
ففرّ لكي ينجو وهيئات خلفه
كما فر ذاك الاغلبى وقد رأى
فمرّ يحثو الركض في كل مهمة
وعن كلّ خود ذات حسن وبهجة
فيا شيعة الحق الذين نحبه
اما حين ان تزجوا اليّ مطيكم
فتحظون عندى بالذى تأملونه
اذا سمعتم داعى الحق فانفروا
فقد ازمعت خيلى اليكم سريعة
الى أرض مصر والعراق وبعدها
فان بها جورا شديدا وفتنة
فسيرى على اسم الله خيلى وشمري
اذا ما حللتها وبالله عصمتي
ويوم لنا في الرقتين وبالس^٢

انا ابن على ذي التقى والفضائل
سموت الى العلياء اعلى المنازل
ينجيهم من كل افك وباطل
اقيم بها من دينكم كلّ مائل
وان يعدلوا عني فلست بعادل^١
وطهرته من كلّ غاؤ وجاهل
وفي الوعر الا في اسى وبلايل
قبائل تهوى كالليوث بواسل
موارد موت عاجل غير آجل
وخلّى لنا عن داره والحلائل
وكلّ جواد في السوابق صاهل
وحبهم فينا كثير التواصل
وتأتوا سراعا بين حافٍ وناعل
لاحميكم من كلّ خوفٍ وهائل
الى سراعا كاتقضاض الاجادل
تجوب بلاد الله ذات المراحل
فبغداد همى من جميع المنازل
وكم جرعوننا من مرارة ثاكل
الى بابل حتى تخلى ببابل
فان بها يوما شديد الزلازل
يكون لهم فيها امتياج الثلاثل

١- وكأنه حاكي ابيات ابيه سالفة الذكر الى سعيد بن صالح النكوري «فاستقيموا استقم لصلاحكم.....».

٢- الرقتان، موضعان على نهر الفرات، تسميان «الركة والرافقة».

فنشفي نفوسنا من لذيذ دمائهم
 اذا جمعوا من كل غاب واجمعوا
 ذكرت حسينا فاستهلت مدامعى
 سأقتل منهم كل رأس وتابع
 وتسري خيولى من ورا النيل تبتغى
 ولو انني صنّفت كلّ وقائعى
 وكم بدمشق من صريع مجندل
 وحمص وسلم^٢ والثغور ومن بها
 كيوم بمصر لا ينادى وليده
 وثارت الينا عصبه خزرية
 فمن كان في سلمى ففي الأمن سادر
 وأول ما يمكن ملاحظته على قصيدة القائم هذه السلاسة، وعدم التكلف، وتمكنه، وطول
 نفسه الشعرى، ومن ثم نفهم منها حنكته السياسية حيث انه حاول ان يظهر ان جميع قبائل
 العرب منظوية تحت لوائهم، معلنة بالطاعة والولاء لهم، وانه لا يمثل إلا القيادة الشرعية
 التي خلفت النبي ﷺ على امته، وذلك كونهم ابناء النبي من بنى هاشم الذين كان بصفهم
 جبرئيل، وباهى بهم النبي من بين كل المسلمين اعداء الاسلام، وانهم ابناء فاطمة التي لها
 الفضل في انتسابهم الى النبي ﷺ، ثم يشير الى انه لا يريد الا صلاح الامة، وارشادها الى
 سبيل النجاة، وهذا كله ايضا من الفخر، ويردّفه افتخارا بهزيمته الاعداء الاغالبية، ومن بعد
 ذلك يسلك اسلوبا ذكيا وبارعا في طلبه المدد والنجدة، من دون اظهار الحاجة والانكسار، ويعلن
 عن طموح حكومته الفاطمية في تغطية حكمها على كل العالم الاسلامي، ويعرج على أن أعدا
 اعدائهم هم العباسيون بما قتلوا من اسلافهم، ومما ظلموهم، وانه ايضا لا ينسى كارثة الشيعة

١- الطوائل جمع طائلة: الثأر والثرة.

٢- سلم من سلمية معقل الدعوة الفاطمية بالشام.

٣- تاريخ الخلفاء الفاطميين صص ٨-٢٢٦.



الكبرى وام مصائبهم كربلاء الحسين، ويؤكد على ان طلب ثار الحسين ﷺ قائم ويجب ان يقتل به كل رؤوس اعدائهم، ويعتبر كربلاء هي البداية ومنها ولدت المصائب في الاماكن الاخرى. يتضح من حياة محمد القائم انه قضى مدة غير قليلة من عمره خاصة في أيام حياة ابيه المهدي غازيا محاربا قائدا لجيوش الفاطميين في محاربة اعدائهم، ومحاولا توسيع رقعة دولتهم، ومن بين البلاد التي غزاها جادا في فتحها و اضافتها للنفوذ الفاطمي مصر، واثناء غزواته لمصر احتفظ لنا بعض المؤرخين ببعض اشعاره سواء التي بعثها الى ابيه عبيدالله المهدي في أرض المغرب، وسواء تلك التي خاطب بها أهل مصر، وبلاد المشرق، وهذا الشعر الذي خلّفه القائم كان من القصائد الطوال ايضا، وشعره الذي خاطب فيه أباه، يقول فيه:

انا سيف الله وابن رسول الله	ه قطب الهدى وللناس قبله
واذا ما الغمام اسجم جدوا	ه يكون الامام للناس مثله
يقصر القتل دون بغداد حتى	يظهر الله بالعراقيين عدله
يا امام الهدى ومن طيّب الله	ه له فرعه وطيب اصله
تفخر الارض تعلقو ثراها	ثم تغدو حزونها وهي سهله
يا ابن من اسدلت ستور ال	وحي اثوابها، ولم تكك مثله
بك ظل الفخار يفخر والحر	ق، وألبستني من الفخر حله
ثم انهضتني لمصر وشام	وخراسان والعراقيين جملة
فأنا سيفك الذي يفلق الها	م فلا نبوة له ان تسله
يفرق الغرب والمشارق منه	وتكل الجموع من أن تفلّه
كم مطيع كان في طود عزّ	ثم لما عصاك بددت شمله
وكفور مناصب ذى عناد	بك اريدته وافنيت غلّه
وانا سهمك السريع اليهم	مدرك للعدو من غير مهله

.....

وعدا الله فيك من قبلُ رسله

فانتظر يا خليفة الله ما قد



من فتوح تلقاك بالعرّ والنصـ ر لدى النيل والفرات ودجله^١

وقال الداعي ادريس عن هذه القصيدة «وقد كانت هذه القصيدة في الفخر ومدح المهدي ابيه»^٢.

واما القصيدة التي خاطب فيها القائم العبيدي أهل مصر والمشرق اثناء غزاته مصر، والتي يقول عنها د. محمد هادي الاميني «ان دلت على شيء فانها تدل على اهتمام الفاطميين وعنايتهم بانتقاص الحكم من العباسيين، والطعن فيها سيفاً وعلماً»^٣. وقال الدكتور شوقي ضيف في معرض التقديم لهذه القصيدة «كان شاعراً مثل ابيه، وله مثله شعر يفتخر فيه»^٤، ومن هذه القصيدة قوله:

ايا أهل شرق الله زالت حلومكم	ام اختدعت من قلة الفهم والادب؟
صلاتكم مع مَنْ وحجكم بمن؟	وغزوكم فيمن؟ أجيئوا بلا كذب
صلاتكم والحج والغزو ويلكم	بشراب خمر عاكفين على الرتب
فويحاً لكم خالفتم الحق والهدى	ومن حاد عن ام الهداية لم يصب
فيا معرضاً عني وليس بمنصفى	وقد ظهر الحق المبين لم يغب
الم ترني بعث الرفاهة بالسرى	وقمت بامر الله حقاً كما وجب؟
صبرت وفي الصبر النجاح، وربما	تعجل ذو رأى فأخطا ولم يصب
الى ان اراد الله اعزاز دينه	فقمت بامر الله قومة محتسب
وناديت أهل الغرب دعوة واثق	برب كريم من تولاه لم يخب
فجاءوا سراعاً نحو أصيد ماجدٍ	يبادونه بالطوع من جملة العرب
وسرت بخيل الله تلقاء ارضكم	وقد لاح وجه الموت من خلل الحجب
واردفتها خيلاً عناقا يقودها	رجال كأمثال الليوث لها جنب
شعارهم جدى، ودعوتهم أبى	وقولهم قولى على النأى والقرب

١- نفس المصدر السابق ص ١٩٧-١٩٨.

٢- نفس المصدر.

٣- عيد الغدير في عهد الفاطميين ص ٢١.

٤- تاريخ الادب العربي عصر الدول والامارات ص ٢٣٨.

فكان بحمد الله ما قد عرفتم وفزت بسهم الفلج والنصر والغلب
وذلك دأبى ما بقيت ودأبكم فدونكم حرب تضرّم كاللهب^١
وكان قد ردّ على هذه القصيدة أبو بكر الصولى بقصيدة على نفس الوزن والقافية، وكان
الصولى شاعرا للعباسيين، أولها:

عجبت ولا يخلو الزمان من العجب لذى خطل في القول اهدى لنا الكذب^٢
وقد اوردنا له شعرا في هذا البحث، والذي يقول في اوله:
تبدّلت بعد الزعفران وطيبه صدا الدرع من مستحكمات السوامر
وكان قد نقل هذه الأبيات عن القائم صاحب «سيرة الأستاذ جؤذر» وأخذها عنه
صاحب «مصر الشاعرة في العصر الفاطمي» وقال عنها:
«للخليفة القائم يفتخر فيها بنفسه، وبشرف آباءه».^٣

وقد اورد المؤرخون للقائم الفاطمي نثرا رائعا تمثل في خطبه التي ألقاها في المناسبات
كالاعیاد، وعند التقاء الجيوش في المعارك وفي الكتب والرسائل التي بعثها الى ابيه أو الى عمّاله
أو الى أهل مصر والشرق أو الى محاربي الفاطميين واعدائهم، يستميلهم اليه ويلقى عليهم
الحجة، أو يرهبهم ويتوعدهم بالعواقب.
ومن ذلك خطبته في الاسكندرية، والتي تأثرت بأسلوب الخطب في صدر الاسلام،
بالإضافة الى اشتغالها الكثير من التضمين.^٤

٧- اسماعيل المنصور بن محمد القائم الفاطمي العبيدي

أبو الطاهر المنصور اسماعيل بن محمد القائم بن عبيد الله المهدي ثالث خلفاء الدولة

١- مجمل تاريخ الادب التونسي ص ٨٣ في ادب مصر الفاطمية ص ١٦ - صلة تاريخ الطبرى ص ٨٠ - ٨٢.

٢- صلة تاريخ الطبرى ص ٨٢ - ٨٣.

٣- مصر الشاعرة في العصر الفاطمي ص ٩.

٤- راجع اصل الخطبة في «تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ص ١٩٨ وما بعدها - الداعى ادريس.



الفاطمية في المغرب^١، اثنت عليه أكثر المصادر التي أوردت ذكره ووصفته بأنه أديب خطيب، ومن تلك المصادر التي ذكرت له ذلك «نسمة السحر» حين يورد عنه «كان فاضلا فصيحاً، يرتجل الخطبة على المنبر، أديباً، ولم يرو له شعر»^٢، وقال عنه ابن خلكان «وكان بليغاً، فصيحاً، يرتجل الخطبة»^٣، وكذلك قال عنه «وكان المنصور شجاعاً رابط الجأش، بليغاً يرتجل الخطبة»^٤ وقد ذكر ذلك له أيضاً القاضي النعمان بقوله «يخترع الخطبة لوقته»^٥.

ومن المعاصرين يقول عنه صاحب تاريخ المغرب العربي «أما عن أهم صفاته، فقد كان فصيحاً بليغاً، كما كان خطيباً مفوهاً»^٦.

ولم يقف الأمر بالمنصور، على أنه كان أديباً وخطيباً وكفى، بل قيل عنه: حين يقول «والمنصور في النهاية محب للعلوم الدنيوية وهو مغرم بالآثار القديمة يشاهدها أثناء جولاته الحربية، ولا يكتفى بالاستمتاع بجماليتها المعمارية والفنية، بل يطلب المترجمين العارفين باللغة اللاتينية لفك رموز نقوشها وقراءتها، وترجمتها إلى العربية صحيحة، كما حدث في حملة لواته قريبا من تاهرت»^٧.

هذا ولم نغتر على قول لـأحد المؤرخين، يقول بشاعرية المنصور اسماعيل الفاطمي، مع هذا فقد نقل بعضهم شعرا نسبوه له، ومن الشعر الذي نسب للمنصور الفاطمي ما كتبه إلى ولده وولى عهده معد أبي تميم المعز لدين الله، متشوقاً، وشاكياً، وذلك قوله:

كتابي اليك من أقصى الغروب وشوقي اليك شديد طويل

١- انظر للاستزادة عنه: وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٣٤ - ٢٣٦، أعمال الأعلام ج ٣ ص ٥٤، اتعاظ الحنفا ص ١٣٦، أعلام الزركلي ج ١ ص ٣٢٢، البيان المغرب ج ١ ص ٢٦٨، العبر ج ٤ ص ٤٣، نسمة السحر بذكر من تشيع وشعر ج ١ ص ٤٠٠ يوسف بن يحيى الحسيني الصنعاني، تحقيق، كامل سلمان الجبوري، دار المؤرخ العربي، بيروت ١٩٩٩، ويمكن أن يقال بأن كل المصادر التي أُرخت للفاطميين في مصر أو في المغرب العربي، وكذلك أكثر كتب التاريخ الإسلامي والعربي قد أوردت ذكره.

٢- نسمة السحر ج ١ ص ٤٠٠.

٣- وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٣٤.

٤- نفس المصدر ج ٢ ص ٢٣٥.

٥- افتتاح الدعوة ص ٣٣٤.

٦- تاريخ المغرب العربي ج ٣ ص ١٩٦.

٧- تاريخ المغرب العربي ج ٣ ص ١٩٩.

اجوب الفيافي واطوى الرمال
اريد بذاك رضى خالقي
الى ان يرى السير اجسامنا
فواغربناه وواحشته
وما ضقت ذرعا ولكننى
وقد منّ ذو العرش من فضله
فلله حمدا على ما قضى
وحسبى برى ونعم الوكيل^١

وقد أورد الداعى ادريس منها تسعة عشر بيتا وكذلك اوردها صاحب «سيرة الأستاذ جوذر»^٢ إلا أن هناك بعض الاختلافات في الروايتين منها مثلا في البيت الاول الشطر الثانى أورده صاحب «السيرة» و «شوقى شديد عريض طويل»، وفي البيت الثانى أورد كلمة «الفقار» بدلا من «الفيافي» وفي البيت الثالث أورد كلمة «الاله» بدلا من «خالقي».

كما وان بعض المؤرخين اختلفوا في نسبة القطعة الشعرية التي مطلعها:
تبدلت بعد الزعفران وطيبه...

فنسبوها للمنصور في حين نسبها بعضهم الى القائم، ومن نسبها الى المنصور صاحب «سيرة الأستاذ جوذر»^٢، وعلى كل حال فان القطعة الثانية ان صحت نسبتها للمنصور فهي اقوى من القطعة الاولى حيث ان الاولى كلام عادى. وليس فيها رقة الشعر.

ومما ينسب للمنصور من شعر قوله:

الم ترنى بعد المقامة بالسرى
ارونى فتى يغنى غنائى ومشهدى
انا الطاهر المنصور من نسل أحمد
بسيفى اقدّ الهام تحت المغافر^٣
والظاهر من هذه الأبيات أن لها تكملة ولم ينقلها الرواة، وكذلك قد سقطت ابیات من

١- تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ص ٤٠٢-٤٠٣، سيرة الأستاذ جوذر ص ٥٠، ٥١.

٢- سيرة الأستاذ جوذر ص ٥٠.

٣- تامر عارف: تميم الفاطمي ص ١٧-١٨، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٢.



وسطها، اذ ان البناء العضوى لمعنى الأبيات غير كامل خاصة، وهو يقول «الم ترني» ثم يقول «أروني فتى»

وبناءً على ما ينقل الرواة من كثرة الامداح التي خصصها شعراؤها للمنصور نستدل على امور كثيرة منها الشخصية القوية التي يتميز بها الخليفة الثالث لدولة الفاطميين، وكذلك نستظهر منها مدى القوة التي وصلت اليها الدولة في زمانه، بالاضافة الى انها تبين لنا ما وصل اليه الأدب في عصره، وكثرة الشعراء حول بلاطه، ومن نماذج المدح للمنصور القصيدة التي قالها محمد بن أبي القاسم، والذي يرجح بعضهم انه علي بن محمد التونسي الايادى^١، وقد نقل الداعى ادريس منها واحدا وعشرين بيتا، وكان مطلعها:

توسم صباح المجد من اين يشرق وعرف الرضى والحلم من اين يعبق^٢
وكان شاعر هذه القصيدة قد ألقاها في محضر القائم ومادحاً ومهنثاً اياه بعد ما تمت له البيعة بالخلافة وبعد تمام خطبته بالناس.

ومن الشعراء الذين مدحوا المنصور في هذه المناسبة أحمد الطرزي^٣ بقصيدة مطلعها:
يحق لنا ان ننصف الفخر والمجدا ونكثر فيك الشكر لله والحمداء
وقد خلد الشعراء الفاطميون جوانب اخرى من حياة المنصور، ومنها قتاله لأبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجى خاصة وقعة القيروان من بين المعارك الكثيرة التي حدثت بين أبي يزيد والفاطميين، ومن هؤلاء الشعراء الذي خلدوا هذه الوقعة عبدالله بن اصبح^٥ بقوله:

١- يذهب الى هذا محمد اليعلاوى، انظر: حوليات الجامعة التونسية العدد ١٧ ص ٥٣ ١٩٧٩.

٢- تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ص ٣٤٢.

٣- يقول اليعلاوى في هامش ص ٣٤٣ من كتاب «تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب» اثناء تحقيقه الكتاب عن أحمد الطرزي: لا نعرف شيئا عن هذا الشاعر، وقد ذكرت نسبة الطرزي في رياض النفوس ج ٢ ص ٥٥، وفي ترجمة القاضي ابي القاسم القيس المعروف بالطرزي في معالم الايمان ج ٣ ص ٧-٩ قال ناشر الريا ان طرزة قرية بافريقية، ولعلها بقيت في اسم جبل طرزة حاليا قرب القيروان.

٤- تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ص ٣٤٣.

٥- يقول اليعلاوى في هامش ص ٣٦٣ من كتاب «تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب» اثناء تحقيقه الكتاب عن عبدالله بن اصبح «لا نعرف شيئا عن عبدالله بن اصبح، هذا وقد نشرنا الابيات.

ويوم بأرض القيروان شهدته وقد ظل فيه الجو اغبر اقتما
وطاشت به الابطال خوفا واخرست لموضع خطبٍ يملأ السمع والقما^١
وقد ذكر منها الداعي ادريس اثني عشر بيتا.
ومن الشعراء الذين قالوا في وقعة القيروان مادحين المنصور الفاطمي محمد بن الحرث
الابروطي^٢:

ولم ار كالمنصور بالله ناصرا لدين ولا احمي لملك وامنعا
هو الملك المخصوص بالنصر ملكه وحافظ ما قد كان ضاع وضُيعا^٣
والشيء الذي يلفت النظر في هذين البيتين لابن الحرث هو اعتبار ان بعض احكام
الشريعة ضيعت او ضاعت وان الفاطميين متمثلين بالمنصور منهم هم الذين سيعيدون ما قد
درس من هذه الشريعة بالضياح أو التضضيع.

٨- معد بن اسماعيل

أبو تميم معد الملقب بالمعز لدين الله بن اسماعيل المنصور^٤ رابع الخلفاء الفاطميين، وهو
واسطة عقد الخلفاء الفاطميين، وفي زمانه افتتحت مصر، وانتقلت الدولة الفاطمية من المغرب
اليها، واتخذت القاهرة عاصمة بعد المهديّة ويكفي المعز فخرا ان شاعره ابن هانيء الأندلسي
المغربي، وكان ابن هانيء للمعز الفاطمي كالمتنبّي لسيف الدولة الحمداني، وعندها قيل لابن
هانيء متنبّي الغرب^٥ وقد قال ابن هانيء غرر اشعاره، وفرائد مداحه في ممدوحه الاول
المعز لدين الله الفاطمي، وهو القائل فيه:

١- تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ص ٣٦٣.

٢- يقول اليعلاوي بخصوص هذا الشاعر في هامش ص ٣٦٤ «من تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب» انظر الحوليات العدد
١٠ ص ١٥٤ سنة ١٩٧٣ واسمه هناك محمد بن هارون.

٣- تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ص ٣٦٣.

٤- وفيات الاعيان م ٥ ص ٢٢٤-٢٢٨، نسمة السحر ج ٣ ص ١٧٣.

٥- نسمة السحر ج ٣ ص ٢٩.



وانت معد وارث الارض كلها فقد حمّ مقدور وقد خط مكتوب^١
وهو القائل للمعز ايضا:

ما شئت لا ما شاءت الاقدار فاحكم فانت الواحد القهار^٢

وللمعز شهرة في التاريخ العربي والاسلامي، وهو أكبر من ان يعرفه احد، الا اننا نذكر بعض ما قيل فيه من قبل المؤرخين كي يزداد القارئ اطلاعا على هذه الشخصية الفذة، منها قول المؤرخ ابن خلكان في وفياته عن المعز «وكان المعز عاقلا حازما سريا أديبا حسن النظر»^٣، ويقول عنه الزركلي في اعلامه «كان عاقلا شجاعا أديبا وينسب له شعر رقيق وهو ممدوح ابن هانيء الأندلسي»^٤.

واما صاحب «مصر الشاعرة في العصر الفاطمي» فيقول «وكان المعز شاعرا ايضا وأديبا»^٥، ويقول لنا صاحب «مرحلة التشيع» فيما اراد ان يعبر به عن كون المعز أديبا، وعالما «وقد احتفظ لنا القاضي النعمان، بما يشير الى بعض مواقفه في مناظرة خصومه»^٦.

ولعل الدكتور الحاجري يشير بذلك الى كتاب «المجالس والمسائرات» للقاضي النعمان والذي يعتبر المصدر الاهم في الاحتفاظ لنا بادب المعز خاصة خطابه، ومناظراته مع خصومه، وان الدكتور الحاجري بعد استقصاء لذلك الأدب الركيز الذي خلفه المعز يخرج بنتيجة وهي أن العلم والعقلانية، فطرة فطر عليها المعز لدين الله، وذلك لقوة وانسيابية ذلك الادب، حيث يقول: ولعل الاصل في ذلك يرجع الى ما فطر عليه من ركائز ولقائنه، وللنشأة العقلية التي أخذ بها، ونشأ عليها، أخذ بها أبو المنصور، كما يبدو في بعض ما يحكيه عنه، ثم لم يلبث ان صارت ديدنه، بعد ان ولى الخلافة، وقد جعلته هذه النشأة، العقلية جيد النظر، من

١- ديوان ابن هاني ص ١٧٨ - تحقيق زاهد على بيروت ١٣٥٦ هـ.

٢- ديوان ابن هانيء الأندلسي ص ١٤٦ - دار صادر.

٣- وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٢٨.

٤- الاعلام ج ٧ ص ٢٨١.

٥- مصر الشاعرة في العصر الفاطمي ص ٩.

٦- مرحلة التشيع ص ٧٠.



التفكير، صادق البصيرة، واسع الأفق».^١

ولربما افضل هذه الاقوال جميعا في المعز، ما يقوله المعز «والله اني لاجد من اللذة والراحة والشهوة في النظر في الحكمة ما لو وجده أهل الدنيا لا طروحوها له، ولو لا ما اوجب الله سبحانه، من أمور الدنيا لاهلها واقامة ظهرها، ومصالحهم فيها، لفرضاها للتلذذ بالحكمة، والنظر فيها، وان كان الذي قلده من امور الدنيا، والنظر فيه حكمة بالغة لمن ابصر، وحجة لمن تدبر ونظر».^٢

ومما يستدل به على علم المعز الفاطمي ما ينسب اليه من اختراع قلم الحبر، ومما يذكر بان اختراعه للقلم الحبر يسبق الاختراع الاوربي في هذا المجال بثمانية قرون.^٣
ومن شعر المعز قوله:

اطلع الحسن من جبينك شمسا فوق ورد بوجنتيك اطلا
وكأن الجمال خاف على الور د جفا فأمد الشعر ظلا^٤
وقد قال ابن خلكان في تعليقه على هذين البيتين «ان هذا معنى غريب بديع»^٥، وقد نسب بعضهم هذين البيتين الى ظافر الحداد المعروف بالاسكندري شاعر الفاطميين المشهور، ويقول محمد عبدالغنى حسن «وهي بشعر ظافر الحداد اليق».^٦
وقد نقل صاحب «مصر الشاعرة» ان للمعز قوله:

ما بان عذرى فيه حتى اعذرا وبدا البنفسج فوق ورد احمر
همّت تقبله عقارب صدغه فاستلّ ناظره عليها خنجرا^٧

١- نفس المصدر ص ٦٤.

٢- المجالس والمسايرات ص ٩٤.

٣- المصدر السابق ص ٣١٩ وهامشها.

٤- نفس المصدر.

٥- نفس المصدر.

٦- مصر الشاعرة في العهد الفاطمي ص ١٠.

٧- نفس المصدر.

ينسب الى المعز الكثير من النثر وكما اشرنا الى ذلك فى اسطر سابقة.^١ واليك نموذجاً من نثره اورده الداعي ادريس، كان كتاباً جوايباً من المعز الفاطمي الى داعي السند حلیم بن شيبان، وقد ورد منه كتاب يذكر فيه ما هيا الله له فى جزيرة السند من النصر:

«بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله ووليه معد أبى تميم المعز لدين الله امير المؤمنين الى حلیم بن شيبان، سلام عليك، فانا نحمد اليك الله الذي لا اله الا هو، ونسأله ان يصلى على محمد عبده ورسوله وعلى آله الطاهرين الاخيار، اما بعد فان كتابك الينا من ترادفت اليه نعم الله جلّ ثناؤه فأسنى منه قسمه، وعظم عنده فضله، فأدأب الشكر عليه، وترادف لديه عطاؤه، فواصل الحمد عليه، واختصه بلطف صنعه وجميل كفايته فبرىء من الحول والقوة اليه، وتكفل بنصره، فأدأخ له ملوك الارض وجبابرتها منتصرا لدينه القويم الذي به اعزه، وأخذ بحقه من الظالمين المלحدین فى آياته، الصادین عن سبيل هداة، وتوحده بما لم يتوحد به أحدا من كل ما يرومه وينتحيه، ويصرف أسباب همته اليه من بلوغ الأمل، والتوفيق للعمل، حتى انقاد العدو موالياً، والمخالف مؤالفاً، لما بهرهم من دلائل انجاز وعد الله لنا، ولوائح نصره، وبراهین معجزاته، ومبصرات آياته، التي وعد العالمين باظهارها، فقال جلّ من قائل «وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها» النمل آية ٩٣، وقال «سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين أنه الحق» فصلت آية ٥٣. ولم يبق ملك من ملوك المغارب وجبابرتها، والمشارك الى أقصى حدود المملكة فيها...

أنفذنا اليك من أعلامنا المنصورة سبعة أعلام، تنشرها عند الاحتياج اليها، فما نشرت على المؤمنين بموقف الآ زادهم الله بها عزا وحباهم بنصره...

«ونحن نخصك ومن قبلك من المؤمنين بالسلام الطيب ورحمة الله وبركاته».^٢

وقد اکتفينا بهذا المقدار من هذا الكتاب الذي فيه شيء من الاطالة، وملاحظتنا عليه أنه يحاول التشبه كثيراً باساليب الكتابة فى صدر الاسلام، خاصة بالكتب التي كان يرسلها

١- ومن اراد الاستزادة من الاطلاع على نثر المعز يراجع «المجالس والمسائر» للقاضى النعمان، وقد اورد جزءاً من هذا

النثر الدكتور محمد طه الحاجرى فى كتابه «مرحلة التشيع» فى الصفحات ٦٢ الى ٩٠.

٢- انظر: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ص ٦٥٨ الى ٦٦٢.

على بن أبي طالب عليه السلام الى ولاته وعماله وشيعته، حيث يديم الحمد والشكر والثناء لله، ويحاول تضمين كتابته آية من القرآن الكريم، مضافا الى أنه يبتعد عن غريب اللفظ، واسلوب الكتابة.

٩- تميم بن المعز لدين الله الفاطمي

الأمير أبو علي تميم بن الخليفة المعز لدين الله معد بن اسماعيل الفاطمي^١ نال الخطوة عند جميع من ذكروه، معترفين له بعلو الشأن ورفعة المكان فجدوه، واثنوا عليه، فقد قال عنه ابن خلكان «فاضلا شاعرا ماهرا لطيفا ظريفا»^٢، واما صاحب اعيان الشيعة فيقول عن تميم «اديب شاعر من بيت الملك أبان عزه»^٣، وقد اعتبرته مجلة الرسالة المصرية امير شعراء مصر في العصر الفاطمي^٤، وقال عنه صاحب نسمة السحر «فاضل طلع بدرا، وفاض بحرا، ونظم جمانا، ورصع جنانا، احاطت به الفضائل احاطة الهالة بالشمس، وفاح شعرا كالعنبر العبير، وكغدائر الظبي الغرير»^٥.

واما ابن الأبار فقد مجّده قائلا فيه «شاعر أهل بيت العبيديين غير منازع، ولا مدافع. وكان فيهم كابن المعتز في بنى العباس غزارة علم، ومعانة ادب، وحسن تشبيه وابداع وتخيل، وكان يقتنى آثاره، ويصوغ على مناحيه في شعره وأشعاره»^٦ ونحن نرى هذا القول من ابن الأبار - خاصة المقطع الاخير منه - ان كان يقصد به بانه مقلد لابن المعتز غير متمكن على الابداع، يتقصى معاني ابن المعتز وافكاره فيصوغ مثلها، وينسج على منوالها، فهذا ما لا نرتضيه منه ولا نوافقه عليه ومن يتحرى ديوان تميم تجد صحة ما ذهبنا اليه وهو يبتدع المعاني، ويخترع الافكار التي لم يسبقه اليها احد على الاطلاق، وان كان يقصد انه يتقصى ما ينتج ابن المعتز من

١- انظر عنه: وفيات الأعيان ١م ص ٣٠١، أعيان الشيعة ج ١٤ ص ٣٠٨، الاعلام ج ٢ ص ٨٨ الزركلي، مشاهير شعراء الشيعة

ج ١ ص ٢٥٧ المكتبة الأدبية المختصة، قم ط ١، ١٤٢١.

٢- وفيات الأعيان ١م ص ٣٠١.

٣- أعيان الشيعة ج ٤ ص ٣٠٨.

٤- مجلة الرسالة العدد ٣٣١ السنة الرابعة - مصر.

٥- نسمة السحر ج ١ ص ٤٤٧.

٦- الحلة السيرة ج ١ ص ٢٩١.



شعر فيرد عليه خاصة منه ذلك الذي يتعرض فيه لأهل البيت والفاطميين أو يحاول فيه اظهار العباسيين بظهر أهل الحق من بين جميع ابناء البيت الهاشمي، فهذا مما نوافق عليه ابن الأبار والادلة كثيرة على ذلك ولاداعى لذكرها هنا، ولربما تأتى مع انسيابية البحث هذا.

ومن هنا يمكننا القول بأن تيمنا شاعر البيت الفاطمي بلا منافس، ولا منازع، وانه «ليس شاعرا فاطميا بالمعاصرة وحسب، ولكن الفاطمية تجرى في دمه»^١ والملاحظة المهمة في نظرنا بأن تيمنا من اهم شعراء أهل البيت على الاطلاق اذا لم يكن هو اهمهم جميعا، وانه قد جمع في شعره جميع المعانى التي طرقها شعراء أهل البيت المشاركة والمغاربة، وباساليب جديدة ومؤثرة، ولا نحسب ذلك الا لانه يحس الامر ويحمله في ذاته. هذا وقد حظى شعر تيمم بالثناء والتجيد كما حظيت عليه شخصيته من قبل المؤرخين والكتّاب الذين اوردوا ذكره، ومنهم صاحب «نسمة السحر» حين يقول لا تتألف به شوارد الادب، وتطرز اكهام الروض بوشى فكرته العذب، وكان للفاطمية بمصر كابن المعتز للعباسية ببغداد، الا انها لم تدركه - كما قال ابن بسام - حرفة الادب، وشعره كثير الافتنان في الروضيات والتليليات وذكر الديارات وآثار مصر، والغزل والوصف، ووصف العلويات، ومدح ابيه المعز واخيه العزيز وله من قصيدة في التشيع:

وما ام خنتف ظل يوما وليلة	ببلقة بيداء ظمآن صاديا
تهيم فلا تدرى الى اين تنتهى	مولهة حرا تجوب الفياقيا
اضر بها حر الهجير فلم تجد	لغلته من بارد الماء صافيا
فلما دنت من خنتفها انعطفت له	فالفته ملهوف الجوانح طاويا
بأوجع منى يوم شدت حملهم	ونادى منادى الحى ان لاتلاقيا ^٢

وهنا تبدو لنا شاعرية تيمم في اسلوبه العذب غير المتكلف، وانسيابية افكاره، ورقة معانيه، ودقة تصويره، من دون غرابة في الالفاظ، ولا وحشى في الكلام.

١- مصر الشاعرة ص ٢٠.

٢- نسمة السحر ج ١ ص ٤٤٧، والقصيدة ايضا موجودة في وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٠٢، ديوان تيمم ص ٢٦٤.

ويقول ابن الأبار عن شعره «وشعر تميم مدوّن، ومحاسنه كثيرة، وتصرفاته بديعة، ووقع منه في كتابي «زهر الآداب وثمر الألباب» و«نور الطرف ونور الظرف» كل نادر وغريب»^١ ولتميم ابن المعز ديوان شعر، طبع من قبل دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٧ بإشراف على عبدالعظيم ومحمد عبدالعظيم بدر وإبراهيم عطا فرج مع مقدمة لمحققه محمد أبي الفضل إبراهيم، ومقدمة للمرحومين يوسف نجاشي ومحمد النجار وكان الديوان في ٤٧٦ صفحة، ومع كل ما حصل من ذكر تميم من قبل المؤرخين وطبع لديوانه، إلا أنه لعظمة شأنه يعتبره بعضهم من المظلومين في هذا الجانب، وذلك حين يقول الدكتور محمد عبدالغني حسن «فانه ظلم بعد مماته حين نسي الناس شعره، وحين قلّ المترجمون لسيرة حياته، وحين قلّ المتحدثون عنه في كتب التاريخ والادب، فاخباره قليلة جداً لا تتكافأ مع ما كان له من منزلة شعرية في عصره، ولا نكاد نتقع على خبر له إلا مبعثراً في كتاب هنا أو هناك»^٢.

وقد طرق تميم الفاطمي جميع أغراض الشعر فاجاد فيها، ومنها قوله لاهيا:

قد اجتمع البستان والروض والخمر وحركت الاوتار وارتفع الزهر...
هل العيش الا قينة ومدامة وساق مليح ليس يعصى له امر^٣
وقوله:

دع مقال العاذلات واله عن سعي السعاة
واشرب الراح وشبها بالثنايا العطرات...
انا ما بين ندامائ وراحي وثقاتي
ثمل لا اعرف الصحر وولا وقت الصلاة^٤

فانت ان نظرت في هذا الشعر وجدته مهتكا ماجنا، لا يعرف ديناً، ولا قياً، ونحن لا نحسب ذلك - وان كنا لا نريد تقديسه - الآ على أن هذا من ديدن الشعراء، لاظهار قوة شاعريتهم

١-الحلة السيرة ج ١ ٢٩٢.

٢-مصر الشاعرة ص ٢٥.

٣-نفس المصدر ص ٢٣.

٤-نفس المصدر.



وانهم مقتدرون فى كل منحى يتوجهون صوبه، ولربما بعضهم لم ير الخمر، ولكنه صورها،
وصور مجالسها.

ومن شعره ما قاله زهداً وتقوى:

رجوتك يا رب الآ انى	اطعتك طوع اولى الانتها
ولكننى مؤمن، موقن	بأنك ربُّ الورى والسماء
وانك أهل لحسن الظن	وانك أهل لحسن الرجاء ^١

واما المديح، فيكاد يكون أقوى الاغراض الشعرية التي عرض لها تميم ابن المعز ذلك المديح
الذي اسداه لابناء بيته الفاطمي المتقدم منهم والمتأخر خاصة أبوه المعز، واخوه العزيز، ذلك
المديح الذي اظهر فيه عقيدته الفاطمية، وانتصر فيه للتشيع اى انتصار ومن ذلك قوله لآخيه
العزيز:

يا ابن الوصى المرتضى، يا ابن الاما	م المجتبى يا ابن النبي المرسل
ما بال مالك ليس يرميه الندى	الا يوافق منه موضع مقتل؟
انت المحصل في زمان اصبحت	املاكه كالقول غير محصل
لو لم تكن في جحفل لغدوت من	عزمات رأيك وحدها في جحفل
عجبا لا بصار تراك ولو درت	مقدار فضلك كنّ عنك بمعزل ^٢

وهي من قصيدة طويلة، وانت تلاحظ ما اتى به من الفاظ طالما أوردتها الشيعة في اشعارهم
وعقائدهم ومنها كلمة «الوصى» و«الامام».

وله ابيات تدل على فضله وقدره في البيت الفاطمي، كما وتدل على قوة ملكته الشعرية
وذلك انه قالها مرتجلا في حضرة الخليفة العزيز عندما كانت بين يديه اثواب مذهبة، فأمر تميم
ان يتخير له منها احسنها له للباسه، فلما تخير الأمير أمر الخليفة بحملها اليه، فقال بديهة:
انت اهدى الى المكارم والفضـ ل واندى من الغمام المطير

١- نفس المصدر ص ٤٢.

٢- الحلة السراء ج ١ ص ٢٩٢.



وابن من بان فضله يوم بدر واصطفاه النبي «يوم الغدير»
ولك الهمة التي علت النجـم و زادت عليه في التنوير
صانك الله للمكارم والمجـد و ابقاك للعلا والحبور^١

وهذه الأبيات تعتبر من غديريات الفاطميين، وشيعة الشمال الإفريقي، إضافة الى أنها من الشعر الذي عني بتخليد فضائل من تشيع له وهو الامام علي بن أبي طالب عليه السلام. وله ايضا في مدح العزيز:

انما انت «حجة الله» لاحت في البرايا، ووارث الأنبياء
وقول تميم هذا عين ما تعتقد به الشيعة لأئمتها.
ولانريد استحضاء كل امداحه في اخيه العزيز لانها ليست موضوعنا.
واما امداحه في ابيه المعز فمنها قوله:

ليهنك ان الله فوقك مالك و دونك كل المالكين عبيد
ولكى نوضح أكثر ما اورده تميم بخصوص الاعتقادات الفاطمية في شعره بالاضافة الى ما
قد ذكرناه نأتى له بهذا المقطع المليء بها والذي هو من قصيدة مدح بها اخاه العزيز:
بدت لك آيات عليك شواهد بأنك انت المصطفى من اولى الامر
وانك انت الخامس القائم الذي تدين له أرض العراق على قسر^٢
وقوله ايضا:

ما انت دون ملوك العالمين سوى روح من القدس في جسم من البشر
نور لطيف تناهى فيك جوهره تناهيا جاز حد الشمس والقمر^٣
معنى من العلة الاولى التي سبقت خلق الهيولى، وبسط الارض والمدر
ولربما الباطنية التي يؤمن بها الفاطميون قد أشار لها في القطعة الاولى، وقد اصبحت
الاشارة اليها أوضح في القطعة الثانية.

١- ديوان تميم بن المعز ص ١٧٢.

٢- مصر الشاعرة ص ٦١.

٣- نفس المصدر ص ٦٢.

وأما في الفخر، فلم يقصر تميم عن شعراء الفخر بل انه كان اسبقهم في ذلك لان الاسباب التي يفتخر بها كانت متوفرة له حقيقة، والآخرون ربما يدعونها او ينتحلونها، فهو ابن النبي المصطفى وابن علي المرتضى، وامه فاطمة الزهراء، وابن الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، وجدّه وأبوه واخوه خلفاء، ومن فخره:

انا ابن الانجم الزهر	انا ابن الانف الشمّ
ة والفرقان والذكر	انا ابن الوحي والحكم
ة والمشعر والحجر	انا ابن البيت والمرو
انا الكاشف للنصر	انا ابن المسؤول للنعمى
أنا القاصم للظهر	انا الراتق للفتق
أنا الطاعن بالسمرا	أنا الضارب بالبيض

وقال يفتخر بنفسه، وبنسبه الفاطمي العلوي الشريف:

نحن الذي بهم تسامت هاشم	حتى حوت شرف المعالي أجمعا
رهط النبي وآله، وبنوه من	دون البنين، ونسبه مترعرا
والمصطفين المرتضين من الورى	والمفضلين بما حووه تسرعا
والمطعمين اذا الرياح تناوحت	شعث الارامل، واليتامى الجوعا
والحازمين العازمين شهامة	والقائلين الفاعلين تبرعا
والفاتقين الراتقين سياسة	والطاعنين الضاربين تشجعا
والمصبحين لكل عاف ملجأ	والرائحين لكل عان مفزعا
والطالعين على البرية انجما	والكاثنين لهم عيونا همعا
لا ندعي ما ليس يعرفه الورى	منا اذا كذب المفاهر وأدعى
شرف بنته لنا البتول وبعلاها	وابناها حتى رسا وتمنعا

وأما المنافحات عن البيت العلوي والفاطمي فلم يغفل عنها تميم في شعره خاصة ضد ابناء

البيتين الأموي والعباسي، ولربما كانت منافحته للبيت العباسي قد أخذت مساحة أكبر في شعره من تلك التي كانت للبيت الأموي، وذلك للحاجز الطبيعي بينهم وبين الأمويين وهو المحيط الأطلسي، وبعد المسافة التي أصبحت بينهم وبين الأمويين في الأندلس بعد انتقالهم إلى مصر، هذا بالإضافة إلى أن العباسيين تعرضوا لهم أكثر من الأمويين خاصة وأن العباسيين يخافون الفاطميين أكثر من غيرهم لأنهم ينتسبون للبيت العلوي وبهذا تكون حجتهم أقوى في طلب خلافة المسلمين والتاريخ يذكر لنا من العباسيين مع الفاطميين خاصة في محاولاتهم التي بذلوها لنفي النسب الهاشمي عنهم.

ومن اشعار تميم في هذا المجال تلك الرائية العصماء التي قالها ردًا على قصيدة ابن المعتز والتي اولها:

أَيَّ رَبِّع لَّآلِ هَـنْدٍ وَدَارِ

والتي سعى فيها لتفضيل العباسيين على العلويين، فجاءه الرد قويا صافعا من تيم وهو يقول:

جَادَكَ الْغَيْثُ مِنْ مَحَلَّةٍ دَارِي وَتَوَى فَيْكَ كَلَّ غَادٍ وَسَارِ
حَكَمْتَ بَعْدَ قَاطِنِكَ اللَّيَالِي فِي مَغَانِي رَبَّاكَ بِالْأَقْفَارِ
وَرَمَمْتَكَ الْخُطُوبَ مِنْ بَيْنِ وَرَحِيلِ الْقُطَيْنِ مَوْتَ الدِّيَارِ
يَا بَنِي هَاشِمٍ لَسْنَا سِوَاءِ فِي صَغَارٍ مِنَ الْعِلَا أَوْ كِبَارِ
أَنْ نَكُنْ نَنْتَمِي لَجَدِّ فَاتِنَا قَدْ سَبَقْنَاكُمْ لِكُلِّ فَخَارِ
لَيْسَ عَبَاسُكُمْ كَمِثْلِ عَلِيٍّ هَلْ تَقَاسُ النُّجُومُ بِالْأَقْمَارِ
مَنْ لَهُ الْفَضْلُ وَالتَّقَدُّمُ فِي الْأَسَدِ سَلَامٌ وَالنَّاسُ شِيعَةُ الْكُفَّارِ
مَنْ لَهُ الصَّهْرُ وَالْمَوَاسَاةُ وَالنَّصْرُ سَرَّةٌ وَالْحَرْبُ تَرْمِي بِالْشَّرَارِ
مَنْ دَعَاهُ النَّبِيُّ خَدْنًا وَسَمَاءَهُ أَخَا فِي الْخُفَا وَالْأَظْهَارِ
مَنْ لَهُ قَالَ: أَنْتَ مَنِي كَهَارُونَ لِمُوسَى؟ أَكْرَمَ بِهِ مِنْ نَجَارِ
ثُمَّ يَوْمَ «الْغَدِيرِ» مَا قَدْ عَلِمْتُمْ خَصَّهُ دُونَ سَائِرِ الْحَضَارِ
مَنْ لَهُ قَالَ لَا فَتَى كَعَلِيٍّ لَا وَلَا مَنَصْلَ سِوَى ذِي الْفَقَارِ



وبمَنْ باهل النبي؟ أنتم
أبـعبدالله، أم بحسين
يا بني عمنا ظلمتم وطرتم
كيف تحوون بالاكف مكانا
من تولّى الفراش يخلف فيه
اين كان العباس اذ ذاك في الهجـ
الكم مثل هذه يا بنى العـ
نحن أهل الكساء وسادسنا الرو
يابني هاشم أليس عليّ
واسألوا كل غزوة لرسول الله
ولنا العزّ والسموّ عليكم
يا بنى فاطم الى كم أقيكم
جهلاء بواضح الأخبار
واخيه سلاله الاطهار
عن سبيل الانصاف كل مطار
لم تنالوا رؤياه بالابصار؟
احمدا وهو نحو يثرب سارى؟
رام في الفراش، أم في الغار؟
سأس مأثورة من الآثار؟
ح امين المهيمن الجبّار
كاشف الكرب والرزايا الكبار
هـ عن أغار كل مغار؟
والمساعى وقطب كل مدار
بلسانى ومنصلى وانتصارى^١

ولو لم يقل تميم بن المعز لدين الفاطمي شعرا شيعيا غير هذه القصيدة لكفى بها ان يكون من شعراء التشيع الذين نافحوا عن تشيعهم، ولكفى بها ان تضعه في القائمة الاولى من شعراء التشيع، وكذلك لو لم نجد شعرا شيعيا غير هذه القصيدة لمتشيعي الشمال الإفريقي، لكفى بها ان تكون لهم ادبا شيعيا، كما كان لآخوانهم شيعة المشرق. والذي جعلنا ننثى على هذه القصيدة في الأدب الشيعي هو ما حملته في إبياتها من إشارات الى أكثر اعتقادات الشيعة التي دعتمهم يتعصبون الى علي بن أبي طالب في الخلافة، ومن يراجع كتاب المراجعات الذي هو على شكل مكاتبات بين عبدالحسين شرف الدين العاملى العالم الشيعي المعروف، وبين سليم البشرى المصرى زعيم الازهر في حينها حول تبيان الاسباب التي دعت الشيعة الى الاعتقاد باحقية علي بن أبي طالب في الخلافة وينظر الأدلة والاسباب التي ساقها شرف الدين الى البشرى لا يمكن ان تكون أكثر من هذه التي قدّمها ابن المعز الى ابن المعتز قبل عشرة قرون من الزمان



تقريباً. وهي من كون علي أول المسلمين ومن ذلك مؤاخاة النبي له من بين جميع المسلمين المهاجرين الانصار، الى ترويجه من فاطمة من بين سائر المهاجرين والانصار أيضاً مع انهم طلبوا يدها جميعاً من رسول الله ﷺ الى قول النبي ﷺ له «انت منى بنزلة هارون من موسى، الا انه لا نبي بعدي» ومعلوم ما ذا كان موقع هارون من موسى، الى بيعة النبي له يوم الغدير والتي حبس لها الحجيج في حرّ الظهيرة ووسط الصحراء^١ الى الهاتف الذي سمع يوم احد وهو ينادى «لا فتى الا على، لا سيف الا ذو الفقار»^٢ الى حديث المباهلة ويومها وافرادها وقصتها مع نصارى نجران^٣ الى مبيته بفراش رسول الله ﷺ ليلة هجرته الشريفة وفدائه اياه بنفسه، ثم ينتقل الى موضوع آخر وهو كونهم اى العلويين ومنهم الفاطميين ابناء رسول الله ﷺ، ولهم فضل العمومة مع رسول الله ﷺ ان يفتخر بها بنو العباس، وانهم هم اصحاب الكساء لا غير وجبريل سادسهم، ثم عاد بعده ليستدرك فضيلة اثبتها الله تعالى في القرآن لعلي بن أبي طالب عندما أراد العباس بن عبدالمطلب جدّ العباسيين والوليد بن المغيرة ان يفتخرا بان لهما الفضل عليه فجاءهما الجواب من الله تعالى بتفضيل علي بن أبي طالب حيث يقول جل من قائل «أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر» وسبب نزولها في كتب التفسير ويستند ابن المعز تميم في تعداد فضائل ومناقب علي بن أبي طالب ومنها كونه الوصي لرسول الله ﷺ، وشجاعته التي لا مثيل لها وشهدت بها بدر وخيبر وكلّ غزوات رسول الله ﷺ، وبعد يتساءل من العباسيين مستنكراً باى شيء يميزون لانفسهم حياة الامر من دون العلويين أبقرى؟ أم بأرت؟ وبعد هذا وذاك يدعوهم للعودة الى بعدها يختم بأشعار ابناء بيته الفاطميين الى اعطائه حق قدره لانه المدافع عنهم والمنتصر لهم بلسانه وسيفه. وهل ما يذهب اليه الشيعة وادباؤهم أكثر من هذا؟

١- انظر كتاب «الغدير في القرآن والسنة والادب» لعبدالحسين الامنى كى ترى قصة هذا الحديث والمصادر من كتب الحديث والسيرة التي روتها.

٢- انظر: كتب السيرة وكتب المغازي وكتب التاريخ التي ذكرت حروب رسول الله وخاصة حرب احد.

٣- انظر تفسير الآية الكريمة «قل تعالوا ندعوا ابناءنا وابنائكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نهتلك فجعل لعنة الله على الكاذبين» آل عمران آية ٦١.



ولم يقصر تميم الفاطمي تعرضه للعباسيين، ودفاعاته عن البيت العلوي و
الفاطمي في الردود على قصائد ابن المعتز العباسي لكنه كان يضمنها قصائده كلما سنحت
الفرصة، ومن القصائد التي تعرّض فيها للعباسيين بدون مناسبة للردّ على شعرائهم ما جاء
في قصيدته التي مدح فيها أخاه العزيز:

تخلّص من زيغ العمى الثقلان
وفارسه في كل يوم طعان
فقد طالما ختم بكل مكان
بصالحنا في كل يوم رهان
ويوم حنين والقنا متدان؟
وما كان للعباس ثمّ يدان
بمكة لما ريع كل جنان؟
يقيه ردى الاعداء غير جبان؟
حواها علي وهو ليس بوان
فما تستوى في الجثة العضدان
احق، فبادت واتدت بهوان
مناير ما كانت لكم بأمانى
والفاظ حسن ما لهنّ معانٍ
ومقتدر لم يقتدر ببيان
ومتنصر بالغى غير معان
تذلّ خطوب الدهر بعد حران
سماء بدا في افقها القمران
بكل رقيق الشفرتين يمانى...
واعيننا طرّا اليك روان

السنا «بنى» بنت النبي الذي به
اليس أبونا خدنه ووصيه
فكفّوا بنى العباس عنا جماحكم
متى لم تكونوا دوننا وتسابقوا
بمن نصر الاسلام في خير
أليس علي كان كاشف غمّها
ومن فرج الغماء عن وجه أحمد
فبات على ظهر الفراش بديله
وكم مثلها من مفخر وفضيلة
وان قلت انا جميعا لهاشم
امية كانت قبلكم في اغتصابها
أخذتم بغصب ارثنا وصعدتم
وجئتم باسماء يروق استماعها
ومعتصم لم يعتصم بألهه
ومعتضد بالافك خاب اعتضاده
اصيخو فقد قام «العزيز» الذي له
كأن رواق العز من نور وجهه
اغرّ كنصل السيف يمضى اعتزامه
كأنك في سيماك اذ قمت خاطبا

شبيهه نبي الله جدك أحمد ويشبهه فرع البانة الغصنان^١
ومن أغراض الشعر التي أوغل فيها تميم بن المعز وبدون رفق هو غرض الرثاء، ومن ذلك
الرثاء الذي مزجه بالغزل قوله:

لا تمكن لحظ عينيك من قتلى لا تكن للنبي في خصيما
في اللحظ فيه بالمعذور عند رب النبي يوم النشور^٢
وفيما يورد صاحب «الأدب في العصر الفاطمي» هذين البيتين يقول عنها «الا تراه يوظف
مقتل أئمتهم في قوله متغزلا... فما انه احد ابناء الحسين حفيد النبي ﷺ فقتله يبغضه، فيكون
خصيمه يوم الحشر فلا يشفع له^٣ حين يشفع لأمته».

وما دام ذكر الحسين عليه السلام قد ورد فن الواجب ان نقول بأن تميما، قد خصص مساحة واسعة
من شعره للحسين ولكريلاء. ويكاد يكون رثاء الحسين في شعر تميم هو الاكثر في شعر الرثاء
الذي حواه ديوان تميم، ولعل أفضل شعره في رثاء الحسين تلك الدالية التي يقول فيها:

تأت بعدما بان العزاء سعاد فحشو جفون المقتلتين سهاد
فليت فؤادي للظعائن مربع وليت دموعي للخليط مراد
وقد تؤمن الاحداث من حيث تتقى ويبعد نجح الامر حين يراد
أعاذل لي عن فسحة الصبر مذهب وللّه في غيري مآلف ومصاد؟
ثوت لى اسلاف كرام بكريلاء هم لثغور المسلمين سداد
اصابتهم من عبد شمس عداوة وعاجلهم بالناكثين حصاد
فكيف يلذ العيش عفوا وقد سطا وجار على آل النبي زياد؟
وقتلهم بغيا عبيد وكادهم يزيد بانواع الشقاق فبادوا
بثارات بدر قاتلوهم ومكة وكادوهم والحق ليس يكاد
فحكمت الاسياف فيهم وسلطت عليهم رماح للنفاق حداد

١- الحلة السيرة ج ١ ص ٢٩٤ - ٢٩٥.

٢- ديوان تميم بن المعز ص ٢٢٢.

٣- الادب في العصر الفاطمي ص ٨٤.

دهاهم بها للناكثين كيا
ويغزون غزوا ليس عنه محاد
وحادوا كما حادت ثمود وعاد
أمالكم يوم النشور معاد؟
وتدرسههم جرد هناك جيا
سفاها وعن ماء الفرات تذا
وقتل حسين والقلوب شدا
لقد مجسوا أهل الشام وهادوا
متى صح منكم فى الاله مراد
بهم ونقضتم عند ذاك وزادوا
عدى فاملأوا واطراف النفاق وعادوا
عليكم نفاق ومنهم وعناد؟
لقد قل انصاف وطال شراد
متى شارفت شم الجبال وهاد؟
نبييا علت للحق منه زناد؟
اذا عد ايمان وعد جهاد؟
متى قيس بالصبح المنير سواد؟
ستجنى عليكم ذلة وكساد
اذا اشتد ايعاد وأرمل ذاد؟
بكم ام بهم دين الاله يشاد؟
غزار وحزن ليس عنه رقاد
فلا اتسعت بى - ما حييت - بلاد
على الارض من طول الفرار مهاد

فكم كربة فى كربلاء شديدة
تحكم فيهم كل انوك جاهل
كانهم ارتدوا ارتداد امية
ألم تعظمو - يا قوم - رهط نبيكم؟
تداس بأقدام العصاة جسومهم
تضميهم بالقتل امية جدّهم
يعزّ على الزهراء ذلة زينب
وقرع يزيد بالقضيب لسنة
قتلت بنى الايمان والوحى والهدى
ولم تقتلوهم، بل قتلتم هداكم
امية! مازلتم لابناء هاشم
الى كم وقد لاحت براهين فضلهم
متى قط اضحى عبدشمس كهاشم
متى وزنت صم الحجار بجوهر؟
متى بعث الرحمن منكم كجدّهم
متى كان يوما صخركم كعليهم
متى اصبحت هند كفاطمة الرضى؟
أأل رسول الله سوّتم وكدتم؟
أليس رسول الله فيهم خصيمكم
بكم أم بهم جاء القرآن مبشرا
سأبكيكم - يا سادتى - بمدامع
وان لم اعاد عبدشمس عليكم
وأطلبهم حتى يروحوا ومالهم

سقى حفرا وار تكم و حوتكم من المستهلات العذاب عهاد^١
ولو تتبعنا الشعر المشرقى في رثاء الحسين عليه السلام باعتباره الاسبق والقُدوة والمثال في هذا
الغرض، فلا نظن بأنه اتى باكثر مما اتى به تميم بن المعز في رثائه الحسين عليه السلام، ولك من تبيانه
منزل الحسين، الى مقتله، الى عطشه على شاطئ الفرات، الى مقتل أهل بيته واصحابه، الى
سبي عياله واطفاله وادخالهم مجلس يزيد بن معاوية الى ان اثار هذا غيرة النبي واغاظه واقرح
قلب فاطمة، وبذلك يكون غضب البارى وسخطه، الى انه يديم الطلب بثأر الحين، ويتوعد بن
امية واتباعهم على تلك الفعلة المشينة وهذه خصيصة اخرى للشعر الشيعي في الشمال
الإفريقي باعتبار ان قضية الحسين ومصيبته من القضايا المركزية والرئيسية في الفكر الشيعي،
وقد اعتبر جواد شبر في مؤلفه «أدب الطف» أو «شعراء الحسين» تميا من شعراء الرثاء
الحسيني المتقدمين في هذا الباب.^٢

ومن المراتى المهمة التي خلّدها تميم في شعره تلك التي رثى فيها اخاه عبدالله بن المعز
الذي توفي في حياة ابيه المعز، ومنها قوله:

وترى نضرة الوجوه شحوبا	كيف لا تعدم الجسوم القلوبا
مجلس الملك والسريّر الكئيبا	من يعزى الجياد أم من يسلى
شقها واجب فشقوا الجيوبا	فقدوا بعدك القلوب اللواتى
يغتدى الدمع بالدماء خضيبا!	وامعزاه! وامعزه حتى
لا ارى للحياة بعدك طيبا ^٣	فليذق غيري الحياة فإتنى

ولا بد من الاشارة ان تميا يثبت تشيعه بهذه القوة في شعره الرثائى وذلك لان الشيعة وادبهم
اقوى ما يكون عليه في الرثاء وكأئنا، الحزن رنة ملازمة لهم، وعرفوا كيف يجدون عزفها، وذلك
لما اصابهم به الدهر من كثرة نوائبه، وبما حصلت لهم من ظلمات ادمت قلوبهم على مر التاريخ
فزرعت فيهم الحزن حتى كاد يكون ذاتيا في شخصياتهم وآثارهم.

١-ديوان تميم بن المعز.

٢-انظر: ادب الطف ج ٤ ص ٢٢٦.

٣-ديوان تميم بن المعز ص ٥٧، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ص ٧٣٨.



بقى ان نذكر بان تميم بن المعز لم يترك غرضاً للشعر الا ونظم فيه فأجاد ولكننا تفاديا للاطالة نكتفي بهذا القدر من ذكر تميم شخصية وادبا وشعرا.

١٠- العزيز الفاطمي

أبو المنصور نزار، الملقب بالعزيز بالله ابن المعز بن المنصور بن القاسم بن المهدي العبيدي خامس خلفاء الفاطميين، ولد ونشأ في المغرب، وارتحل الى مصر مع ابيه المعز، فولى امر الخلافة الفاطمية بعد وفاة ابيه المعز لدين الله.^١ وكانت خلافته من ٣٤٤هـ الى ٣٨٦هـ.

وكان العزيز من الشخصيات الفاطمية المهمة، ومن بين الخلفاء الاقوياء في دولة الفواطم، وهو ممدوح اخيه تميم بن المعز الشاعر الفاطمي ذائع الصيت، ويمكننا ان نقول بأن تميماً قد افرغ افضل مدائحه في اخيه العزيز، والتي من خلالها ناصر البيت الفاطمي وعقائده، ودافع عن الفكر الشيعي ومتبنياته، وقد مرّت بعض المدائح التي قالها تميم في اخيه العزيز الخليفة.

وقد كان العزيز أديبا عاقلا، محباً للعلم، مشجعاً لاهله، وقد قال العيني «ان الحكم (الاموي الاندلسي) كتب الى العزيز صاحب مصر كتابا هجاء فيه، وأهله، وانه دعى في نسبه، وان جده القداح الباطني، وكتب في أول كتابه:

السنا بنى مروان كيف تقلبت بنا الحال أو دارت علينا الدوائر

فلما وقف عليه العزيز ردّ عليه بكتاب في اوله:

إذا ولد المولود منا تهللت له الارض واهتزت اليه المنابر

عرفتنا فهجوتنا، ولو عرفناك هجوناك، والسلام».^٢

ومما ينسب للعزيز من شعر قوله:

انا ابن رسول الله غير مدافع تنقلت في الانوار من قبل آدم

لي الشرف العالي الذي خضعت له رقاب بنى حواء من كل عالم

١- وفيات الأعيان م ٥ ص ٣٧١، الأعلام ج ٨ ص ١٦ الزركلي.

٢ تاريخ الاسلام السياسي ج ٣ ص ٢٠٣.

بنا فتحت أبواب كل هداية ومنا بحمد الله «خير الخواتم»
 فقل لبنى العباس مع ضعف ملكهم بأنهم اسرى بأيدي الاعاجم
 غضبتهم بنى مروان ما غصبوه من مواريثنا سحقا لظالم ظالم
 ولم تحفظوا فينا وصايا محمد ولا ما ادعيتهم من مناسب هاشم
 سنسقيكم كأسا كما قد سقيتم اوائلنا والله اعدل حاكم^١

ويظهر من شعر العزيز هذا انه يفتخر بنفسه ونسبه وهو انتأوه الى النبي الاكرم ﷺ ويشير الى احد الاحاديث التي تقول ان النبي ﷺ وأهل بيته انوار محيطة بالعرش قبل ان يخلق آدم، ويفتخر بان هداية الناس كانت على أيدي آل محمد من اهله السالفين، ثم حصر الآل في البيت العلوي عندما تعرض لبنى العباس الذين افرزهم من هذا النسب الشريف وعيّرهم بانهم اسرى بأيدي الاعاجم وليسوا خلفاء كما يدعون، ثم اردف القول بانهم غاصبون للملك وقد اغتصبوه من الامويين الذين هم بدورهم ايضا اغتصبوا حق أهل البيت بالخلافة، ثم يقول لبنى العباس بانكم قتلتمونا ولم تحفظوا فينا حتى انتسابنا لهاشم الذي تقولون بانتسابكم واينا له، ثم يهددهم ويتوعدهم بأنه سيثار لاسلافه الذين طالتهم الايدي العباسية بالقتل. ويعتبر هذا الثأر عدلا الهيا. ونحن نرى ان هذه الأبيات ليست فيها ما يبعث على جودتها الشعرية اذ انها كلام شبيه بالنثر للفخر وسوق الدليل على المدعى ولكنه حفل بالوزن والقافية، وليس فيه ما يبعث على استحسانه كشعر.

ومن الشعر الذي اختلف في نسبته الى العزيز أو أبيه المعز الأبيات الشعرية التي مطلعها:

نحن بنو المصطفى ذوو محن...

ثلاثة ابيات^٢

ومن المناقب التي تنسب للعزيز هي ما طلبه من جعفر القزاز القيرواني في تأليف كتاب

١- تميم الفاطمي ص ٢٠-٢١.

٢- الثعالبي في يتيمة ينسبها للعزيز في ج ١ ص ٣٠٩ ويذكر بأن المناسبة كانت ان توفي له ابن يوم عيد فقال تلك الابيات.

يشمل الحروف التي وضعت لمعنى من بين أقسام الحروف في اللغة العربية، وسنأتي على توضيح هذا في باب النثر.

١١- القاضي النعمان بن محمد ابو حنيفة

النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي، المعروف بابي حنيفة القاضي المغربي^١، حتى يميز بينه وبين النعمان بن محمد أبي حنيفة رئيس مذهب الاحناف، كنيته أبو عبدالله، وقد انفرد صاحب «نسمة السحر» باسم جده الاخير بأنه «حبول» بدلا من «حيون»^٢، «كان في أول امره مالكي المذهب، وبعد اتصاله وصحبته للملك الدولة الفاطمية استبصر واختار مذهب الامامية»^٣.

أثنت عليه جميع المصادر التي اوردت اسمه، حتى من كان مؤلفوها مخالفين لمذهب القاضي النعمان، واثبتت له الفضائل والمناقب ومنها «مشاهير شعراء الشيعة» الذي يقول مؤلفه عن النعمان انه «من مشاهير علماء وفقهاء شمال افريقية، واحد كبار قضاة مصر، وكان بارعا في علوم القرآن واللغة العربية والتاريخ والتفسير، وكان أدبيا شاعرا مؤلفا ولد بالقيروان سنة ٢٥٩ هـ ونشأ بها»^٤، واثني عليه ابن خلكان في وفياته بعد ان اعتبره ملازما في صحبته للمغربي أبي تميم معد، واعتبره ايضا احد الائمة الفضلاء المشار اليهم... من أهل القرآن والعلم بمعانيه، وعالما بوجوه الفقه، وعلم اختلاف الفقهاء، واللغة ومن فحول الشعراء وان له عدة تصانيف وقال عنه ان النعمان الف لاهل البيت من الكتب آلاف الاوراق باحسن تأليف واملح سجع.

١- اعيان الشيعة ج ٥ ص ١٣، اعلام الأعمال ج ٩ ص ٨، وفيات الأعيان ج ٥ ص ٤١٥، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ص ٤٩٠، مشاهير شعراء الشيعة ج ٥ ص ٢٠٠، أمل الآمل ج ٢ ص ٣٣٥ الحر العاملي، تنقيح المقال ج ٣ ص ٣١٣.

نوابغ لرواة ص ٣٣٤ تراجم المؤلفين التونسيين ج ٥ ص ٢٠٠ محمد محفوظ، دار الغرب الاسلامي، بيروت ط ٢، ١٩٩٤.

٢- راجع نسمة السحر في من تشيع وشعره» ج ٢ ص ٤٤٧ عندما اورد ذكر ابنه «عليا» يعني ابن القاضي ابي حنيفة واسترسل في ذكر آبائه اورد اسم «حبول» بدلا من «حيون».

٣- مشاهير شعراء الشيعة ج ٥ ص ٢٠٠، وكذلك ذكر ذلك له ابن خلكان في وفيات ج ٥ ص ٤١٥.

٤- مشاهير شعراء الشيعة ج ٥ ص ٢٠٠.



وعمل في المناقب والمثالب كتابا حسنا، وله ردود على المخالفين، وله ردود على أبي حنيفة ومالك والشافعي وعلى ابن سريج، وكتاب اختلاف الفقهاء ينتصر فيه لاهل البيت، وله القصيدة الفقهية التي لقبها بالمنتخبة^١، كما وان الدكتور محمد كامل حسين في مؤلفه «في أدب مصر الفاطمية» يقول عنه: بانه من أكبر العلماء الذين عرفتهم مصر في القرن الرابع الهجري، ويذكر بان مؤلفاته قد بلغت ما يقارب من سبعة واربعين مؤلفا جمعت فيها الوانا مختلفة من العلوم والآداب^٢.

كذلك ويشئ عليه الدكتور محمد هادي الامين قائلا «كان القاضي النعمان رجلا ذا مواهب عديدة، غزير العلم، واسع المعرفة، مجتهدا باحثا محققا، ناثرا مؤلفا»^٣ ويقول عنه صاحب «تراجم المؤلفين التونسيين» «القاضي النعمان وهو كبير فقهاء الشيعة الاسماعيلية وله مواهب تاريخية وادبية»^٤

وكان القاضي النعمان قد اتصل بمخلفاء الدولة الفاطمية ولم يمض على تأسيسها زمن طويل حيث ان محقق كتابه «المجالس والمسائرات» يقولون في المقدمة عنه «هكذا يكون قد دخل في خدمة الدولة الفاطمية، وقد مضى على تأسيسها سبعة عشر عاما»^٥، ومن ظاهر كلام المؤرخين عن القاضي أبي حنيفة المغربي انه التحق بالدولة الفاطمية في أيام خليفته الاول عبيد الله المهدي، وقد اولاه القضاء في ناحية من نواحي دولته في نفس الفترة التي كان فيها افلح بن هارون الملوحي قاضيا لرقادة من قبل المهدي، وهو ايضا قاضي قضاة الفاطميين ذلك «الذي كان قد جمع مع الدعوة، علوم الفقه، وادرك أبا معشر والحلواني، وكان يحدث عنهما عن الحلبي، واستنسخ كثيرا من كتب الفقه، والآثار والفضائل، وخطب امير المؤمنين

١- انظر وفيات الاعيان ج ٥ ص ٤١٥-٤١٧.

٢- ادب مصر الفاطمية ص ٦٧.

٣- عيد الغدير في عهد الفاطميين ص ٤٥.

٤- تراجم المؤلفين التونسيين ج ٥ ص ٢٠٠.

٥- انظر مقدمة «المجالس والمسائرات» ص ٨ تحقيق الحبيب الفقي ابراهيم شيوخ، محمد اليعلاوي دار الغرب الاسلامي



علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وعلى الأئمة من ولده»^١. وكان يشبه بهام صاحب أمير المؤمنين الذي وردت في خصوصه خطبة المتقين.^٢ ويحدد بعضهم تاريخ ابتداء خدمة القاضي النعمان للفاطميين بأنه كان في بداية التسع سنوات الأخيرة من حكم عبيد الله المهدي^٣، ثم أنه أصبح قاضيا لطرابلس في عهد القائم العبيدي^٤، بعد ذلك نصبه المنصور العبيدي ثالث خلفاء الفاطميين في المنصورية والقيروان وأعمال إفريقية، وأمضى حكمه في جميع ما استولت عليه المملكة، والدعوة الشريفة الهاشمية»^٥. وقد أبقاه المعز في أيامه قاضيا لقضاة دولته، واصطحبه معه إلى مصر بعد انتقاله إليها إلى أن توفي في سنة ٣١٣هـ أو ٣٦٧هـ^٦، وصلى عليه الامام المعز لدين الله.

وقد ذكرت المصادر بأنه شاعر فحل ولكنها لم تنقل لنا من شعره، وهذا لا نعتبره إلا على ضياع الأدب الشيعي المغربي، ومن هذا الشعر ما رواه صاحب اليتيمة:

ولي صديق ما مسنى عدم مذ وقعت عينه على عدمي

هذا ومن يمعن النظر في الأقوال السابقة وغيرها من الأقوال الأخرى التي نقلها الكتاب المؤرخون بحق القاضي النعمان يظهر بوضوح أنه شاعر فحل، ومن محبى النثر، ولكن لم يصلنا من شعره شيء وهذا دليل آخر، بل من أوضح الأدلة على ضياع الأدب الشيعي المغربي، وكل ما وصلنا عنه مؤلفاته الكثيرة العدد والتي بعضها وصل منها الاسم فقط والبعض الآخر وصلت مخطوطاتها وطبع بعضها، وعلى العموم فإن الجزء الأكبر من التراث الأدبي للنعمان أبي حنيفة المغربي أصيب بالضياع، ومن آثاره ومؤلفاته:

١- الاختيار في فقه الشيعة

١- تراجم المؤلفين التونسيين ص ٢٠٠.

٢- نفس المصدر ص ٢١٢.

٣- عيد الغدير في عهد الفاطميين ص ٤٥.

٤- الحياة الفكرية في مصر في العهد الفاطمي ص ٣٤٢.

٥- تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ص ٤٩٠.

٦- اختلف المؤرخون في سنة وفاة القاضي النعمان بن محمد حنيفة، فقد ذكر صاحب «عيد الغدير في عهد الفاطميين» أنه توفي سنة ٢٩ جمادى الثانية سنة ٣٦٣هـ» بينما قال صاحب «مشاهير شعراء الشيعة» أنه توفي سنة ٣٦٣هـ أو سنة ٣٦٧هـ.



- ٢- اختلاف الفقهاء
- ٣- الاقتصاد
- ٤- الامامة
- ٥- الآثار النبوية
- ٦- ابتداء الدعوة العبيدية
- ٧- مختصر الآثار
- ٨- الاخبار في فقه الامامية
- ٩- الرد على مالك
- ١٠- المجالس والمسامرات
- ١١- الرد على الشافعي
- ١٢- تاريخ خلفاء المصرية والملوك الفاطمية الائمة الاسماعيلية
- ١٣- المنتخبات
- ١٤- شرح الاخبار في فضائل الائمة الاطهار
- ١٥- وله ديوان شعر^١

وقد تكلم الداعي ادريس أكثر تفصيلا عن مؤلفات القاضي النعمان حيث يقول «وله تأليفات كثيرة، وعلوم مشهورة، وقد اقرّ المخالفون بفضله واتساع علمه.... فن تأليفاته في الفقه، كتاب «الايضاح» وهو كتاب مفقود ولم يبق منه إلا جزء من كتاب الصلاة، وهو مئتان وعشرون جزءا كما ذكر في المختارة المنتخبة، وكتاب «مختصر الايضاح» وكتاب الاخبار في الفقه» ثلاثة عشر جزءا، وكتاب «الاتفاق والافتراق فيما اختلف فيه الفقهاء، ووافق قول أهل البيت» سبعون جزءا، وكتاب المختصر عن «الاتفاق والافتراق»، ثم انه ألف كتاب «دعائم الاسلام في الحلال والحرام، والقضايا والاحكام» وله كتاب «يوم وليلة» وهو كتاب لطيف في الصلاة المفروضة، وله كتاب «الطهارة والصلاة وفروضها وسننها»، وله



«رسالة الارجوزة المنتخبة» قصيدة مزدوجة نظمها في أبواب الفقه، وله كتاب «كيفية الصلاة على النبي» ردًا على من خالفه، وله كتاب «التقريع والتعنيف لمن لا يعلم العلم» وله «الرسالة المصرية في الرد على الشافعى» جزءان كبيران، وكتاب في الرد على ابن سريج البغدادى جزءان كبيران، وله «رسالة البيان» يرد فيها على ابن قتيبة وله كتاب «اختلاف اصول المذاهب» جزءان، وله كتاب «نهج السبيل الى معرفة علم التأويل» جزءان، وله القصيدة المختارة: الارجوزة في الامامة والحجة في من يستحقها، ومن ادعاها وليست له.

كتاب «شرح الاخبار في فضائل الائمة الاطهار» ستة عشر جزءا، وله كتاب «مناقب بنى هاشم ومثالب بنى امية» جزءان، وقال القاضي النعمان: «امرني امير المؤمنين بجمع اخبار الدولة في كتاب، ومناقب بنى هاشم ومثالب بنى عبد شمس في كتاب، ففعلت، وجمعت في كل فن من هذين الفنين كتابا جامعا ضخما يشتمل على اجزاء كثيرة على ما رتبته لي وأفادنيه، ورفعتها اليه فاستحسنها، وارتضاها واستجاد معناها، وقال عليه السلام: «أما اخبار الدولة ومن قام فيها وسعى في اقامتها من الدعاة والمؤمنين فأني احب ان تخلد اخبارهم وهكذا في الباقيين، ويبقى ذكرهم بالخير في الغابرين، ويخلفهم فيها دعاء السامعين او يعرف ذلك لاعقابهم من بعدهم مما اعد الله عز وجل لهم من الكرامة في دار المقامة، وهذا مما يجب علينا لهم من الحظ والحق، اذ لم يلحقونا فتؤدي ذلك اليهم...» وله كتاب «معالم الهدى» جزء واحد، وله كتاب «حدود المعرفة في تفسير القرآن والتنبيه على التأويل» سبعون جزءا، وله كتاب «تأويل الدعائم» الموجود منه اثنا عشر جزءا الى آخر كتاب الجهاد. وله «اساس التأويل» ألفه قبل التأويل وفيه تأويل الولاية وقصص الأنبياء: والموجود منه سبعة عشر جزءا وله «الموجز في الرد على العتقى»^١ أربعة اجزاء، وله كتاب التعقيب والانتقاد: «جزء واحد، وله

١- العتقى كما يذكر محقق كتاب «تاريخ الخلفاء الفاطميين بالغرب» بأنه يحتمل ان يكون ابن عبدالرحمن العتقى الشاعر، ويحتمل ان يكون المؤرخ ابو عبدالرحمن العتقى صاحب «التاريخ الجامع» الذي ألفه للعزير الفاطمى، وكان ذكر فيه بعض الفضائل لبنى امية، وبنى العباس فغضب عليه العزيز، ونحن نرجح ان العتقى المؤرخ، ومن ظاهر النقل هذا انه كان يحمل بعض الولاء لبنى امية، واما انه كتب الكتاب للعزير فهذا نحمله على ان رد النعمان عليه ليس بخصوص شىء آخر وانه ايضا كان قد عاصر النعمان وامتدَّ به العمر الى ايام العزيز.



رسالة الى مرشد، الداعى في مصر، في تربية المؤمنين: جزء واحد. وله كتاب تأويل الرؤيا: جزء واحد. وله كتاب منامات الائمة: جزء واحد. وله كتاب التوحيد والامامة في خطب امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام جزءان.

وله كتاب اثبات الحقائق في توحيد الخالق جزء واحد، وكتاب في الامامة: أربعة اجزاء. وكتاب المهمة في آداب اتباع الائمة؛ جزءان، والارجوزة الموسومة بـ «ذات المنن» في سيرة الامام المعز جزءان. والارجوزة الموسومة بـ «ذات الحنن» في سيرة مخلص بن كيداد المارق الدجال: جزءان، وكتاب المجالس والمسائرات مع المعز لدين الله.

وكتاب الحلي والثياب: جزء واحد، وكتاب الشروط، وله رسائل كثيرة الى القضاة.^١ ويذكر الداعى ادريس ان اسماء هذه الكتب والتفاصيل قد وجدها مجموعة في كتاب اسمه «سيرة كنامة». وكان قد عثر الداعى ادريس كما يذكر على هذا الكتاب في اليمن، وان مؤلف هذا الكتاب هو حيدرة بن محمد بن ابراهيم، وأنه لا يعلم عن هذا المؤلف شيئا الا اسمه.^٢ ويتبين لنا من كثرة اسماء المؤلفات التي نقلت اسمائها ونسبت للقاضي النعمان أنه مؤلف مكثر في التأليف، وهذا ما يبعث فينا ان نعتبره كاتباً مصنفًا أكثر مما نعهده على الشعراء، وليس هذا من التضعيف لشاعريته ولكنه على ظاهر ما نقل عنه انه كان يعطى الكتابة والتأليف أكثر مما يعطى من نفسه للشعر، ومما يدل على قوة تلك الشاعرية الارجزية الشعرية التي نقلت اسمائها لنا، ونسبت له، والتي لم نعثر على واحدة منها، وهذا ايضا مما يؤكد ضياع أكثر الأدب الشيعي المغربي كما ذكرنا ذلك سابقا.

ومن أهم شخصيات هذا البيت التيمى الشيعى، أبو الحسن على ابن أبي حنيفة النعمان القيروانى، الذي يقول عنه صاحب «عنوان الاريب» أنه: «من بيت علم ورياسة، ولد سنة ٣٢٦هـ في ربيع الاول ونشأ في طلب العلم، فأخذ عن علماء بلده فبرع، وكان شيعيا ولما سافر المعز الى الديار المصرية بعد فتحها على يد القائد الشهير جوهر صاحبه أبو الحسن الى مصر

١- انظر: «تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب» ص ٥٦٥-٥٦٦-٥٦٧.

٢- نفس المصدر ص ١٢٩٢.

فأولاه قضاء مصر مشتركاً، ثم أولاه العزيز بن المعز قضاءها استقلالاً... وكان متفنناً في فنون كثيرة منها القضاء والفقه والعربية والادب، وكان شاعراً مجيداً في الطبقة العليا، توفي سنة ٣٧٤هـ^١. وكذلك أورد ذكره ابن خلكان في وفياته، قائلاً: «كان القاضي أبو الحسن متفنناً في عدة فنون، منها علم القضاء والقيام به بوقار وسكينة، وعلم الفقه والعربية والأدب والشعر وأيام الناس، وكان شاعراً مجيداً في الطبقة العليا»^٢. ويعتبره صاحب «ايعان الشيعة» من اعلام القضاة والادباء الشيعة^٣، في حين اعتبره صاحب «نسمة السحر» من شعراء الشيعة المتقدمين ويقول عنه «وله شعر خسف الثريا وعاق عيوق، فهو كالجوهر على اللبات وغيره كالخلخال في السوق»^٤ وقد اثنى عليه صاحب اليتيمة كما وانه قد أورد غناج من اشعاره، ومنها قوله:

صديق لي له أدب	صداقة مثله نسب
رعى لي فوق ما يرعى	وأوجب فوق ما يجب
فلو نفذت خلايقه	لبهرج عندها الذهب ^٥

وقوله:

ولى صديق ما مسنى عدم	مذ وقعت عينه على عدمى
اغنى واقنى فما يكلفنى	تقيل كف له ولا قدم
قام بأمرى لما قعدت به	ونمت عن حاجتى ولم ينم ^٦

وقد كانت هذه الأبيات في مدح صديق له كما يبدو من ظاهرها، ولكنها تفصح عن شاعرية القاضي أبي الحسن بن أبي حنيفة بما تحمله من رقة المعاني، ودقة التعبير وتناسب

١- عنوان الاريب ج ١ ص ١٣٧.

٢- وفيات الأعيان م ٥ ص ٤١٨.

٣- ايعان الشيعة م ١ ص ١٧٣.

٤- نسمة السحر ج ٢ ص ٤٤٧-٤٤٨.

٥- يتيمة الدهر ج ١ ص ٤٠١، وقد نقلها له ابن خلكان في الوفيات ج ٥ ص ٤١٦.

٦- نفس المصدر ص ٤٠٠-٤٠١، وكذلك نقلها ابن خلكان ج ٥ ص ٤١٥.

الفاظها مع المعنى المقصود، وعلى هذا يتبين انه يحمل موهبة شعرية ناضجة، وليس ناظماً كما هو شأن أكثر العلماء في اشعارهم. ويعلق صاحب «في أدب مصر الفاطمية» على هذه الأبيات بعد أن ينقلها في مؤلفه قائلاً «فن هذه الأبيات القليلة نستطيع أن ندرك أنه كان شاعراً رقيق الشعر، عذب الديباجة، متلاعباً بالالفاظ، ومن سوء الحظ ان شعره لم يصل إلينا كاملاً، حتى نستطيع ان نكون رأينا دقيقاً في شاعريته»^١.

ومن أعيان هذا البيت الذي يعتبر زعيمه القاضي النعمان أبو عبدالله محمد بن أبي حنيفة النعمان القيرواني، الذي يقول عنه صاحب «عنوان الاريب» (أنه ولد بالقيروان لثلاث خلون من صفر سنة ٣٤٠هـ، ونشأ في طلب العلم، فأخذ عن جهاذة قطره، فبرع في العلوم وكان متفنناً في علوم كثيرة، جيد المعرفة بالاحكام، اصحبه معه المعز أبو تميم الى الديار المصرية، ونابه عن اخيه أبي الحسن في قضاء دمياط وغيرها، ولما خرج أبو الحسن مع العزيز العبيدي الى الشام استنابه في قضاء الديار المصرية، ثم بعد وفاة أبي الحسن أولاه العزيز القضاء على ما كان لاختيه، وعظمت منزلته، ووافق ذلك استحقاقاً لما فيه من العلم والصيانة والتحفظ واقامة الحق والهبة، وكان مع ذلك شاعراً مجيداً)^٢. وأما ابن خلكان فينقل عن القاضي محمد أبي عبدالله أنه كان يقول: «كان المعز تحدثه نفسه بملك مصر، فكان اذا رآني وأنا صبي بالمغرب يقول لولده العزيز: هذا قاضيك»^٣، وقد قال عنه ابن خلكان نفسه «وكان محمد جيد المعرفة بالاحكام، متفنناً في علوم كثيرة، حسن الأدب والدراية بالاخبار والشعر وأيام الناس، وله شعر»^٤.

ويورد محسن الامين العاملي ذكره، قائلاً «ومحمد بن النعمان قاضي مصر كان شاعراً»^٥، وقد أورده ايضاً في قائمة قضاة الشيعة المعترين^٦. وقال صاحب اليتيمة عنه «أنشدني له - يعني

١- في ادب مصر الفاطمية ص ٧١.

٢- نفس المصدر.

٣- الوفيات م ٥ ص ٤٢٠.

٤- نفس المصدر.

٥- أعيان الشيعة م ١ ص ١٧٤.

٦- نفس المصدر ص ١٩٣.

القاضي أبا عبدالله محمد بن النعمان - عبدالصمد بن وهب هذه الابيات، وهي مما يتغنى بها:
 ربّ ليلٍ لم أذق فيه الكرى حظّ عيني فيه دمع وسهر
 طال حتى خلت له لا ينقضى ونأى الصبح فما منه أثر
 غاب عني قمراً أحببته فتعللت بأنوار القمر
 كلّما هيج شوقي حَزَنِي صحت يا ليلي أما فيك سحر؟^١
 فيما أورد له ابن خلكان، قوله:

أيام مشبه البدر بدر السما لسبع وخمس مضت واثنين
 ويا كامل الحسن في نعته شغلت فؤادي وأسهرت عيني
 فهل لي من مطمع أرتجيه والّا انصرفت بخفي حنين
 ويشمت بي شامت في هواك ويفصح لي ضلت صفر اليمين
 فإما مننت وإما قتلت فأنت القدير على الحاليتين^٢

ونحن نقطع بأن اشعار القاضي محمد في التشيع تشفى الغليل في بابها، ولكن مما يؤسف له بأن
 أيّا منها لم يصلنا، ولا نقول إلا بأن الأيدي التي اتلفت هذا التراث الأدبي لم تضر إلا بالاجيال
 اللاحقة، وحقها بالاستفادة من تراثها.

١٢ - امراء ادباء آخرون من العهد الفاطمي

ومن امراء الشيعة الذين تجلت عندهم الموهبة الادبية وبكل وضوح، أبو يحيى تميم بن
 المعز بن باديس بن بلكين بن زيري بن منادين بن منقوس بن زياد بن زيري الاصغر الحميري
 الصنهاجي^٣ والذي عدّه صاحب «نسمة السحر» من شعراء الشيعة، وقال عنه «ملك افريقية

١- يتيمة الدهر ج ١ ص ٤٠١-٤٠٢.

٢- وفيات الأعيان ٥ ص ٤٢٠.

٣- هكذا أورد نسبه صاحب «نسمة السحر» في ج ١ ص ٤٥٤، في حين ابن خلكان في الوفيات م ١ ص ٤٠٣ عندما يأتي
 بذكره يورد له خمسة وخمسين جداً حتى يوصله الى نوح (ع)، هذا وقد ورد ذكره في كل من: الحلة السيرة ج ٢ ص ٢١،
 البيان المغرب ج ١ ص ٢٩٨، المعبر ج ٦ ص ١٥٩، اعمال الاعمال القسم الثالث ص ٧٣، خريدة القصر قسم مصر ق ٤ / ١

وبلاد المغرب بعد أبيه المعز، ملك ينشر بسيفه إذا زوجه برقاب أعادييه عقيقا، وببيده وبلسانه ذهباً جسيماً، وجوهرها رقيقاً، يعيش إلى نار القرى من يريق سيوفه خواتم العقيان، ولا ينهمل غمام راحته بغير العقيان، إلى شعر أحلى من الشعور، والنواهد في الصدور، وهي في السطور،... وكان تميم المذكور حسن السيرة محباً للعلماء معظمها لأرباب الفضائل حتى قصدته الشعراء من الآفاق على بعد الديار كابن السراج الصوري وانظاره، وشعره حلواً السلك، تلوح له رفاهية الملك»^١.

ومن هذا يتبين لنا أن تميماً ابن المعز الصنهاجي كان شاعراً متمرساً، ومحباً للعلم والعلماء والأدب والأدباء، ومما نعتمه في اعتبار تميم شيعياً برغم القطيعة التي حدثت بين أبيه المعز وبين أسباطه الفاطميين، وبرغم المقتلة التي أصيب فيها الشيعة بالقيروان في أيام أبيه المعز، هو نفس اعتبار صاحب «نسمة السحر» له بأنه من شعراء الشيعة، وقد دافع عن اعتباره هذا، قائلاً (قلت ذكر الأمير تميم في أدباء الشيعة لما عُلِمَ أنهم كانوا إسماعيلية وتشيعهم مشهور عند النقاد)، ولم يقف الأمر عند صاحب نسمة السحر في عدّ تميم الصنهاجي من شعراء الشيعة، بل تعداه إلى صاحب «الشيعة أصلها وأصولها» فإنه عندما يعرض لرجالات الشيعة، وانهم المتقدمون في مختلف العلوم والفنون، يورد اسم تميم ابن المعز كأحد ملوك الشيعة الشعراء، قائلاً «وتميم ابن المعز بن باديس ملك إفريقية والمغرب».

ومما يؤسف له بأن أيّاً من المصادر التي أوردت ذكر تميم لم تورد له شعراً بخصوص التشيع، بالرغم من أنه له ديوان كبير^٢، وكل ما أوردته له من شعر مقاطع في أغراض أخرى، ومنها، قوله:

فكّرت في نار الجحيم وحرّها يا ويلتاه ولات حين مناص
فدعوت ربّي أن خير وسيّلتى يوم المعاد شهادة الإخلاص^٣

ويظهر من خلال هذه الأبيات قوة شاعرية تميم، بالإضافة إلى زهده وتدينه.

ص ١٦٦، النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٩٨، تاريخ ابن الوردي ج ٢ ص ١٩، الكامل لابن الأثير ج ١٠ ص ١٥٨، مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٨.

١- نسمة السحر ج ١ ص ٤٥٤.

٢- عنوان الأريب ج ١ ص ١٨٤.

٣- الخريدة ج ١ ص ١٧٨، وفيات الأعيان م ١ ص ٣٠٥، نسمة السحر ج ١ ص ٤٥٥.

وله في الغزل قوله:

سل المطر العام الذي عمّ ارضكم
إذا كنت مطبوعاً على الصّدّ والجفنى
أجاء بمقدار الذي فاض من دمعي
فمن أين لي صبر فأجعله طبعي؟^١
وقوله:

ان نظرت مقتلتي لمقلتها
تعلم مما اريد نجواه
كأنّها في الفؤاد ناظرة
تكشف اسراره وفحواه^٢
وهذه الأبيات تظهر لنا بوضوح أن شعر تميم يمتاز بالرقّة، وقوة الاحساس، وخلوّه من الغرابة، وتمكّنه من التعبير بدقّة عن المعانى التي يقصدها.
ومما يشار اليه بأنّ ابن خلكان، يقول عن تميم «وأشعاره وفصائله كثيرة»^٣، ولكن لم يصل إلينا من شعره الكثير إلاّ الذي ذكرناه، وبضع أبياتٍ أخرى.

وكان تميم قد ولد سنة ٤٢٢هـ في مدينة صبرة من بلاد افريقية، وأصبح اميراً لإفريقية بعد وفاة أبيه المعز سنة ٤٥٤هـ، وبقي كذلك الى ان توفي سنة ٥٠١هـ.^٤ وكان تميم من ممدوحى ابن رشيق القيرواني، بقوله:

أصحّ وأغلى ما سمعناه في الندى
من الخبر المأثور منذ قديم
احاديث ترويه السيول عن الحيا
عن البحر عن كفّ الأمير تميم^٥
وهكذا يمكننا اعتبار كل ما أنتجته افريقيا الصنهاجية من الأدب المنتج في حدود مملكة التشيع الفاطمية على الرغم من القطيعة التي حدثت بين ولاية الفاطميين هناك واسيادهم، والذين سرعان ما عادوا الى اعلان الطاعة والولاء واتباع نهج آبائهم الاسبقين، ونحن بهذا الرأي لا نعتمد إلاّ على ما كان من الرقيق القيرواني، والقرّاز القيرواني وغيرهم ممن تشيع مع أنهم عاشوا في البلاط الزيرى، والذين سنعرض لأدبها ولشخصيتيها الشيعية لاحقاً.

١- نفس المصدر.

٢- نفس المصدر.

٣- وفيات الأعيان ١٢ ص ٣٠٥.

٤- نفس المصدر.

٥- نفس المصدر ص ٣٠٤.



١٣- محمد بن تومرت^١

وقد اثنى عليه ابن خلكان كما اثنى عليه أكثر من ذكره في مؤلفاتهم الا الذين تحمل انوفهم الحساسية من رائحة التشيع التي تفوح بها سيرة ابن تومرت. ويقول ابن خلكان ايضا (ورأيت في كتاب «المغرب عن سيرة ملوك المغرب» ان محمد بن تومرت قد اطلع عن أهل البيت على كتاب يسمى «الجفر» وانه رأى فيه صفة رجل يظهر بالمغرب الأقصى بمكان يسمى السوس، وهو من ذرية رسول الله ﷺ يدعو الى الله يكون مقامه ومدفنه بموضع من المغرب باسم هجاء حروفه «ت ي ن م ل»، ورأى فيه ايضا ان استقامة ذلك الامر واستيلاءه، وتمكّنه يكون على يد رجل من اصحابه هجاء امه «ع ب د م و م ن»^٢ ومن ظاهر قول

١- للاطلاع اكثر على شخصية محمد بن تومرت راجع المصادر التالية: العبر ج ٦ ص ٣٦٢، ٤٦٤، ٤٦٥ بيروت ١٩٥٩، روض القرطاس ص ١٧٢ - ١٧٣ ابن ابي زرع الرباط ١٩٧٣، الاسلام في المغرب والاندلس ص ٢٦٥ ليفي برونسفال ترجمة د. السيد عبدالعزيز سالم والاستاذ محمد صلاح الدين حلمي القاهرة ١٩٥٨، اخبار المهدي وبداية دولة الموحدين ص ١١ البيذق - الرباط ١٩٧١، المغرب الكبير ص ٧٧ السيد عبدالعزيز سالم - بيروت ١٩٨٠، وفيات الأعيان ج ٥ ص ٤٥ - ٥٥ بيروت ١٩٧٧، مدخل الى تاريخ المغرب ص ٤٨، تطوان ١٩٥٥، المعجب في تلخيص اخبار المغرب ص ١٧٨ - ١٧٩ عبدالواحد المراكشي - القاهرة - ١٩٤٩، وغيرها. ومن الجدير بالاشارة ان هناك كتابا يحمل عنوان «المهدي بن تومرت» للدكتور عبدالمجيد النجار طبعته دار الغرب الاسلامي - بيروت ١٤٠٣ - ١٩٨٣ فيه ما يغنى عن ابن تومرت، ولكن لدينا بعض الملاحظات على هذا الكتاب لا نرى مجالا لذكرها لأن بحثنا ليس معناها بها.

٢- وفيات الأعيان م ٥ ص ٤٧ - ٤٨، ويؤكد ابن خلكان ايضا في م ٣ ص ٢٣٨ اطلاع ابن تومرت على كتاب «الجفر». واما ما يخص كتاب «الجفر» فهو من الكتب التي تقول الشيعة انها توارثته من امامها «جعفر بن محمد الصادق» وفيه علم ما كان وما يكون الى يوم القيامة، راجع لمعرفته المصادر الشيعة المعنية بذلك.

ويقول عنه ابن خلكان م ٣ ص ٢٤٠ «واما كتاب الجفر، وقد ذكره ابن قتيبة في اوائل كتاب «اختلاف الحديث» فقال بعد كلام طويل: واعجب من هذا التفسير تفسير الروافض للقرآن الكريم، وما يدعونه من علم باطنه بما وقع اليهم من الجفر الذي ذكر سعد بن هارون العجلي، وكان رأس الزيدية، فقال:

ألم تر أن الرافضين تفرقوا
فطائفة قالوا امام ومنهم
ومن عجب لم اقضه جلد جفرهم
برثت الى الرحمن ممن تجفروا

«وهو جلد جفر ادعوا انه كتب لهم فيه الامام كل ما يحتاجون اليه، وكل ما يكون الى يوم القيامة».

والى هذا الجفر اشار ابو العلاء المعري بقوله:

لقد عجبوا لاهل البيت لما
ومرآة المنجم وهي صغرى
أتاهم علمهم في مسك جفر
أرتبه كل عامرة وقفر

ابن خلكان هذا يفهم ان ابن تومرت من المعتقدين بأهل ابيت، وبما ينسب اليهم، وواضح من هذا القول ايضا ان المقطع الاول منه اشارة الى نفس ابن تومرت، وان المقطع الثاني يخص خليفته والرجل الاول في دولة الموحدين بعد ابن تومرت وهو المؤمن بن علي.

وقد بدأ ابن تومرت حياته عاكفا على طلب العلم، عازفا عن الدنيا وقد رحل الى المشرق^١، ومما يقال بأنه التقى الغزالي، وقد توسم الغزالي الملك في ابن تومرت، وقد نسبت الى ابن تومرت اضرار الاعتقادات، ومهما يكن من امره، فإن التشيع من بين ما نسب اليه، بل اقوى المؤاخذات عليه من قبل بعضهم هي ما نعت به من تشيع^٢، وبرغم كل ما أخذ عليه الا

١- نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ص ٦٦ ابن القطان المراكشي ابو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتاني - منتصف القرن السابع الهجري - تحقيق د. محمود علي مكي - دار الغرب الاسلامي ط ١ ١٩٩٠.

٢- من المؤرخين مَنْ نسب الاشعرية الى محمد بن تومرت، ومن نسب ذلك له من المتقدمين عبدالواحد المراكشي، وقد جرّء المراكشي شخصية ابن تومرت الاعتقادية فانه اضاف اليه الاعتزال ايضا مع الاشعرية فقال عنه في المعجب ص ١٨٨ «وكان على مذهب ابي الحسن الاشعري في أكثر المسائل، الا في اثبات الصفات فانه وافق المعتزلة، وفي مسائل قليلة غيرها»، وقد طبل بنفس ما ذكره المراكشي عن اعتقاد ابن تومرت في اتباع الاشاعرة، وواقفه على ذلك ابن خلدون، مجموعة من المتأخرين من امثلة ابتسام مرعي خلف الله في «العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الاسلامي»، وقد ناقشنا بشيء مقتضب بعض مَنْ قال باعتزالية ابن تومرت فيما مضى من هذا البحث، ولمنحنا في حينها الى ان التشيع الذي يؤمن بنفى الصفات على لسان من تشيع الناس له وهو علي بن ابي طالب قد سبق الاعتزال واصحابه، وهذا مالا نرغب بتكراره، واما بخصوص من قال باشعريته فقد كفانا مؤنة البحث شوقي ضيف في «من المشرق والمغرب بحوث ادبية ص ١٤٠» عندما ردّ على مَنْ قال بذلك خاصة ابن خلدون، وذلك بايراده فصلاً من كتاب ابن تومرت الذي هو بعنوان «توحيد الباري سبحانه» والذي من خلاله استنتج ان ما يذهب اليه الاشاعرة لا يتوافق مع النصوص التي أوردها ابن تومرت في مؤلفه، وأيضاً من يطالع اعتقادات ابن تومرت في مؤلفه هذا يجدها موافقة لما جاءت به الخطبة الاولى من «نهج البلاغة» المنسوب لامير المؤمنين علي بن ابي طالب. وكذلك فان شوقي ضيف يذكر بعض اوجه التشابه بين تنظيم الموحدية خاصة في الاتباع والمريدين وبين ما عمله الفاطميون في طائفة الدعاة الذين اعتمدوا عليهم اى اعتماد، هذا بالاضافة الى ان قد اشار على ما وافق فيه ابن تومرت الشيعة في اعتقاداتهم وهي «الامامة والمهدوية والعصمة والتنظيم». ويذكر قائلا في ص ١٣٦ من مؤلفه «وقد مضى ابن تومرت يغرّس في نفوس اتباعه ما عرفه في بغداد عن الامام عند الشيعة الاثني عشرية من انه وريث الرسول (ص) وانه حجة الله على عباده، وانه مطهر من الذنوب مبرأ من العيوب، وانه معدن القدس والطهارة والتقوى والزهادة، وانه يعلم ما كان وما يكون، ومن وفي بعده فقد وفي بعهد الله، ومن نكث عهده فقد نكث عهد الله»، وتكلم ايضا عن كتاب ابن تومرت «اعز ما يطلب» والذي يتكلم فيه عن صفات الامام المعصوم التي املاها ابن تومرت على مردييه واساعها بين الناس.

ومن اشار الى تشيع ابن تومرت بعد عرض لبعض فقرات من كتابه «أعز ما يطلب» ابو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في «الملل والنحل» ج ١ ص ١٩٥ معتبرا ابن تومرت موافقاً للرافضة الاثني عشرية الذين قالوا بالعصمة لانتمهم. وبعد



انه «مال الى التقشف في مأكله ايضا، لا يزيد عما تقدمه له اخته من رغيف بقليل من سمق او زيت، ولم يتغير عن هذه الحياة حتى عندما اقبلت عليه الدنيا»^١.

وقد مدحه ابن خلدون المعروف بتعصبه على من تشم منه رائحة التشيع، وقد ذكر مدح ابن خلدون لابن تومرت عبدالله كنون في كتابه «النبوغ العربي»^٢.

وقد مدح الشعراء ابن تومرت فقال احدهم:

آثاره تنبيك عن اخباره حتى كأنك بالعيان تراه^٣

وكذلك مدحه شاعر جنوب الجزيرة العربية نجم الدين عمارة اليني، الذي عاصر ابن تومرت،

التحري وجدنا بأن ألف والدوران قد أخذ مأخذا عند اكثر الباحثين عن عقائد ابن تومرت الا ان التشيع سمة بارزة وثابتة له بالرغم من كل الانارات التي حاول اكثرهم تفعيلها دون مبرر، مع انهم في أكثر من موضع من بحوثهم يسندون له التشيع. ثم يعدلون عما ذهبوا له، أو يضيفون اليه ضميمة اعتقادية اخرى، ومن اولئك حتى ابن خلدون تلك العقلية الضخمة حين يقول عنه ابن تومرت «وكان من رأيه بعصمة الامام على رأي الامامية من الشيعة، والف في ذلك كتابه في الامامة الذي اختتمه بقوله اعز ما يطلب وكان هذا الحديث من ابن خلدون في العبر ج ٦ ص ٢٢٦، ومع ذلك فهو يقول باشعرية ابن تومرت في موضع آخر، مع اننا لا نرى توافقا بين الامامية والاشعرية وكما يعلم ذلك جيدا ابن خلدون.

١- لقد اختلف المؤرخون في تأييد لقاء ابن تومرت بالغزالي وعدم لقائه به فابن عبد الملك الكتاني المراكشي من المؤيدين الى ان ابن تومرت التقى بالغزالي، وكذلك يقول انه التقى بالجويني النيسابوري المعروف بامام الحرمين، وقد كان ذلك في مؤلف ابن عبد الملك «لنظم الجمان» ص ٢٧٤ - ١٧٥ ويورد ابياتا لابن حبوس في مدح خليفة المهدي ابن تومرت يشير من خلالها الى ان ابن تومرت قد اخذ العلم من اكثر علماء المسلمين ومنهم الغزالي والجويني، وابيات ابن حبوس هي:

بس خليفة المهدي سيدنا اغتدى	نهج المعلوم معبدا ومذلا
وتفجرت عين النباهة بعدما	قد كان خاطرها أكل واجبلا
وسمعت كل مذاهب الحق التي	ما ان ترى عن مقتضاها معدلا
وبصرت بالطوسي يفقه حوله	وابى المعالي مجملا ومفصلا

حيث يعني بالطوسي «الغزالي» وبابي المعالي «الجويني»، كما يقول ابن عبد الملك، والبعض الآخر من المؤرخين يميلون الى عدم اللقاء المباشر بين ابن تومرت والغزالي، ويذهبون الى أن اللقاء بينهما تم عن طريق المراسلة، أو عن طريق قراءة مؤلفات الغزالي من قبل ابن تومرت، وحتى ابن عبد الملك الذي يؤيد اللقاء بشكل مباشر ومن اصطف معه في هذا الرأي، لا يعتمدون الا على نقله عن الغزالي نفسه في كتابه «سر العالمين وكشف ما في الدارين» حيث يقول فيه «فأول من استحسنته وقرأه علي بالمدرسة النظامية بعد رجوعي من السفر رجل من أرض المغرب يقال له محمد بن تومرت من أهل سلمية وتوسمت فيه الملك»، الغزالي ابو حامد - سر العالمين وكشف ما في الدارين - تحقيق محمد مصطفى ابو العلي - طبع مكتبة الجندي - القاهرة.

٢- النبوغ العربي ص ١٠٨.

٣- وفيات الأعيان ٥ ص ٥٤.



وقد كان في مصر وناله الاعجاب بشخصية المهدي الموحي فقال فيه:

هذا ابن تومرت قد كانت بدايته كما يقول الوري لحماً على عظم
وقد ترقى الى ان تمسكت يده من الكواكب بالانفاس والكظم
وكان أول هذا الدين من رجل سعى الى ان دعوه سيد الامم^١

وكان ابن تومرت أديباً، خطيباً، كاتباً، شاعراً بالاضافة الى كونه عالماً، شجاعاً، زاهداً،

قائداً لمحنتك، متكلماً، ومما يروى له من شعر قوله في الوعظ والتذكير:

أخذت باعضاءهم اذ ناوا وخلفك القوم اذ ودعوا
فكم انت تنهى ولا تنتهي وتسمع وعظاً ولا تسمع
فيا حجر الشحذ حتى متي تسن الحديد ولا تقطع^٢

فمن هذه الأبيات يبين ما عليه ابن تومرت من شاعرية وهي شاعرية العلماء التي تخلو من

الركة، وتتسم بالنظم.

وقوله:

انى وفي النفس اشياء مخبأة لألبسن لها درعا وجلبابا
كيما اطهر دين الله من دنس واوجب الفضل للسادات ايجابا
تالله لو ظفرت كفي بمطلبها ما كنت عن ضرب اعناق الوري آبي^٣

وقد ذكر صاحب «الوافي بالوفيات» هذه الأبيات ببعض التغيير في الفاظها:

ذرني واشياء في نفسي مخبأة لألبسن لها درعا وجلبابا
والله لو ظفرت كفي ببغيتها ما كنت عن ضرب اعناق الوري آبي
حتى اطهر هذا الدين من نجس وأوجب الحق للسادات ايجابا

١- العبادي أحمد مختار: دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ص ١١٢-١١٣، الاسكندرية، ١٩٦٨.

٢- الوفيات م ص ٥٤.

٣- الاصفهاني العماد: خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء المغرب ص ١٦٧، تحقيق محمد المرزوقي، محمد المروسي

المطوى الجيلاني بن الحاج يحيى، النشرة الثانية، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٣.

واملاً الأرض عدلاً بعدما ملئت جوراً وافتح للخيرات أبواباً^١
ونسجل على هذه الأبيات الواضحة في معناها جملة من الملاحظات وهي ان ابن تومرت
يوضح اهداف ثورته من خلالها وهي للدين ولا رجاء حق السادات الذي اغتصب ولا
نحسب هذا الا على ايمان ابن تومرت بان الحق لآل البيت في خلافة المسلمين.

والملاحظة الاخرى نرى ان الأبيات وخاصة ما جاء منها عن طريق صاحب
«الوافي بالوفيات» تريد الاساءة الى نفس ابن تومرت وهي تحاول ان تثبت بأن ابن تومرت
يدعى لنفسه انه المهدي المنتظر، وتغفل بانه قد صرح بانه يريد ايجاب الحق للسادات قبل
البيت الاخير، ويمكننا ان نقول بافتراء بعض هذه الأبيات ونسبتها لابن تومرت ولا ادل على
الافتراء من الاختلاف الكبير بين الروايتين للابيات حتى انها اضافت ابياتا وحذفت ابياتا،
ومن يحاول تتبع سيرة ابن تومرت يجد ان اصحابه عندما بايعوه لقبوه بالمهدي ولم يدع
المهدوية لنفسه.

ومنهم من روى ان أول هذه الأبيات :

دعني ففى النفس...^٢

وله شعر ايضا يمدح فيه عبدالمؤمن بن علي ذكرناه سابقا ولكن ما دعانا الى ذكره هنا هو أن
بدايته اختلفت فيها المصادر ايضا حيث ان صاحب «روض القرطاس» يروي اولها:
تجمعت فيك اشياء خصصت بها

بيتان^٣

بينما يروي صاحب «النجوم الزاهرة» ان اولها:

تكاملت فيك اوصاف خصصت بها

بيتان^٤

١- الوافي بالوفيات ج ٣ ص ٣٢٤.

٢- دولة الموحدين ص ٣٦ على محمد الصلابي.

٣- روض القرطاس ص ١٨٤ ابن ابي زرع.

٤- النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٦٣.



وكذلك يرويها ابن خلكان كما رواها صاحب النجوم الزاهرة^١، وحسب ما يقول ابن خلكان أن هذين البيتين لأبي الشيص الخزاعي الشاعر الشيعي المشرقي تمثل بهما ابن تومرت في مدحه لولى عهده عبدالمؤمن بن علي^٢.

ولا بد هنا من التنويه الى جملة من الامور تخص الشعر عند ابن تومرت منها ان شعره يعتبر على شعر العلماء وهو شبيه بالنظم، ثم اننا لا حظنا قلة ما روى عنه من شعر ولا نعرف هل انه هو فعلا كان من المقلّين أو ان شعره ضاع كما ضاع أكثر شعر من اشير لهم بالتشيع من المغاربة، والاهم من هذا هو اننا لم نعر له على شعر يخص مبدأ وعقيدة التشيع، فيما صرح ببعض مبادئ التشيع في مؤلفاته ولا نعرف ايضا هل انه قال شعرا في هذا الباب ثم امتدت له الايدى بالاتلاف أو انه لم يطرح ما يعتقد به بأسلوب الشعر تقية كما يعتقد الشيعة لان اسلوب الشعر افضح، وهو الذي قد احاطت به وبدولته زمر من المناوئين والاعداء، أو انه رأى طريق النثر اجدى فالتجأ نحوه واكتفى به. وأما ما لاحظناه عليه من كثرة الاستشهاد بالشعر فهذا يقوى عندنا وجه النظر القائلة بأنه من المشجعين للادب المتذوقين له. والذي يثير الانتباه في هذا الجانب هو اقتصاره تقريبا بالاستشهاد على اشعار المتنبي ولا نعرف ايضا هل كان معجبا بشخصية المتنبي الشيعية أو شخصيته الطموحة أو شخصيته الشعرية أو شخصيته الحكيمية. واهم ما يذكر لابن تومرت من مؤلفات هو «اعز ما يطلب» ويمكن ان يقال بانه مؤلفه الوحيد، وقد قسمه الى عدة أبواب أو فصول أو كتب، أو رسائل، مثل «توحيد الباري سبحانه» و «رسالة العبادة» و «كتاب الامامة». وقد طبع «اعز ما يطلب» مرتين الاولى سنة ١٩٠٣ في فونتابه بالجزائر ونشره لويسانى، والطبعة الثانية سنة ١٩٨٥ بالجزائر ايضا ونشر من قبل المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، وقد قدّم له وحققه عماد الدين الطالبى وقد كان هذا الكتاب القاموس الاعتقادي لابن تومرت، وقد ناقش أكثر فقرات هذا الكتاب

١- الوفيات ج ٣ ص ٢٣٨.

٢- نفس المصدر.



الدكتور عبدالمجيد النجار خاصة ما ذهب اليه ابن تومرت في الامامة والامام والعصمة^١، ومن بعض ما سجله الدكتور النجار في كتابه «محمد بن تومرت من خلال كتابه اعز ما يطلب» قوله (الا اننا نجده يعلى من مقام الامامة، ويعظم من امرها، بما يجعلنا نرجح ان يعتبر الامامة اصلا من اصول الدين مثل الشيعة)^٢ ومما يدل على ذلك -والقول للدكتور النجار - قوله فيها - يعنى قول ابن تومرت في الامامة - «وهي ركن من اركان الدين، وعمدة من عمد الشريعة»^٣، ويديم الدكتور النجار كلامه قائلاً: وله ايضا «فاعتقادها - اي الامامة - دين، والعمل بها دين، والتزامها دين... ولا يكذب بهذا الأمر الا كل كافر او جاحد، أو منافق، أو زائغ، أو مبتدع، أو مارق، أو فاسق، أو رذل، أو نذل لا يؤمن بالله واليوم الآخر»^٤.

ثم ان الدكتور النجار يواصل ابداء رأيه في ابن تومرت اذ يقول «ويريد المهدي اقتراباً من الشيعة في تصوره للامامة، حينما يعتبر ان هذه الواجبات ازاء الامام اذا ما اقيمت تم بها الامر، وثبت بها العمود، والذي قامت به السماوات والارض هو الامام»^٥.

وكذلك يشير الدكتور النجار الى ايمان محمد بن تومرت بوجوب العصمة للامام فيورد النص الآتي لمحمد بن تومرت «ولا يقوم بحقوق الله الا العدل الرضا المعصوم من الفساد... لا يصح الاتفاق الا باستناد الامور الى ولي الامر، وهو الامام المعصوم من الباطل والظلم»^٦. وبعد هذا العرض نظن اننا وفيينا بالاشارة الى بعض النثر الذي اورده ابن تومرت في مؤلفه «اعز ما يطلب»، وعندها اصبح واضحاً عندنا ما لابن تومرت من مقدرة على الكتابة والتأليف. ولا يفوتنا هنا الاشارة الى أن خليفة ابن تومرت والرجل الاول على دولته ودعوته بعده عبدالمؤمن بن علي كان ادبياً ايضا.

١- انظر: النجار عبدالمجيد، المهدي بن تومرت، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٨٣.

٢- نفس المصدر ص ٢٣٥.

٣- كتاب الامامة ص ٢٤٥ ابن تومرت.

٤- نفس المصدر ص ٢٥٢.

٥- المهدي بن تومرت ص ٢٣٧.

٦- المهدي بن تومرت ص ٢٤٩ وكانت النصوص عند ابن تومرت في كتاب الامامة ص ٢٤٦.



وقد اشارت جملة من المصادر التي تعرضت لسيرته الى الجانب الأدبي في شخصيته والى انه كان يصغى الى الشعر ويثيب عليه، وقد ضمّ البلاط الموحيدي في أيامه مجموعة من الشعراء والكتّاب ومنهم أبو العباس بن عبدالسلام الجراوى، وعبدالله بن عياش، وابن حبوس وابنا عطية أبو جعفر، وأبو عقيل وغيرهم، وكانت له اراء نقدية في بعض الاحيان من بعضهم، كما كان ذلك الموقف منه مع اللص الشاعر عندما انشده مادحا ومستقبلا:

غمّض عن الشمس واستقصر مدى زحل وانظر الى الجبل الراسى على الجبل
فقال له عبدالمؤمن: اشقلنا يا رجل وطلب منه الكفّ عند الانشاد حيث انه استهجن «غمّض» لأنه يحب التفاؤل.^١

ومن الشعراء الوافدين على عبدالمؤمن بعد عبوره الى الأندلس القرشي الطليق المرواني الذي انشده قصيدة ذكر منها ابن صاحب الصلاة ٥٨ بيتا وكان مطلعها:

ما للعدى جنة اوقى من الهرب كيف المفر وخيل الله في الطلب^٢

وأبو عبيدالله محمد بن صاحب الصلاة الباجى الذي جاء منها ٤٤ بيتا ومطلعها:

تلاؤلاً من نور الخلافة بارق اضاءت به الآفاق والليل غاسق^٣

وأبو بكر بن المنخل بقصيدة ذكر منها ابن صاحب الصلاة ٥٠ بيتا كان مطلعها:

فتحتم بلاد الشرق فاعتمدوا الغربا فان نسيم النصر بالفتح قد هباً^٤

وقد نسب المؤرخون لعبدالمؤمن بن علي شعرا منه قوله جوابا على الكتاب الذي وصل

من أبي محمد عبدالله الجياني اثناء فتح مراکش وادرج فيه شعرا فاجابه عبدالمؤمن:

هو الفتح لا يجلو غرائب الشرح اصاب بنى التجسيم من بأسه القرع

١- المن بالامامة ص ٩٩.

٢- نفس المصدر ص ١٠٢، البيان المغرب ج ٣ ص ٤٥.

٣- نفس المصدر ص ١٠٥، البيان المغرب ج ٣ ص ٤٦.

٤- نفس المصدر ص ٩٥، البيان المغرب ج ٣ ص ٤٥.



انتنا به البشرى على حين غفلة بمهلك قوم كان وعدهم الصبح^١
وتنبين من هذين البيتين شاعرية فذة، بالفاظ معبرة، ومعانٍ دقيقة، واستفادة من القرآن
لطيفة. وهجاء للعدو بما يشين ويبين معتقدات الهاجى بحفة وملاحة.

ومن ادل ما يكون على تشجيع الأدب والادباء من قبل عبدالمؤمن تلك الكلمة التي قالها
لأبي العباس بن أحمد الجراوى مفتخرًا به في الاحتفال الذي اقيم بتحصين جبل الفتح «جبل
طارق» وهي «يا أبا العباس انا نباهي بك أهل الأندلس» وهذا ما يذكرنا بمقولة المعز
الفاطمي لابن هانئ الأندلسي «كنا نريد ان نباهي به شعراء المشرق»^٢، وكانت قد «قصده
الشعراء وامتدحته باحسن المدائح»^٣ وقد ذكر العماد في كتاب الخريدة ان الفقيه أبا
عبدالله محمد بن أبي العباس التيفاشي لما انشده:

ما هزّ عطفه بين البيض والاسل مثل الخليفة عبدالمؤمن بن علي
أشار عليه بأن يقتصر على هذا البيت، وامر له بألف دينار.^٤

ومما دعانا الى بسط القول عن عبدالمؤمن بن علي وخاصة بما يحض الجانب الادبي
في شخصيته وحبّه للادب وتشجيعه اياه، هو ما لمسناه فيه من حس شيعي خاصة، وانه
التلميذ الاول في مدرسة ابن تومرت، وانه المنتخب من قبل ابن تومرت لوراثته على دعوته
ودولته، ومن المحتم بأن ابن تومرت لا يولى هذا الامر من بعده، الا من كان يؤمن بتوجهاته
ايمانًا مطلقًا. وقد وضحت التوجهات الشيعية عند عبدالمؤمن وحتى كان يلمسها عنده حتى
معاصريه من الشعراء، ولو كانوا لم يروا ذلك منه لما قال أبو العباس الجراوى:

لو أنها نصرت عليا لم ترد خيل ابن حرب ساحة الانبار

١- البيان المغرب ح ٣ ص ٢٢.

٢- العلاقات ص ٣٨١ د. ابتسام مرعي خلف الله.

٣- وفيات الأعيان ٣ ص ٢٣٨.

٤- نفس المصدر ص ٢٣٩.

هم أظهروه مع النبي وواجب أن يتبعوا الاظهار بالاظهار^١
واصفا جيوش عبدالمؤمن، ومادحا اياه، حين استتب له الامر بالاندلس، والرائحة
الشيعية من هذا الشعر طافحة لا يكتمها غطاء.

وعبدالمؤمن بن علي بالاضافة الى كونه شاعر محب للشعراء، فقد انتخب لنفسه احسن
الكتاب في زمانه وأولهم ميمون الهوارى أبو محمد عبدالله بن حيل ثم أبو جعفر بن عطية،
وعبدالسلام الكوفي أبو حفص وابنه، وأبو يعلى ادريس^٢.

ومن الشعراء الذين حفوا ببلاط يوسف بن عبدالمؤمن ابن حزمون الذي مدحه بقصيدة
مطلعها:

يسعدك اضحى الدين جذلان باسماء وباسمك امسى الشرك للشرك داهما^٣
وقد ظل الشاعر والاديب أبو العباس بن أحمد بن عبدالسلام الجراوى وفيا ليوسف كما
كان وفيا لابييه عبدالمؤمن من قبل ويعتبر ايضا من عداد شعرائه وقد حظى بمدائحه ومنها
قصيدته التي مطلعها:

نظر بكل سعادة مقرون نالت به الدنيا المنى والدين^٤
ويذكر ابن خلكان ان ممن صحبه من العلماء أبا بكر محمد بن الطفيل^٥ الفليسوف المعروف،
والذي قد ذكر له شعر ايضا^٦.

وكان أبو يعقوب الموحدي قد جمع من حوله العلماء من كل فن ومن جميع الاقطار، ومن
جملتهم الفليسوف أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد^٧.
وقد ذكر ابن خلكان ان أبايعقوب كان قبل موته بأشهر ينشد هذا البيت ويردده

١- البيان المغرب ج ٣ ص ٤٦.

٢- نفس المصدر ص ٥٦.

٣- نفس المصدر ج ٣ ص ٨٢.

٤- نفس المصدر ص ٨١.

٥- وفيات الأعيان م ٦ ص ١٣٤.

٦- البيان المغرب ج ٣ ص ٨٨ يذكر ابن عذارى من قصيدة لابن الطفيل تسعة وعشرين بيتا.

٧- وفيات الأعيان م ٦ ص ١٣٥.

في اوقات كثيرة:

طوى الجديدان ما قد كنت انشره وانكرتنى ذوات الاعين الثَّجَلِ^١
ومن خلفاء الموحدين الذين قيل بأنهم ادباء ويشجعون الأدب المنصور أبو يوسف
يعقوب بن أبي يعقوب بن أبي محمد عبدالمؤمن بن علي^٢، ويذكر ابن خلكان ان «له نظم ونثر»^٣
ولكن لم يصلنا ايضاً من نثره ونظمه شأنه في ذلك شأن ابيه يوسف بن عبدالمؤمن. ويذكر ابن
خلكان ايضاً انه من الامراء الموحدين المتشددين في الالتزام الديني، وكان قد دعا الى عدم
الاعتماد على الفقهاء والقدامى وطالب بفتح باب الاجتهاد، واستنباط الاحكام الشرعية من
الكتاب والحديث والاجماع والقياس.^٤

ويقول ابن خلكان «ولقد ادرکنا جماعة من مشايخ المغرب وهم على ذلك الطريق، مثل
أبي الخطاب ابن دحية، واخيه أبي عمر، ومحيى الدين ابن عربي نزيل دمشق وغيرهم».^٥
وقد احاط بالمنصور الموحدي جملة من الشعراء منهم ابن مجبر وأبو العباس الجراوى وأبو
اسحاق ابراهيم بن يعقوب الاسود.^٦

واما فيما يخص الحفصيين ومن كان من امرائهم أدبياً، فيذكر لنا المؤرخون انهم ومنذ ايامهم
الاولى كانت لهم علاقة بالادب، وشوق اليه، لا بل لا أكثر من هذا ان امراءهم كان بعضهم
ينظم شعراً^٧ ويبدو ان الذي خلق فيهم الحب للشعر ودعاهم الى نظم ما كانت لهم من
علاقات بالبيئة الاندلسية والتي كان الشعر في أيام تواجدهم فيها رائجا، خاصة وان الكثير
من الادباء الأندلسيين التحقوا بالبلاط الحفصي. ومما يذكر عن اهمية الأدب في تاريخ
الحفصيين ان شقيق أبي زكريا، وسلفه على العرش الحفصي قد تقلد ولاية افريقية بسبب بيت

١- نفس المصدر ص ١٣٦.

٢- نفس المصدر ص ٣- ١٩.

٣- نفس المصدر.

٤- انظر نفس المصدر ص ١١.

٥- نفس المصدر.

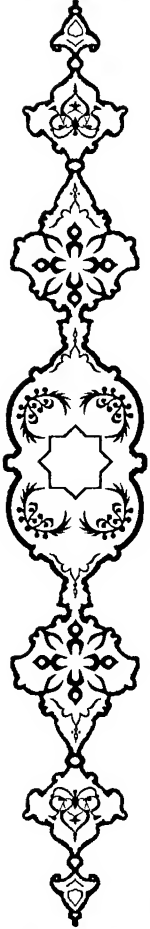
٦- نفس المصدر.

٧- تاريخ افريقية في العهد الحفصي ج ٢ ص ٤٢٣.



من الشعر انشده لخليفة مراكش العادل بن منصور.
وكان أبو زكريا الحفصي من الشعراء النبلاء وله شعر مدوّن، كما كان لابن عمه أبي علي بن
أبي موسى وإلى بجاية وعنابة والمهدية ديوان شعر أيضا.^١

الباب الرابع



أنواع وخصائص الأدب الشيعي

الشمال افريقي

الفصل الأول

الشعر وأغراضه

- الشعر الشيعي في الشمال الإفريقي تناول كل الأغراض الشعرية
- الشعر الشيعي في الشمال الإفريقي
- أغراض الشعر الشيعي في الشمال الإفريقي
- المهدي المنتظر
- الإمامة والوصاية والعصمة
- الشعر السياسي والنقائض
- الغدير
- الحسين عليه السلام و كربلاء
- الرثاء
- المدح والهجاء
- أغراض أخرى

الشعر الشيعي فى الشمال الإفريقي تناول كل الأغراض الشعرية

من يمعن النظر ويتحرى بدقة الأدب العربى وتاريخه منذ صدر الاسلام وحتى ايامنا المعاصرة يجدهما زاخرين باسماء الشيعة الذين أثروا الأدب العربى بعباءاتهم الثرة، ونتاجاتهم الغزيرة، بل انه يمكن القول بأن ذروة النتاجات الادبية العربية ينسب اكثرها لشخصيات شيعية، وذلك لان أكبر ادباء العرب، وانهم كانوا شيعة، ونحن هنا لسنا بصدد استحصاء الانواع الادبية المتينة والمتقدمة في سلسلة الانتاج الأدبي العربى التى جاءت بها القرائح من قبل رجال الشيعة، وكذلك لسنا بصدد ذكر واستحصاء الاسماء الرائدة واللامعة والمتميزة في ميدان الأدب العربى والتي يقال بتشييعها، وانما هذا كله من اختصاص المصادر المعنية بذلك، وبقية المصادر التى اوردت شيئاً من ذلك عرضاً لا تخصصاً، ومن اراد التحقق مما ذهبنا اليه نذكر له بعض المصادر التى يمكن مراجعتها ليزداد وضوحاً ومعرفة بذلك.^١

وبعد هذا نعرف صدق وأحقية من قال «وهل ترى من اديب غير شيعى»^٢ وحتى نعرف

١- استزادة للمعلومات انظر: نسمة السحر في من تشيع وشعر، مشاهير شعراء الشيعة، أخبار شعراء الشيعة، أدب الطف، أعيان الشيعة، الفدير في الكتاب والسنة والادب، تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام وغيرها.

٢- انظر: الشيعة اصلها واصولها حيث تجد هذا القول وشيئاً مفصلاً ذكره المؤلف عندما تكلم عن شعراء العرب الكبار الذين كانوا من الشيعة.

ونتأكد من صحة قول محمد حسين كاشف الغطاء «وإذا أرادوا أن يبالغوا في رقة شعر الرجل، وحسنه قالوا: يترفض في شعره»^١.

والشيء الذي يجب أن يشار إليه في هذا الباب أن الأدب الشيعي لم يتخلف عن إنتاج الأنواع الأدبية التي تميزت بها العصور العربية الأدبية وعلى مرّ التاريخ، وبنفس التفوق وأخذ مركز الصدارة الذي ذكرناه فيما مضى، وأن هذا التفوق والمشاركة بالأنواع الأدبية التي يعجّ بها أي عصر من العصور لم يقتصر على بقعة جغرافية دون أخرى من البقاع التي وصلها العرب وانتجوا بها أدبا عربيا، ومن بين أقسامه الأدب الشيعي الذي نحن بصدد.

ونحن مع اعترافنا بأننا لم نتمكن من استحصاء جميع الأدب الشيعي الذي كان انتجه المتشيعون في الشمال الإفريقي سواء لسعته وكثرته، وسواء لضياح أو تضییع أكثره من قبل المؤلفين والمؤرخين، أو لما بذل من جهود غير حميدة في التعقيم على أكثر الشخصيات التي تشم منها رائحة التشيع في تشيعها، وهذا ما خلط علينا الحابل بالنابل، ومراعاة منا للدقة في النقل، والامانة العلمية تحنبنا ادخال الكثير من الادباء من الشمال الإفريقي تحت مظلة الأدب الشيعي، مع أنهم كانوا في بلاطات الشيعة، أو أنهم أثروهم بأشعارهم، أو صنفوا لهم المؤلفات، فيما يلاحظ على أكثر المصادر وعندما تعرض لترجمة اديب غير شيعي فإنها أول ما تفصح عن انتسابه الفرقي أو المذهبي، ولكن مع كل هذا أو ذاك تمكنا -وبعد جهد جهيد من أن نستحصى عددا كبيرا من الادباء والعلماء الذين قيل بتشيعهم شعراء وكتّابا، وعلماء، وقضاة، نحويين ولغويين، وفقهاء، زهادا وعبّادا، نقادا ومؤلفين، خطباء ومتكلمين فلاسفة وقادة. وقد ورد ذكر بعضهم في الفصول السابقة وفي محله، وسنعرض لذكر البعض الآخر حسب ما يسمح به البحث، وتقتضيه حاجة هذه الدراسة.

والذي نود الإشارة إليه بعد ذلك، هو أننا حاولنا دراسة وبحث أدب التشيع في الشمال الإفريقي وعيننا أيضا بكل ما انتجه المتشيعون من ادب، ولم نحصر البحث في الأدب العقائدى والسياسى للشيعة هناك، بل أننا درسنا وذكرنا كل ما صدر من أدب عن الشيعة فثلا على



نطاق الشعر لم تغفل عن ذكر الاغراض التي قال فيها المتشيعون شعرا، ولو على سبيل الاجمال كالغزل والوصف والاخوانيات والفخر والهجاء وغير ذلك، وكذلك عملنا في مجال النثر حيث اتنا حاولنا جاهدين ان نبذل الجهد الأكبر على النثر السياسي العقائدي، الا اننا لم نهمل ايضا ما خلده الشيعة هناك من نثر، وفي كل اصناف العلوم والفنون.

الشعر الشيعي في الشمال الإفريقي

لم يكن العرب أهل حضارة تذكر قبل الاسلام كما كان لاكثر الامم من حضارات شاخصة، بالرغم من معرفتهم بفن تشكيل الدولة حيث تشكيل سبأ في اليمن، والنبطية في الاردن، وتدمر في الشام، وبالرغم ايضا من اشتهارهم ببعض القيم الخلقية، وجملة من الاعتقادات التي كانت تسير عليها نظم حياتهم آنذاك.

لا يقل الشعر الشيعي في الشمال الإفريقي منزلة عن شقيقه في المشرق والاندلس لا من حيث عدد شعرائه وكثرتهم، ولا من حيث كون انبه الشعراء واعظمهم في بيئته هم الذين رفعوا لواءه، واعلوا يافطته، وكذلك لم يتخلف عنها في منافحته الشديدة عن العقيدة والمبادئ الشيعية، وتتبعه لكل ما يهتم به الشيعة من مواسم ومناسبات وتخليدها بقصائد رائعة كادت تفوق ما جاء على السنة الشعراء الشيعة المشاركة والاندلسيين، ومن ذلك في عاشوراء والحسين، وظلم أهل البيت وتقتيلهم، والغدير، والحق العلوي في الخلافة وغيرها. كما وان الشعراء الشيعة في الشمال الإفريقي قد جاوروا اصدقاءهم في العقيدة من المشاركة والاندلسيين في الابداع الشعري غير العقيدي والسياسي، وذلك في بقية الاغراض الشعرية التي قال فيها العرب شعرا فجاء شعرهم يروي الغليل، وينجز العدة، وكذلك فان الشعر الشيعي في الشمال الإفريقي قد شارك شقيقه في استخدام معجم الالفاظ الشيعية، وأكثر منها بين ثناياه ومن هذه الالفاظ (الامام، امام الهدى، الغدير، حجة الله، ابن النبي، السبط، ابناء فاطمة..... وغيرها) وهذه الالفاظ يكاد يقتصر الشعر الشيعي على ذكرها من بين اشعار الفئات الاسلامية الاخرى.



ولم يكن الشعر الشيعي متميزا فقط في استخدامه لبعض الالفاظ التي حاول ان يجعلها حكرًا له، بل وانما تميز ايضا بأنه أجاد اسلوب المحاجبة وتقديم الأدلة على ما يذهب اليه الشيعة ويدعونه في عقائدهم مثل الخلافة والامامة، وان اشعار بعض الفئات الاسلامية حاولت استخدام هذا المنهج الشعري، ولكن أشعارها جاءت باهتة في هذا الباب، لا تصمد امام النقض وتقديم الدليل من الخصوم على ما اعطته من ادلة، بينما ابداع الشعر الشيعي في حبك الدليل وبالاسلوب الشعري الذي لا يقوى على فكّه أقوى الخصوم وهذه الميزة ايضا حفل بها الشعر الشيعي في الشمال الإفريقي، وكان قد استنها الشعراء الشيعة المشاركة امثال الكيث بن زيد الاسدي في هاشمياته والسيد الحميرى، ودعبل بن علي الخزاعى، والصاحب بن عباد وغيرهم، ومن شعراء الشمال الإفريقي الشيعة برز في هذا النوع من الشعر ابن هانيء الاندلسي وتميم بن المعز لدين الله الفاطمي وخليل بن اسحق وأبو العباس الجراوي وبكر بن حماد وغيرهم.

أغراض الشعر الشيعي فى الشمال الإفريقي

لم يغادر الشعراء الشيعة في الشمال الإفريقي غرضا من الاغراض الشيعية التي قال فيها العرب شعرا، بل انهم قالوا في جميع الاغراض شعرا، فابدعوا، وسنحاول ايراد اهم الاغراض الشعرية التي كان لشعراء التشيع صولة وجولة فيها، ولا نجبد الاقتصار على الاشعار التي تناول فيها شعراء الشيعة في المغرب العربي العقيدة والمبادي الشيعية فقط، وما بذلوا من جهد في الدفاع عنها، وتوضيحها، وترسيخها بين المغاربة، وذلك اعتقادا منا ان كل الأغراض الاخرى حتى غير العقيدية والسياسية تنطوي تحت قائمة الشعر الذي ينسب للشيعة، أو بتعبير آخر ان القرائح والمواهب الشيعية هي التي انتجت، مع ايماننا ان الذهن ينصرف الى أن الشعر السياسي والعقدي منه عندما يذكر مصطلح الشعر الشيعي، ومع ايماننا ايضا بأن الشعر العقدي والسياسي هو العمود الفقري للشعر الشيعي الآن لا نرى مبررا لعدم ذكر جميع الاغراض التي قال فيها المتشيعون شعرا مع كونه انتج من قبل الشخصيات الشيعية، نعم



قد يكون من الواجب التركيز على الشعر الذي يخص عقيدة الشيعة ومبادئهم، وذلك باعتباره الأهم وهو في أغراضه يحتل المقدمة والصدارة من بين الشعر الشيعي.
وأما أهم أغراض الشعر الشيعي في الشمال الإفريقي فهي:

المهدي المنتظر

أظهرت أكثر الفرق والمذاهب الإسلامية اعتقادها، بالمهدي الموعود من آل محمد ﷺ وأنه يخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، وقد نقل كبار المؤلفين في مؤلفاتهم الأحاديث التي تخص العقيدة بالمهدي وظهوره حتى أوصلها بعضهم إلى خمسين حديثاً^١ وانفرد البخاري ومسلم في عدم رواية شيء من هذه الأحاديث مما جعل أهل السنة ينقسمون بين مؤيد ومكذب للعقيدة بالمهدي.^٢ وقد تعلق الشيعة بالاعتقاد بالمهدي من آل محمد ﷺ تعلقاً شديداً من بين الفرق الإسلامية، حتى أنه أصبحت هذه العقيدة مقترنة بهم، وعندما تذكر لا يتبادر إلى الذهن إلا التشيع من الفرق الإسلامية الأخرى، ولا نرى ذلك إلا لأنهم اتخذوا الولاء لآل بيت النبي ﷺ مذهباً لهم ومنذ أيام نشوئهم الأولى، فعندها اندكوا اندكاً شديداً في كل معتقد إسلامي يخص العترة الطاهرة ويفرضه الإسلام عليهم.

ولم يغفل شعراء الشيعة عن أداء دورهم بما يخص الاعتقاد بالامام المهدي فأوردوا المطولات من قصائدهم فيه يندبونه ويحثونه على الخروج، ويؤكدون خروجه، ويشيرون إلى حتمية ذلك الخروج، ويدفعون الشبهة عن هذا الاعتقاد بإيراد بعض مضامين الأحاديث التي تخص هذا المعتقد، ويقومون بتعداد بعض العلامات والمقدمات لظهوره والتي ذكرتها الأحاديث، ويكاد يكون أكثر الشعر الشيعي غير المختص بقضية المهدي يذكر هذه القضية ويذكر بها في البيت أو البيتين في القصيدة، ولم يتخلف شعراء التشيع في الشمال الإفريقي عن

١- انظر هذه الأحاديث في «المهدي المنتظر» أبو الفضل عبدالله بن محمد بن الصديق النميري، ط، ١٩٧٨، العبر ج ١ ص ٢٧٩ وما بعدها.

٢- مهدي بن تومرت ص ٧ د. عبد المجيد النجار.



الركب الشعري الشيعي بما يخص قضية الاعتقاد بالامام المهدي الموعود المنتظر، وتكاد تكون العقيدة بالامام المهدي هي الاقوى في العقائد الشيعية في شمال افريقيا كما أشرنا الى ذلك فاهم مدنها اسموها المهديّة خاصة منها عاصمة الفاطميين وعاصمة الموحدين، وأول خليفتين للدولة الفاطمية والدولة الموحدية تقلبا بالمهدي. ونحن قد لا نوافق من جعلوا شخصية المهدي الموعود الواردة في الاحاديث الشريفة والتي يعتقد بها الشيعة متمثلة بالمهدي الفاطمي أو المهدي الموحدي، وانما نريد أن نؤكد رسوخ و شيوع فكرة المهدي في الشمال الإفريقي، وخاصة بين الشيعة هناك وان ادبهم قد جعل حيزا كبيرا منه لهذا الاعتقاد، وليس في الشعر وحده، بل نجد ذلك في نثرهم ايضا فهذا ابن القطان يفرّد بابا خاصا في «نظم الجمان» للكلام عن المهدي المنتظر الموعود^١، وهذا ابن تومرت في «أعز ما يطلب» وكذلك محي الدين ابن العربي، والذي يسهب في الكلام عن المهدي^٢، وغيرهم.

وقد اهتم أكثر المؤلفين عن تاريخ الشعر الشيعي المغربي بالاشعار التي قيلت فيما اسموه بـ «التنبؤ بالمهدي» واوردوا الكثير من هذه الاشعار في مؤلفاتهم، ولكن الدكتور محمد طه الحاجري يتهم في كل ثنية من تنايا كتابه الذي أورد فيه هذه الاشعار على هذه الاشعار وقائلها ويكيل لهم التهم التي يسندها بلا دليل^٣.

وأول الشعر الشيعي المغربي ما يخص ذكر المهدي تلك القصيدة التي نسبت الى شاعر لقبه المؤرخون بالايادي، وكان ممن يعنى بعلم الحدثان، وكان شيخا شاعرا يقيم في احدى قرى تونس، فاستقدمه اليه ابراهيم بن احمد احد ملوك بنى الاغلب، صاحب افريقية، وما زال يلح عليه في أن يخبره بما يعلم عن المستقبل والحدثان، بما عنده في امر دولتهم، فانشدته قصيدة التي جاء فيها:

أقول، وأسلمت القريض لأهله وعشت زمانا، وهو خير مكاعب

١- نظم الجمان ص ١٠٨ وما بعدها.

٢- انظر: الغراب محمود محمود (الشيخ الاكبر محي الدين ابن العربي، ترجمته وحياته من كلامه)، مطبعة الكتاب العربي، دمشق.

٣- مرحلة التشيع ص ٤٢.



أن بعد تسعين السنين أعدّها وأربعة من بعد ذاك رواتب

.....

ألا يا أمين الله وابن أمينه وعاشر سادات الملوك الاغالب
وجدت كتابا قد تقادم عهده رواية اشياخ كرام المناسب
رواية وهب عن سطيح ودنيل مشايخ علم صادق غير كاذب

.....

ولاة بنى العباس عشرون واليا تدين لهم بالرغم أرض المغارب
وفي السن والتسعين تهبط راية من الغرب في جمع كثير المواهب
يمزق أرض البربرية جمعهم بخيل كأمثال القطا المتسارب
ويظهر من ابناء فاطمة امرؤ تقى، تقى العرض، جم المواهب
سمى بنى الله، وابن وصيه واكرم مولود، واشرف طالب
فيملأ أرض الله عدلاً ورحمة بأيام صدق طيبات المكاسب
وبالاعور الدجال ينهدّ جمعه سوى عصابة في باذخ الطود راتب
ويقتله من بعد ذاك ابن مريم بقدرة رب ماله من مغالب
ومن بعد موت ابن مريم مفضيا الى الله في حكم من الله واجباً

وقبل أن نقول شيئاً بخصوص هذه القصيدة نود الإشارة الى أن هذا الشاعر ليس المقصود به محمد الاسلامي الايادي التونسي وذلك لان هذا الرجل كان شيخا كبيرا على عهد الاغالبه ومحمد الاسلامي الايادي كان من شعراء المعز وقد توفي بمصر سنة ٣٦٢هـ^٢، وأما عن هذه القصيدة فنستشعر منها أولا انتشار الافكار والمعتقدات الشيعية في المغرب العربي خاصة

١- ذكرت هذه الابيات في «تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب» ص ٥٣ - ٥٤ الداعي ادريس، افتتاح الدعوة ص ٦٨، وقد ذكرها محمد طه الحاجري في مرحلة التشيع ص ٢٥ - ٢٦ م البيت «الا يا امين الله وابن امينه.....» وكذلك عاذلة على الحمد في قيام الدولة الفاطمية ببلاد المغرب ص ٨٦.

٢- الادب بافريقية في العهد الفاطمي ص ٥٢، راجع الاحاديث الخاصة بالمهدى والعلامات الدالة على ظهوره وما يحدث في ايامه وخاصة ما ينقله الشيعة ويشترك معهم في بعضها اهل السنة في «النجم الثاقب في احوال الامام الحجة الغائب» الشيخ حسين الطبرسي النوري - تقديم وتعليق - السيد ياسين الموسوي - مجلدان طبع قم - مطبعة مهر ١٤١٥ - ١٩٩٦.



بما يخص المهدي الموعود ومقاتلة الدجال، ونزول عيسى بن مريم لاسناد المهدي، وكيف أن المهدي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

وقد أول المعتقدون بالحكم الفاطمي هذه القصيدة للتنبؤ بالخلافة الفاطمية في مصر كما فعل الداعي ادريس في «تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب».

ولا نستشعر منها تشيع شاعرها لانه ينعت الامير الاغلبى بأمين الله وابن امينه، ولكن الذي يلاحظ هو تأثر هذا الشاعر بمعجم الالفاظ الشيعية في شعرهم وفكرهم حيث قوله «وابن وصيه»، ولا ندرى إن كان هذا البيت من المدخولات على القصيدة وان شاعرها كان شيعياً.

ومن شعر العقيدة بالمهدي ما نقل للشاعر ابن عقبة أو ابن عقبة^١:

قد قلت لما طار عني الكرى	حتى متى يا ليل لا تصبح؟
عذبني الوجد وفقد الكرى	كلاهما اقسم لا يبرح
وكيف لا يحزن من لا يرى	بأنه يبلغ يا مسطح
دهرا يرى فيه امام الهدى	بالله للمغرب يستفتح
ويبتنى البيضاء في لجة	خضراء فيها نونها يسبح
ينجو من الأهوال سكانها	والارض منها كلها تفتح

١- يقول المحقق محمد اليعلاوي في هامش ص ٥٤ من «تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب» لا نعرف ابن عقبة الشاعر، وافترض الدشوارى «محقق» الافتتاح ص ٦٧ انه «يحيى بن عبدالله بن عقب الليثي» المذكور في البيان والتبيين ٢٢٨ / ٢، الا أن هذا الشاعر جعله الجاحظ من التوكل وكذلك ذكر ابن خلدون في المقدمة ٣٨١، صاحب ملاحم ساه «ابن عقب، وليس في كلامه ما يرجح انه شاعرنا هذا» ونحن نرجح أنه هو من ذكره ابن خلدون لان هذا الموضوع الذي نورد الشعر عليه يعتبره بعضهم من باب الملاحم، ويوردون اسماء الشعراء الذين يقولون فيه شعراً في هذا الباب. وان اليعلاوي عندما أورد ذكر هذا الشاعر اعتبره من شعراء المهدي الفاطمي في افريقية، بينما الجاحظ لم يذكر شاعره ابن عقب من شعراء المغرب، وهذا ما يرجح قول ابن خلدون، وصح ان اليعلاوي قد أورد من هم ليسوا مغاربة في هذا الباب ومنهم الفهري الذي يحتمل أنه ابراهيم بن هرمة ماحد الطالبين في المدينة المتوفى سنة ١٧٦ هـ، ولو أن الابيات التي أوردتها اليعلاوي لا توجد في ديوانه، وهي:

ألا يا شيعه الحق	ذوي الايمان والبر
اتنكم نصرة الله	على التحوف والزجر
فلا تدعوا الى الداعي	سين اهل التكت والغدر
فلو قد فقد العاشر	أو زيد على العشر

لو مدّ عمري الى وقته لكنك في القرن الذي يفلح
 هيهات! ماذا العمر مما ارى فيما ارى الموت ولا يسمح^١
 وهذا الشعر لهذا الشاعر الشيعي يفصح عن الاعتقاد بالمهدي، والتنبؤ بظهوره، ولكننا لا
 نرى فيه حسا شعريا، بل اننا نراه نظما أكثر من كونه شعرا اذ أنه خالٍ من الخيال الشعري.
 ولا بن عقبة ايضا في معنى التنبؤ بظهور المهدي قوله :

استمتع الحق ودع عنك اللعب وهاك قولاً صادقاً غير كذب
 اذا رأى الكوكب تطويل الذنب فذاك حدث ظاهر قد اقترب
 في الست والتسعين يأتيك العجب بعد كمال المائتين في رجب
 من جيجل ينقضّ جيش ذو لجب امضى من الجمر اذا الجمر التهب
 من بربر يسعون كل حذب ركبا ورجلا ما يملّون التعب
 قد مللوا المشرق خوفا ورهب وانزلوا بالغرب ذلاً ونصب
 تسعون الفاً بين رأس وذنب سيماهم الحقد واظهار الغضب
 وفيهم خلط قريش وعرب بكل سيف قاطع اذا ضرب

يغرزها الراكب في عود الركب يقودهم كهل عليم بالكتب
 يأوى الى الحزم اذا الخطب اضطرب ويأخذ الامر البعيد عن كشب
 تنقلب الدولة فيما تنقلب مهدية في نص اسفار الكتب
 عن دانيال وسطيح في العرب^٢

وهذه القصيدة وان جعلها من نقلها في التنبؤ بالمهدي الفاطمي، الا أننا نعتبرها من باب
 الايمان بمطلق فكرة المهدي عند الشيعة، وحتى ولو سلمنا مع من يعتبرها في صيرورة الامر الى
 المهدي الفاطمي باقامة الدولة الفاطمية الشيعية في المغرب، فهذا الشعر وهو شعر التنبؤ

١- الادب بافريقية في العهد الفاطمي، ص ٢٠، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ص ٥٤، افتتاح الدعوة ص ٦٧.

٢- افتتاح الدعوة ص ٦٨، الادب بافريقيا ص ١٨ - ١٩.



بانتصار التشيع واقامة الدولة بما انفرد به شعراء الشيعة في الشمال الإفريقي دون غيرهم من شعراء الشيعة في بقية الممالك الاسلامية التي كان يقطنها الشيعة.

ومن الشعر الذي وصلنا عن الشعراء الشيعة في الشمال الإفريقي وهم يتوقعون انتصار التشيع وظهور منقذ لهم، واقامته الدولة وهذا المنقذ هو المهدي الموعود، ما قاله محمد بن رمضان حيث يقول:^١

جلّ المصاب لئن كان الذين ذكروا	مما اتتنا به الانباء والخبر
عن الف دارع كالآساد قد قتلوا	بساعة في سواد الليل اذ غدروا
لو كان من بيّت الاساد ايقظهم	حلّت به منهم الاحداث والغير
قل لابن احمد ابراهيم مألكة	عن الخير بما يأتى وما يذر
عن المشرّد في حبّ الائمة من	آل النبي وخير الناس ان ذكروا
اعلم بان شرار الناس أطولهم	يدا بمكروه غدر ان هم قدروا
لا سيما الجار والضيف القريب ومن	اعطوه ذمتهم من قبل ما خفروا
فما اعتذارك من عار ومنقصة	أتيتها عامدا ان قمت تعتذرا؟
جرّعت ضيفك كأساً انت شاربها	عما قليل وامر الله ينتظر
فدولة القائم المهدي قد أزفت	أيامها في الذي أنبى به الأثر
عن النبي وفيها قطع دولتكم	يا آل أغلب فارجو ذاك وانتظروا
وقطع امر بنى العباس بعدكم	وقطع امر بنى مروان اذ بطروا ^٢

ويظهر من هذه القصيدة القوة الشعرية لدى محمد بن رمضان، وانه على فارق كبير مع نظرائه في العقيدة الشاعرين الآتفين حيث أنه مع كونه يذكر نفس الغرض الذي عرض له صاحبه الآن

١- يذكر القاضي النعمان في «افتتاح الدعوة» أن محمد بن رمضان من قرية نقطة بالجريد التونسي، وكانت نقطة تعرف بـ «الكوفة الصغيرة» أما لتشيعها، أو لرواج العلم فيها - طلب الاغالبه هذا الشاعر فالتجأ الى بنى مالك في تلزمة هاربا من بطشهم، فصنع ابراهيم بن احمد الاغلبى وليمة ودعا لها بنى مالك فغدرهم وقتلهم جميعا، وقد ذكر خبر هذه المقتلة ابن عذاري في ج ٣ ص ٢٨٠ من «البيان المغرب» وبعد انتصار الفاطميين وتأسيسهم لدولتهم عدّ محمد بن رمضان من شعراء هذه الدولة ومن رجالها، حيث عيّنه عبيد الله الفاطمي قاضيا في مليلية.

٢- افتتاح الدعوة ص ٧٢، الأدب بافريقية ص ٢٣، تاريخ الخلفاء الفاطميين ص ٥٥.

الخيال الشعري طافح في أبياته، وانه ايضا قد اسند هذا المعتقد بقضية المهدي الى الاحاديث الواردة عن النبي ﷺ، وقد حمل المؤمنون بالدولة الفاطمية قول ابن رمضان على التنبؤ بهذه الدولة، ومهما يكن فان هذه الاشعار بخصوص المهدي، وانها ايضا تحمل النبوة بالانتصار الشيعي، وهذا كذلك مما انفرد به شعراء شمال افريقيا من الشيعة كما أسلفنا ذلك قبل هذا. ويذكر القاضي النعمان ان ابراهيم بن احمد جهد أن يستدرج محمد بن رمضان بما ذكر له من الوفاء لمن اجاروه، محاولا بذلك استغفاله والقاء القبض عليه الا انه لم ينخدع، ويقول النعمان ايضا (كان محمد بن رمضان يذكر المهدي كثيرا في الشعر).^١

ولمحمد بن رمضان ايضا في المهدي يبدأ بالنسب:

سلا ظبية القناص اين اختلالها؟ فقدھا جنی تقتيرھا وامتدالھا
لعل التي عنها تفرّق اهلها فبادت مغانيها وطال اختيالها

فعد عن الدار التي بان اهلها وعن كيف من بعد البلى صار حالها

فهذا أوان الحق قد حان حينه ودولة أهل البغي آن زوالها
كأنى بشمس الارض قد طلعت لنا من الغرب مقرونا اليها هلالها
فيملأ أرض الله قسطا بعدله بما ضم منها، سهلها وجبالها
وآمن فيها ما أخاف واتقى واطفر بالزلزلى به وانالها^٢
وهذه القصيدة تظهر لنا التقليد المغربي المشاركة بأجلى صورته خاصة الجاهليين منهم، وذلك بما يظهر من الابتداء بالنسب، والوقوف على الاطلاع مع ان الغرض ليس نسيباً، ولا بكاء على ديار دارسة وانما هو مجرد اتباع سنة شعرية للقدامى.

والملاحظ على هذا الغرض الشعري عند شعراء التشيع في الشمال الإفريقي هو مجاراتهم فيه

١- افتتاح الدعوة ص ٩٢.

٢- تاريخ الخلفاء الفاطميين ص ٥٦، رسالة افتتاح الدعوة ص ٨٨، مرحلة التشيع ص ٢٩، الدولة الاغلبية التاريخ السياسي



لنظرائهم المشاركة، وذكرهم فيه العلامات الدالة على ظهوره، وما ذكرته الاحاديث عن صفات المهدي وما سيقوم به، والذي تجدر الاشارة اليه أن هذه الاشعار في هذا الغرض كانت منسوبة للشعراء الذين سبقوا ظهور الدولة الفاطمية، وقد اعتنى بنقلها رجال الشيعة من المؤرخين المواليين للدولة الفاطمية كالداعي ادريس والقاضي النعمان، وقد أورد قسماً منها ابن عذاري متهمكاً عليها وعلى شعرائها، ولا نظن ان شعراء الشيعة قد تركوا هذا الغرض في العصور الأخرى التي كان للشعر الشيعي فيها وجود في الشمال الإفريقي ونرى بان الاسباب المذهبية هي التي جعلت الداعي ادريس مثلاً يهتم أكثر بنقل هذه الاشعار وذلك لمحاولة جعل المهدي الفاطمي عبيد الله هو المهدي المنتظر، وهذا مردود لان الاحاديث الخاصة بالمهدي تؤكد ان المهدي هو آخر الأئمة المعصومين عند الشيعة، في حين لم تلتفت الفاطمية الى انهم جعلوا من ائمتهم الذين جاءوا بعد المهدي معصومين ايضاً، وقد جاءت بعض الاشعار في زمن المهدي الموحد ذكرت اسم المهدي ايضاً، ولا نظن بان الشعراء الشيعة الذين سبقوا الدولة الفاطمية قصدوا المهدي الفاطمي وانما قصدوا المهدي الموعود الذي تعتقد به الشيعة، وقد حاول الاسماعيلية تحجير هذه الاشعار لصالحهم.

وكما يذكر صاحب «تاريخ الجزائر العام» بأن فكرة القول بالامام المهدي قد انتشرت بين الناس في أيام الدولة الموحدية فاتخذوا ذلك عقيدة متبعة بقيت اثارها عند العامة الى اليوم، فاسمع قول احد شعراء مدينة الجزائر من قصيدة انشدها بنفسه على قبر ابن تومرت حين وفاته حين وفادته على أبي يعقوب المنصور، فقال:

سلام على قبر الامام الممجد	سلالة خير العالمين محمد
ومشبهه في خلقه ثم في اسمه	وفي اسم ابيه والقضاء المسدد
ومحيي علوم الدين بعد مماتها	ومظهر اسرار الكتاب المدد
انتنا به البشرى بأن يملأ الدنيا	بقسط وعدل في الانام مخلد
ويفتتح الامصار شرقاً ومغرباً	ويملك عرباً من مغير ومنجد
فمن وصفه اقنى واجلى وانه	علاماته خمس تبين لمهتدي

زمان واسم للمكان ونسبة وفعل له في عصمة وتأيد
ويلبث سبعا أو فتسعا يعيشها كذا جاء في نص من النقل مسند^١
وبعد نقل صاحب المعجب هذه القصيدة يقول أن صاحبها نظمها أيام عبدالمؤمن وكان
شيخا مسنا فتعذر عليه السفر من الجزائر الى مراكش، حيث دفن ابن تومرت فبعث بها الى
من ينشدها بالنيابة على ابن تومرت^٢

الامامة والوصاية والعصمة:

للشيعة اعتقاد خاص في الخلافة وانها امامة بعد النبي ﷺ ولا تكون الا لمن جاءت
الوصاية منصوطة عليه من قبل النبي ﷺ حتى أنهم ذكروا اسماء الائمة وصفات الامام وما
يجب أن يكون له من قبل الناس كالطاعة والولاء المطلقين، وانه معصوم. قد شارك الشعر
الشيوعي بدوره لتبيان هذه المعتقدات الشيعية، والدفاع عنها وترسيخها، والدعاية لها لتقديم
الادلة البراهين، حتى أن هذه المعتقدات التي هي اساس العقيدة الشيعية أخذت أكبر مساحة
من الشعر الشيوعي في المشرق الذي هو مهد التشيع ولم ينحصر الشعر الشيوعي الذي يدافع عن
هذه المعتقدات الشيعية في المشرق، وانما ساح مع التشيع أينما حلّ ونزل من أرض الله، وبهذا
فان شعراء التشيع في الشمال الإفريقي لم يتم استثناءهم عن هذه القاعدة فكانت لهم اشعار
في هذه المعتقدات ايضا، ولا أدل على وجود هذه المعتقدات في الشعر الشيوعي في الشمال الإفريقي
ومشاركه شعراء الشيعة اخوانهم في المعتقد من شعراء الشيعة في اصقاع الارض الاخرى
في ذكر هذه المعتقدات من الذكر الذي أورده لها القاضي النعمان ابو حنيفة «ارجوزته التي بلغت
ثلاثمائة وخمسة وسبعين بيتا»^٣، والتي مطلعها:

الحمد لله بديع ما خلق من غير تمثيل على شيء سبق

١- تاريخ الجزائر العام ج ١ ص ٣٤٢.

٢- المعجب ص ٧٣٥.

٣- الحلو محمد علي: موسوعة ادب المحنة أو شعراء المحسن بن علي، ص ٩٤، مؤسسة دار الكتاب الجزائري للطباعة والنشر، قم، ايران، ١٣٧٧ هجري شمسي.



بل سبق الاشياء فابتدعها
لم يتخذ صاحبة ولا ولد
ولا له من خلقه وزير
حتى ينتهي بالقول الى ذكر الاوصياء الائمة بعد النبي ﷺ وذلك ما تؤمن به الشيعة،
وتعتقدة في أعنتها:

احمده شكرا على نعمائه
والحمد لله الذي قد انتجب
فخصه بالوحي والنبوة
من بعده أبا الحسين والحسن
صلى عليهما الذي اختارهما
فاختصهم بالفضل والكرامة
فيهم فلم تزل عليهم تقتصر
ثم أنه يعتبر الوصية من قبل الانبياء الى أوصيائهم سنة قد سنها الله لانبيائه من قبل النبي
محمد ﷺ وان محمدا لم يستثن من هذا، ويذكر الانبياء وأوصياءهم وهذا ايضا من المعتقدات
الشيعة:

أجمعت الامة فيما قد عرف
ان ابانا اذ تولّى آدميا
أوصى الى شيث فخلى شيثا
وصى عيسى فأحكموا فيما رووا
الى محمد النبي المصطفى
من قولها واتفقت لا تختلف
صلّى عليه ربنا وسلما
خليفة لم يكن مبعوثا
وصية الرسل معا حتى انتهوا
فاختلفوا وليس بالحق خفا
وبعد ذلك يعترض على من يعتبر ان هذه القاعدة وهى قاعدة الوصاية بالامر من قبل
الانبياء الى من يخلفهم عليه لم تشمل النبي محمد ﷺ أو انه يتساءل لماذا يختلف الناس
في وصاية نبينا بينا يتفقون على وصاية الانبياء السابقين ويؤولون وصية نبينا في المال
والاهل والولد فيقول:

وذكر قوم انه قد أوصى
وقال قوم انما اوصاه
وما له قالوا على الكلية
وقال قوم نحن لنا ندرى
وقيل قد جمّع في وصيته
وقال قوم لم تكن وصية
بأنه لم يك يدّعها
ولا ادّعاها احد كان اعتقد

الى عليّ في الذي قد نصا
بأهله اذ جاء قضاءه
ولم يكن اوصاه بالرعية
اوصاه أو لم يوصه بالامر
بالدين والكتاب كل امته
منه الى خلق من البرية
غير علي ام يقوم فيها
خلاف ما قال عليّ لاحد

وينتقل القاضي بعد ذلك للرد على من قال ان النبي ﷺ لم يوص الى احد:

يقال للزاعم للخلاف
ليس بشاهد على ما أجمعوا
فان يقل بنية قوية
قليل له السنة والكتاب
اما سمعت الله في كتابه
يأمر فيه الناس بالوصايا
وانه شدد فيها اذ امر

بأنه لم يوص ان النافي
فاسمع فان القول ما قد تسمع
فأنت ما أدراك بالوصية
وقد يزيل الباطل الصواب
ان كنت تتلوه على صوابه
ان تركوا خيرا من العطايا
حتى أباح في الوصايا في السفر

وجريا على سنة الشعراء الشيعة في الاحتجاج على وجوب الوصية، وان النبي ﷺ قد
أوصى لعلي بن ابي طالب عليه السلام بالخلافة والرد على من ادعى أنه ﷺ أوصى له بماله واهله ولم
يوص له بالامر من بعد على امته يقول:

يقال للقائل ان المرتضى
قولك لم يوص بها محال
في قول أهل العلم اجمعينا
لأنه في حالة المعاند

لم يوص بالامة لما ان مضى
لأنه لا تقبل الاقوال
ممن نفى الاشياء أن تكونا
وانما يقبل قول الشاهد



سَمِعَهُ أَوْ رَأَاهُ عَيَانًا	فِيمَا يَقُولُ أَنَّهُ قَدْ كَانَ
فِيمَا تَرَى مِنْ مِثْلِ الْبَابِ	وَسَمَرَى ذَلِكَ فِي كِتَابِي
مِنْ طَرَقَ شَتَى وَمِنْ جِهَاتٍ	بِمَا رَوَى الثَّبِتَ عَنِ الثَّقَاتِ
لَعَلَّ مَنْ عِلْمَ مَا لَمْ تَعْلَمْ	مَنْ أَنَّهُ أَوْصَى بِهَا فَسَلَّمَ
وَفِي الْمَنَظَرَاتِ ذَا اتِّصَافٍ	أَنْ كُنْتُ لِلصَّوَابِ ذَا اعْتِرَافٍ
فِي قَوْلِكُمْ إِذَا أَرَدْتُمْ حُجَّةَ	وَهَذِهِ السَّبِيلِ وَالْمُحِجَّةِ
مَا لَا يَجُوزُ عِنْدَكُمْ لَغْيَكُمْ	وَكَيْفَ أَطْلَقْتُمْ عَلَى نَبِيِّكُمْ
وَتَرَكُوا الْأَمَّةَ بَعْدَهُ بَدَدَ	مَنْ أَنَّهُ أَوْصَى بِمَا لَمْ يُولَدَ
يُدْفَعُ عَنْ بَيْضَتِهَا عِدَاهَا	بِغَيْرِ رَاعٍ بَعْدَهُ يَرَاعُهَا

ثم إن القاضي النعمان ينتقل الى توضيح امر آخر وهو أن الناس يجمعون على وجوب وجود الامام في حياتهم وهذا ما تمليه طبيعة الحياة الاجتماعية عند بني البشر، وان الاسلام باعتباره يضم افضل النظم الاجتماعية الانسانية فانه لا يغفل عن هذه الضرورة في حياة الانسان وهي وجوب وجود الامام، فيقول:

بأنه لا بد من امام	ان يعزى الى الاسلام
ويدفع الاعداء طرا عنهم	يجمع ألفة الجميع منهم
ويقمع الظالم للمظلوم	وينفذ الاحكام للخصوم
وينصب الجهاد والجنودا	وهو يقيم الحج والحدودا
ويقطع البدع والفسادا	ويصلح السبل والبلادا
والصدقات في الوجوه الكاملة	ويقسم الفيء على المقاتلة
ويقبض الجزية والزكاتا	وهو يقيم لهم الصلاتا
ولو أضعوا أمره لما جوا	وكلما اليه قد يحتاجوا

ويصل بعد ذلك الى ما تقوله الشيعة في شروط الامام، وما يجب ان يتوفر في شخص من

يتولّى منصب الامامة:

جماع اصل ما تقول الشيعة
بأنه في صفة الرسول
لكنه أقدمهم اسلاما
اعلمهم بما يراد علما
ووردعا وعفة وسابقة
وأكثر الامة في الجهاد
أقربهم من النبي قربا
وازهر الناس واعلاهم تقى
هذا الذي قد أصلوه في صفته

في صفة القائم بالشرية
وليس للرسول من عدل
يكون بعد المصطفى ان قاما
واعظم الناس تقى وحلما
ونية في الصالحات صادقة
عنا وفى الانفاق والاعداد
وطاعة لأمره وحبا
واحسن الناس روا وخلقا
وسوف أحكي بعد في معرفته

ويأتي بعد ذلك على تفصيل ما حدث في مرض النبي ﷺ الذي انتهى به الوفاة وما ينقل عن تلك الايام من اختلافات المسلمين في اثناء مرض النبي ﷺ وبعد وفاته على امر الخلافة، وانتصار الفريق الذي تزعمه عمر وابو بكر في نيل الخلافة، لابي بكر في سقيفة بني ساعدة، ويعدد ما تقوله الشيعة من ادلة في ظلم هذين الرجلين بالتعدي على هذا المقام الذي هو معين لعلي بن ابي طالب من قبل الله تعالى وذكر الأدلة التي جاءت في تعيين علي من قبل الله ويشير ايضا الى امتناع علي عن بيعة أبي بكر ومجموعة من المسلمين معه، والى بيعة علي بعد ذلك مكرها:

لما توفى الله جلّ عبده
محمدا صلى عليه ربّه
وهو مسجى بينهم طريح
وأهل بيته ومن توالى
قد شغلته مفعجات ففده
وكان قد أناب فيمن خلّفا
وأخذ العهد على الجماعة
فى غير مشهد على ما سمي

اليه واختار له ما عنده
تنازع الامر قالوا صحبه
لم يكتنفه عنهم الضريح
اليهم لفقدته ثكالى
عن الذي قد ابرموا من بعده
وصيّهم مستخلفا
منهم على السمع له والطاعة
وقد روي ما كان يوم خمّ

وكان لما أن رأى حمامته
ثم دعا الذين كان يحذر
فقال قد جعلت هذا واليا
وقد بعثته فلا تخلفوا
فلعن الله جميع من لبث
فعندما سار بهم وبرزوا
عن بعثهم قيل وعن أميرهم
واهتبلوا الفرصة لما أبصروا

قاربه دعى لهم اسامه^١
منهم ابو بكر ومنهم عمر
عليكم فاستمعوا مقاليا
عن بعثه وقال فيما وصفوا
عن بعثه عمن اليه قد بعث
جاءتهم وفاته فانحجزوا
وانصرفوا الى خلال دورهم
شغل الوصي بالنبي يكثر

فقصدوا جماعة الانصار
فاجتمع الجميع في سقيفة
فجاءهم عتيق لا حتياله
حتى اذا ارضاهم بلفظه
فقال وجه الامر ان تستخلفوا
سعدا فقال لا تكون الامرة
قالوا فمنكم رجلا ومنا
بشركة تكون في الامارة
وهى لكم من أحسن الامرين

وهم مع الكثرة أهل الدار
عند بنى ساعدة معروفة^٢
باللين واللفظ من مقاله^٣
عاد الى مراده من حظّه
عليكم خليفة فوصفوا
الاّ لذى القربى وأهل الهجرة^٤
شريكة فقال ما سمعنا
لكننا نعطيكم الوزارة
وقد رضيت احد الاثنين

١- اسامة بن زيد بن حارثة قائد الجيش الذى جهزه النبي (ص) ايام مرض وفاته وامره ان يتوجه نحو تبوك للاخذ بشار المسلمين الذين قتلوا من قبل في تلك المعركة، وان النبي (ص) قد ضم الى هذا الجيش وجوه الصحابة وكبراءهم، واسامة في عمر الشباب، وكان ممن ضمّ الى جيشه ابو بكر وعمر.

٢- سقيفة بني ساعدة المشهورة في التاريخ والتي تمت فيها بيعة الخليفة الاول ابى بكر.

٣- عتيق: اسم ابى بكر.

٤- سعد: هو سعد بن عباد الانصاري زعيم الانصار من الخزرج.

يعنى أبا عبيدة أو عمرا
وانما حمله في ما ذكر
وكان ذا أبيتهم امرا عقد
فبايعاه جهرة وقالوا
وقام منهم أهل قتلى بدر
فبايعوا وهم رؤوس قومهم
الا قليلا منهم قد علموا
وقصدوا امامهم عليا
قالوا بلى نفعل قال انطلقوا
رؤوسكم كلكم لتعرفوا
اليّ كيما انصب القتالا
يحكم فيما بيننا بحكمه
ولم يكن يأتيه الا سبعة

وبهما كان على القول اجترا^١
بعضهم على قيامه عمر^٢
فقصد اليه ممن قد شهد
بل انت خير من نراه حالا
وغيرها وأهل حقد الأسر
فبايع الناس له من يومهم
ما كان من نبيهم فاعتصموا
فقال لستم فاعلين شيئا
من فوركم هذا فحللوا
من بينهم بذلكم وانصرفوا
حتى يكون ربنا تعالى
ففشلوا لما رأوا من عزمه
واستحسن الباقون اخذ البيعة^٣

وانت عندما تطالع اشعارهم تجد الكثير من المصطلحات الدالة على ذلك، ولربما بالغ بعض شعراء الشمال الإفريقي في ذلك كابن هانيء مما دعا بعضهم الى اتهمه بالكفر والزندقة، كما فعل معه ابن خلكان في وفياته.

الشعر السياسي والنقائض

لم يتخلف شعراء الشيعة في الشمال الإفريقي عن الركب الشعري السياسي الشيعي، واذا كان لهم الذراع الاطول في هذا الغرض الشعري خاصة وان تشيعهم هناك يمكن رجاله من تشكيل

١- أبو عبيدة: هو ابو عبيدة عامر بن الجراح صاحب رسول الله (ص)، وعمر: هو عمر بن الخطاب الخليفة الثاني.

٢- يعني ان الذي جاء بابي بكر في هذا المكان وحمله على ما قال وفعل عمر بن الخطاب.

٣- الارجوزة المختارة للقاضي النعمان: تحقيق وتعليق اسماعيل قربان حسين بونا والا - معهد الدراسات الاسلامية، جامعة

مجيل - مونتريال كندا ط ١، ١٩٧٠، وقد كانت هذه الارجوزة ٢٣٧٥ بيتاً.

كيانات سياسية انتهت بتأسيس دول وهذه الدول كان لها اعداء وخصوم في داخل الارض المغربية، كما وان اعداءها خارج الارض المغربية كانوا يتربصون، ومن أمثال اولئك الاعداء الدولة الاموية في الاندلس، والدولة العباسية في بغداد. واما الاعداء الداخلون فكانوا الاغالبة، ودول الخوارج، وكذلك ابناء المذاهب الاخرى الذين كانوا يعيشون على الارض المغربية مع الشيعة خاصة في القيروان، من ابناء المذهب المالكي.

ويمكننا القول قاطعين ان الشعر السياسي الشيعي وشعر النقائض السياسية عندهم كانت بداياته في العصر الادريسي وكان ذلك متمثلا، بالاشعار التي تم تبادلها بين ادريس الثاني وبهلول بن عبدالله بن عبدالواحد المطغري، أو المدغري من جانب، وبين ادريس الثاني وابراهيم بن الاغلب من جانب آخر، وقد ذكرنا في مكان سابق هذه الأبيات حيث أن ادريس الثاني ارسل ابياتا الى بهلول بعد ان استأله اليه ابراهيم بن الاغلب كانت:

أبهلول قد حملت نفسك خطـة

.....اربعة ابيات^١

وكان ادريس الثاني قد ارسل بأبيات ايضا الى ابراهيم بن الاغلب يحذره عاقبة اضلال بهلول، ويخوفه الله من ذلك، وقد ذكرنا ايضا تلك الأبيات في مكان سابق كانت:

اذكر ابراهيم حق محمد

.....ثلاثة ابيات^٢

والاغالبة هم الكيان المغربي الذي كان يدين بالولاء لبني العباس اعداء الشيعة، وبنو العباس هم الذين يحركون الاغالبة على ذلك ويطلبون منهم حياكة الدسائس على الدولة الشيعية الادريسية، وكان بنو العباس قد دسوا الى ادريس الاول أبي ادريس الثاني من قتله، وبعد مقتل ادريس الاول قال شاعرهم من الشعر السياسي مفتخرا:

١- الاستقصا ج ١ ص ٦٤.

٢- الحلة السيرة ج ١ ص ٥٥.

..... اربعة ابيات^١

أتظن يا ادريس انك مفلت

وقد ذكرنا هذه الأبيات سابقا.

وهؤلاء الاغلبة هم ايضا الذين واصلوا التآمر على الأدارسة بطلب من بني العباس، إلى أن اغتالوا راشدا، الرجل الاول في الدولة الادريسية ومدبر امورها بعد خليفتها ادريس الثاني، يقول ابراهيم بن الاغلب مخاطبا الخليفة العباسي:

الم ترني بالكيد ارديت راشدا	واني باخرى لابن ادريس راصد
تناوله عزمي على نأي داره	بسمخومة في طيّهن المكائد
ثلاثون ألفا سقتهن لقتله	لأصلح بالغرب الذي هو فاسد
ففاه اخو عكّ بمقتل راشد	وقد كنت فيه شاهدا وهو راقد ^٢

وكانت هذه الأبيات قد وردت بأشكال مختلفة في المصادر حيث أوردها ابن الخطيب في (أعمال الاعلام) وفيها بعض التغيير ففي البيت الاول يذكر انه قال «الم ترني اهلكت بالكيد راشدا...» وفي البيت الرابع يذكر انه قال «وتاه اخو عك بمهلك راشد... وقد كنت فيه ساهرا وهو راقد.^٣

بينما يوافق السلاوي^٤ الرواية الاولى لهذه الأبيات وهي التي اوردها صاحب «دولة الادارسة في المغرب».

ومما يثبت ان الاغلبة كانوا دعاة لبني العباس، وان الذي فعلوه من اعمال مضادة للادارسة كان بتحريك وتحريض من العباسيين انفسهم تلك الأبيات التي اجاب بها ابراهيم بن الاغلب بهلول المدغري حيث يقول:

عرضت على البهلول ما ان اصابه	تعوض منه طاعة بخلاف
ليركب نهج الحق والحق واضح	ونج العمى وعر المسالك عاف

١- مقاتل الطالبين ص ٤٠٩.

٢- دولة الادارسة في المغرب ص ١٢٣.

٣- أعمال الاعلام ص ١٩٧.

٤- الاستقصا ج ١ ص ١٦١.



فلا تتركُنْ رشد الهدى بضلالة كمستبدلٍ رنق الشراب بصفاف
فبايع لهارون الامام بطاعة تجده على الاسلام خير مكاف^١
ويعني ابن الاغلب هارون الرشيد الخليفة العباسي الذي هو نفسه ارسل الشماخ فاغتال
ادريس الاول.

وقد كانت ابيات المدغري التي اجابه عليها ابراهيم الاغلب هي:
لئن كنت تدعوني الى الحق ناصحاً لتكشف عن قلبي ضمير خلاف
لقد اتانا عنك انك ناصح لمن قال بالصلح الخلافة كاف
وانك محمود النقائب عندهم تزين ما تأتي لهم بعفاف
فعجل عليّ رد رأيي فأني ارد الهوى للحق حين يوافي^٢
وقد ثار ابو غفير على الأدارسة في اوائل القرن الثالث بمساندة البرغواطيين فأوقع بهم
الأدارسة، وعندها قال الشاعر سعيد بن هاشم المصمودي منددا بابي غفير وبالبرغواطيين
قصيدته التي مطلعها:

قفي قبل التفرق فاخبرينا وقولي واخبري خبراً يقينا^٣
ذكرنا منها تسعة ابيات فيما سبق.

وكان هذا من الشعر السياسي الذي يقال بعد الوقائع الحربية ويصور الهزائم
والانتصارات، وهذا ايضا مما يؤكد اتباع المغاربة للسنن الشرقية الشعرية.
وعن الشعر السياسي الشيعي في هذه الفترة تلك الأبيات التي بعثها خريش النائر الشيعي
على الاغلبة الى ابراهيم بن الاغلب مع الرسالة التي حررها له والتي يقول فيها:
قل جهرة لأبي اسحق تنصحه
.....^٤ اربعة ابيات ذكرناها فيما مضى.

١- دولة الأدارسة في المغرب هامش ١٣٠، الحلة السراء ج ١ ص ١١٢.

٢- نفس المصدر.

٣- الوافي بالادب العربي في المغرب ج ١ ص ١٩.

٤- الحلة السراء ج ١ ص ١٠٢-١٠٣.

وقد ردّ ابن الاغلب على هذه الأبيات بقوله:

بلغ خريشا بانى سوف اصبحه كأسا سيقرع منه السن حيرانا
تهدي الطعان له سمر مثقفة تفري استنها في الحرب اعدانا
من كل أزرق يغتال النفوس به يضحي به من دم الاجواف ملانا
وسوف تعلم هل ألقى السواد اذا ارست اليك المنايا حين تلقانا
انى سأهدي اليك الموت في عطب فاشرب نيته من كف عمراناً^١
وقد كان خريش واصحابه يحملون نفس الطموح الذي يحمله الشيعة الآخرون في تقويض
الحكم العباسي، ويظهر من ذلك قول عامر بن المعمر أحد اصحاب ابن الاغلب في هجاء
خريش واصحابه:

قالوا غداة لقائهم لا ننثني حتى انحل الخلد من بغداد^٢
ومن الشعر السياسي في أواخر عهد الادارسة ما ينسب لابراهيم بن ادريس المنبوز
بالمؤبل، في هجاء ابن ابي عامر المتسلط على الأمويين في الاندلس :
أ يكون حياً من امية واحداً ويسوس هذا الملك هذا الاحدب؟^٣
خمسة أبيات ذكرناها سابقا.

يبدو ان هذا آخر شعر سياسي في عهد الادارسة، وهو يدل على شاعرية قائله اولاً، وكذلك
يدل على جودة مستوى الشعر في هذا العهد خاصة السياسي منه.
ويظهر لنا من مجمل هذه الأشعار أن سنة النقائص الشعرية السياسية التي كانت سائدة
في المشرق قد تأثر بها الشعراء المغاربة السياسيون ، وكأنما حذوا بها أثر المشاركة فنلاحظ
اسلوب الرد، وعدد الأبيات الذي يساوي عدد الأبيات المجاب عليها، وكذلك اتفاقهما
في الوزن والقافية.

وقد كانت هذه الاشعار السياسية كلها في زمن الادارسة، وما أن حلّ عهد الفاطميين حتى

١- نفس المصدر ص ١٠٤.

٢- نفس المصدر ص ١٠٧.

٣- الحلة السيرة ج ١ ص ٢٢٧.

رأينا الأدب السياسي وشعر النقائص يزدهران ازدهارا عظيما كبقية الانواع الادبية، وحسب ما نعتقد أن أول شعر سياسي في العهد الفاطمي تلك الأبيات التي بعثها عبيد الله المهدي الى سعيد بن صالح صاحب مدينة النكور يدعو للطاعة ويتوعده:

فان تستقيموا استقم لصلاحكم

.....^١ بيتان ذكرناها فيما مضى.^٢

وقد أورد ابن عذاري الأبيات التي رد بها ابن صالح النكوري على أبيات المهدي الفاطمي ولم يسم قائلها وقال احدهم انها للاخمش المناويء للشيعة:^٣

كذبت وبيت الله لا تعرف العدلا ولا عرف الرحمان من قولك الفضلا

وما انت الا كافر ومنافق تميل مع الجهال في السنة المثلى

وهمتنا العليا لدين محمد وقد جعل الرحمن همتك السفلى^٤

وقد أورد بعضهم البيت الاول «كذبت وبيت الله لا تحسن العدلا».^٥

ويذكر ابن عذاري أن أيمان كتامة أول دخولهم افريقية «وحق عالم الغيب والشهادة مولانا المهدي الذي برقادة» حتى كتب بعض احداث القيروان هذين البيتين، وتلطفوا في حين وصولها الى عبيد الله من حيث لا يعلم وهي:

الجور قد رضينا لا الكفر والحمافة

يا مدعي الغيوب مَنْ كاتب البطاقة؟^٦

وهذا ما نعتبره من رواج الشعر السياسي في العهد الفاطمي وانه وسيلة من وسائل التعبير عند الناس عن آرائهم وطموحاتهم السياسية بغض النظر عن صحة ما نقله ابن عذاري، وقد كان

١- البيان المغرب ج ١ ص ١٧٨.

٢- نفس المصدر.

٣- المغرب ص ٩٥.

٤- الادب بافريقية في العهد الفاطمي ص ٣٢، البيان المغرب ج ١ ص ١٧٨، الحلة السيرة ج ١ ص ١٩٤.

٥- المغرب ص ٩٥، شعر المغرب ص ٣٧.

٦- البيان المغرب ج ١ ص ١٦٠.

ابن عذاري من اعداء الفاطميين^١ المعروفين حيث بعد ان نقل الأبيات التي مدح بها محمد بن بديل أبي قضاة المهدي الفاطمي وهي:

حلّ برقادة المسيح	حلّ بها آدم ونوح
حلّ بها احمد المصطفى	حلّ بها الكيش والذبيح
حلّ بها الله ذو المعالي	وكلّ شيء سواه ريح

يقول «ومدحت الشعراء عبید الله بالكفر، فاستجازه..... لعنه الله، وغضب عليه، واخزى القائل والمقول فيه»^٢، ولا نريد الدفاع عن الفاطميين وعقائدهم ولكننا نرى أن ابن عذاري لو كان يذهب مذهب الفاطميين لوجد تأويلا مناسبا لشعر ابن بديل هذا لا يخرج صاحبها ولا من قيلت فيه من الدين.

وكان الدكتور ابراهيم الدسوقي جاد الرب يعتبر هذا ليس كفرا بل هو يقول ان الشاعر اعتبر مثل تجلي «الذات الالهية وتجلي أنوارها كما كان محمد وعيسى واسماعيل ونوح وآدم وسائر النبيين، ولعل الكيش تأويل عن كبير دعائه ومحمد دولته أبي عبد الله الشيعي^٣ وبعد البداية للشعر السياسي في العهد الفاطمي والتي كانت على يد أول خليفة للفاطميين عبید الله المهدي، وما جاء عليها من ردود شعرية من قبل شعراء النكور، والتي يسميها محمد بن تاووت بـ«النقائص»^٤، تأتي تلك القصيدة السياسية من الشاعر العبيدي احمد بن محمد المروزي بعد أن سقطت نكور وخرّ صريعا صاحبها الامير سعد:

لما طغى الارذل وابن الارذل	في عصبه من الطعام الجهل
قالت نكور دون ربي معقلي	اتاه محتوم القضاء الفيصل
من الاله المتعالي الاعدل	فحلّ ارضا طالما لم تحلل
حطّم أهل كفرها بالكلل	وجاء رأس رأسها المبدل

١- الادب بافريقية ص ٣٢ محمد اليعلاوي.

٢- البيان المغرب ج ١ ص ١٦٠.

٣- شعر المغرب ص ٥٩.

٤- الوافي بالادب العربي ج ١ ص ٢٠.

على القنا من الرماح الذبّل ذا لمة شعناء لم تفلل^١

ويعتبر الباحثون شعر النقائض في الشمال الإفريقي على سنة العرب الادبية في المشرق الآ أنها اضعف منها، وذلك لاصالة المشرق ولاسلوب خاص من الشعراء كانوا يسلكونه فيه شيء من الجذابية للتأثير على الناس والجهاهير^٢، ومما لا شك أن شعر النقائض الشيعي كانت تحكمه الحالة العامة للشمال الإفريقي بالرغم مما يمتاز به شعراء الشيعة من تميز وقوة.

ومن الشعر الشيعي السياسي تلك الأبيات الشعرية التي قالها سعدون الورجيني عندما عزم على الالتحاق بالفاطمين الشيعة ويظهر من هذه الأبيات أنه لم يكن شيعيا من قبل، وكان بعضهم يتوعده أو يشبطه عن اللحاق بالشيعة، وكانت الأبيات التي قالها الورجيني لعبيد الله المهدي الفاطمي هي:

كفى عن التثييط انى زائر	من أهل بيت الوحي خير مزور
هذا امير المؤمنين تضعضعت	لقدومه اركان كل امير
هذا الامام الفاطمي ومن به	أمنت مغاربها من المحذور
والشرق ليس لشامه وعراقه	من مهرب من جيشه المنصور
حتى يفوز من الخلافة بالمنى	ويفاز منه بعدله المنشور ^٣

وشعر الورجيني حافل بالمصطلحات الشيعية حيث «الامام، أمير المؤمنين، الفاطمي»، وكذلك نستشعر منه انه قد هضم الثقافة الشيعية قبل أن يتشيع، كما بدأ يحمل الهموم والطموحات الشيعية في آن واحد ويتوقع النصر وبسط النفوذ على كل ارجاء العالم الاسلامي.

ومن أجلى النقائض السياسية تلك الاشعار التي كانت تصدر من الشعراء الفاطميين فيتولى الرد عليها من يقف بالضد منهم من الشعراء، أو التي كانت تصدر ممن يقف بالضد من الفاطميين فيتولى الرد عليها الشعراء الفاطميون، من النوع الاول تلك القصيدة المنسوبة لمحمد القائم بن عبيد الله المهدي عندما غزا مصر عام ٣٠٦هـ ليحقق حلم والده فوجد مقاومة

١- نفس المصدر ص ٢٠ - ٢١.

٢- نفس المصدر ص ٢٤.

٣- اتعاظ الحنفا ص ١٣٨.



شديدة، ويذكر صاحب «صلة تاريخ الطبري» أن مكاتبة بالشعر والنثر دارت بينه وبين المصريين تحامل فيها عليهم ووبخهم وسبهم سباً عنيفاً، ويذكر له قوله:

أيأ أهل شرق الله زالت حلومكم أم اختدعت من قلة الفهم والأدب؟^١
وقد ذكرنا هذه القصيدة من قبل.

وكان الرد على هذه القصيدة من قبل أبي بكر الصولي بقصيدة مطلعها:

عجبت ولا يخلو الزمان من العجب لذي خطل في القول اهدى لنا الكذب^٢
وكان الصولي شاعراً للعباسيين.

وأما من النوع الثاني ما كان ينسب من شعر لابن المعتز العباسي، ومنه قوله:

أي ربع لآل هند ودار درسا غير ملعب ومنا^٣
وقد حاول في هذه القصيدة تفضيل العباسيين على العلويين، فتصدى له تميم بن المعز لدين الله الفاطمي بقصيدته التي مطلعها:

جادك الغيث من محلة داري وثوى فيك كل غاد وسار^٤
وكنا قد أوردنا هذه القصيدة كاملة عندما عرضنا لتميم بن المعز باعتباره أحد الأمراء الشيعة الأدباء في الشمال الإفريقي، وهناك أيضاً فصلنا بعض الشيء عما كانت تحمله هذه القصيدة من مفاهيم شيعية وغير ذلك مما يخص التشيع وادبه.

ومن الأشعار السياسية والنقائض لابن المعز تميم تلك التي عارض بها قصيدة ثانية لابن المعتز ومن قصيدة تميم قوله:

ألا قل لمن ضل من هاشم ورام اللحاق بأربابها^٥
وقد ذكرنا هذه القصيدة سابقاً.

١- صلة تاريخ الطبري ص ٨٠-٨١.

٢- نفس المصدر ص ٨٢-٨٣.

٣- ديوان ابن المعتز ص ٢٨١، دار الجيل، ط ١، ١٩٩٥.

٤- ديوان تميم بن المعز ص ١٨٥.

٥- الأدب في العصر الفاطمي ص ١٥.



وأما قصيدة ابن المعتز التي عارضها تميم فكان مطلعها:

ألا مَنْ لِنَفْسِي وأوصابها ومن لدُمُوعِي وتسكابها^١

وكان ابن المعتز يريد تفضيل العباسيين على العلويين كما كان في قصيدته السابقة التي عارضه فيها تميم ايضا. وكانت الاحداث السياسية التي تمر بها بلاد الشمال الإفريقي تعطي قوة للشعراء الشيعة بقول الشعر السياسي، كما وانها تعطي خصوم الشيعة ايضا الذريعة في قول الشعر الذي يندد بالشيعة، ومن ابرز تلك الاحداث التي اثرت الغرض السياسي الشعري تلك الثورة التي قام بها مخلد بن كيداد ابو يزيد الخارجي واستمرت لعدة سنين، حيث ان هذا التأثير الخارجي ظهر امره في ايام القائم الفاطمي، ولم ينته الا في عهد ولده المنصور، وكاد يهدد الوجود الشيعي هناك تهديدا واقعيا، ولاحمد بن بلج السوسي ابيات ذكرتها أكثر المصادر يقول فيها متحدثا عن أبي يزيد، وعن حصاره لمدينة سوسة:

ألم بسوسة وبغى عليها ولكن الاله لها نصير
مدينة سوسة للغرب ثغر تدين لها المدائن والقصور
لقد لعن الذين بغوا عليها كما لعنت قريظة والنضير
اعز الدين خالق كل شيء بسوسة بعدما التوت الامور^٢

ويذكر صاحب «شعر المغرب حتى خلافة المعز» ان ابن بلج لم يثبت تشيعه الا أنه قال هذه الأبيات ممالقة للمنصور، ومهما يكن من أمر فان هذا الشعر اعتبر في زمرة الشعر السياسي الشيعي.

وكان سهل بن ابراهيم الوراق قد قال ايضا في حصار سوسة من قبل الخوارج، وفي فك الحصار عنها:

ان الخوارج صدّها عن سوسة منا طعان السم والاقدام
وجلاد اسياف تطاير بينها في النقع دون المحصنات الهام^٣

١- ديوان ابن المعتز ص ٤١.

٢- معجم البلدان ج ٣ ص ١٩٣ مع اختلاف يسير، المغرب ص ٣٥، شعر المغرب ص ٨٨-٨٩.

٣- معجم البلدان ج ٣ ص ١٩٢، المغرب، ص ٢٥، شعر المغرب ص ٨٨.

والوراق بعضهم قال بعدم تشيعه، ونسبوه الى المالكية واعتبروه من المهجائين للفاطمين في فترة من حياته، ومن الرادين على افكار الفاطميين، انتصارا لمذهب مالك وذلك في القصيدة التي مطلعها:

هل أنت بعد الشيب ذو صبوات أم مرعو عنها مطيع نهاية^١
ونحن لا نكذب ذلك ولا ندفعه، ولكننا نرى انه -أي الوراق- واحمد بن بلج السابق ذكره وكذلك أبا القاسم الفزاري الذي سنورده الآن من الشعراء الذين كان لهم موقف من الفاطميين الا أنهم صاروا فيما بعد من شعراء الفاطميين وخدموهم بشعرهم، ولا يهمننا عمق اعتقادهم بالتشيع بقدر ما يهمننا انهم اصبحوا من شعراء التشيع الشمال الإفريقي، ومن يعرف أنهم ولربما بعد تحولهم الى الصف الفاطمي جاءوا عن قناعة كاملة. وقد كان الشاعر أبو القاسم الفزاري من القائلين بمذهب الخوارج، ومن المحاربين تحت راية أبي يزيد الخارجي في هذه الثورة بسيفه ولسانه وقد هجا الفاطميين الشيعة مدافعا عن أبي يزيد فتصدى له احد شعراء المغرب المتشيعين قائلا له:

أيظن وغد فزارة ظن امرىء جهل العواقب ثم لا يتفكر
ان الذي زعم اللعين وقاله في أهل بيت الوحي ذنب يغفر؟
هيهات، تلکم خيبة مطوية فاذا أتى الاجل المؤقت تنشر^٢
ومن الاشعار السياسية التي نقلت عن أبي القاسم الفزاري تلك القصيدة التي ألقاها بين يدي ابن كيداد، والتي عارض بها قصيدة احمد بن بلح السالفة الذكر، وكان من بعض قول الفزاري:

ولو لا القيروان وساكنوها لبات طعامهم والمخ رير
وبعد الموت احوال عظام يشيب لبعضها الطفل الصغير
فنجى القيروان وساكنيها اله دافع عنها قدير

١- شعر المغرب ص ١٠٤.

٢- شعر المغرب ص ٤٠.

ولا سور احاط بنا ولكن لنا من حفظ ربّ العرش سور^١

ويظهر لنا من هذه القصيدة التي قالها الفزاري راداً بها على ابن بلج ان المغاربة كانوا يحتذون في حروبهم واشعارهم السنن المشرقية ومن ذلك تبادل الارجيز في ميادين الحروب، ومما يشار له أن هذه هي رائية الفزاري التي طلب منه المنصور انشادها بين يديه، وجاء الفزاري الى الفاطميين معذراً نادماً، فتمنع أولاً ثم أجاب رغبة المنصور وأنشدها له.

ويظهر لنا ايضا أن الفزاري كان شاعر الميدان الاول في حرب أبي يزيد الخارجي مع الفاطميين، وذلك من اشعاره التي قالها في محضر أبي يزيد أو الاشعار التي قالها رداً على شعراء الفاطميين أو من الاشعار التي قيلت رداً عليه من قبل شعراء الشيعة، ومن اشعاره في الميدان ما قاله في أبي الفضل عباس بن عيسى وهو فقيه من أهل القيروان المتوفى عام ٣٣٣هـ^٢ ودعا الى قتال الفاطميين تحت راية أبي يزيد الخارجي فلبى الدعوة لايمانه بان الخوارج من القبلة والفاطميين كفار، وخرج يحمل راية حمراء كتب عليها: لا اله الا الله محمد رسول الله الله وقُتل في المعركة^٣، وقول الفزاري فيه:

عليك ابا الفضل استباق دموعي وشغلي بأنواع الاسى وولوعي^٤

وقد شغل الناس كثيراً بثورة مخلد بن كيداد في زمن الفاطميين ويذكر صاحب «شعر المغرب حتى خلافة المعز» ان الجرايبي صاحب «الحدثان» قال ابان ثورة ابي يزيد:

فويل لترشيش وويل لاهلها من الحبشي الاسود المتغاضب^٥

ونفهم من هذا أن خطر هذه الثورة قد هدد أكثر البقاع والمدن التي كانت تحت النفوذ الفاطمي، وتشريش احدى مدن الشمال الإفريقي، ومما يفهمنا التهديد الجدوى لأكثر بقاع الشمال الإفريقي من قبل الخارجي تلك الاشعار التي مرت علينا من قبل، وكذلك قول أحمد المروزي:

١- نفس المصدر ص ٨٩.

٢- ترجمته في رياض النفوس ج ٢ ص ١٩٧.

٣- شعر المغرب ص ٢٠٧.

٤- القصيدة كاملة في رياض النفوس ج ٢ ص ١٩٨ - ١٩٩.

٥- شعر المغرب ص ٤٠.

وبعدها باجة ايضاً افسدا
وهدم الاسواق والقصورا
وأهلها اجلى ومنها شرّدا
والدور قد فتش والقبورا

يعنى بذلك أبا يزيد الخارجى وهذا ايضاً من الشعر السياسى.

وقد كان الظفر باين كيداد من قبل المنصور الفاطمى بعد طول العناء الذي اصاب
الفاطميين من ثورته، فكانت الفرحة وعم السرور، وانشد الشعراء، ومنهم علي بن محمد
الايادي التونسى، حيث قال:

فارتقى الملعون من خيفته
في ذرى خلفاء ملساء على
معقل من فوقه الله ومن
فارتقى المنصور بالسيف له
واثقا بالله في غربته
فاذا مخلد في كف الردى
قد رمته الحرب عن غاربها
كنفيض اجرسته امة
فأوى عن كرم المنصور في
طالباً منه ليبقى روحه
فأبى الله سوى ابعاله
فنضا عنه اديما دنسا
كأديم التيس لمّا يصب
وحشاه سالخوه سعفا
في ذرى اعيط عالٍ مصعد
ذلك المعقل ليست بصدد
تحت المنصور في جيش معد
يوم طعن كشآبيب البرد
عن بنى أحمد ناء منفرد
موثق الجيد بحبل من مسد
واهى الركن ذليل المستند
ليس إلا نبض عروق وجسد
كنف رحب وخفض ورغد
وبقاء الروح اشفى للكمد
وعذاب الله للجسم اهد
قد كان اسفر فيه ومرد
ريمه جرّد منه فانجرد
ماليا ما بين كعب وكند^١

واما الفزارى شاعر هذه الثورة فبعد اندحار ومقتل قائدها، أخذه الفرع والروع - كما ينقل
المالكي - حتى التجأ الى احد صلحاء زمانه فدعا له ثم أمره أن يتغذى، ويستحم، ويدخل على



المنصور، فلما رآه المنصور استنشده رائيته التي قالها في أيام أبي يزيد وكان معه في صفه، فتمنع
الفزاري من الانشاد خائفاً من المنصور، ثم انشد تلك القصيدة المعروفة (القصيدة الفزارية)،
والتي من بعضها:

لعمرك ما أوس بن سعدى بقومه	ولا سيد الاوبار قيس بن عاصم
ولا كان ذو الجدين بين كتائب	لهاميم من بكر وحي اللهازم
ورب معدٍ والاحاليف حوله	عباب كموج اللجة المتلاطم
ولا حاجب ذى القوس يخطر حوله	قروم كأسد الغيل من آل دارم
واحنف سعد بين سعد ومالك	ومن رامهم من نهشل والبراجم
ولا خالد مسم العداة بن جعفر	ولا الحارث الشهم الفؤاد بن ظالم
وذو الجبلين في عصائب طي	فتى الفضل والنعمى عدي بن حاتم
الى أن يقول:	

بأمنع مني في جوار خليفة	عطوف على أهل البيوتات راحم
كريم المساعى والايادى سمت به	أبوة صدق من ذؤابة هاشم
شريف الادانى والاقاصى مهذب	اذا ما عددنا فضل أهل المكارم
له من امام المرسلين وصنوه	عليّ معالٍ ثابتات الدعائم
معالٍ هي الفخر الصحيح وغيرها	معالي محارٍ بين واهٍ وسالم
ومن ذا يقيس الشمس في رونق الضحى	الى كوكب في غيبه الليل عاتم
وشكري للامام، ومن ينم	عن الشكر أو يسأم فلست بسائم
وما عذر مشحوذ اللسان مثقف	يرى الشكر في الانعام ضربة لازم
ابيت امير المؤمنين سوى التي	يزيد سناء ذكرها في المواسم
تقى وندى ما بين حلم ونجدة	وعفو وامضاء على كل ظالم



وكذبت اطماع البغاة، فادبروا لاعتقابهم ما بين خازٍ ونادم^١
 فعنى عنه المنصور بالله، ووصله، وحمله على جواد، واجرى عليه، واحسن اليه.^٢
 وعلى العموم لم يخرج شيعة الشمال الإفريقي في شعرهم السياسى الخاص بالحروب عن
 الاصاله المشرقية، تلك التي استنها العرب وأوجدوا لها محلاً مرموقاً في اشعارهم خاصة، وان
 كان نتاجهم الثرى لم يتخلف عن المشاركة في الحروب، وقد كان الأدب العربي بعمومه
 مشاركاً في الحروب منذ العصر الجاهلى، ولم يغفل المؤلفون عن الأدب العربي واحواله عن
 الكتابة في أدب الحرب.^٣

واما الحدث السياسى البارز الآخر في حياة الشيعة في الشمال الإفريقي فهو تلك المقتلة
 التي اصابتهم في القيروان أيام المعز بن باديس الزيرى ثم الصنهاجي بعدما تنكر لمذهب سادته
 الاول الفاطميين، ولكننا لم نعثر على شعرٍ سياسى من الطرف الشيعي يؤرّخ لهذه الحادثة
 السياسية المهمة في تاريخهم، بقدر ما عثرنا على مجموعة من الاشعار التي تعود لاعداء الشيعة
 يبدون فيها الشدّ على يد المعز على هذه الفعلة، ويظهرون فرحتهم، وتشفيهم بهذه المقتلة
 للشيعة. وما دمنا في الشعر السياسى فلا يفوتنا الاشارة الى محمد بن هانىء الأندلسي المولد
 والمنشأ، وابن هانىء هو الذي يقول بخصوصه ابن شهر آشوب (انه من شعراء أهل البيت
 المجاهرين، وانه «متنبى الغرب»)، وذلك لما توجه أبو الطيب المتنبى نحو مصر سمع منشداً، يقول:
 تقدم خطأ أو تأخر خطأ فإن الشباب مشى القهقري

فقال المتنبى: سدّ ابن هانىء علينا طريق المغرب وانصرف).^٤

وقد ملأ بن هانىء الأندلسي الدنيا شعراً سياسياً وعقائدياً شيعياً، ومن شعره السياسى
 تلك القصيدة التي قالها في وقعة مجازيئ سنة ٣٤٥هـ، فقال محمد ابن هانىء يصف الفتح

١- القصيدة الفزارية.

٢- في رياض النفوس ج ٢ ص ٤٩٠ - ٤٩٤ خبر عن انشاد الفزاري امام المنصور ولكنه ينشد قصيدة أخرى غير الفزارية، وهي
 في هجو الفاطميين حسب ما ينقله المالكي، وكان قد أنشدها الفزاري بطلب من المنصور نفسه، فلم يعرض له بسوء بعد
 سماعها، واعتبر المالكي ذلك من بركات الزاهد القيرواني ابي اسحاق السبائي الذي كان الفزاري التجأ اليه وتوسل به.

٣- من بين هذه المؤلفات ادب الحرب للدكتور نجاح المطار، حتّا مينا - طبع دار الآداب، سوريا.

٤- أعيان الشيعة م ١ ص ١٧٣ عن معالم الأيمان.



وانهزام الدمستق ومن قتل معه من الروم النصرارى ووصول البريد، ويدح المعز لدين الله:

يوم عريض في الفخار طويل	ما تنقضى غرر له وحجول
ينجاب منه الأفق وهو جنة	ويصبح منه الدهر وهو عليل
مسحت ثغور الشام ادمعها به	ولقد تبلّ الترب وهي همول
وجلى ظلام الدين والدنيا به	ملك لما قال الكرام فعول
متكشف عن عزمة علوية	للكفر منها رنة وعويل

.....

لله عينا مَنْ رأى اخباته	لما أتاه بريدها الآ جفيل
--------------------------	--------------------------

.....

قل للدمستق مورد الجمع الذي	ما اصدرت له قنا ونصول
سل رهط منويل وأنت غررتة	في اي معركة ثوى منويل ^١
وله ايضا يدح المعز ويعرّض بنى امية:	
لؤلؤ دمع هذا الغيث أم نقط؟	ما كان أحسنه لو كان يلتقط

.....

خابت امية منه بالذى طلبت	كما يخيب برأس الاقرع المشط
وحاولوا من حضيض الارض اذ عطبوا	كواكبا عن مرام شأوها شحطوا
هذا وقد فرّق الفرقان بينكما	بحيث يفترق الرضوان والسخط
الناس غيّر العرقوب في شرف	وأنتم حيث حلّ التاج والقرط
ولست اشكى الى نفسي مودتكم	لأنكم في فؤادي خيرة خلط
يا افضل الناس من عرب وعجم	وآل أحمد ان شبّوا وان شمطوا
ليهنك الفتح لا انى سمعت به	ولا على الله في ما شاء اشترط ^٢

١- تاريخ الخلفاء الفاطميين ص ٥٨٦-٥٨٩.

٢- ديوان ابن هانيء ص ١٨٤.

و يقول أيضاً:

الا في سبيل الله تبذل كلّ ما
فلا غرو أن أعزّزت دين محمد
وباسمك تدعوه الاعادي فانهم
غضبت له أن شلّ بالشام عرشه
فببت له دون الانام مسهدا
برغمهم أن ايّد الحق أهله
فللوحى منهم جاحد ومكذب
وما سرّهم ما ساء ابناء قيصر

ليالي تقفو الرسل رسل خواضع
ويقول فيها:

فليت أبا السبطين والترّب دونه
وملكك ما ضمتّ عليه تهائم
وأخذك من بني الاصفر الذي
إذا لرأى يملكك تخضب سيفه

اليك يفر المسلمون بأسرهم
وان أمير المؤمنين كعهدهم
وقد وتروا وترا وانت مفيد
وعند أمير المؤمنين مزيد^١

وتطالعنا القوة الشعرية المعهودة من ابن هانيء في هذه الاشعار التي نالت الثناء والتقدير من أكثر الذين تعرّضوا لها بالذكر، كما وأن اشعار ابن هانيء تطالعنا بامتلائها بالمصطلحات الشيعية والدفاع المستميت عن التشيع وقادته، والهجوم الذي لا يعرف الهوادة على اعداء الشيعة

خاصة التقليديين منهم وهم الامويون، فيقرعهم بكونه الطلقاء، وكونهم ابناء طريد رسول الله ﷺ، ويعنى بالطريد الحكم ومروان بن الحكم كما نقلت ذلك كتب السيرة والتاريخ، وكذلك يتعرض لبنى العباس اذين استولوا على الخلافة باسم العلويين، ثم انه يكثر من ذكر علي بن أبي طالب عليه السلام كما أورده هنا باحد كناه وهو أبو السبطين، والمقصود بهما الحسن والحسين حيث هما سبطا رسول الله ﷺ، ثم أنه يذكر اعداء الفاطميين من الروم المعاصرين لهم في الزمن، والمتأخمين لهم في الحدود ومنهم الدمستق، وهم المقصودون بقوله «بنو الاصفر». ولا يمكننا هنا أن نستحصى جميع الشعر السياسى الذي قاله ابن هانئ، ولكننا أردنا ان نشير الى المتقدم في هذا الميدان الشعرى الشيعي في الشمال الإفريقي وهو ابن هانئ صاحب القصيدة السياسية في فتح مصر من قبل جوهر قائد المعز لدين الله الفاطمي:

تقول بنو العباس هل فتحت مصر؟ فقل لبنى العباس قد قضى الامر^١

وله ايضا قبل ذلك في انتهاء جوهر الى البحر ومجيئه بهدايا الى المعز:

ألا هكذا قد كان من قواد عسكرا وأورد عن رأي الامام واصدرا^٢

ونرى من الواجب ذكره ان الباحث المغربي حسن حسنى عبدالوهاب يقول عن ابن هانئ أنه مغربي ابن مغربي. ويعتبر ابن هانئ من الشعراء الذين تمكّنوا من تصوير العقائد الاسماعيلية في اشعارهم أفضل تصوير، وأنه من احسن المدافعين عن الشيعة في اشعاره، ومن اشعاره التي تحتسب على العقيدة الفاطمية، قصيدته التي مطلعها:

ما شئت لا ما شاءت الاقدار. فاحكم فانت الواحد القهار^٣

والتي يمدح فيها المعز.

وعلى كثرة الشعر السياسى في العهد الفاطمي، وعلى كثرة المعارضات الشعرية التي صدرت من المناوئين لشعراء الشيعة وعلى كثرة الاحداث التي حفل بها العهد الفاطمي خاصة وعلى ما كان من قوة للتشيع ووضوح وظهور في هذا العهد، نقول قاطعين بأن

١- ديوان ابن هانئ ص ٧٩.

٢- تاريخ الخلفاء الفاطميين ص ٦٠٢.

٣- ديوان ابن هانئ.



العصر الذهبي للشعر السياسي الشيعي في الشمال الإفريقي، وكذلك لشعر النقائض الشيعية السياسية كان هو العصر الفاطمي. وليس هذا معناه أن الشعر السياسي وشعر النقائض كان منعزلاً في بقية العصور، التي شهدت وجوداً شيعياً في المغرب، بل اننا وجدنا وكما مرّ ذلك الشعر في العصر الأندلسي، وكذلك نجد العصر الموحدية يحفل بمثل هذا الشعر سواء على ألسنة أمراء التشيع الشعراء أمثال محمد بن تومرت، وعبد المؤمن الإسلامي - كما مرّ علينا بعضها - وسواء على ألسنة شعراء الشيعة في ذلك العصر أمثال أبي العباس الجراوي الذي مرّت علينا قصيدته، التي يقول فيها:

أعليت دين الواحد القهّار بالمشرفية والقنا الخطّار
لو راء موسى ما فعلت وطارق زرياً بما لهما من الآثار

.....

لو أنها نصرت علياً لم تر خيل ابن حرب ساحة الانبار^١
وقد ذكرنا هذه الأبيات سابقاً وكان الجراوي يمدح فيها عبد المؤمن ابن علي، وقد كان لأبي العباس الجراوي شعر سياسي كثير، حيث هو شاعر الخلافة الموحدية لأكثر من خمسين عاماً.^٢

وكان له شعر سياسي في ذم أهل فاس، يقول فيه:

مشى اللؤم في الدنيا طريداً مشرداً يجوب بلاد الله شرقاً ومغرباً
فلما أتى فاساً تلقاه أهلهما وقالوا له: أهلاً وسهلاً ومرحباً^٣
ويظهر من هذه الأبيات أن أهل فاس كانوا على غير مذهب التشيع في العصر الموحدية، والا لما هجاهم الشاعر الشيعي الجراوي، وللجراوي أيضاً من الشعر السياسي، قوله:
وهل هم إلا من أناس تهافتوا فراشاً على أسيافكم وهي نيران؟

١- العلاقات الموحدية ص ١٢٩.

٢- الوافي بالادب العربي ج ١ ص ١٥٨.

٣- وفيات الأعيان ٦٢ ص ١٣٦.

عصوا دعوة المهدي وهي سفينة فأغرقهم طغيانهم وهي طوفان^١
ونفهم من هذه الأبيات أنها مدح لاحد الموحدين وتخليد لاحدى وقائعهم، وإشادة بدعوة
المهدي الموحدى، واعتبارها سفينة نجاة ينجو من ركبها، ويهلك من تركها.
ولا أدل على الشعر السياسى والاعتقاد بالامامة، ومنزلة الامام في شعر الموحدين من قول
شاعرهم هذا أبي العباس الجراوى:

ان الامام هو الطيب وقد شفى علل البرايا ظاهرا ودخيلا^٢
ومن يراجع اشعار الجراوى يجدها مليئة بالمصطلحات الشيعية، تلك التي عجم بها الشعر
الشيعي المشرق خاصة.

ومن الشعراء الذين لهم باع في الشعر السياسى خلال العهد الموحدى، والذين كان يقال
بتشيعهم من قبل الموحدين ابن حبّوس الذي نقلت عنه حماقات^٣ للمرابطين، فهرب الى
الأندلس، وعاد بانتصار الموحدين، وذهب المرابطون. ومن شعره السياسى والذي يظهر
عقيدته وأبعاد ثورته على المرابطون، قوله:

الدين دين الله لم يعبأ بمب	تدع، ولم يحفل بظلة ملحد
قالوا بنور العقل يدرك ما وراء	الغيب قلت قدي من الدعوى قد
بالشرع يدرك كل شيء غائب	والعقل ينكر كل ما لم يشهد
من لم يحط علما بغاية نفسه	وهي القرية من له بالابعد
اعدأؤنا في ربنا احبابنا	جرحوا القلوب وأقبلوا في العود
ستنالهم منها الغداة قوارع	ان لم تغلهم غولها فكأن قد

ونلاحظ ابن حبّوس قد جاهر باتهام المرابطون بالدعة والضلالة حتى أوصلهم الى
الاحاد، ثم حاجبهم على بعض المعتقدات على طريقة شعراء الشيعة المشاركة مع خصومهم

١- التيجيى المرسى: زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، ص ٥٠، دار الرائد العربى، بيروت ١٩٨٠.

٢- الوافى بالأدب العربى ج ١ ص ١٥٤.

٣- المعجب ص ٢١٤.

٤- نظم الجمال ص ١٠٣.

في الحجاج، ونلاحظ على ابن حَبَّوس أيضا ان شعره في هذه المقطوعة خالٍ من الخيال، بل هو منصرف الى قضايا منطقية وكلامية أكثر منه الى الخيال الشعري.

وهكذا نجد الشعر السياسي في أيام الموحدين قد أخذ شأنًا كبيرًا خاصة وان دولتهم قد اُبتنيت على اساس مذهبي، وانهم لم يقفوا عند حدود الشمال الإفريقي فقد توجَّهوا نحو المشرق وخطب لهم في مكَّة، وكذلك اخضعوا الأندلس بأسرها لسلطانهم، وقد نقلنا سابقا بعض الاشعار التي استقبل بها عبدالمؤمن عند عبوره الى الأندلس من قبل الشعراء الأندلسيين الذين تراحموا على الانشاد بين يديه، وكذلك ما قاله الشعراء في خلفائه هناك.

ولم تنتكس راية الشعر الشيعي السياسي بعد العصر الاول للدولة الموحدية وبعد وقت وحدتها، وانما وجد له رواجًا في زمن الحفصيين ايضا، ولا نحسب سينية ابن الأبار التي القاها في حضرة أبي زكريا الحفصي الا على الشعر السياسي الشيعي، وذلك لان شاعرها ابن الأبار القضاعي كان شيعيًا، وهو صاحب كتاب «درر السمط في خبر السبط»، ولأن الأمير الذي القيت في محضره كان يقال بتشيعة، وذلك لان الحفصيين فرع من الموحدين كما أوضحنا ذلك من قبل، وسينية ابن الأبار تلك التي مطلعها:

ادرك بخيلك خيل الله اندلسا ان السبيل الى منجاتها درسا

بقي ان نقول لربما يعتبر بعضهم سينية ابن الأبار من الشعر السياسي الشيعي الاندلسي، وهذا مما لا ضير فيه اذ انها تعتبر من جانب آخر على الشمال الإفريقي، وذلك لانها القيت على ارضه، ولان قائلها في ما بعد قد سكن هذا الشمال.

الغدِير

من أقوى الأدلة التي يستند اليها الشيعة على أحقية علي بن أبي طالب عليه السلام هو ما ينقلونه في كتبهم، وتشاركهم بعض كتب المسلمين في نقله من أن النبي ﷺ ومن بعد رجوعه من حجة الوداع، أوقف من معه بين المدينة ومكة عند مفترق الطرق الى الاقطار الاسلامية في منطقة شاملة على غدِير يقال له «غدِير خم»، وأمر بارجاع السابق، والحاق المتأخر، وخطب الناس

بعد الصلاة في ذلك الهجير، وفي الرمضاء معلنا عن تنصيب علي بن أبي طالب عليه السلام خليفة من بعده من قبل الله تعالى، وإن المسلمين بايعوه على ذلك بحضور من النبي ﷺ، ولكن بعد وفاة النبي تنكر بعضهم لهذه البيعة، وجرى ما جرى، وقد آلف الشيعة المؤلفات في هذه البيعة وأحداثها، وما قيل فيها من شعر، ومن أشهر هذه المؤلفات «الغدير في الكتاب والسنة والأدب» لعبدالحسين الاميني.

ومنذ الايام الاولى لهذه البيعة الغديرية لم يأل شعراء الشيعة جهدا في تخليدها، ويمكن القول بأن شاعرا شيعيا واحدا من بين كل شعراء الشيعة لم يغادر القول في غدير خم وبيعته، وعلى مرّ العصور التاريخية التي تلت ذلك. وشعراء الشيعة في الشمال الإفريقي شملهم هذا الامر كما شمل غيرهم من الشعراء المتشيعين، اذ ان الشيعة عموما اعتبروا الغدير قضيتهم المركزية الاولى، ودليلهم الدافع الاقوى الذي يستندون اليه في استحقاق الخلافة. والذي يجب ان نذكره هنا هو أن الشعر الغديري الشيعي في الشمال الإفريقي لم يصل إلينا أكثره، ولا نحسب ذلك إلا على ضياع الأدب الشيعي في الشمال الإفريقي، والذي يدعونا الى القول بكثرة الشعر الغديري الشيعي مع أننا لم نعثر على هذا الكثير هو الاعتزاز الذي كان من لدن المغاربة بالغدير، حيث أنهم كانوا يقيمون الاحتفالات بذكره، ويعتبرونه من الاعياد الاسلامية المهمة في التقليد الشيعي، فالدكتور محمد جمال الدين سرور عندما يعرض لاحتفالات المغاربة الفاتحين مع جوهر لمصر والمستقرين هناك، يقول (فقد حدث عند الاحتفال بغدير خم «١٨ ذى الحجة سنة ٣٦٢هـ» أن قام المغاربة بإثارة الشغب والاضطرابات، فخرج جوهر ليحول دون تماديهم.....)^١ والملاحظ على هذا النص هو أن هذا حال المغاربة وهم خارج ديارهم، فكيف بهم وهم بين ظهراني بلدهم الذي يقول بالتشيع وتحكمه دولة شيعية؟

وقد كانت الاعياد والمواسم والاحتفالات بها من دوافع ازدهار الشعر، وموضوعا من موضوعاته (حتى أن عمارة اليني في قصيدته التي رثى بها دولة الفاطميين لم يستطع إلا أن يذكر هذه الاعياد والمواسم فقال:

أبكى على ما تراءت من مكارمكم حال الزمان عليها وهي لم تحل

دار الضيافة كانت انس وافدكم
وفطرة الصوم اذ اضحت مكارمكم
وكسوة الناس في الفصلين قد درست
وموسم كان في يوم الخليج لكم
وأول العام والعيدين كم لكم
والارض تهتز في يوم الغدير كما
والخيل تعرض في وشي وفي شبه
واليوم اوحش من رسم ومن طلل
تشكو من الدهر حيفا غير محتمل
ورث منها جديد عندهم وبلي
يأتي تجملكم فيه على الجمل
فيهن من ويل جود ليس بالوشل
يهتز ما بين نصريكم من الاسل
مثل العرائس في حلي وفي حلل^١

وهذه الأبيات من عمارة سجلت الاعياد الفاطمية، وبعض المآثر من الكرم الفاطمي، وأنها ايضا تعتبر من الغديريات وكذلك فهي تؤكد الاهتمام الفاطمي بعيد الغدير، وقد يسجل عليها أنها كانت تشرح ما كان عليه الفاطميين في مصر، فنقول: ان الفاطميين عندما كانوا في المغرب لم يتخذوا عقيدة غير التشيع، وأن التشيع كان هو الاساس في بناء دولتهم ومعنى هذا أن اهتمامهم بالغدير ومنذ ايامهم الاولى في المغرب، وجميع المصادر تؤكد ذلك.

وعندما يعرض الدكتور محمد زغلول سلام أغراض الشعر الفاطمي، يقول (وركز شعراء الفاطميين على وصاية علي وهللوا واكثروا من الحديث عن يوم «غدير خم» الذي يعتقدون ان النبي ﷺ أوصى فيه لعلي رضي الله عنه، وجعله من بعده اماما ولكن أبا بكر وعمر اغتصبا حقه - فيما يدعون - واشادوا بفضل يوم «غدير خم» فجعلوه عيدا كما ذكرنا، وقللوا من شأن العباس، وأشاروا الى انه لم يكن سابقا الى الاسلام، بل جاء اسلامه متأخرا رغم ما أشاع العباسيون من فضله ودوره).^٢

ومن شعر الشمال الإفريقي في الغدير قول تميم ابن المعز لدين الله في رائيته، التي ردّها على ابن المعتز:

جادك الغيث من محلّة دارى وثوى فيك كلّ غار وسار

١- خطط المقرئ ج ٢ ص ٣٩٣.

٢- الادب في مصر الفاطمي ص ١٥-١٦.



الى أن يقول:

ثم يوم «الغدير» ما قد علمتم خصّه دون سائر الحضار^١
وقد ذكرنا هذه الرائية كاملة في مكان سابق من هذا البحث.

الحسين عليه السلام و كربلاء

مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب وأهل بيته واصحابه، وسبى عياله من قبل الامويين في كربلاء من أرض العراق سنة ٦٠هـ في أيام يزيد ابن معاوية ابن أبي سفيان كان الفاجعة الكبرى التي اصاب بها الاسلام والمسلمون. وقد بقيت الاجيال الاسلامية تعتبر مقتل الحسين من المصائب الكبرى وتحبى ذكره بالحزن والعزاء، وكان الشيعة من أكثر الفرق الاسلامية تأثرا بهذه النائية، واحياء لذكرها، وقد أخذ الشعراء الشيعة دورهم الفاعل في تخليد هذه الذكرى الاليمة، التي اتخذ منها الشيعة -بالإضافة الى كونها مدعاة للحزن والألم- وسيلة تحفيز واثارة للعواطف ضد قاتلى أهل البيت، وغاصبى حقهم في الخلافة، والتي يقول الشيعة بأنها لا تصلح الا لهم. ولم يتخلف شيعة الشمال الإفريقي وشعراؤه عن هذا الموج الشيعي العام، فاحياوا الذكرى ووظفوها احسن توظيف لخدمة مبادئهم، ولم يكدر عصر من العصور على الشمال الإفريقي الا وكانت ذكرى شهادة الحسين عليه السلام في العاشر من المحرم يوم عزاء عام، تقام به الاحتفالات التأبينية حسب ما يتناسب من قوة للتشيع في ذلك العصر، وحسب العادات والتقاليد المغربية، التي أخضعت بعض مراسم تلك الاحتفالات لها، حتى أن المغاربة نقلوا معهم مراسم عزاء الحسين الى البلاد التي افتتحوها واخضعوها لسلطانهم، وهذا ما كان منهم عندما افتتحو مصر على عهد الفاطميين (ففي العاشر من المحرم سنة ٣٦٣هـ، سار جماعة من المصريين الشيعيين والمغاربة في موكبهم ينوحون ويبكون على الحسين، وصاروا يعتدون على كل من لم يشاركهم في مظاهر الحزن والاسى، مما ادى الى تعطل حركة الاسواق وقيام القلاقل).^٢

ومما يؤسف له أن بعض المؤلفين الذين تعرضوا لذكر الاتهامات المغربية بعاشوراء الحسين اسماوا الاحتفالات التأبينية بهذه المناسبة من قبل المغاربة بـ «عيد عاشوراء»، أو أوردوا

١- عيد الغدير في عهد الفاطميين ص ٩٤.

٢- انماط الحنفا ص ١٩٨.

ذكرها تحت عنوان «الاعياد والمواسم»، وكأنهم ليسوا من أهل القبلة، ولم يعرفوا ما حلّ بآل الرسول ﷺ في ذلك، ومن هؤلاء على حامد الماجي^١. وكذلك عارف تامر عندما يعرض للاعياد على عهد الفاطميين فيقول (ومن أعياد الفاطميين ليلة أول شعبان، وليلة نصفه.... مولد الامام علي بن أبي طالب، مولد الحسن والحسين وفاطمة ويوم عاشوراء).^٢ ثم أن بعض المؤلفين يحمل على الفاطميين معتبرا إياهم من المبتدعين لبعض الاعياد، ويلقى باللائمة عليهم في سبب استمرار هذه الاعياد حتى أيامنا المعاصرة في مختلف انحاء المغرب العربي، ومن هؤلاء المؤلفين صاحب «عصر القيروان» الذي يورد عاشوراء الحسين بعنوان العيد، ويعتبرها من الاعياد التي ابتدعتها الفاطميون في المغرب، والتي لا يزال المدّاحون والقوالون يقيمون المجالس والحلقات بذكرها ويفيضون فيها الحديث والقصص بأسلوب شيق حول مكانة ابنة فاطمة بنت الرسول حتى يقول (وما تزال آثار هذه القصص منتشرة الى العصر الحاضر في مختلف انحاء المغرب العربي)^٣، ومن المؤلفين الذين عبّروا عن عاشوراء بالعيد ايضا صاحب «تاريخ افريقيا في العهد الحفصي»، وكذلك فإنه قد اكّد على وجود آثار هذا العيد وانها قائمة الى الوقت الحاضر، وان الفاطميين هم الذين ارسوا قواعده في الشمال الإفريقي، ونهج في سلوكهم هذا الحفصيون ومن جاء بعدهم.^٤

وقد اكّد الكثير من المؤلفين القدامى على وجود الاحتفاء بذكرى عاشوراء، واقامة المراسم بهذه المناسبة في الشمال الإفريقي ومنهم البكري^٥، وابن الدباغ المالكي^٦، وابن الحاجّ النميري^٧، وابن بطوطة^٨، وابن أبي دينار.^٩

١- انظر «المغرب في عصر السلطان ابي عنان المريني» ص ٢٦٥.

٢- تاريخ الاسماعيلية: الدولة الفاطمية الكبيرة ج ٣ ص ٨٣.

٣- عصر القيروان ص ٢٩.

٤- تاريخ افريقيا في العهد الحفصي ص ٣٠٤.

٥- المغرب ص ٣٦- ٧٩ «سوق عاشوراء بالمنستير».

٦- معالم الايمان ج ٤ ص ٥٠.

٧- ورد ذكره في كتابين لابن الحاجّ النميري ابي اسحاق ابراهيم بن عبدالله الغرناطي، وهما: «فيض العباب واجالة اقتداح

الآداب في الحركة الى قسنطينة والزاب» ص ١٨٦ والمدخل ج ١ ص ٢٨٦.

٨- تحفة النظّار ص ٦٦٢.

٩- ابن ابي دينار: المؤنس في اخبار افريقية وتونس - ص ٢٧٥ تونس ١٣٥٠.



مؤكدین على أنّ في ليلة عاشوراء ويومها يساعد الضعفاء والفقراء، وتنحر الذبائح وتعمّ مظاهر الحزن التي لقيت فيما بعد شيئاً من التحريف.

ويظهر من كثرة الذكر الذي حظي فيه عاشوراء على عهد الحفصيين خاصة ومن الاهتمام الأكبر الذي اعطاه الحفصيون لهذا اليوم، وما حلّ فيه بآل الرسول أنه كانت الاحتفالات التأبينية في عاشوراء أكثر من بقية العصور، ولا يعنى هذا أن العصور الأخرى لم تعط أهمية لعاشوراء الحسين، بل ان جميع العصور التي مرت على المغرب وكما أشرنا قد اجلّت عاشوراء وكربلاء الحسين ومنها العهد المريني الذي أورد ذكره صاحب كتاب «فاس في عهد بنى مرين» في الصفحة ١٩٩.

وأما عن الشعر الذي خلّد كربلاء الحسين في الشمال الإفريقي فلم نجد أقدم من القصيدة التي كانت للقائم ابن المهدي الفاطمي والتي ارسلها الى ابيه عبيدالله المهدي، يذكر فيها جهاده لاعداء دولتهم الشيعية، ويعدّد بعض الفضائل المتعلقة بالبيت العلوي، وبعض النوازل التي اصابتهم، ومنها مصيبة الحسين الاسلامي في كربلاء والتي لا يندمل جرحها، تلك التي يقول فيها:

ذكرت حسينا فاستهلت مدامعى وقلت وانى لست انسى اوائلى
سأقتل منهم كل رأس وتابع واتركهم صرعى بملقى الجنادل
وتسري خيولي من ورا النيل تبتغى عدى الدين حتى تستقر بكابل^١

وقد ذكرنا هذه القصيدة كاملة في فصل سابق من هذا البحث.

وربما قد سبق ابیات القائم هذه في ذكر الحسين، ذلك الشعر الذي قاله شاعر الفاطميين في بناء مدينة المهديّة من قبل عبيدالله المهدي لاتخاذها عاصمة له بدلاً من رقّادة:

بُنِيَتْ بارض المغرب دار دانت لها الاقطار والامصار
لاذت ببرد الماء لما أيقنت أن القلوب على الحسين حرار^٢

١- تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ص ٢٢٧.

٢- الروض المعطار ص ٥٦٢.

ومن بعد قصيدة القائم الفاطمي، تواردت الاشعار من شعراء الشيعة في رثاء الحسين، ولا نعتقد بأن الشيعة الذين سبقوا الفاطميين لم يذكروا الحسين في اشعارهم، ولكن لا نعرف السبب في عدم وصول هذه الاشعار لنا.

وبعد القائم العبيدي في رثاء الحسين كان فارس حلبة ميدان الشعر الشيعي المغربي هو الذي تولّى رثاء الحسين عليه السلام، ونقصد به ابن هانيء الأندلسي الذي عرّج على كربلاء، بقوله:

ألا ان يوما هاشيما أظلمهم يطير فراش الهمام عن كل مجثم
كيوم يزيد والسبايا طريدة ككلّ موار الملاط عثممي
وقد غصّت البید بالعیس فوقها كرائم ابناء النبي المكرم^١
وقوله:

ونادت بثارة الحسين كتائب تمطّي سراعاً في قناها المعارك^٢
وبعده -أي ابن هانيء- سارع الشعراء الشيعة إلى رثاء الحسين في الشمال الإفريقي، ولربما أبرز من رثى الحسين بعد ابن هانيء الأندلسي، هو شاعر بيت الفاطميين الشيعة تميم ابن المعز بقوله:

ثوت لي اسلاف كرام بكر بلا هم لثغور المسلمين سداد
أصابتهم من عبدشمس عداوة وعاجلهم بالناكثين حصاد
فكيف يلذ العيش عفوا وقد سطا وجار على آل النبي زياد؟
وقتلهم بغيا عبيد وكادهم يزيد بانواع الشقاق فبادوا
بثارات بدرٍ قاتلوهم ومكّة وكادوهم والحق ليس يكاد
فحكمت الاسياف وفيهم وسلّطت عليهم رماح للنفاق حداد
فكم كربة في كربلاء شديدة دهاهم بها للناكثين كياذ^٣
ومن شعراء الرثاء الحسيني السوسي الشاعر المعروف بالامير أبي عبدالله محمد بن

١- ناجي منير: ابن هانيء الأندلسي ص ٨٥، دار الجامعيين، ط ١، ١٩٦٢.

٢- ديوان ابن هانيء ص ١٣٠.

٣- الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي ص ٣٧٤.

عبد العزيز بن محمد السوسي، وقد ذكر له ابن شهر آشوب في «معالم العلماء» شعرا بخصوص الحسين عليه السلام وكربلاء، وقد اورد له ايضا في كتاب المناقب مرثي في أهل البيت، وشعره كثير وله في رثاء الحسين قصائد منها التي يقول فيها:

كم دموع ممزوجة بدماءٍ سكبتها العيون في كربلاء^١
ومن الذين رثوا الحسين وبعبرة صادقة الشاعر أبو العباس الجراوي المعروف بتحمسه لأهل البيت وحرقته على ما اصابهم من مصائب وخاصة مصيبة الحسين في كربلاء، وكان رثاء أبي العباس للحسين عليه السلام بقصيدة طويلة خمس فيها معلقة امرئ القيس نقلها محمد بن تاويت عنه في وافيهِ وقد علّق عليها بأن مرثي الحسين أخذت نصيبها الأوفى في أشعار المغاربة وخاصة المتشيعين منهم:

فليلي دعوى برحت بخفاء	ألا انزلا رحل الاسى بفنائى
وهذا من الصبر الجميل بنائى	قفا ساعدانى لات حين عزائى
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل	
بترك ربع للرسالة سبب	تجىء به هوج الرياح وتذهب
لا تنهمى فيه العيون وتسكب	وتظلع اعناق الذنوب وتذهب
بسقط اللوى بين الدخول فحومل	
ديار الهدى بالخيف والحجرات	الى ملتقى جمع الى عرفات
جارى سيول الغيم والعبرات	معرف هدى أصبحت نكرات
لما نسجتها من جنوب وشمال	
نذيرى من رزء بصبري يعيث	ومن شائى في عقدة الصبر ينث
اي مصاب عهده لبس ينكث	كانى اذا ما القوم عنه تحدثوا
لدى سمرات الحي ناقف حنظل	
ألا يا رسول الله صدرى توهجا	لمصرع سبط في الدماء تضرجا

فتعسا لاقوام يريدون لى نجا

زناد فؤادي باللواعج تقدح
لفاضت جفوني بالسواكب تطفح

ومحكمه لا يتقى حكم ناسخ
لعات بنعي السبط صرخة صارخ

تملك فؤادي متهما فيه منجدا
لناديته قبل الوصول مرددا

ففى ألمي بعد الحسين تلذذى
ويا مقلتي من أن تشحى تعوذى

تذكرت فيه كربلاء فحيروا
بثت له بالطف ماكنت أضمر

وما طل ذاك الدمع وفي وانجزا
فغاية هذا الحزن أن يستحيزا

وسهدي الى ورد المدامع فارط
تعدت شجون في القضايا قواسط

مطلت جيد اليأس من حيلة الرجا
يقولون لا تهلك أسى وتجمل
على مثل ما امسى من الحب اصبح
ولو أن قلبى للتجلد يـجـنـح
على النحر حتى بلّ دمعى محملى
عهود مصابى امننت يد فاسخ
فلو أشتكيه للنجوم البواذخ
فقلت لك الويلات انك مرجلي
أقول للحزن في الحسين تأكدا
ولو غير هذا الرزء راح أو اغتدى
عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل
سهام الاسى هذا فؤادي فانغذي
ومن عبرتى والثكل أروى واغتدى
ولا تبعديني من جناك المعلن
وركب اذا جارا هم البرق يعثر
وغيداء لا تدري الاسى كيف يخطر
فالهيتها عن ذى تمائم محول
مجلي الاسلى في ملعب الصدر برزا
وحاز الاسى من قلبى الصب مركزا
بشق وشق عندنا لم يحول
غرائب في عشواء ثكلى خابط
وللقلب في مهوى الوجيب مساقط
علي وآلت حلفة لم تحلل

أما لعهود الهاشميين حافظ
على ثكله قلب الكريم محافظ
فسلى ثيابي من ثيابك تنسل
نجيع حفيد المصطفى كيف يسفك
فيا كربلا والكرب لى متملك
وانك مهما تامرى القلب يفعل
أيا حسرتى يوم انتاوا وتحولوا
ليسبوا على حكم الضلال ويقتلوا
بسهميك في أعشار قلب مقفل
أيا فاسقا قاد الغرور شكائمه
تهياً ليوم الحشر تجرع علاقمه
وما أن أرى عنك العماية تنجل
تبرأ من قلب بلذته اعتنى
إذا ما اقتضوا وردا احيلا على القنا
غذاها نمير الماء غير المحلل
عصوا في احتمال الرأس يا ويح من عصى
لكى يدركوا عند ابن حرب تخلصا
منارة ممسى راهب متبتل
فؤادي صرح بالجوي لا تعرض
ويا سهري من طيب نومى تعوض
وليس فؤادي عن هواها بمنسل
مصاب حسين رأس مال الفجائع
وقرطس يسهم العتب غير مسامعي

فبالطف يوم الرسالة غائظ
فيامهجتى انى على السبط فائظ
ورق بنيه بعده كيف يملك
ليكفيك منى أن ذكرك مهلك
الى كربلاء مأوى القلوب تنقلوا
فيارزهم صمم ومثلك يفعل
فأورد في صدر الحسين صوارمه
فمالك منجى من خصومة فاطمة
وآل رسول الله في شر مجتنى
وعترة حرب في جنى روض المنى
وخلوا حسينا في الثرى منقمصا
كأن سنا رأس الحسين على العصا
ويا دمع ذهب وجنتى لا تغضض
فما عمر أحزاني عليه بمنقض
فلا تك في سلوان قلبي بطامع
ثكلتك من ناه عن الحزن وازع

تصيح على تعذاله غير مؤتل
الى الله من عبد على سبد بغى
ينادى رسول الله في أزمة الوغى
علي بأنواع الهوم لىبتلي
الا انه يوم على الطف آزف
وساعده قلب هنالك واجف
الا أيها الليل الطويل الانجل
أيا حادى المختار جلدي يمزق
وكيف نحن اليوم أو كيف تشفق
كجلمود صخر حطه السيل من عل
أيا أمة الطغيان ما لكم حس
أترجون اصباحا وقد غابت الشمس
كما زالت الصفواء بالمنتزل
رويتم وضج السبط فيك تعطشا
ألا رب حقد في صدركم فشا
يجيد معم في العشرية مخول
قضى الله أن يقضى على القمر السها
فشعر الحسين بالنجيع تموها
عصارة حناء بشيب مرجل
بقايا ضلوعي فوق جمر الغضا تطوي
لزرء قضى أن يغلب الاضعف الأقوى
نزول اليماني ذي العياب المحمل
فرمت به قلبا عن الصبر أجفلا

فغادره تحت العجاج ممرغا
أجرنى من باغ بعدوانه طغى
به نكرت لابن الرسول معارف
فنادى ظلام الظلم النحر راعف
بعدوان قوم غيهم يتفرق
قلوب عدى عن موقف الوعظ تزهق
على م بناء الدار ان هدم الاس
وزلّ بكم عن دينكم ذلك الرجس
فسقيتموه ظالمين دم الحشا
فأغريرتم للصارم العضب أرفشا
فراشة سوء زلزلت عصابة النهى
ترى الدم في تلك الذوائب مشبها
ودمعي يسقي حرّ جمر لا يروي
وينزل أهل الفسق في أربع التقوى
تحمل من برج الجوى ما تحملا



ولا ناصر بعدي على جور كربلا
يكب على الاذقان دوح الكهنبل
لمثك من رزء عصيت عزائيا
فلو أننى ناجيت طودا يمانيا
فأنزل منه العصم من كل منزل
لاتتحلن الدهر حب بنى علي
عسى جدهم يوم الجزا أن يمد لي
فأظفر بالرحمى من الملك العلي
فيا سامعي هذا الرثاء ترحموا
مؤخر سعيي حبه متقدم
بوجه يرقيه لكل مؤمل^١

ولا نظن أن هذه القصيدة تحتاج الى تعليق عليها بعد أن علق عليها محمد بن تاويت وبعدها أفصحت هي عن شدة ايمان قائلها بما نظمها له.

ولا نحسب أحدا من شعراء الشيعة في الشمال الإفريقي قد غادر غرض الحسين وكربلاء، ولكننا لا نحسب ضياع هذا الشعر وعدم وصوله إلينا الأعلى ضياع الأدب الشيعي الذي طالما أكدنا عليه.

الرثاء

الرثاء من أغراض الشعر الرئيسية في الأدب العربي، ولم يتنصل شعراء الشيعة عن هذا الغرض الرئيس في سنة جلدتهم الشعرية، ولذا نجدهم برعوا فيه براعة خاصة وأنهم تعرضوا لمجموعة من النكبات التي أودت بأمتهم وقادتهم، والتي استدعتهم لهذا الغرض اى استدعاء، هذا بالاضافة الى كونهم يعيشون كباقي الناس فيفقدون الاحبة، ولذلك تراهم أثروا المكتبة

١- من بحث الاستاذ الفاسي «شاعر الخلافة الموحدية ابو العباس الجراوي» نقلا من مخطوط لشيخنا سيدي جواد الصقلي رحمه الله واحسن مثواه». نقل هذا جميعا محمد بن تاويت في وافيهِ ج ١ ص ١٦٠ الى - ١٦٣.



العربية الشعرية بالمراثي المؤثرة، خاصة وانهم أهل الجرح الأكبر في كربلاء التي مرّ ذكرها وانهم الذين قتلوا في أكثر من وقعة وعلى مر العصور والادوار السياسية.

وشعراء الشيعة في الشمال الإفريقي شاركوا شعراء الشيعة الآخرين في إثراء هذا الغرض المهم من أغراض الشعر العربي ولا نريد هنا ايراد كل ما قيل من قبل شعراء الشيعة هناك، بقدر ما نريد الإشارة الى أن هناك شعر رثاء يعتدّ به، وقد كان على السنة كبراء شعراء التشيع في الشمال الإفريقي، ومن ذلك قول محمد بن رمضان الشاعر الفاطمي في رثاء اهله الذين غدر بهم ابراهيم بن الاغلب وقتلهم لتشييعهم:

جلّ المصاب لئن كان الذي ذكروا مما اتتنا به الأنباء والخبرُ
عن الف اروع كالآساد قد قتلوا بساعة في سواد الليل اذ غدروا

.....

قل لابن أحمد ابراهيم مالكة عن الخبير بما يأتي وما يذر
واعلم بأن شرار الناس أطولهم يدا بمكروه غدر اذ هم غدروا

.....

فما اعتذارك من عارٍ ومنقصةٍ أتيتها عامدا ان قمت تعتذر؟
جرّعت ضيفك كأسا انت شاربها عمّا قليل، وامر الله ينتظر^١

وقد مزج محمد بن رمضان في شعره هذا بين الرثاء والهجاء لابن الاغلب، والتهديد له بقرب زوال دولتهم.

ومن شعر الرثاء ما وصلنا عن عثمان بن سعيد بن الصيقل^٢ وذلك بمناسبة وفاة المهدي بالله الفاطمي بالمهدية في ليلة الثلاثاء للنصف من شهر ربيع الاول، وهو قوله:

وهت مرر الصبر فانحلت ورثت عرى الحزم فاجتثت^٣

١- تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ص ٥٥.

٢- عثمان بن سعيد بن الصيقل: شاعر من موالى الاغلبية استقدمه الحكم الثاني الى قرطبة، ويبدو انه مثل نظرائه من الشعراء السنة تأرجح بين الولاء للفاطميين والعداوة لهم. انظر: رياض النفوس ج ٢ ص ٤٧٧ هامش ٩٤.

٣- تاريخ الخلفاء الفاطميين ص ٢٣٩ وما بعدها.

وكانت قصيدة ابن الصيقل هذه تتكون من ثلاثة وثلاثين بيتا نقلها الداعي ادريس في تاريخه.

ومن الرثاء والتحسر ما ينسب من شعر لاحد خلفاء الفاطميين وهو المعز لدين الله، أو لابنه العزيز في موت ولد لاحدهما في اقبال عيد:

نحن بنو المصطفى ذوو محن
ثلاثة ابنيات مر ذكرها.

ومن المراثي الشيعية تلك التي كانت لأبي عبدالرحمن بكر بن حماد بن سمك، وقيل ابن سهر التاهرتي، وهو من العلماء الحفاظ للحديث ومحدث ايضا وقد كان أديبا شاعرا من أهل القيروان سكن تاهرت وتوفي بها سنة ٢٩٦هـ، وقد كانت مرثيته في رثاء الامام امير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام:

قل لابن ملجم والاقدار غالبة
قتلت أفضل من يمشى على قدم
وأعلم الناس بالقرآن ثم بما
صهر النبي ومولاه وناصره
وكان منه على رغم الحسود له
وكان في الحرب سيفا صارما ذكرنا
هدمت ويلك للاسلام اركانا
وأكمل الناس اسلاما وايمانا
سنّ الرسول لنا شرعا وتبيانا
اضحت مناقبه نورا وبرهانا
مكان هارون من موسى بن عمران
ليثا اذا لقي الأقران أقرانا^١

وقد حملت هذه المرثية للتاهرتي جملة من الاشارات الى مناقب علي بن أبي طالب والى الاحاديث التي كانت من النبي بخصوصه وهذه القصيدة تدفع عنه الاتهام الموجه له في تشيعه. واما ما خلفه لنا الشعر الموحد في غرض الرثاء فكثير جدا ومنه، تلك القصيدة التي رثي بها محمد بن تومرت، ويقال أن شاعرها قد انشدها بنفسه على قبر ابن تومرت، وقد كان الشاعر من مدينة الجزائر، وهي:

١- نفس المصدر ص ٧٣٥-٧٣٦.

٢- مشاهير شعراء الشيعة ج ١ ص ٢٤١.

سلام على قبر الامام المجدد سلاله خير العالمين محمد
ومشبهه في خلقه ثم في اسمه وفي اسم ابيه والقضاء المسدد^١
وقد ذكرنا هذه القصيدة كاملة في فصل سابق.

المدح والهجاء

المدح والهجاء من الاغراض التي لها عمق في تاريخ الشعر العربي، وقد حفل بهما الشعر الشيعي في الشمال الإفريقي وذلك لكون الشعراء الشيعة لديهم من يجلّونهم ويحترمونهم سواء على مستوى المعتقد والقيادة والمبادئ، وسواء على مستوى العلاقات الشخصية وتبادل الاحسان، وكذلك لديهم من الاعداء على مستوى العقيدة والمبادئ، ومن كانوا يبغضونهم في حدود القضايا الشخصية ايضا.

وقد مرّت علينا اثناء البحث الكثير من اشعار المدح والهجاء الذي خلفها شعراء الشيعة في الشمال الإفريقي، ومنها قصيدة المدح التي كانت من بكر بن حماد التاهرتي في أحمد بن القاسم بن ادريس والى البصرة المغربية، والتي كان مطلعها:

ان السماحة والمروءة والندى جمعوا لاحمد من بني القاسم^٢
ويقول ابراهيم الدسوقي جاد الرب عن بكر بن حماد انه (مدّاح شهير من مداحي تلك الفترة)^٣ ولنفس الشاعر بكر بن حماد في مدح احد الأدارسة، قوله:

سائل زواغة عن فعال سيوفه ورماحه في العارض المتهلل^٤
وقد ذكر البكري ثلاثة ابيات ذكرناها سابقا، وظاهر القول الذي يفهم من كلام البكري ان هذه الأبيات من قصيدة طويلة.

وقد كانت الامداح التي مدح بها الأدارسة كثيرا ما تؤكد لهم النسب النبوي الشريف،

١- تاريخ الجزائر العام ج ١ ص ٣١٢.

٢- شعر المغرب حتى خلافة المعز ص ٥٠.

٣- نفس المصدر.

٤- المغرب ص ١٤٢-١٤٣.



وتشني عليه، ولم يصلنا الكثير من هذه الامداح التي نتوقع كثرتها، بالقياس الى طول الفترة التي حكم فيها الأدارسة المغرب، ومن هذه الامداح قول احد الشعراء يدح محمد بن ادريس الذي قام بالأمر بعد ابيه من بين اثني عشر ولدًا كانوا لادريس الأول:

اولو طهارة احساب اذا انتسبوا ابدى السرور ابتهاجا كلما فخروا
توارثوا المجد عن آبائهم فلهم فوق السهى رتب من فوقها ظهورا
اذا توضع نشر الحمد عن عقب فاعلم بأنهم في حينه ذكروا^١
ومن مداحي الأدارسة الشاعر أحمد بن الفتح المعروف بالخزاز التاهرتي وله في ابراهيم بن القاسم:

مَجَّ الاله اللهو الآ قينة بصريّة في حمرة وبياض^٢
وقد مرّت هذه الأبيات علينا سابقا، ومن الملاحظ عليها أنها اتبعت سنة شعرية قديمة حيث استهل الشاعر مديحه بالغزل.

ولم نعثر على شعر في الهجاء صدر من الشعراء المتشيعين في زمن الأدارسة، ولكننا وجدنا شعرا لاحد الشعراء الفاطميين يهجو مدينة فاس عاصمة الأدارسة الأولى حيث يقول:

دخلت فاساً ولي شوق الى فاس والجبن يأخذ بالعينين والراس
فلست ادخل فاساً ما حييت ولو اعطيت فاساً بما فيها من الناس^٣
وما ان حلّ العصر الفاطمي حتى لقي شعر المديح والهجاء معا رواجاً لم يلقيهما بالشمال الإفريقي من قبل، وذلك للمنزلة والتشجيع الذي حصل عليها الشعر في زمن الفاطميين، ولقوة الدولة، واهبة السلطان الذي حظيت به الدولة افاطمية، وكذلك لكثرة الشعراء والاعداء في الشمال الإفريقي، وأول المديح ما قيل في عبيدالله المهدي أول خلفاء الدولة الفاطمية من قبل محمد بن البديل، وهو قوله:

حلّ برقادة المسيح حلّ بها آدم ونوح^٤

١- جنى زهرة الآس ص ٢٨.

٢- الروض المعطار ص ١٠٩.

٣- البيان المغرب ص ١٨٣.

٤- نفس المصدر ص ١٦٠.

وقد كان شعر المدح الذي قيل في الفاطميين تتجلى فيه مظاهر العقيدة الشيعية في الأئمة خاصة الاسماعيلية، وحقّ العلويين بالخلافة وانتسابهم الى البيت النبوي، وشرح المظالم التي لحقت بآل البيت، وتهنئتهم بما آل اليهم من الأمر الذي حق لهم، واطهار عظمتهم وسطوتهم والتعريض باعدائهم من امويين وعباسيين وروم ومتمردين، وتبيان أن العاقبة لهم، وقد اتسم هذا الشعر بالواقعية مرة وبالمبالغة مرة اخرى، حسب الشعراء وحسب منهج كل منهم، واما الاهاجى التي جاءت من الشعراء الشيعة فانها تبين في اعدائهم الانحراف عن الدين وعدم مولاة الحق، وقد جاءت بعض الاهاجى من اعداء الشيعة في الفاطميين، وكان اكثرها ينصبّ على الطعن في نسب الفاطميين ووصفهم بالكفر، وقد ذكرنا بعضها من قبل في مواضع استدعتنا حاجة البحث له.

ومن قصائد المدح الأولى تلك التي مدح بها سعدون الورجيني أو الورجيلي^١ عبيدالله المهدي عندما استقر به الامر في رقادة وتمت له البيعة، فدخل عليه انصاره مهئين ومبايعين، وسمح في حينها للشعراء بالانشاد، فقال سعدون بين يدي المهدي:

كف بالمطي على مرابع دور	لبست معالمهن ثوب دثور
لعبت بها حتى محت آثارها	ريحان: ريح صبا وريح دُبُور

حتى انتهى الى قوله:

وسفينة هبّت تصد عن النوى	ويد النوى ملكت عنان مسيرى
خافت عليّ من الخطوب، لأننى	من قبل غبت، وأُبتُّ بعد دهور
ثم اجتمعنا بعد ذاك، فيا لها	مأسورة جمعت على مأسور!

يقول الداعي ادريس حين ينقل هذه الأبيات (فاستعبر المهدي بالله حين انتهى الى هذا المكان من الشعر، وتلقى عبرته بكلمته، فسكت سعدون، فأوماً اليه المهدي بالله أن مرّ، فرّ فيها حتى قال:

أعن ابن فاطمة تصدين امرأ	بنت النبي وعطرة التطهير
--------------------------	-------------------------

١- انظر عن سعدون: رياض النفوس ج ٢ ص ٥٠١ هامش ٨٣، ولربما يعود نسبه الى ورقلة الحالية في جنوب الجزائر.



كُفِّي عن التشيط انى زائر من أهل بيت الوحي خير مزور
فقال له أبو عبدالله «يعنى الشيعى» وكان قائماً بين يدى الامام المهدي بالله: صدقت، هم
أفضل العالمين، فقبّل سعدون الارض بين يديه، ومرّ فيها حتى انتهى الى قوله:
هذا امير المؤمنين تضععت لقدومه أركان كل امير
هذا الامام الفاطمي ومن به أمنت مغاربنا من المحذور
والشرق ليس لشامه وعراقه من مهرب من جنده المنصور
حتى يفوز من الخلافة بالمنى ويفاز منه بعدله المنشور
فقال امير المؤمنين «يعنى المهدي»: ما شاء الله، ومرّ فيها الى أن ذكر أبا عبدالله «يعنى
الشيعى»، فقال:

يا من تخيّر من خيار دعائه أرجاهم في العسر والميسور
حتى استمال اليه كلّ قبيلة ورمى اليه قياد كلّ عشور
أشبهت موسى وهو حيّك التي تلقى فتدمغ افك كلّ سحور^١
ونلاحظ على قصيدة سعدون الورجيني هذه سلالة الالفاظ ووضوح المعاني ووجود
المصطلحات الشيعية، وتمثيلة الطموح الشيعي في مدّ نفوذه الى بقية ارجاء العالم الاسلامي، وان
عيونهم تشيع أكثر نحو المشرق، وانها - القصيدة - لم تغفل منزلة داعية الفاطميين الاول وما
بذله من جهود، والشيء الاهم يظهر من التقديم الذي اعطاه الداعي ادريس لهذه القصيدة، ان
سعدون قديم في التشيع، أو انه تشيع في الايام الاولى من قدوم المهدي الى المغرب، ويقول
صاحب رياض النفوس عن سعدون أنه أول من مدح عبيدالله المهدي في دخوله القيروان.^٢
ومن الشعراء الشيعة الذين ولعوا بحب الفاطميين وأثروهم باشعارهم خليل بن اسحاق،
ومن مدائح خليل للفاطميين تلك الأبيات التي قالها حينما مرض المهدي الفاطمي، وتوافد عليه
اولياؤه ومحّبوه لزيارته، وقد منع الزوار يوماً لاشتداد مرضه الذي توفي فيه، وكان من

١- تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ص ١٧٥-١٧٦.

٢- رياض النفوس ج ١ ص ٥٠١.

الممنوعين الشاعر خليل بن اسحاق، فكتب بهذه الأبيات الى المهدي:

حلفت وان قلت الذي ليس في قلبي فلا غفر الله المهيمن لي ذنبي
لأنت أمير المؤمنين على الظمأ احبّ الى قلبي من البارد العذب

.....

فأصبح دين الله بعد دروسه جديدا كما أنبا به جدك المنبي
فلما انتهت الأبيات الى المهدي بالله امر بدخوله من ساعته، فدخل اليه وأنشد الأبيات بين يديه.^١

وله ايضا القصيدة التي يردّها على مروان بن أبي حفصة، ويأتي بها على مدح القائم الفاطمي، فيقول:

قف بالمنازل واسألن اطلالها ماذا يضرّك ان اردت سؤالها

.....

صلى الاله على النبي محمد وعلى الامام وزاده أمثالها
ان الامام أقام سنة جدّه للمسلمين كما حذوت نعالها
أحى شرائعها وقوم كتبها وفروضها وحرامها وحلالها
وهدى به الله البريّة بعدما طلب الغواة الظالمين ضلالها
ان الخلافة يا ابن بنت محمد حطّت اليك عن النبي رحالها^٢
فهو يرى بأن الله يصلى على الامام الفاطمي كما صلى على النبي، وانه اى الامام الفاطمي أقام سنة جدّه التي اوصلته الى الخلافة.

وعندما يعلّق الدكتور شوقي ضيف على هذه الأبيات يقول (الأبيات تسجل عذوبة، اذ عرف خليل بن اسحاق كيف يصطنى لها الالفاظ، وكيف يلائم بين جرسها، مع حلاوة الصوت، ومع تشابك الكلمات في كل بيت وكأن كلّ كلمة لبّت قرينتها، واستجابت لصاحبيتها وجارتها،

١- نفس المصدر ص ٢٣٨ - ٢٣٩.

٢- نفس المصدر ص ٨٦.



وحقاً الصورة في الأبيات المّ بها الشعراء وطالما المّ بها الشعراء قبله غير أنه عاد عرضها عرضاً يستهويك بصياغة، وما يثبت فيه من الجناسات والطباقات)^١
 و خليل بن اسحاق شاعر من الطبقة الاولى في الشمال الإفريقي، وكذلك من الطبقة الاولى من شعراء الشيعة هناك، ومن شعره:

ذهب اكاليل الوسامة	وابيضّ مسود الغمامه
وجفّاك من عذّبتّه	وأطلت من شوق غرامه
والغفانيات اذا رأي	من الرأس اصبح كالثغامه*
اعرض اعراض الجمو	ح اذا أبحت له لجامه
من ودّني، فمودّتي	وقف عليه الى القيامه
ومن انثنى عني دعو	ت له المهيمن بالسلامه
لا أحمل الحقد المقيـ	م على الصديق ولا العلامه
واذا تعرّض جاهل	أو ظالم منّي ظلامه
طوقتها عن قدرة	في جيده طوق الحمامه
ولقد ركبت الخيل تحـ	مل شكّتي مثل النعامه
ونصرت آل محمد	وأذقت شأنهم حمامه
والخيل تعلم أنني	في الحرب أصدقها شهامه
واعزّزها نفسا واكـ	رمها واكثرها صرامه
ولقد أبيت مع الفتا	ة كأنها شمس الغمامه
ففي ريقها ولحاظها	طُرف الفواكه والمدامه
لا والذي خصّ الخليـ	فة بالخلافة والأمامه
وحباه بالنبا العظيـ	م وبالفضيلة والكرامه

١- نفس المصدر ص ٨٦.

*- الثغامة: شجرة ذات زهر ابيض.

ما خنت عهدا للصيد ق ولا رجعت له ندامه
ولقد وفيت لمن هوى ت كما وفي كعب بن مامه
لا خير في الدنيا لمن لا يترجي دار المقامه^١

ولا يخفى على أهل الصنعة ما في هذه القصيدة من قوة وانسيابية ، وعدم تكلف مع وضوح معانيها بالفاظ جزلة غير مبتذلة، وجمعها بين الفخر والحكمة والموعظة، هذا بالإضافة الى ان شاعرها قد عرّج الى ما يؤمن به من مبادئ باسلوب رشيق، ومما يظهر في القصيدة ايضا ايمان الشاعر بأن النبا العظيم هو علي بن أبي طالب، وذلك هو ما تذهب اليه الشيعة في تفسيرها للآية القرآنية الكريمة ﴿عَمَّ تَسَاءَلُونَ﴾ عن النبا العظيم * الذي هم فيه مختلفون^٢، وانه قد جمع الامامة والخلافة.

ومن المدائح التي ذكرت للشيعة في العهد الفاطمي ما نقل للشاعر محمد بن أبي القاسم التونسي، والذي يرجح اليعلاوي ان اسمه علي بن محمد التونسي الايادي^٣، حيث قال قصيدة بمناسبة بيعته المنصور ابن القائم ثالث خلفاء الفاطميين، وكان مطلعها:

توسم صباح المجد من اين يشرق وعرف الرضى والحلم من أين يعبق
وقد ذكر الداعي ادريس واحدا وعشرين بيتاً منها^٤.

ومن الذين أنشدوا في هذه المناسبة مهنئين ومادحين للخليفة الجديد محمد بن أحمد الطرزي^٥، وكان قد قال قصيدة جاء في مطلعها:

يقوّ لنا أن نصف الفخر والمجد ونكثر فيك الشكر لله والحمد^٦
وكان المنصور قد مدحه الشعراء، وخلّدوا وقائعه مع أبي يزيد مخلّد بن كيداد اليفرني

١- تاريخ الخلفاء الفاطميين ص ٢٩١ - ٢٩٢.

٢- سورة عمّ الآية ١ - ٣.

٣- الحواريات عدد ١٧ سنة ١٩٧٩ ص ٥٣.

٤- تاريخ الخلفاء الفاطميين ص ٣٤٢ - ٣٤٣.

٥- لم نشر في المصادر عن شيء نعرف من خلاله شخصية هذا الشاعر، ولكن الدباغ في معالم الايمان ج ٣ ص ٧ - ٩ قال أن طرزة قرية بافريقية، ولربما ينتسب هذا الشاعر الى تلك القرية.

٦- تاريخ الخلفاء الفاطميين ص ٣٤٣.



الخارجي، خاصة وان تلك الوقائع كانت على أشدها في زمن المنصور، الذي ورث هذا التمرد على الفاطميين من زمن ابيه القائم، ومن أولئك الشعراء الذين خلدوا تلك الوقائع، ومدحوا قائدها المنصور عبدالله بن اصبغ، الذي يقول في وقعة القيروان:

ويوم بأرض القيروان شهدته وقد ظلّ فيه الجو أغبر أقمتا
وطاشت به الأبطال خوفا واخرست لموضع خطب يملأ السمع والفما
وقد ذكر الداعي ادريس من قصيدة عبدالله هذه اثني عشر بيتا.^١

ومن ظاهر كلام المؤرخين للعهد الفاطمي نفهم أن خلفاء الفاطميين كانوا يحرصون أشد الحرص على النشاط الادبي، وخاصة شعر المديح منه خدمة لاهدافهم السياسية، حيث أن الدكتور ابراهيم الدسوقي جاد الرب يقول في هذا المجال عن ذلك (وكان نشاط الأدب - والمديح نوع منه - مما يحرص عليه الحكّام من باب المباهاة، ولا بدّ أن الفاطميين كانوا حريصين على منافسة قرطبة وبغداد وغيرها من مراكز الأدب والمعرفة، وهذا الحرص من شأنه ان يرفع الأدب في عين منتجيه ويشجعهم على العناية به).^٢ وتكون نتيجة هذا كله أن الأدب والشعر منه خاصة، وشعر المديح بشكل أخص قد راج رواجا واسعا في العصر الفاطمي، ولذلك لم يترك الشعراء مناسبة الا وانشدوا فيها مادحين، ومن خلال هذا المدح تعبق المباديء الشيعية التي يؤمنون بها، خاصة وانهم يتباهون باظهار ذلك امام قادة التشيع من الفاطميين، ومن مادحي الفاطميين جعفر بن الحسن منصور اليمني، وذلك بعدما تغلب المعز الفاطمي على افضل بن مخلّد عندما أرسله أبوه المنصور على رأس جيش لمحاربته في وقعة ماواس:

أنعم بعزّك يا ابن خير الناس وبما حباك الله في ماواس
من نصرة لك اذ ذهب طالبا لعصابة الأرذال والأنجاس
لما طغوا متمردين، وغرّهم شيطانهم بالمكر والوسواس

١- نفس المصدر ص ٣٦٣ - ٣٦٤.

٢- شعر المغرب حتى خلافة العز ص ٥٠.

جيش الامام بجندل وتراس

فتمنعوا في حصنهم واستقبلوا

فنهضت مثل النور في الأغلاس
بالله لا عزل ولا أنكاس
مارست أول مشهد ومراس

فهنالك انهضك الامام عليهم
في عسكر للمؤمنين أعزة
فسررته يا ابن الخليفة بالذى

فأخذتهم بمسالك الأنفاس

سقت المنايا والحتوف اليهم

أصفاه بالملك الجليل الراسى
والحق، تنصر أهله وتواسى
دار الهدى وهوى الأنجاس
أعطاف، خوط ألبانة المياس

فبقيت للمنصور بالله الذي
ثم ارتضاك له ولياً في الهدى
زهت العلى بأبى تميم واعتلت
صلّى عليك الله ما هزّت صبا

وهذه القصيدة تشبه اخواتها من الاشعار الشيعية، في الاشارة الى أن الامام تنصيب الهى، وكذلك خليفته لا يكون الا بهذا التنصيب، ونلاحظ عليها أنها خالية من الخيال وكأن شاعرها يغلب عليه اسلوب العلماء في الشعر، حيث هو أقرب منه الى النظم، وقد ذكر الداعي ادريس ستة وعشرين بيتاً من هذه القصيدة.

وقد نقلت لنا قصيدة مدح اخرى لابن منصور اليمى، وقد كانت بمناسبة انتصار القائد الفاطمى باطيط بن يعلى بن باطيط على أفضل بن مخلّد، وإتيانه برأسه الى المنصور الفاطمى، وعندها مدح ابن منصور اليمى المنصور الفاطمى وهنأه بهذه المناسبة قائلاً:

ويا مصطفى آل النبي محمد
امور الورى من ذى مغيب ومشهد
من الله والتأييد في كل مقصد

الا يا أمين الله يا عالي اليد
ويا خير من ألفت اليه قيادها
هنيئاً لك التوفيق في كل حالة

ولا زلت مسرورا بفتح مبين
أراد النجى اذ فرّ فضل ابن مخلد
وألقى المنيا شرّعا يقتنصه
رصدن له بالحتف في كلّ مرصد^١
وتظهر واضحة في هذه القصيدة بعض المصطلحات الشيعية أمثال (امين الله، ابن النبي) ثم يؤكد أن التوفيق يلحق الائمة من الله تعالى.

وما أن نصل الى ذكر المعز لدين الله حتى ينفتح علينا ذكر فارس حلبة المدح المعزى، وفارس حلبة المدح المغربي، بل والمدح العربي، ذلك هو شاعر المغرب الكبير محمد بن هانيء الاندلسي، وهو كذلك الشاعر الأول في البلاط الفاطمي لم ينافسه شاعر آخر من حيث القوة، ومن حيث التعبير عن المبادئ الشيعية، وفي ميدان المدح لا يمكن ان يقاس به غيره في الشمال الإفريقي، وقد اتسم مديحه ايضا بالمبالغة ايضا الذي دعت الكثيرين باتهامه بالكفر جرّاء تلك المبالغة.

يقول في طائيته:

خابت امية منه بالذى طلبت	كما يخيب برأس الاقرع المشط
وحاولوا من حضيض الارض واختمطوا	كواكباً عن مرامى شأوها شحطوا
هذا وقد فرّق الفرقان بينكما	بحيث يفترق الرضوان والسخط
الناس غيركم العرقوب في شرف	وانتم حيث حلّ التاج والقرط
ولست اشكو لنفسي في مودتكم	لانكم في فؤادي جيرة خلط
يا افضل الناس من عرب ومن عجم	وآل أحمد ان شبوا وان شمطوا
ليهنك الفتح لا اني سمعت به	ولا على الله فيما شاء اشترط
لكن تفاءلت والاقدار غالية	والله يبسط آمالا فتنسط
ولست أسأل الا حاجة بلغت	سؤل الامام بها الركاضة النشط

ان الملوك، اذا قيسوا اليك معا فأنت بحر وهم من كثرة نقط^١
 فأول ما يبدأ ابن هانيء بوصف الطبيعة ثم ينتهي الى مدح المعز، الذي يعتبر دولته زينة
 الملوك والدول، وانه امام العدل واكرم من في الارض ثم يعتبر ملكه امتدادا للملك الالهي،
 وهذا كله مما بعث الخيبة في بني امية ويشبه خيبتهم بخيبة المشط في رأس الاقرع وما اروعوه من
 تشبيهه، ثم انه لا يلوم نفسه على الجهد والمودة التي يبذلها في قادة التشيع من الفاطميين الذين
 ينتسبون الى آل البيت، ثم يعطف ثانية ليفضل المعز على جميع الناس. وكل هذا جاء منه
 بأسلوب رائع، والفاظ جزلة، انتقاها انتقاء فجاءت بانسجام اللفظة على المعنى المقصود.

وله ايضا في مدح المعز:

ما شئت لا ما شاءت الاقدار	فاحكم، فانت الواحد القهار
فكأنما انت النبي محمد؛	و كأنما انصارك الانصار
انت الذي كانت تبشرنا به،	في كتبها، الاخبار والاخبار
هذا الذي تجدى شفاعته غدا	حقا، وتخمد ان تراه النار
من آل احمد، كل فخر لم يكن	ينمي اليهم ليس فيه فخار
كالبدر، تحت غمامة من قسطل،	ضحيان، لا يخفيه عنك سرار
لله غزوتهم، غزاة قراقس،	وقد استثبتت للكريهة نار
والمستظل، سماؤه من عثير،	فيها الكواكب لهذم وغرار
والخيل تمرح في الشكيم كأنها	عقبان صارة، شاقها الاوكار
مرت لغايتها، فلا والله ما	عَلِقت بها، في عدوها، الامصار
وعلى مطاها فتية شيعية	ما ان لها الا الولاء شعار
من كل أغلب باسل، متخبط	كالليث، فهو لقرنه هصار
حق الى يوم الهياج مغامر	دم كل قيل في ظباه جبار ^٢

١- نفس المصدر ص ٥٨٩ - ٥٩٠.

٢- المجاني الحديثة، ج ٥ ص ١٥

وهذه القصيدة من الامداح المشهورة لابن هانيء في المعز ويمكن ان يقال بأنها - وعلى قوة مدائح ابن هانيء - اقوى مدائحه في المعز، بل وهي القصيدة التي تقم بسببها أكثر حسّاد ابن هانيء عليه وسموه بأنواع السمات حتى وصموه بالكفر، خاصة على بيتها الاول وفد أول محبّو ابن هانيء هذا البيت ووجّهوه توجيهًا لطيفًا.

ثم ان هذه القصيدة تطفح بالنفس الشيعي والولاء والايمان المطلق لـ «آل محمد» ونحن لا نرى غرابة في مبالغات ابن هانيء في مدح المعز لان هذا ديدن الشعراء، خاصة الكبار الشعراء أمثال المتنبي، وان موضوعات مدح المتنبي لسيف الدولة واسلوبه هي عين موضوعات ابن هانيء في مدح المعز، ولذلك يقول حسن الأمين (لربما كان ما يجعل ابن هانيء جديرًا بهذا اللقب - متنبي الغرب - هو أن مواضع مدح ابن هانيء للمعز، هي عين مواضع مدح المتنبي لسيف الدولة)^١ ومن المديح لشعراء الشيعة المغاربة تلك القصيدة المسماة «ذات الدوحة» في مدح المعز الفاطمي والتي تتمتع بمكانة سامية في عالم الأدب والشعر والفلسفة، لما يتخللها من مصطلحات الاسماعيلية:^٢

سئمت من البين الذي ليس يصدق	فلست بغير الحق والصدق انطق
أمدح رهطًا غير رهط محمد	وفي الجيد عهد للامام موثق
ولا فضل لي في ذابل الفضل منهم	بهم يحرم الله الانام ويرزق
ائمة دين الله قد قام دينه	وأنوار هذا الخلق من قبل تخلق
محبتهم فرض على الناس واجب	وعصيانهم كفر الى النار موبق
هم العروة الوثقى هم منهج الهدى	هم الغاية القصوى التي ليس تلحق
ولو لاهم لم يخلق الله خلقه	ولم يكن في الدنيا ضياء ورونق
هم دوحة الدين التي تثمر الهدى	وباليمن والتقوى تظلّ وتسبق
تجير من الأيام من يستظلها	وتحمي من الموت الجهول وتطلق

١- الأمين حسن: قيم خالدة في تاريخ الأدب، دار التراث الاسلامي، بيروت، ١٩٧٤.

٢- تاريخ الدعوة الاسماعيلية: د. مصطفى غالب، ص ٢١٨، دار الاندلس، بيروت.

سقاها غمام الوحي علما فأينعت
جرت في تخوم المحكمات عروقتها
هم الأصل منها والأئمة فرعها
الى أن تسامت بالعزيز ولم تكن
فباهت على الأيام أيامه التي
تكد لها صمّ الجنادل تورق^١
يكنون علم الله فالدين مونق
وفوق الثريا فرعها متعلق
ففي كل عصر نورها يتألق
بغير أبي المنصور لو كان يوثق

وما تحفل به هذه القصيدة من معانٍ اعتقادية في أئمة أهل البيت لا تختلف عليها الفرق الشيعية ناهيك عن الاسماعيلية حيث كونهم انوار خلقها الله قبل خلقه العالم وان محبتهم وطاعتهم واجبة وانهم من سلالة النبي ﷺ ولأجلهم خلق الله الخلق، ولو لاهم لم يخلق الخلق وما الى ذلك من معانٍ أو تعتبر هذه القصيدة من اوضح القصائد التي تشير الى العقائد الشيعية في شعر الشمال الإفريقي الشيعي ولم تتوقف، مدائح ابن هانيء عند المعز من الشيعة فهو الذي مدح ايضا آخرين من شيعة الشمال الإفريقي حيث كانت بدايته مع جعفر ويحيى ابني علي صاحب المسيلة.

ويتزامن مع ابن هانيء تميم ابن المعز الذي يعتبر ايضا من الشعراء الكبار في مجال المدح، وقد وصلنا من أشعاره في المدح الكثير، كانت أكثرها في أبناء البيت الفاطمي منها في مدح ابيه المعز وأخيه العزيز، ومن ذلك قوله في مدح العزيز:

يا حجة الرحمن عند عباده
من لم يكن في صومه متقرباً
ويا ابن الوصي ويا ابن البتول
بك فـصومه لم يقبل
ويا ابن الحطيم ويا ابن الصفا
ويا ابن نبي الهدى المصطفى

ولا أدل على التشيع في الشمال الإفريقي من شعر تميم هذا كما انه لا ادل على ان التشيع في الشمال الإفريقي لا يختلف عن التشيع في المشرق الا ببعض الجزئيات، وأيضا هذا نستدل من شعر تميم هذا الذي يحمل هذه المصطلحات الشيعية والتي هي نفسها التي حملها الشعر

الشيعة في المشرق حيث «حجة الرحمن، العلة الاولى، الوصى، ابن البتول، ابن المشاعر، ابن المروقي، ابن الحطيم، ابن الصفا» وما يحمل من معانٍ تدل على المباديء الشيعة خير دلالة ومنها الاعتقاد بان الخليفة هو الامام المنسوب من الله وانه حجة الله على عباده ولا تقبل عبادات الخلق الا اذا حصلت منهم الطاعة للامام وان الائمة من نسل النبي، وان هذا كان لهم بعهد من الله في عالم الغيب. هذا وقد أكثر تميم من المديح لاختيه العزيز وكذلك ابيه المعز ولا نرى ضرورة بالاثبات في كل ذلك المديح بل نرى ان الأبيات التي اوردها تدل على مستوى شعر المديح لدى تميم وكذلك نستدل منها على منهج المديح الذي يملأه فكراً وعقيدة.

والذي يلاحظ على شعر المديح في العهد الموحدى، انتهاجه لسنن العرب في مدائحهم في تشبيه الممدوح بالبحر من حيث الكرم، والليث من حيث الشجاعة، ووصف الممدوح بالصدق والسماحة وطيب الاصل والارومة، وكذلك حوى شعر المديح الموحدى النفس الشيعة بين طبائعه خاصة في مدائح الجراوى وابن حبوس التي مرت علينا بعضها.

ولقد مدح الاندلسيون الموحدى خاصة بعد عبور الموحدى صوب الأندلس^١ وهذه المدائح نعتبرها ممن مدح به المتشيعون، ولا يمكن ان نعتبرها شعراً شيعياً لانه لم يثبت لنا تشيع شعرائها. واما العصور اللاحقة للموحدى فقد كان فيها ايضاً وجود للمديح في شعر شعراء التشيع هناك ولا ادل على ذلك من القصيدة التي صدرت من ابن الأبار القضاعي الشيعي في حضرة أبي زكريا الحفصى، وهذه القصيدة وان كان غرضها استنهاض القوة لدى أبي زكريا كى يمد يد العون الى بلنسية التي وقعت تحت التهديد الجدى من قبل النصارى الا انها تحمل لونا من الوان المديح للحاكم الحفصى الشيعي، وهي التي كان مطلعها:

ادرك بخيلك خيل الله اندلساً ان السبيل الى منجاتها درسها

وأما توأم المديح من الشعر وهو الهجاء، فقد كان له وجوده في الشعر الشيعي بالشمال الإفريقي، وقد مرت علينا جملة من ملك الاهاجى سواء التي قيلت في الامويين أو العباسيين من قبل الشعراء الشيعة وسواء التي قيلت في الاعداء المرحلين للتشيع أمثال سعيد بن صالح

١- راجع البيان المغرب ج ٣ تجد كثيراً من تلك الأمداح.

صاحب النكور مخلد بن كيداد الخارجي وابن واسول وغيرهم، وكان أبو جعفر أحمد بن محمد المروزي قد هجا سعيد بن صالح صاحب نكور بعد ان تمرّد على الفاطميين ولم يستجب لدعوتهم فوجهوا نحوه جيشا فهزموه فقال حينها المروزي:

لما طغى الارذل وابن الارذل في عصابة من الطغام الجهل
قال: نكور دون ربى معقلى اتاه محتوم القضاء الفيصل
وكذلك مرت علينا بعض الاهاجى التي صدرت من اعداء الشيعة في الشيعة كذلك
التي كانت في المهدي الفاطمي أو في عبدالمؤمن الاسلامي الموحدى، ويعتبر من الهجائين الشيعة
في الشمال الإفريقي أبو العباس الجرأوي حيث كان يعتبر خطيئة المغرب^١ ومن أمثلة هجاء
الشعراء من اعداء الشيعة ما قاله الشاعر محمد بن اسحق في هجاء الأمير جنون بن القاسم بن
ابراهيم المعروف بالرهوني ابن محمد بن القاسم بن ادريس:

وكذلك من تلك الاهاجى ما هجا به أبو القاسم الفزاري الفاطميين وأتباعهم قبل أن
يتحول اليهم، حيث يقول:

عبدوا ملوكهم، وظنوا أنهم	نالوا بهم سبب النجاة عموما
وتمكّن الشيطان من خطواتهم	فأراهم عوج الضلال قويا
رغبوا عن الصديق والفاروق في	أحكامهم، لا سلّموا التسليما
واستبدلوا بهما ابن أسود نابحا	وأبسا عمارة واللعين تميما
تبعوا كلاب جهنم، وتأخروا	عمن أصارهم الاله نجوما
يا ليت شعري من هم ان حصلوا	دينا، ومن هم ان عددت صميما
أمن اليهود، أم النصارى، أم هم	دهرية جعلوا الحديث قديما
أم هم من الصابين أم من عصابة	عبدوا النجوم وأكثروا التنجيما
أم هم زنادقة معطلة	أن لا عذاب غدا ولا تنعيما
أم عصابة ثنوية قد عطلوا النو	رين عن ظلماتهم تعظيما



من كلّ مذهب فرقة معلومة أخذوا بفرع وادّعوه أروما
سبحان من أبلى العباد بكفرهم وبشركهم حقبا، وكان رحима
ياربّ فالعنهم ولقّ لعينهم بأبي يزيد من العذاب أليما^١

هذه المقطوعة الشعرية من الفزاري تعطينا لوحة كاملة لما يتهم الشيعة به اعداؤهم وذلك انهم يعبدون أئمتهم ويؤهلونهم، وان الشيطان هو الذي زين لهم ذلك، وان الشيعة اعداء الشيخين أبي بكر وعمر، ثم من بعد ذلك يلعن قادة التشيع ويتهمهم وعقيدتهم بأنها خليط من اليهودية والنصرانية والصابئية وانهم زنادقة مثنوية عبدة للنور والظلمة ثم يقطع مؤخرا بكفرهم وانهم لا أصله ولا صلة لهم في دين، وهنا ايضا نرى ان هذه القطعة في الهجاء للشيعة تشبه الى حدّ كبير الهجاء الذي وقع عليهم من اعدائهم في المشرق - وكذلك سهل الوراق كان من هجائي الشيعة الفاطميين قبل ان يتحول لهم كصاحب الفزاري، ومن اهاجيه لهم تلك التي يعرض فيها بهم، ويشيد بأبي يزيد الخارجي حيث يقول:

الله باعته، فمن ذا صارف ماالله باعته من النقمات
فلتقرعن عصاة كل مضلل عادى النبي وحرف السورات
ناداكم رب العباد برجفة فغدت جذوع النخل منقعات^٢

والوراق هو نفسه الذي هجا أبا يزيد والخوارج بعد أن صار الى الفاطميين، وهو القائل فيهم:
ان الخوارج صدها عن سوسة منا طعان السم والاقدام^٣
ومن اهاجي المناوئين للشيعة تلك الأبيات التي هجا فيها محمد بن السميري القاسم بن ادريس بن ادريس متها اياه بأن أباه ادريس بن راشد وليس ابن ادريس بن عبدالله، والتي أولها:

ولما رأيتهك للثام مصافيا أيقنت حقا أن جدّك راشد^٤

١- مرحلة التشيع ص ٥٤.

٢- نفس المصدر.

٣- السابق المصدر ص ٤٨.

٤- المغرب ص ١٢٢.



وللسمهي أيضا يهجو القاسم بن ادريس:

قل للزئيم زئيم طنجة عش بها لا يحسدنك في بلادك حاسد
متتكَ نفسك أن تكون خليفة هيهات هذا من حديثك بارد^١
ويظهر من أهاجي غير الشيعة للشيعة أنهم لا يتمكنون من تقديم الأدلة على ما يذهبون
اليه ضد الشيعة، بعكس الأهاجي التي هجا فيها الشيعة أعداءهم فانهم على تقديم الحجة
والدليل أقوى مع ملاحظتنا على أن بعض الأهاجي الشيعية لأعداء الشيعة تميزت بالسبّ المقذع،
وقد اتسمت الأهاجي من أعداء الشيعة للشيعة أيضا بالالفاظ البذيئة في أحيان كثيرة.

أغراض أخرى

لم يقف شعراء التشيع في الأندلس في شعرهم على الغرض السياسي والعقدي فقط، بل
انهم وككل الشعراء في الفرق الإسلامية الأخرى، جعلوا الأهمية الأولى في اشعارهم للمبدأ
والعقيدة والمذهب، ولم ينسوا الأغراض الشعرية الأخرى فاعطوها نصيبا لا بأس به من
نتائجهم، أو بعبارة أخرى نريد ان نقول بان شعراء الشيعة لم ينظموا فقط في الأغراض
التي ذكرناها وانما يمكننا القول بأنهم نظموا في الأغراض الأخرى كالوصف والفخر والغزل
والحكمة والموعظة والاخوانيات والشكوى والزهد وغيرها.

ومن شعر الشكوى قول ادريس الثاني:

لو مال صبري بصر الناس كلهم لضلّ في روعتي أو ضلّ في جزعي^٢
وقد ذكرنا هذه الأبيات سابقا وكانت سبعة.

ومن شعر الشكوى أيضا قول المنصور الفاطمي الذي وجهه الى ولده المعز عندما كان المعز
يحارب في الخطوط الأممية ضد ابن كيداد الخارجي :

كتابي اليك من اقصى الغروب وشوقي شديد عريض طويل

١- نفس المصدر.

٢- الحلة السيرة ج ١ ص ٥٥ - ٥٦.



اجوب القفار واطوى الرمال واحمل نفسي على كل هول
وكذلك ذكرنا هذه الأبيات والتي كانت ثمانية في فصل سابق.

ومن شعر الزهد ما قاله بكر بن حماد التاهرتي:

زرنا منازل قوم لن يزورنا انا لقي غفلة عما يقاسونا
لو ينطقون لقالوا: الزاد ويحكم جد الرحيل فيما يرجوا المقيمونا^١

وهذا المعنى على ما نظن انه مقتبس من كلام لعلي بن أبي طالب عليه السلام واما الوصف فقد برع فيه شعراء التشيع في الشمال الإفريقي وقد كانت مواضيعه في وصف الاساطيل والطبيعة واوصاف اخرى. ومنهم علي بن محمد الايدى الذي وصف اسطول محمد القائم الفاطمي بقوله:

اعجب باسطول الأمير محمد وبحسنه وزمانه المستغرب
لبست به الامواج احسن منظر يبدو لعين الناظر المتعجب
من كل مشرقة على ما قابلت اشراف صدر الاجدل المنتصب
دهماء قد لبست ثياب تصنع تسبي العقول على ثياب ترهب
من كل ابيض في الهواء منثر منه وأسحم في الخليج مغيب
لمرادة في البر يقطع سيرها في البحر انفاس الرياح الشذب
كقوادم النسر المرفرف عُرِيت من كاسيات رياشه المتهذب^٢

وما اجمله من وصف في صور شعرية لطيفة، يجعل من الامواج ترتدى لباسا جميلا من ذلك الاسطول الذي يسبح فوقها، ثم يشبه سفن ذلك الاسطول في اشرافها وعلوها بالصقور المحلقة، وهذه السفن الشديدة السواد قد لبست ثيابا جميلة تسبي العقول لجمالها، وانها تتعب الرياح وهي لا تتعب، وهي مستديمة الحركة كأجنحة النسر في دوام الرفيف.

وعلى ذكر الاساطيل ووصفها يقول أبو هلال العسكري ان أول من وصف الاساطيل هو

البحرتي.^٣

١- شعر المغرب حتى خلافة المعز ص ١٥٠.

٢- عنوان الأريب ص ١١٥.

٣- شعر المغرب حتى خلافة المعز ص ٢١٧.

ويبدو أن الأيادي كان من وصافي عصره، ولربما كان الوصاف الأول حيث إن له قصيدة أخرى يصف فيها جواد ابن الخليفة القائم أبي عبد الله جعفر يقول فيها:

واقب من لحق الجياد كأنه	قصر تباعد ركنه من ركنه
لبست قوائمه عصائب فضة	وغدت بسمر صفا المسيل ودكنه
وكأنما انفجر الصباح بوجهه	حسنا أو احتبس الظلام بمتنه
قيد العيون إذا بصرن بشخصه	ورضا القلوب إذا اصطلين بضغنه
متطير بالراكبين كأنه	باز تروح به الجنوب لوكنه
حلو الصهيل يخال في لهواته	حاد يصوغ بدائعا من لحنه
متبختر، يبني بعق نجاره	أشراف كاهله ودقة أذنه
ذو نخوة شمخت به من نده	وشهامة طمحت به عن قرنه
وكأنه فلك إذا حركته	حار على سهل البلاد وحزنه
قد راح يحمل جعفر بن محمد	حمل النسيم لوابل مزنه ^١

وتظهر هذه القصيدة كسابقتها المقدرة الشعرية لمحمد الإسلامي الأيادي وذلك لاحتوائها على تشابه ناضجة، وصور عالية، وألفاظ فخمة تناسب الغرض الذي سبقت له، انسيابية في السبك حتى أوصل الكلام إلى غايته، مع ملاحظتنا عليها هو أن ما أتى به من وصف الفرس لم يكن جديدا إذ أن شعراء العرب سبقوه إلى هذه المعاني، وإنما الجديد هو صياغتها بـقالب يختلف عن وصف الفرس من الشعراء الآخرين.

ومن قصائد الوصف الأخرى التي نقلت عن الأيادي تلك التي كانت له في وصف قصر البحر الذي بناه المعز في المغرب والتي يقول فيها:

ولما استطال المجد واستولت البنى	على النجم واشتد الرواق المروق
بنى قبة للملك في وسط جنة	لها منظر يزهي بها الطرف مونق
بمعشوقة الساحات أما عراصها	فخضر وأما طيرها فهي نطق



تحف بقصر ذي قصور كأنما
له بركة للماء ملء فضائه
لها جدول ينصب فيها كأنه
لها مجلس قد قام في وسط مائها
كأنها صفاء الماء فيها وحسنه
إذا بثّ فيها الليل اشخاص نجمه
وان صافحتها الشمس لاحت كأنها
كان شرافات المقاصر حولها
يذوب الجفاء الجعد عن وجه مائها

ترى البحر في ارجائه وهو منأق
تخبّ بقصر بها العيون وتعنق
حسام جلاه القين بالارض ملصق
كما قام في فيض الفرات الخورنق
زجاج زهت ارجاؤه فهو ارزق
رأيت وجوه الزنج بالماء تحرق
فرند على تاج المعز ورونق
عذارى عليهن الملاء المنطق
كما ذاب آل الصحصحان المرقق^١

وتظهر براعة الايادي في الوصف أكثر في هذه القصيدة التي يأتي بها لوحة رائعة، تدل على رقة طبعه، وجميل صنعه بما اتى به من صور انيقة وتعايير رفيعة يتوصل بها الى المقصود بلا عناء، وبالفاظ قد انتخبها تتماشى مع الغرض الذي سبقت له، وهذا كله يدل على شاعرية الايادي ومنزلته المرموقة بين اقرانه من شعراء الشمال الإفريقي على وجه العموم وشعراء التشيع على وجه الخصوص بل على مكانته المحفوظة بين شعراء العرب.

ويظهر من قصائد المدح التي قالها الايادي في وصف متعلقات اسياده من قادة التشيع في الشمال الإفريقي، ان شعراء التشيع هناك، كلُّ حاول خدمة مذهبه بموهبته الشعرية، ولكن من خلال ما برع به من اغراض، اى انه لربما قال في الاغراض الاخرى التي تخدم معتقده الا أنه أكثر وأجاد في الاغراض التي برع فيها وابدع. ويبدو ان الايادي كان من السباقيين في مضمار الشعر الوصفي ولذلك جدّده من جانبه لخدمة اسياده ومتعلقاتهم اعتقاداً منه انها خدمة للمبدأ والعقيدة. واما ابن هانيء الذي يعد هو الأول من بين شعراء الشمال الإفريقي، ومن المعدودين بين شعراء العرب وفي كل الاغراض الشعرية فانه يغادر غرض الوصف الذي وظفه ايضاً من جانبه لخدمة ما يؤمن به من مذهب اعتقادي، فلطالما أخذت متعلقات اسياده الفاطميين

مأخذها من اشعاره الوصفية ومن تلك الاشعار ما وصف بها اسطول المعز وحرّاقاته^١ لدين الله بقوله:

أما الجوارى المنشآت التي سرت	لقد ظاهرتها عدّة وعديد
قباب، كما تزجى القباب على المها	ولكن من ضمت عليه اسود
وما راع ملك الروم الا اطلاعها	تنشّر اعلام لها وينود
عليها غمام مكفهر صبيره	له بارقات جمّة ورعود
مواخر في طامي القباب، كأنها	لعزمك بأس، أو لكفك جود
من الراسيات الشم، لو لا انتقالها	فمنها قنّان شمع وريود
من الطير، الا انهنّ جوارح	فليس لها الا النفوس مصيد
من القادحات النار تضرم للصلى	فليس لها، يوم اللقاء خمود
اذا زفرت غيظا ترامت بمارج	كما شب من نار الجحيم وقود
فافواههن الحاميات صواعق	وانفاسهن الزافرات حديد
لها شعل فوق الغمار كأنها	دماء تلقتها ملاحف سود
تعانق موج البحر، حتى كأنه	سلط لها، فيه الذبال عتيد ^٢

فهل تجد اروع من هذه الصورة التي عرضها ابن هانيء للاسطول وبارجاته الحربية، ونكتني من شعر ابن هانيء الوصفى بهذه القصيدة لأننا نجدها تمثل شعر الوصف عنده خير تمثيل. ونرى ما أوردناه من نماذج كافٍ للتدليل على وجود وجودة شعر الوصف عند شعراء التشيع في الشمال الإفريقي وانهم من البارعين فيه.

واما شعر الغزل فيمكننا القول ان الذي وصلنا منه عن شعراء التشيع في الشمال الإفريقي كان رقيقا، عذبا، يعبر عن ذوق سليم ومقدرة فنية بحيث تخترع الصور ويبلغ بالشعر الغزلي الى غاية لربما تضاهي أو تفوق ما قدّمه اقراهم من شعراء العرب في هذا الغرض، ومن ذلك ما

١- الحراقات وحدتها حراقة: السفينة فيها مرامي من نار يرمى فيها العدو.

٢- المجاني الحديثة ج ٥ ص ٢٣.



نسب للمعز لدين الله الفاطمي من غزل في قوله:

لله ما صنعت بنا تلك المحاجر في المعاجر^١

ثلاثة أبيات سبق ذكرها.

ومن غزل شعراء الشيعة في الشمال الإفريقي الأبيات التي تنسب لأبي عبد الله محمد بن

أبي حنيفة النعمان:

ايا مشبه البدر بدر السما لسبع وخمس مضت واثنين^٢

..... خمسة أبيات ذكرت سابقا.

وللمعز ايضا:

أطلع الحسن من جبينك شمسا فوق ورد في وجنتيك أطلا

وكأن الجمال خاف على الور د جفا فمد له الشعر ظلا

والذي يقول عنه ابن خلكان «وهو معنى غريب بديع»^٣ وحققا ما يقول ابن خلكان.

وقد روي شعر غزلي لأكثر شعراء التشيع في الشمال الإفريقي ولكن أكثر ذلك الشعر ما كان

ينسب للامير الشاعر ابن المعز الفاطمي ومنه قوله:

ورد الخدود ارق من ورد الرياض وانعم

هذا تنشقه الانو ف وذا يقبله الفم

واذا عدلت فافضل الـ سورددين ورد يلتئم^٤

وقد مزج تميم في شعره بين الغزل وذكر الخمرة والتغني بجمال الطبيعة اذ يقول:

قد اجتمع البستان والروض والخمر وحُرِّكت الاوتار وارتفع الزمر

.....

١- وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٠٣.

٢- عنوان الارب ج ١ ص ١٣٨-١٣٩.

٣- وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٨٨.

٤- زهر الآداب ج ٣ ص ٣٦٨.



هل العيش الآقينة ومدامة وساق مليح ليس يعصى له أمر؟^١
 ونحن هنا لا نريد الدفاع عن تميم ونقول بنسكه، ولكننا يمكن أن نقول أن كل هذا خيال
 شاعر، ودليل على قوة شاعريته وتمكنه من قول الشعر في كل غرض ليس الآ، ونحن أن واجهنا
 هذا الشعر الغزلي من قبل شعراء الشيعة المغاربة والذي ربما يعدّ بعضه خارقاً لحشمة
 الملتزمين، خاصة ما مزج منه بوصف مجالس الخمرة والذي اشرنا الى انه لربما يكون من
 خيالات الشعراء فانهم يكفّرون عن ذلك بشعر الوعظ والحكمة والدعوة الى التوبة ومن ذلك
 قول خليل بن اسحق :

بان الشباب فبين عن اللذات وتولّ منصرفاً عن الشهوات
 واهجر صواحبك الحسان اللائي في هجر المشايخ غير مختلفات
 ان التصابي بالخرائد كالدّمى لا ولي النهى والشيب غير مؤات
 لله درّ فتى يروح ويغندي حذر من الآثام والشبهات^٢
 وقد ذكرنا هذه القصيدة فيما مضى.

ومن شعر الغزل للمتشيعين المغاربة ما ينسب للشاعر أبي عبدالله محمد بن جعفر التميمي
 النحوي المعروف بالقزاز القيرواني:

أما ومحل حبّك في فؤادي وقدر مكانه فيه المكين
 لو انبسطت لي الآمال حتى تصير لي عنانك في يميني
 لصنّتك في مكان سواد عيني وخطت عليك من حذر جفوني
 فأبلغ منك غايات الأمان وآمن فيك آفات العيون^٣

وأما شعر الفخر فقد حفلت به المصادر التي نقلت شعر التشيع في الشمال الإفريقي، ويمكننا أن
 نقول أن هذا اللون من الشعر كان يحوى الكثير من المقولات التي يستند لها الشيعة والعلويون
 في قوهم بالاحقية لخلافة المسلمين ولمذهبهم، شأن هذا الغرض من الشعر شأن نظيره المديح

١- مصر الشاعرة في العصر الفاطمي ص ٢٣.

٢- تاريخ الخلفاء الفاطميين ص ٢٩٢-٢٩٣.

٣- عنوان الأريب ص ١٤١.



الذي حفل بالكثير من هذه الحجج والبراهين التي يقولون بها افتخارا لانفسهم ولمذهبهم، وقد كان أكثر شعراء الشيعة هناك قد طرخوا غرض الفخر وأجادوا فيه اسلوبا، وكيفية، ولكن يمكن أن يقال بأن رائد هذا الغرض في المغرب العربي من المتشيعين هو تميم بن المعز لدين الله الفاطمي، ومن هذا الفخر ما كان يورده اثناء مدائحه لابيهِ المعز، أو لاخيه العزيز، كما كان ذلك منه في القصيدة التي يمدح بها اخاه العزيز قائلا:

ألسنا (بنى) بنت النبي الذي به	تخلص من زيغ العمى الثقلان
اليس ابونا خدنه ووصيه	وفارسه في كل يوم طعان
فكفوا بنى العباس عنا جماحكم	فقد طالما ختم بكل مكان
بمن نصر الاسلام في يوم خير	ويوم حنين والقنا متدان؟
متى لم تكونوا دوننا وتسبقوا	بصالحنا في كل يوم رهان
أليس عليّ كان كاشف غمها	وما كان للعباس ثم يدان ^١

وقد ذكرنا هذه القصيدة من قبل.

ونخلص الى القول في آخر هذا الفصل - أن شعراء التشيع في الشمال الإفريقي لم يتركوا غرضا من الاغراض الشعرية التي قال فيها العرب شعرا بلحاظ عام، وكذلك لم يتركوا غرضا من الاغراض الشعرية التي طرقها الشعراء الآخرون من الشيعة في بقية اقطار الدنيا، أنهم - شعراء المغاربة - قد اجادوا فيها جميعها وأبدعوا، والدليل على ذلك ما سقناه من نماذج على بعض الأغراض التي عرضنا لها كنماذج، ثم اننا لم نستحص جميعها بقدر ما كانت غاية البحث، دراسة الأدب الشيعي هناك وتوضيحه.

الفصل الثاني

النثر وأنواعه

- النثر فاتحة الأدب الشيعي في المغرب
- الخطابة
- الرسائل والكتابة الديوانية
- النثر العلمي - المؤلفات والمصنفات

النثر فاتحة الأدب الشيعي في المغرب

يعتقد أكثر النقاد أن النثر هو الأسبق في وجوده التاريخي والزمني من شقيقه الشعر، ومن أولئك ابن رشيق القيرواني حيث يقول «كان الكلام منثوراً، فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها، وطيب أعراقها، وذكر أيامها الصالحة، وأوطانها النازحة، وفرسانها الانجباد، وسمحاتها الأجواد، لتهمي أنفسها للكرم، وتدلل أبناءها على حسن الشيم، فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام، فلما تم لهم وزنه سموه شعراً لأنهم شعراوية، أي علموا وفطنوا لأن الشعر في اللغة العلم والفتنة»^١، ولا نعتقد بأن الشيعة المغاربة قد خالفوا هذه القاعدة العربية الأدبية، بل أنهم نسجوا في حياتهم الأدبية على منوالها، فكان الأسبق عندهم من حيث الوجود التاريخي والزمني هو النثر، مع التفاتنا إلى أن المتشيعين الأوائل الذين وطأوا أرض الشمال الإفريقي كانوا قد عرفوا الصناعتين الشعر والنثر، وذلك لأنهم قد نزحوا إلى هناك من أرض المشرق العربي والتي كانت في أيام نزوح الشيعة إلى المغرب على شأن عظيم في الشعر والنثر، ولكن الذي نقصده هنا هو أن الانتاج النثري من قبل شيعة المغرب العربي قد سبق الإنتاج الشعري عندهم من حيث الوجود من الناحية التاريخية، وذلك يظهر واضحاً من



خلال فقرات بحثنا السابقة حيث أن رجال المغرب العربي كانوا قد بدأوا حياتهم الادبية بالخطب التي ألقوها في الجماهير المغربية لاستئالتها اليهم، ولتفهمها ما يحملون من مبادئ وأهداف، وكذلك فعلوا بعد أن استوثقت لهم الامور وتمكنوا من تأسيس الدول هناك وتمت لهم البيعات، فلذلك كان أول ادبهم الذي انتجوه في أرض الشمال الإفريقي هو الخطب ولا شك في أن الخطب من الانواع الادبية النثرية.

وبمرور الأيام كان الشعر مع شقيقه النثر من قبل المتشيعين المغاربة، ولكن الذي يجب أن يشار اليه هنا هو أن النثر الشيعي لم يكن بأقل شأنًا من الشعر الشيعي في ربوع المغرب العربي، وان النثر الشيعي هناك تمكن من ان يثبت وجوده، وان يأتي بآثار اخذت موقعها في اوساط النثر من الشيعي بشكل خاص، والنثر العربي بشكل عام.

وقد حفلت المصادر التي تعرضت للادب المغربي باسماء الكثيرين من المتشيعين الذين انتجوا نثرا يعتدّ به، وقد كان أكثر هؤلاء الادباء من ابرز ادباء المغرب العربي بل من ابرز الادباء العرب. وذلك لما انتجوه من أدب نثري متوفر على القيم الفنية التي تجعله من احسن النتائج النثري العربي.

وفي هذا الفصل سندرس النثر الشيعي في الشمال الإفريقي مشيرين الى أنه يمكن دراسته على اساس تعرضه للمبادئ والعقائد الشيعية أو عدم تعرضه لها الى قسمين:

١- النثر الشيعي أو المبدئي.

٢- النثر العام.

وكذلك يمكن دراسة النثر الشيعي في المغرب العربي على أساس فنيته وعدم فنيته الى قسمين ايضا، وهما:

١- النثر الفني، حيث ان بعض الباحثين لا يعتبر النثر ادبيا الا ما كان منظويا تحت مظلة هذا النوع من النثر ومن اولئك الباحثين الدكتور زكى مبارك حين يقول «ان النثر لا يدخل في مجال الأدب إلا اذا كان نثرا فنيا كنثر الرسائل والخطب والمقامات والامثال السائرة»^١.

١- النثر الفني في القرن الرابع: زكى مبارك، ص ٤٢، مطبعة السعادة، ط ٢، ١٩٥٧.



ويمكن أن يكون تحت هذا العنوان أي النثر الفني ما كان يخص العقيدة والمبدأ وكذلك ما لا يخص العقيدة والمبدأ، ونقصد بذلك ان النثر الشيعي الذي كان يخص المعتقدات الشيعية وقد جاء على شكل خطب أو رسائل مثلاً يمكن ان ينطوى تحت النثر الفني، أو الرسائل والخطب التي لا علاقة لها بالمبدأ تحت هذا العنوان من امثال الرسائل الاخوانية أو التي تكون في التهاني والتعازي، وكذلك الخطب التي في بعض المناسبات.

٢ - النثر غير الفني أو النثر العلمي، ونعني به النثر الذي تركه المؤلفون الشيعة في تأليفهم ومصنفاتهم التي تخص الأدب أو العلوم أو التاريخ أو الجغرافية أو الفقه وما شابه ذلك.

الخطابة

والآن سنعرض لبعض أنواع النثر الفني بل أول أنواعه وهي الخطابة خاصة منها تلك التي كانت تخص العقيدة والمبدأ، وكان أول ما وصلنا منها تلك الخطابات التي صدرت عن مؤسس الدولة الادريسية ادريس بن عبدالله وابنه المتزعم لتلك الدولة العلوية بعد ابيه ادريس بن ادريس، وقد كانت خطبة ادريس بن عبدالله بعد البيعة التي تمت من شيعته وأهل دولته تلك الخطبة التي يقول فيها بعد البسملة والحمد والصلاة على النبي وآله (أما بعد، فاذكروا الله في ملوك غبروا، وللأمان خفروا..... واعلموا معاشر البربر اني اتيتكم، وانا المظلوم الملهوف الطريد الشريد الخائف الموتور، الذي كثر واثره، وقلّ ناصره.....أنا ادريس بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وآله» وكنا قد ذكرنا هذه الخطبة في مكان سابق، وذكرنا اختلاف الرواة في نص الخطبة، وأبدينا وجهة نظرنا بأن كل راوٍ من الرواة جاء بمقطع منها ولا تعارض بين النصوص المنقولة وكذلك أوضحنا ما كانت عليه تلك الخطبة من اسلوب فني يراعي اصول الخطبة في تقديم الدليل واستدرار العواطف لتحقيق الهدف المقصود.

ثم اننا ايضا ذكرنا خطبة ادريس الثاني والتي كانت أيضا في بيعته وكذلك خطبته بعد بنائه مدينة فاس وانتقاله لها كعاصمة جديدة لمملكته وقد اشرنا في حينها الى المستوى الفني



في خطابات ادريس الثاني، وكذلك ما اشار اليه في خطابه قاصدا به خدمة عقيدته ومذهبه. وقد كان من ادريس الثاني تلك الرسائل التي بعثها الى ابن الاغلب ابراهيم ينهاء فيها من توريط بهلول المدغري وحرفه عن دولة العلويين وقد ذيلها بتلك الأبيات الشعرية السابقة الذكر، كما وانه قد بعث رسالة مماثلة الى بهلول يحذره نتيجة الانحراف، وينبهه على مكر بن الاغلب وايضا قد ذيل رسالته بابيات ذكرناها كذلك فيما سبق.

ونجد الخطابة هي النوع الادبي الاول الذي تم انتاجه في زمن الدولة الفاطمية في المغرب، حيث أن صاحب «تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب» عندما يعرض لسيرة الداعي الفاطمي الأول أبي عبدالله الشيعي في أيام وصوله الاولى الى الغرب ويذكر المناصرة التي حصلت له من قبل المغاربة، والمعارضة التي لقيها من قبل بعضهم حتى كانت الحرب بين أشياعه واعدائه، ونهاية تلك المعارك بالنصر المجمل له بقدوم عبيد الله المهدي واعلانه تأسيس الدولة الفاطمية في ذلك الصقع، يحتفظ لنا تاريخه بالكثير من الخطب التي قالها الداعي أبو عبدالله، وكذلك بمجموعة من الخطب والنصوص النثرية التي قالها المهدي في مختلف المناسبات والمآرب والتي تعج جميعها بالنفس الشيعي. ونأتى على ذكر الخطاب الذي وجهه المهدي الى أهل القيروان وهو محتج لأحقية أهل البيت عليهم السلام بإرث الرسول، وقد كان هذا كتابا أمر بقرائه حيث يقول «باسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، من عبدالله ووليه أبي محمد الامام المهدي بالله امير المؤمنين الى اشياعه واتباعه من المؤمنين، وجميع المسلمين، سلام عليكم فان امير المؤمنين محمد اليكم الله الذي لا اله الا هو، ويسأله أن يصلي على محمد نبيه وعبد ورسوله وآله.

أما بعد، فالحمد لله الذي رفع عمد الحق واعز أهله، ونكس الباطل وأذل حزبه، القادر فلا يعارض في قدرته، العزيز فلا يغالب في أمره، والناصر لدينه الذي رضيه لنفسه، وشرفه بأكرم انبيائه عليه واعلاهم درجة عنده واشرفهم منزلة، وأقربهم وسيلة لديه محمد ﷺ حامل حكمته ومستودع غيبه وما يكون بعده من كيد الكائدين الخائنين، وظلم الظالمين، الى أهل بيته الذين سبق لهم وعده فيهم بالنصرة والتأييد، والعز والتمكين كما قال (تع) في كتابه المبين

الذي «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد» فصلت ٤٢. «ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما ما كانوا يحذرون» القصص ٥ - ٦. وقال جلّ اسمه «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون..... ان في هذا لبلغا لقوم عابدين» الانبياء ١٠٥ - ١٠٦. وانجز جلّ جلاله وتقديس اسماءه، وعده لرسوله ﷺ، فرد ارث النبوة، ومقاليد الامامة الى عترته نبيه، وأعز الدين والمؤمنين، وأيدهم وانقذهم من الهلكة، في كل سكون وحركة، بعبدالله ووليه أبي محمد الامام المهدي بالله أمير المؤمنين وأظهر بهجة الاسلام وجماله بقيامه، واخذه تراث جده النبي ﷺ وابيه الوصي «رضي الله عنه».....^١.

فمن هذه القطعة النثرية التي يمكن أن يقال عنها بأنها خطبة، لأنه أراد ان تلقى عليهم، ويمكن أن يقال عنها رسالة، أو كتاب، لأنها كتبت وارسلت نستظهر بعض الخصائص والميزات العامة لهذا النوع من النثر الفني الشيعي في عهد الفاطميين وذلك افتتاحه بالبسملة والحمد لله والصلاة على النبي وآله ثم ذكر من صدرت ومن حذرت اليه فالبعدية، فمقدمة ثم تبيان الغرض الذي كانت من اجله، ونلاحظ عليها ذكر الصلاة على آل النبي بعد الصلاة على النبي وهذا من اساليب الشيعة وكذلك تضيمنها الآيات القرآنية واحتوائها المصطلحات الشيعية، مثل «الوصي، أهل البيت، ارث النبوة، الامامة» وأما اسلوبها في الكتابة فهي تشبه الى حدّ ما اساليب الكتابة في صدر الاسلام خاصة الكتب والخطابات التي حفظت عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، وذلك في قصر عباراتها، وعدم اهتمامها بالسجع، وتسلسلها في تقديم الادلة على ما يريد.

ومن النماذج النثرية الشيعية في الشمال الإفريقي، ذلك الدعاء الذي أنفذه المهدي الفاطمي الى خطباء رقادة والقيروان وطلب منهم قراءته بعد الصلاة «اللهم صل على عبدك وخليفتك القائم بأمر عبادك في بلادك، عبدالله أبي محمد الامام المهدي بالله أمير المؤمنين، كما صليت على

آبائه الراشدين، وكما اصطفيته لولايتك واخذته لخلافتك وجعلته لدينك عصمة وعمادا، ولخلقك مؤثلا وملاذا، فانصره على اعدائك واثق به صدور المؤمنين، وافتح له مشارق الارض ومغاربها كما وعدته، وعلى العصاة الظالمين، اله الخلق رب العالمين»^١.

ويؤكد من ارخوا للأدب في العصر الفاطمي، على أن الخطابة من المظاهر الادبية التي استدعته الحالة السياسية التي مر بها الشمال الإفريقي خاصة في بداية وصول الدعوة الاسماعيلية الى المغرب العربي وحتى بعد نجاح الدعوة واستحكامها بتأسيس الدولة وذلك لان تلك الدعوة كانت حركة سياسية ودينية وتستدعي التبليغ للناس أولا وايصال مفاهيمها، ولأنها كان لها من الاعداء الذين يحرضون عليها الناس بأسلوب خطابي ايضا، وقد اشار الدكتور محمد طه الحاجري الى ذلك بقوله «وشيء آخر كان من مظاهر النشاط الادبي هو المظهر الخطابي فالخطابة هيمن أول ما يصحب مثل هذه الحركة، وهي حركة دينية وسياسية معا، وقد توفر لها عنصر «الجمهور» الذي كان شديد الاحساس بها أو كان يجتمع حول هذه المجالس التي كانت تعقد لمناقشة الموقف الذي ينبغي ان يقفه أهل السنة، فلا جرم ان نشطت الخطابة في هذه الفترة نشاطا نحسب انه كان كبيرا»^٢. وقد أورد صاحب معالم الايمان خطبة لاحمد بن ممد بن أبي الوليد احد علماء القيروان من المالكية يحرض فيها ال القيروان السنة لمحاربة دعاية الفاطميين الاول أبي عبدالله الصنعاني وهذ الخطبة تعتبر من الخطب السياسية التي تعارض التبليغ والخطب الشيعية في ذلك الوقت في الشمال الإفريقي، ومنها ايضا نستطيع ان ندلل على رواج سوق الخطابة آنذاك، وقد كان منها (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدين في سبيل الله باموالهم وانفسهم، فضل الله المجاهدين على القاعدين باموالهم وانفسهم درجة، وكلا يدعو الله الحسنی، وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما) وقال ايها الناس، جاهدوا من كفر بالله وزعم انه رب من دون الله، وغير احكام الله عز وجل، وسب نبيه واصحاب نبيه وازواج نبيه..... وقال: الله ان هذا

١- تاريخ الخلفاء الفاطميين ص ١٧١.

٢- مرحلة التشيع ص ٤٢.

القرمطي الكافر الصنعاني المعروف بابن عبيد الله المدعي الربوبية من دون الله جاحدا نعمتك، كافرا بروبيتك، طاعنا على نبيك ورسلك، مكذبا بمحمد نبيك وخيرتك من خلقك، سابا لاصحاب نبيك وارواح نبيك امهت المؤمنين، سافكا لدماء امته، منتهكا محارم أهل ملته، اجترأ عليك واغترأ بحلمك، الله فalcته لعنا وبيلاً، واخزه خزيا طويلا واغضب عليه بكرة واصيلا، واصله جهنم وساءت مصيرا، بعد أن تجعله في الدنيا عبرة للسالفين، واحاديث للغابرين، وأهلك اهتم متبعيه، وشتت كلمته، وفرّق جماعته، اكسر شوكته، واشف صدور قوم مؤمنين»^١.

ومن الخطب التي ذكرها الداعي ادريس تلك الخطبة التي القاها القائم بن عبيد الله المهدي بالاسكندرية اثناء غزوه لها على حياة والدى المهدي وقد حلّ عليه فيها عيد الفطر، وقد كانت تلك الخطبة شبيهة باساليب الخطابة صدر الاسلام، مضافا الى اشتغالها الكثير من التضمين والمفاهيم الشيعية.^٢

ومن الخطب التي اثرت عن العهد الفاطمي الشيعي خطبة المعز في صلاة العيد، وقد اخبر بوفاة والده المنصور التي قد كانت كتمت:

«بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين، الله أكبر الله أكبر، لا اله الا الله، والله أكبر، الاعز الاقدر، الخالق المدبر، المدير، ذو الكبرياء والجبروت والعزة والملكوت، الأحد الصمد، الفرد المنفرد، الاعلى القاهر، الباطن الظاهر، الاول الآخر مبدي السموات والارض بالقدرة، ومالكها بالعزة، ومبديها بالحكمة، وخالقها بما فيها من عجائب الفطرة، وبدائع التركيب والصنعة الذي كل شيء من موات وهى ناطق بالدعاء له، والدلالة عليه والشهادة له بالتوحيد والتعظيم والتمجيد.....»

أيها الناس ان الله لم يخلقكم عبثاً، ولم يهلككم سدى، ولم يجعل عليكم في الدين حرجا، ولم يضرب الذكر عنكم صفحا، للعبادة خلقكم، وبطاعته واطاعة رسوله امركم، وجعل الطاعة

١- معالم الايمان ج ٣ ص ٣٩ - ٤٠.

٢- نفس المصدر ص ١٩٨ وما بعدها.

اعلاماً منصوبة، وقروضا مكتوبة، ومن افضل اعلامها، وأكرم ايامها يوم الحج الاكبر الى البيت العلوي العتيق مبنوا ابراهيم خليل الله عليه السلام، وقبله محمد رسول الله ﷺ فتقربوا الى الله بما امره به..... نسل الله لنا ولم قبول العمل بامتثانه..... ثم جلس جلسة خفيفة، وقام للخطبة الثاني فقال:

الله اكبر، الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر الله اكبر شأننا، وأعظم سلطاننا، واضوح آيات.....

احمده واستعينه، واستغفره، واستهديه، وافوض اليه، وأتوكل في كل الامور عليه.....»^١.

وهذه الخطبة من أنواع الخطب التي تلقى في المناسبات الدينية وقد سنّها الله تعالى في صلاة العيد واجبة، واسلوبها ايضا يتماشى مع اسلوب الخطابات التي سبقتها، ولكنها جميعا شبيهة باسلوب صدر الاسلام في الخطابة. ومن الخطباء المتشيعين بالمغرب محمد بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية وله خطب كثيرة، منها:

وبعد نقل هذه الخطبة من قبل حنّا الفاخوري يقول عن ابن تومرت وعن خطاباته (ابن تومرت من رجال الفكر العميق، والنظر البعيد، والبلاغة القائمة على تفهم النفسيات، والحدق في تقديم البراهين، التي تستهوي الشعب وتستولي على قلبه ولبّه، وقد جمع الى ما تقدم منطقاً سديداً، وكلاماً رائعاً في سلامته وانسجامه وسهولته).^٢ وكان الفاخوري قد أورد له خطبة يقول فيها (ان الله سبحانه وله الحمد منّ عليكم أيّها الطائفة بتأييده، وخصكم من بين أهل العصر بحقيقة توحيده وقيض لكم من ألقاكم ضلالاً لا تهتدون وعمياً لا تبصرون، لا تعرفون معروفاً، ولا تنكرون منكراً، قد فشت فيكم البدع، واستهوتكم الأباطيل، وزين لكم الشيطان أضاليل وترهات انزه لساني عن النطق بها، وأربأ بلفظي من ذكرها، فهذاكم الله به بعد

١- الادب في العصر الفاطمي: الكتابة والكتاب: محمد زغلول سلام، ص ٢٢٤ - ٢٤٩.

٢- الموجز في الأدب العربي وتاريخه ٣ ص ٢٨٩.



الضلالة، وبصركم بعد الغي، وجمعكم بعد الفرقة، وأعزكم بعد الذلة، ورفع عنكم سلطان هؤلاء المارقين، وسيورثكم أرضهم وديارهم، وذلك بما كسبته أيديهم وضرته قلوبهم، وما ربك بظلام للعبيد فجددوا لله سبحانه خالص نياتكم..... واحذروا الفرقة واختلاف الكلمة وشتات الآراء، وكونوا يدا واحدة على عدوكم، فأنكم ان فعلتم ذلك هابكم الناس وأسرعوا الى طاعتكم وكثر أتباعكم، وأظهر الله الحق على أيديكم، والآ تفعلوا شملكم الذل وعمكم الصغار واحتقرتكم العامة فتخطفتكم الناس، وقد أخذنا لكم رجلا منكم وجعلناه أميراً عليكم، هذا بعد أن بلوناه في جميع أحواله، من ليله ونهاره ومدخله ومخرجه واختبرنا سريره وعلايته فرأيناه في ذلك ثبثاً في دينه، متبصراً في أمره، واني لأرجو أن لا يخلف الظن فيه، وهذا المشار اليه هو «عبد المؤمن»، فاسمعوا له وأطيعوا ما دام مطيعاً لربه، فان بدّل أو نقص على عقبيه أو ارتاب في أمره في الموحيدين أعزهم الله، بركة وخير كثير، والأمر لله يقلّد من شاء من عباده).^١

الرسائل والكتابة الديوانية

كان رؤساء العرب واسيادهم في الزمن الجاهلي يكتبون بأنفسهم رسائلهم التي يتبادلونها فيما بينهم لأمور مهم، ولما جاء الإسلام كان النبي ﷺ يكتب رسائله التي يبعثها الى الحكام الملوك والى الرؤساء والزعماء في ذلك الزمان، يدعوهم بدعاية الاسلام، أو يرد على الرسائل التي كانت ترد من هنا أو هناك، ولما جاء زمن أبي بكر وعمر وعثمان فإنهم كانوا يكتبون رسائلهم أيضاً والتي انضاف اليها فرع آخر وهو الرسائل الى قادة الجيوش والعمال على الامصار، وقد كتبت بعضها لهم. ونهج البلاغة الذي جمع فيه الشريف الرضي يذكر لنا جملة من الرسائل التي كتبها علي بن أبي طالب بنفسه، وكذلك قد أورد المؤرخون اسم أبي رافع واسم ابنه عبدالله بن أبي رافع على أنهما كتبا لعلي بن أبي طالب، اى توليا منصباً أعطى له اسم منصب (الكاتب). وقد أصبح هذا المنصب واضح المعالم في زمن الامويين، حيث أن كاتبهم

عبد الحميد اعتبر عهد بداية لولادة الكتابة عند العرب حيث المقولة المعروفة «بدأت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد» وهكذا حتى جاء العباسيون فافتتح عهدهم بابن المقفع ومن ثم صار منصب الكتابة يتم له اختيار افضل الرجال عقلا، وعلميا، وادبا، وساسة، وحكمة، وتديبرا، حتى أنه يعتبر من اخطر المناصب لسياسة الدولة الداخلية والخارجية التي تستند هي بدورها عليه في أكثر احوالها، أو الوزير الذي يكون متنفذا بعد الخليفة، ولربما كان يلي على الخليفة لما كان له من تأثير عظيم بالمواصفات التي يملكها، وهذا ما يدعو الخليفة الى احترامه والاخذ برأيه في المعاضل والملمات.

ونحن على علم سابق بأن الشمال الإفريقي كان قد تأخر زمنا في انتاجه الفكري والادبي وتأسيس الدولة، وذلك بسبب تأثير فتح الأندلس الذي استهوى أكثر العرب بالنزوح الى هناك، وجعل الشمال الإفريقي نقطة عبور صوب الأندلس الى ان جاء الأدارسة الشيعية، فكثوا فيه واقاموا دولتهم، التي استمرت لقرنين من الزمن تقريبا، ونحن لا نريد التغافل عن بعض الكيانات التي عرفتها الارض المغربية قبل الأدارسة من أمثال الاغالبة والخوارج، الا أننا جميعا نعرف أن الاغالبة يمثلون الولاية العباسية في المغرب العربي، والخوارج كانوا في مكان محدود، ولم يكتب له التدد عن تلمسان أو سجلماسة. ولكن مع كل هذا فكنا جميعا يمثلون الدول الأولى التي حفلت بها أرض الشمال الإفريقي الى أن جاءت الدولة الفاطمية الشيعية الكبرى فأزالتها عن الوجود، وبسطت سلطانها على كل أرض ذلك الشمال الذي كانت تتقاسمه تلك الدول بمساحات تتناسب مع قوتها.

والذي يعيننا من هذا هو نشأة دواوين الكتابة في هذه الدول، وعندها يمكن أن يقال بولادة الرسائل والكتابة الديوانية بعد أن لم يكن لها وجود هناك، وكما يذكر الباحثون بأنها كانت حكراً على الأندلس، وذلك لوجود الدولة فيها لأن الدولة مظهر حضارى يزدهر الأدب في شتى ألوانه تحت رعايتها، ولا سيما الكتابة. وقد أشار الى ذلك كثير من الباحثين ومنهم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي حيث يقول (كانت الكتابة وهي اهم الوان الأدب زمن الولاة - في الأندلس - مقصورة على الامراء والعلماء..... ولما رسخ سلطان الدولة الادريسية

بالمغرب الأقصى، ودولة الاغالبية في المغربين الاوسط والادنى اصبحت الكتابة صناعة اقتدى الكتاب فيها بكتاب الأندلس غربا وبكتاب المشرق شرقاً، ففشى فيها السجع والتأنق في المجاز والاستعارة، وما أن جاءت الدولة الفاطمية ثم الصنهاجية، الا ولصناعة الكتابة منزلة عند ملوكها ليس وراءها الا منزلة الجيوش وامراء الاساطيل^١ ومن الملاحظ هنا أنه يعرض لخصائص الكتابة في الشمال الإفريقي بعد أن يؤرخ الى العهود الاولى التي نشأت فيها الكتابة في ذلك الشمال، وبعد أن عرفت أرض الشمال الإفريقي وجود الدول لم يقتصر وجود دواوين الكتابة عند دولها الاولى الآتفة الذكر بل ان الشمال الإفريقي قد حفلت دوله اللاحقة بدواوين للكتابة واسماء المشهورين من الكتاب، كالدولة الموحدية، والحفصية، والمرينية، والسعدية، وغيرها من الدول التي أشرنا الى تشيعها. وكذلك بقية الدول كدولة المرابطين التي لا يعيننا من ذكرها وذكر الكتابة فيها شيئاً سوى أن بعض الوجوه الشيعية المعروفة في كونها من الكتاب البارزين قد استقدمتهم هذه الدولة من الأندلس الى الشمال الإفريقي فمارسوا الكتابة عندها، وتخرّج على أيديهم جملة من الكتاب في الارض المغربية، حيث يقول الدكتور خفاجي بهذا الخصوص (لما قامت دولة المرابطين جدّوا في استدعاء الكثير من أعيان كتاب الأندلس، حتى اجتمع في بلادهم من العدوّة الإفريقية ما لم يجتمع مثله لملك من ملوك الطوائف في الأندلس، وأشهرهم: أبو عبدالله محمد ابن أبي الخصال^٢، وأخوه أبو مروان، وأبو محمد عبد المجيد ابن عبدون^٣، فنشروا طريقة الأندلسيين في الكتابة،..... وتخرّج عليهم من ابناء البلاد كثيرٌ مثل ابن الميمون، وابن حشوة^٤، وهذان الاخيران اصبحا من كتاب دولة الموحدين الشيعية.^٥

ومن أشهر الكتاب الشيعية أو الذين استكتبتهم الدول الشيعية في الشمال الإفريقي

١- الادب الاندلسي التطور والتجديد ص ٧٧٦.

٢- راجع عن تشيع ابن ابي الخصال ادب التشيع في الاندلس ص ١٥٤.

٣- راجع عن تشيع ابن عبدون نفس المصدر ص ٢١١.

٤- الادب الاندلسي التطور والتجديد ص ٧٧٧.

٥- نفس المصدر.

بالإضافة الى من عرفناهم، أبو اليسر الشيباني الذي تولى الكتابة للدولة الفاطمية حتى سنة وفاته^١ وعبدالله بن محمد الكاتب الذي كتب للفاطميين أيضا.^٢

ولقد اشتهر في صدر الدولة الادريسية الكاتب أبو الحسن عبدالله ابن مالك الانصاري الخزرجي^٣ وقد كان الخزرجي من العرب الوافدين على الإمام ادريس الثاني وضع نفسه لخدمة الدولة، فاتخذه الامام كاتباً له، وكان أبو الحسن يتمتع بثقافة عالية فاقت ثقافة غيره في المغرب علماً فهياً، قام بالأمر خير قيام، ومما كلفه به الإمام ادريس الثاني كتابة عقد شراء موضع مدينة فاس من اصحابه^٤، وأبو الربيع سليمان الحضرمي^٥ كاتب الموحيدين الأول على زمن محمد بن تومرت، وأحد العشرة أهل الجماعة، وكان يساعده في الكتابة ملول بن ابراهيم بن يحيى الصنهاجي.^٦

ومن الكتاب الشيعة المشهورين أبو جعفر ابن عطية، وأخوه أبو عقيل^٧ كاتب الموحيدين على زمن عبدالمؤمن بن علي، وكان جوهر الصقلي قائد الفاطميين كاتباً بالإضافة الى كونه قائداً محنكا، وقد أورد له الداعي ادريس كتاباً الى أهل مصر يعطيهم به الأمان، وقال الداعي ادريس في تعليقه على هذا الكتاب بعد أن ينقله (بخط جوهر وكان هذا الأمان في شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة)^٨، ومحمد بن عثمان احد الكتاب في زمن الفاطميين أيضا وهو من كتاب الأستاذ جوذر في نفس الوقت^٩ ومن الكتاب ايضا عبدالله بن محمد احد دعاة الفاطميين^{١٠} ومن

١- هند شلبي: القراءات بافريقية من الفتح الى منتصف القرن الخامس ص ٢٨٢، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣. انظر هذا المصدر تجد أن وفاته اما ٢٩٦هـ أو ٢٩٨هـ.

٢- معالم الأيمان ج ١ ص ٢٥.

٣- الاستقصا ج ١ ص ١٣٦، روض القرطاس ص ٢٧، جذور الاقتباس ج ١ ص ٢٥.

٤- جنى زهرة الآس ص ١٩، العبر ج ٤ ص ١٣، الاستقصا ج ١ ص ١٦٦، دولة الادارسة في المغرب ص ١٢٤.

٥- أخبار المهدي وابتداء دولة الموحيدين ص ٣٣.

٦- نفس المصدر ص ٣٩.

٧- الموجز في الأدب العربي وتاريخه ج ٣ ص ٢٩٦.

٨- تاريخ الخلفاء الفاطميين ص ٦٧٧.

٩- نفس المصدر ص ٧٠٦.

١٠- نهاية الأرب ص ٢٤-١٧٩.

الكتاب الشيعة المشهورين ابن الابرار القاضي الأندلسي صاحب «الحلة السيرة».

ولم نثر على رسائل أو كتب ديوانية عن العهد الادريسي، وكل ما عثرنا عليه من رسائل أو كتابات ديوانية فهي عن العهد الفاطمي والموحدي، أو بعض الدول التي يقال بتشييعها كالحفصية والمرينية.

ومن الرسائل التي أثرت عن الفاطميين تلك الرسالة التي ارسلها المعز لدين الله في جوابه لداعي السند حليم بن شيبان، وقد ورد منه كتاب يذكر فيه ما هيأ الله له في جزيرة السند من النصر، وكنا قد ذكرنا هذه الرسالة، وبيننا بعضا من ملاحمها الفكرية والفنية، ومن الرسائل التي أثرت عن العهد الفاطمي، تلك الرسالة التي صدرت من المعز ايضا الى الأستاذ جؤذر، وكان المعز في سفره الى بكرة، وتوجه الأستاذ جؤذر الى المهديّة، فاجتاز المعز بعين ماء تعرف بعين كسرى فوقف عليها وذكر الأستاذ جؤذر، وقال: (ذكر الله جؤذراً بخير، فانه كان يسره الوقوف على هذا الماء والشراب منه، هلموا جراراً خضراً! فأقي بها، وملئت بين يديه وختمت، وانفذها، وكتب معها رقعة الى محمد الكاتب «محمد بن عثمان» (يا محمدا! ابعث الى جؤذر سلّمه الله بتوقيعنا هذا تعرّفه أنا ذكرناه بعين كسرى، ذكره الله بالرحمة والعافية، وأنا امرنا أن يملأ له بين ايدينا من رأس العين حملان ماء، وأنفذناهما اليه، وبعثنا اليه بخسمة دنانير من السكة المباركة المضروبة بمصر على اسمنا بفضل الله وعظيم امتنانه ليراهنا ويتبرك بها، وأرجو أن يمد الله في عمره حتى يحجّ معنا ونعطيه مما يضرب لنا ببغداد، وقد أكمل الله لنا الآمال، وعرفه ما نحن عليه من السلامة وتتابع النعم، وما معنا من الجموع التي يستعملها الله فيما يرضيه على ارغام اعدائنا حيثما كانوا، فليطب نفسا، فما نلنا الاكل خير يسره الله به والحمد لله كثير اكما هو أهله).^١

وأيا وصلتنا من الرسائل الفاطمية تلك الرسالة التي بعث بها جوهر الصقلي قائد الفاطميين بعد المصريين فيها بالأمان، وكانت بخطّ يده (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من جوهر القائد الكاتب عبدأمر المؤمنين المعز لدين الله «صلع» لجماعة أهل مصر والساكين بها من غيرها، انه ورد من سألتموه الترسل اليّ والاجتماع معي، وهم:

الشريف أبو جعفر أطال الله بقاءه
وأبو اسماعيل الرّسّي ايده الله
وأبو الطيب الهاشمي ايده الله
والقاضي أعزّه الله

فذكروا أنكم التستم كتابا يشتمل على أمانكم في انفسكم وأموالكم وبلادكم ونعمكم
وجميع أحوالكم، فعرفتكم ما نفذ به أمر مولانا «عم» وحسن نظركم، لتحمدوا الله على ما
أولاكم، وتشكروه على ما حباكم، وتدأبوا فيما يلزمكم، وتسارعوا للطاعة المضية بالسلامة
لكم وهو أنه «صلع» لم يكن أخرجه لهذه العساكر المنصورة والجيوش المظفرة، الا ما فيه
اعزازكم وحمايتكم والجهاد عنكم، اذ تخطفتكم الايدي، واستطال عليكم المشرك، وأطمعته
نفسه بالاقتدار على بلادكم، في هذه السنة والتغلب عليكم والاحتواء على نعمكم وأموالكم
حسبا فعله في غيركم من أهل بلدان المشرق..... ولكم الوفاء، بما الزمت به نفسى، وأعطيتمكم
اياه من عهد الله وغلظ ميثاقه وذمته وذمة انبيائه ورسله، وذمة الائمة موالينا وآباء مولانا
أمير المؤمنين عليه السلام، وذمة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين المعز لدين الله وذمة عبده ومملوكه.....
وفقمكم الله وأرشدكم أجمعين.^١

هذا وقد وصلتنا رسائل كثيرة عن العهد الفاطمي، وتمتاز هذه الرسائل، وكذلك الخطب
وعوم النثر في العهد الفاطمي في المغرب خاصة بقصر الجمل، وأنّ الجمل تكاد تتساوى
في الطول، ويبدو عليها السجع غير المتكلف، والانتقال من معنى الى آخر بسرعة وعدم
التكلف^٢، وكذلك من سمات رسائل هذا العصر أنها تبتدىء بالبسملة والتحميد، والصلاة على
النبي وآله، واحيانا البعدية، هذا ما يخص الجوانب الفنية، واما الجوانب الفكرية فان النثر
الفاطمي تأثر بالعقائد الشيعية الفاطمية كما تأثر الشعر وكذلك اصبح مدافعا عن العقائد
الشيعية (فأن السجلات الفاطمية التي تصدر في الاعياد والمواسم، أو في تولية امام أو احد

١- تاريخ الخلفاء الفاطميين ص ٦٧٣ - ٦٧٧.

٢- انظر الحياة الفكرية في مصر في العهد الفاطمي ص ٢٧٠.

رجال الدولة من وزراء وقضاة ودعاة، ففي مثل هذه السجلات كان الكتاب يلмон بالعقائد، ويؤولون بعض آيات القرآن الكريم تأويلاً يتفق على مذهبه الفاطمي، ويذكرونها في كتاباتهم على رأى الفاطميين، في كل مناسبة، وفي كل عيد، فالسجلات التي صدرت في عهد العزيز كانت تنصب على ولاية علي بن أبي طالب والأئمة المنصوص عليهم من بعده، وسجل مآثم عاشوراء كان في الحسين الاسلامي وما لاقاه أهل البيت من أهوال، وسجل رؤية رمضان في ذكر عقيدة الفاطميين في هلال رمضان).^١

وقد أكد النثر الفاطمي اهتمامه بالعقائد الشيعية والفاطمية حسبما اعترف له بذلك صاحب «في أدب مصر الفاطمية» حيث يقول (وهكذا كانت هذه السجلات حافلة بالمعتقدات الفاطمية التي لا يمكن ان تصدر عن دولة غير فاطمية المذهب).^٢

ويجب أن نشير الى أن هناك بعض الفوارق بين الرسائل والسجلات التي خلفها لنا العهد الفاطمي، وان كانا يصدران من منبع واحد وهو ديوان الانشاء، وذلك أن السجلات نوع من الرسائل الديوانية التي يعالج بها الخلفاء بعض الامور الادارية والمناسبات الخاصة بالدولة، وتثبت لتقرأ على الناس أو تكون منهاج عمل، تبليغا يطلب الامتثال له، ولا يحتاج الى الرد عليه، واما الرسائل فتختلف في طبيعتها في حال كونها من مرسل الى مرسل اليه، وقد ينبغي الاجابة عليها، ولربما تكون هي اجابة على رسالة واردة، وبعضها كان متبادلا فيما بين الادباء والعلماء، ومن هذا النوع الاخير تلك الرسالة التي بعث بها الكاتب القيرواني ابن الربيع (٤٣٠هـ) الى أبي المغيرة عبد الوهاب بن حزم يذكر فيها تقصير أهل الأندلس في تخليد اخبار علمائهم ومآثر فضلائهم وسير ملوكهم، يقول فيها^٣ (كتبت يا سيد واجل مُدَدِي - كتب الله تعالى لك السعادة، وأدام لك العز والسيادة - سائلا مسترشداً، باحثا مستبحرا، وذلك اني فكرت ببلادكم اذ كانت قرارة كل فضل، ومثل كل خير ونبل، ومصدر كل طرفة، ومورد كل

١- نفس المصدر ص ٢٧٨.

٢- في ادب مصر الفاطمية ص ٣١٦.

٣- الأدب في العصر الفاطمي - الكتابة والكتاب ص ٢٢٤.

تحفة، وغاية آمال الراغبين، ونهاية آماني الطالبين، ان بارت تجارة فاليها تجلب.....^١ كانت الرسائل تتضمن شيئاً من القرآن الكريم والحديث الشريف، كما وأنها - في بعض الاحيان - تتضمن الشعر سواء من نظم الكاتب أو من مختاراته من اشعار العرب^٢، وهنا لا يفوتنا ان الرسائل التي كانت في العهد الادريسي والتي اشرنا الى انه لم يصلنا منها شيء، كانت تتضمن الشعر ايضا وذلك لما نقله المؤرخون من أن الرسالة التي ارسلها ادريس الثانى الى ابراهيم بن الاغلب، والاخرى التي ارسلها الى بهلول المدغري كان ضمنها شعرا، ونحن قد ذكرنا بعض خصائص النثر في عهد الأدارسة، وخاصة الخطابات بناء على ما وصلنا منها. وفي ادامة الكلام عن الرسائل في العهد الفاطمي نقول ان بعضها يطلق عليها اسم الرسائل الموضوعية، وهي التي تدور حول الموضوعات العلمية ويتم تبادلها بين العلماء.^٣

واما في العهد الموحي فقد كانت الرسائل والكتابات الديوانية لها ذات اهمية حيث أنهم أسسوا لها ديوانا خاصاً وأعطوا المتولي له لقب «رئيس الكتاب»، وذلك لما كان عليه عدد الكتاب من الكثرة.^٤ وكان اهتمام الموحيين بالرسائل منذ بداية عهدهم حتى ابن تومرت كان ينتخب افضل الكتاب واهم الشخصيات عنده لهذا الغرض، بالرغم من انه كان يكتب رسائله بنفسه في بعض الاحيان^٥، وكما عرفنا بأنه خصص احد (العشرة أهل الجماعة لكتابة الرسائل وهو أبو الربيع سليمان الحضرمي الذي توفي في معركة البحيرة^٦، وكان يساعد أبا الربيع في الكتابة ملول بن ابراهيم بن يحيى الصنهاجى، وهو ممن آخى المهدي «ابن تومرت» بينه وبين هرغة «قبيلة المهدي» ويصفه صاحب كتاب الانساب بالفصاحة والبداهة والعلم بالألسن، وقد أقام بتينملل حتى توفي).^٧

١- نفس المصدر ص ٢٥٠.

٢- نفس المصدر.

٣- نفس المصدر.

٤- الموحدون في المغرب الاسلامي تنظيماتهم ونظمه ص ١٦٢.

٥- الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ص ٩٠.

٦- اخبار المهدي ص ٣٣.

٧- نفس المصدر ص ٣٩.

واما عبدالمؤمن بن علي فقد (كان يبحث عن كتاب لهم خبرة ودراية بالأعمال الادارية، فلما انتصر الهنتاني على الماسي في اواخر ٥٤٢هـ، وبحث عمن يكتب له الى الخليفة، ودلّ على أبي جعفر أحمد بن عطية، فكتب رسالة بليغة، ما أن وقعت في يد عبدالمؤمن حتى استقدمه فاستكتبه ثم استوزره وجمع له الكتابة والوزارة)^١، ولما حدث ما حدث بين عبدالمؤمن وابن عطية وقتل عبدالمؤمن ابن عطية أبا جعفر واخاه أبا عقيل، استكتب أبا القاسم المالقي من أهل بجاية وأحد نهباء الكتاب^٢.

وقد كان الكاتب الموحي يتولى كتابة رسائل الخليفة الى عماله وقادته وكلّ من يريد الخليفة الكتابة اليه، ثم يقوم بالرد على الرسائل التي ترد الى الخليفة، وكذلك كان الكاتب يقوم بكتابة نص البيعة للخليفة الجديد، وخلال البيعة العامة يقرأ الكاتب ذلك النص لكل مجموعة من المبايعين^٣.

واما خصائص الرسائل عند الموحيين وطريقة الكتاب فيها، فقد كانت تسير على نسق واحد لو لا الاختلاف في بعض الجزئيات الفنية، فالرسالة تبدأ بذكر (من أمير المؤمنين الى من ترسل اليه، فالدعاء المناسب للمرسل اليه، فالسلام، فالبعدية، فالتحميد، فالصلاة على النبي ﷺ، وقد يصلّى على آل النبي وعترته، فالترضية على الصحابة، فالمهدي غير أن ذكر المهدي قد اهمل في خلافة المأمون وأول خلافة الرشيد)^٤.

وتجدر الإشارة الى أن الصلاة على آل النبي وعترته كانت سنة سائدة في أول الرسائل في بداية عهد الموحيين وفي غيرها، ولم نعثر على رسالة لم تلحق الآل بالنبي في الصلاة في ذلك العهد، ولكن نجد ما يذكره الدكتور عز الدين عمر موسى في النص السابق عن الأتيان بالصلاة على آل النبي في بعض الرسائل وعدم الأتيان بها في بعضها الآخر في أيام الخلفاء المتأخرين من الموحيين، وكذلك الصلاة على الصحابة، فانها لم تكن موجودة في الايام الاولى من دولة

١-المعجب ص ١٩٨.

٢-نفس المصدر.

٣-الموحدون في المغرب ص ١٦٤.

٤-نفس المصدر ص ١٦٥.

الموحدين في رسائلهم، ولكنها وجدت في زمن الخلفاء المتأخرين كحال الحذف الذي طرأ على الصلاة على الآل. وكذلك كانت رسائل الموحدین تحظى بالتضمنين من القرآن والحديث والشعر وقد أشبهت الرسائل الديوانية الموحدية الى حد ما الرسائل الديوانية المشرقية، التي كان يتولّى امرها آنذاك القاضي الفاضل، والذي كان معاصراً لابن عطية وهذه المشابهة كانت في الجوانب الفنية كالاطناب والزخرفة^١، ويظهر ذلك في رسالته التي اوصلته الى الوزارة (كتابنا هذا من وادى ماسة بعد ما تجدد من أمر الله الكريم ونصر الله تعالى المعهود المعلوم «وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم»، فتح، بهر الأنوار اشراقا، وأحرق بنفوس المؤمنين احداقا، فلا تطيق الألسن لِكُنْه وصفه ادراكا، ولا لحاقاً، جمع أشتات الطلب والأدب، وتقلّب في النعم أكرم منقلب، وملاً دلاء الأمل الى عقد الكرب،

فتح تفتح أبواب السماء له وتبرز الارض في اثوابها القشب)^٢.

وقد نقلت لنا المصادر الكثير من كتابات أبي جعفر وخاصة تلك الرسالة التي يلتبس فيها العذر من عبد المؤمن الاسلامي بعد الذي حل بينها، وقد نقلنا قسماً منها سابقاً، وكذلك فأن المصادر نقلت لنا بعضاً من رسائل اخيه أبي عقيل ابن عطية أشهرها تلك التي أنشأها عن الخليفة عبد المؤمن الى طلبة تلمسان يعلمهم بفتح قسنطينة، ويخبرهم بأنابة يحيى بن عبدالعزيز صاحب مجاية الى التوحيد^٣، وبعد ذكر هذه الخطبة من قبل حنّا الفاخوري في موجزه يقول عن خصائص ترسل أبي عقيل، والتي هي في الواقع خصائص للترسل في ذلك العصر، ومن بينها خصائص الترسل الشيعي (سار أبو عقيل ابن عطية في ركب اصحاب الصناعة، وراح يبدع الرسائل في تأنق وزخرفة واطناب، وقد جعل السجع من القواعد التي تمشى عليها، واراد التفنن فيه فتقلت القوافي، وأدخله بعضه ببعض في تركيب وتعقيد، وفي بلاغة)^٤.

١- العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق ص ٣٧٨.

٢- المقرئ ج ٧ ص ١١٣ - ١١٤.

٣- انظر الموجز في الأدب العربي وتاريخه ج ٣ ص ٢٩٩ - ٣٠٣.

٤- نفس المصدر ص ٣٠٣.

وأما ما يخص الناحية الفكرية في رسائل الموحدين، فأنها كانت تعقب برائحة التشيع وهذا ما نستظهره من بدايات الرسائل خاصة تلك التي كانت تصدر عن محمد بن تومرت مؤسس دولة الموحدين حيث تنقل لنا الدكتورة ابتسام مرعي خلف الله في الملحق الثالث من ملاحق مؤلفها «العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الاسلامي» عددا من الرسائل الصادرة عن ابن تومرت، منها «رسالة من محمد «المهدي» بن تومرت الى جماعة المرابطين بسوس - والتي صدرها:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

من محمد بن عبدالله العربي القرشي الهاشمي الحسيني الفاطمي المحمدي^١

فالنفس الشيعي يتجلى هنا باعلى صوره في هذه الرسالة، حيث الصلاة على النبي والصلاة على آله، وترك الصلاة على الصحابة ثم أنه يشير الى عروبه وقرشيته وهاشميته ثم علويته وفاطميته، ومحمدية المستمدة من فاطمة، وهذا ما تريده الشيعة وخاصة قادتهم لأنفسها. وفي هذا الملحق تواصل الدكتورة خلف الله نقل الرسائل الى أن تصل الى عهد الحفصيين، فتنتقل لنا من عهدهم الرسالة رقم (٢٥) في ملحقها وقد كانت بدايتها (بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على النبي الكريم وعلى آله وسلم تسليما....) وهذا ايضا تقليد شيعي في افتتاح الرسائل. وتؤكد الدكتورة خلف الله من جانبها تشيع الرسائل الموحدية فهي تورد استكتاب عبدالمؤمن بن علي لابي جعفر ابن عطية، وما حصل في النهاية من مقتل أبي جعفر على يد عبدالمؤمن، وتذكر ندم عبدالمؤمن عليه اشد الندم، ومقولة عبدالمؤمن بعد أن قتل ابن عطية «ذهب ابن عطية، وذهب الأدب معه» وتلحق بذكر أبي جعفر ابن عطية ذكر اخيه أبي عقيل ورسائله، فتقول «أما رسائل أبي عقيل ابن عطية (٥٢٠هـ - ٥٣٥هـ) فكانت مثل رسائل اخيه انموذجا احتذاه من تبعه من الكتاب، ومن الجدير بالذكر أن هذه الرسائل تفضح تشيعها الواضح والقول بعصمة الامام المهدي^٢.

١- العلاقات الموحدية ملحق رقم ٣.

٢- نفس المصدر ص ٣٨٠.

ومن أكابر كتّاب الموحدين والذي كان ايضا يمثل عصره ويفصح عن تشييعه القاضي أبو جعفر عمر بن عبد الله السلمي الاغماني (٥٣٠هـ - ٦٠٣هـ) الذي يمثل الأدب المغربي في النصف الثاني من القرن السادس الهجري وكان يمتاز برقة شعره (بل نجده يأمر بالصلاة على ممدوحيه مثل ما كان يفعل في رسائله الموحدية التي تصلى على المهدي بن تومرت، وجاءت قصائده على غرار قصائد المشرق).^١ وقد كان رجل من ابناء البيت الموحيدي شاعرا ناثرا هو أبو الربيع سليمان الموحيدي حفظت عنه مجموعة من الرسائل ايضا.

ونحن اذا انتقلنا الى عهد الحفصيين فأن من اكابر الكتّاب الشيعة في ذلك العصر هو ابن الابار الذي كتب لديوان الحفصيين مدة من الزمن قبل أن يوشى به الى الحاكم الحفصي.

النثر العلمي - المؤلفات والمصنفات

تصالح أكثر الباحثين عن النثر على اعتبار المؤلفات والمصنفات من الانواع النثرية غير الادبية، وأطلقوا عليها اسم النثر غير الفني أو النثر العلمي. وان كان بعضها يحتوي على الكثير من الاساليب الفنية في الكتابة، ونحن هنا نريد الاشارة الى أن المتشيعين المغاربة كان لهم نصيب وافر في هذا النوع من النثر وذلك بما تركوه لنا من مؤلفات ومصنفات عديدة. وقد كانت تلك المؤلفات والمصنفات في مختلف العلوم والفنون، وكان بعضها ايضا يخص العقيدة الشيعية، وسنحاول ذكر تأليفات الشيعة واسماء مؤلفيها والعلوم والفنون التي ألّفت فيها مع ذكر الجوانب الفنية والفكرية لهذه المؤلفات.

وأول ما يمكن ذكره في هذا الباب تلك المؤلفات التي تركها القاضي النعمان أبو حنيفة فيما يخص العقيدة الشيعية والفقه والحديث والتفسير والتاريخ، والتي عرضنا لذكرها في مكان سابق وبشكل مفصل، كما وأشرنا الى عظم الشخصية الادبية والعلمية والدينية التي كان يحظى بها القاضي النعمان والذي نال اطراء ومديح كل من ذكره حتى من أعدائه ومناوئيه، وذلك لما يمتاز

١- نفس المصدر وقد ذكره محمد بن تاويت في الوافي، وأثنى عليه وأشار الى اندكاكه في عقائد المهدي وأفكاره، كما وأن حنا الفاخوري قد ذكره أيضا واعتبره من ابرز كتّاب المغرب في عصره.

به من عمق ادبي وديني، وكذلك نالت مؤلفاته المديح والثناء والاطراء من قبل جميع الذين تعرّضوا لذكرها، كما وأنها اعتبرت من افضل نماذج النثر في العهد الفاطمي بالرغم من كونها تحتسب على قائمة النثر الادبي، ومن الذين اثنوا على مؤلفات القاضي النعمان الدكتور حسين مؤنس؛ حينما يعرض لبعض اسماء فقهاء الاسماعيليه، ويذكر منهم القاضي النعمان، فيقول عنه (ويعتبر كتابه افتتاح الدعوة من أجمل نماذج النثر).^١

وأفضل المؤلفات الشيعية في مجال العقيدة بعد مؤلفات القاضي النعمان كتاب «أعزّ ما يطلب» لمحمد بن تومرت والذي دوّن فيه جملة من الافكار تخص العقيدة الشيعية من قبيل الامامة والامام والعصمة والمهدي، وبعض الآراء والنظريات الشيعية في مختلف الجوانب الاعتقادية.^٢

والكتاب الآخر في باب النثر العقيدى هو الذي ألفه ابن الأبار القضاعي البلسني وهو كتاب «درر السمط في خبر السبط» في شرح المنزل التي يحتلها أهل البيت عليهم السلام وما نالهم من مظلوميات ابتداء من الظلم الذي لحق بالنبي ﷺ ويتبعه بتوضيح الظلم الذي لحق بعلي ابن أبي طالب، ثم فاطمة الزهراء والحسن بن علي وابن فاطمة الزهراء (س) وسبط النبي، ثم يصل القول فيه الى واقعة كربلاء التي استشهد فيها الحسين ﷺ وأهل بيته وأصحابه وما جرى لعياله من السبي. ومنهم من اعتبر هذا الكتاب بمثابة القصة لمقتل الحسين، وكان كما يقال قد ألفه ابن الأبار بناء على طلب من أبي زكريا الحفصي أو ابنه. وقد حقق الكتاب عام ١٩٧٢م من قبل الدكتور عبدالسلام الهرّاس وسعيد أحمد عراب وتم طبعه في تطوان في نفس السنة، وكان صاحب «نفح الطيب» قد أورد فصولا من هذا الكتاب^٣، وقد ذكر أنه عمد الى عدم ايراد ما تحسّ منه رائحة التشيع^٤، ولكن مع الحذف الذي طال بعض فقرات الكتاب فإنه يفوح تشيعا، فلو أن صاحب النفح قد أورده جميعا فالله أعلم ما اذا كان يحمل المحذوف. وقد كنّا أوردنا هذا الكتاب كأمّودج للكتابة الفكرية الشيعية في الأندلس، وناقشناه مفصلا، كما واننا

١- تاريخ المغرب وحضارته ١م ج ١ ص ٤٩٢.

٢- للاستزادة انظر: المهدي بن تومرت، عبدالمجيد التجار.

٣- نفح الطيب ج ٦ ص ٢٦٤ - ٣٠٠.

٤- نفس المصدر ص ٢٦٤.

ناقشنا هناك تشيع ابن الأبار مؤلف الكتاب، وما حاوله البعض من إثارة الشبهات حول تشيعه.^١ هذا ما وجدنا عند الكتاب والمؤلفين الشيعة من مؤلفات ومصنفات تعنى بالجانب العقيدي والمبدئي، وأما المؤلفات التي تركها مؤلفو الشيعة في العلوم والفنون الأخرى فكثيرة، وفي مختلف العلوم والفنون، ومنها المؤلفات التي خلفها محمد بن جعفر التميمي القزاز القيرواني والذي كان الغالب عليه النحو واللغة والافتنان في التأليف).^٢ وأشهر كتبه «الجامع في اللغة»، وقيل أن العزيز العلوي الذي حكم مصر من ٣٦٥هـ - ٣٨٦هـ قد طلب من القزاز أن يؤلف كتابا يجمع فيه سائر الحروف وأن يقصد في تأليفه إلى ذلك الحرف الذي جاء لمعنى، وأن يجري ما ألفه على المعجم، قال ابن الجزار: ما علمت أن نحويًا ألف شيئًا من النحو على هذا التأليف. وقيل أنه جمع المفترق من الكتب النفيسة في هذا المعنى على قصد سبيل، وأقرب مأخذ، وأوضح طريق، فبلغ جملة الكتاب ألف ورقة ذكر ذلك كله الأمير المختار المعروف بالمسيح في تاريخه الكبير، كما له - القزاز - كتاب «التعريض» ذكر فيه ما دار بين الناس من المعارض في كلامهم، وتذكر له كتب أخرى مثل «التصريح» و«أعراب الدريديّة» و«ما أخذ عن المتنبي من المعاني» و«الضاد والطاء» و«شرح رسالة البلاغة» في عدة مجلدات و«أدب السلطان والتأدب» في عشر مجلدات، كما يذكر أنه صنف كتاب «العشرات في اللغة» ذكر فيه اللفظ ومعانيه المترادفة ويزيد في بعضها على العشرة، وقال في آخره: وعقيبها جهّز كتاب المئات.^٣

ومن مؤلفات الشيعة في الشمال الإفريقي كتاب «سراج الهدى»^٤ لأبي اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني متولى الكتابة الأولى للفاطميين بعد استلامهم الحكم في إفريقيا، وقد كان كتابه في القرآن ومشكله وأعرابه، وكان ابن عذارى قد نعت أبا اليسر الشيباني بقوله (صاحب المؤلفات في فنون العلم)^٥، ولكن لم يصلنا أكثر من هذا المؤلف الذي ذكرناه عن أبي اليسر،

١- انظر: أدب التشيع ص ١٧٩.

٢- حسني حسن عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بافريقية، طبع تونس، المنار، ١٩٦٥.

٣- الوافي بالوفيات ج ٢ ص ٣٠٤.

٤- القراءات بافريقية ص ٢٨٢.

٥- البيان المغرب ج ١ ص ١٦٣.



وهذا ايضا مما نحسبه على ضياع الأدب الشيعي في الشمال الإفريقي. ومن المؤلفات الشيعية ايضا في الشمال الإفريقي «نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان» لابن القطان المراكشي أبي محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي، والذي تكلم فيه عن جملة من الشخصيات المغربية، وقد أفاض في الكلام عن ابن تومرت، وعن رحلته الى المشرق ودولته وأيامه واسماه بالامام المعصوم المهدي المعلوم، ودعا له برضى الله تعالى^١، ثم أفرد بابا خاصا للعصمة^٢، وبابا خاصا ايضا للمهدي المنتظر الموعود^٣ يورد فيه حديثا عن محمد الباقر رابع ائمة أهل البيت عن المهدي ووجوب طاعته^٤ ويمكننا ان نعتبر هذا المؤلف ايضا من المؤلفات التي تخص المباديء والعقيدة الشيعية في جانب من جوانبه.

ومن المؤلفين الشيعة في المغرب العربي خلف بن أبي القاسم الازدي المعروف بالبرادعي، والذي كان مالكي المذهب، وما أن قال البيت المشهور في الفاطميين:

اولئك قوم ان بنوا احسنوا البنا وان وعدوا أوفوا وان عقدوا شددوا

نبذه اصحابه فالتجأ الى حكام صقلية من الكلبيين المواليين للشيعة الفاطميين، و(في صقلية ألف البرادعي كتبه).^٥ أي انه بعد انتقال الى التشيع قام بالتأليف، ولذلك تعتبر مؤلفاته على رصيد المؤلفات الشيعية. وكذلك مؤلفات ابن الأبار القضاعي البلسني يمكن اعتبارها من مؤلفات الشيعة في الشمال الإفريقي والتي ذكرنا أحدها وهو «درر السمط في خبر السبط» في باب المؤلفات الفكرية الشيعية في الشمال الإفريقي، وكان ابن الأبار قد ألف كتابا آخر في رثاء الحسين^٦ أيضا اسماه «معدن اللجين في مرآي الحسين» يعتبر من المفقودات المغربية، ولابن الأبار مؤلفات كثيرة، وفي حقيقة الأمر لا نعرف من بين كتبه من هو الذي ألفه على أرض الشمال الإفريقي، ومن هو الذي ألفه عندما كان في بلنسية من أرض الأندلس، وعلى العموم فإن

١- نظم الجمان ص ٦١.

٢- نفس المصدر ص ٩١.

٣- نفس المصدر ص ١٠٨.

٤- نفس المصدر ص ١٨٠.

٥- ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب، ص ١٢٢.

٦- محفوظ محمد: تراجم المؤلفين التونسيين، ص ٣١ دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٤.

ابن الأبار من أشهر المؤلفين الشيعة ومن أشهر كتبه: الحلية السيرة، تحفة القادم، أعتاب الكتاب، تكملة الصلة، وغيرها الكثير. حيث يذكر بعضهم أن عدد مؤلفات ابن الأبار تصل الى اربعين مؤلف تقريبا لم تصل اليها إلا أسماء ثمانية منها.

وكذلك يعتبر كتاب «زهر الآداب وثمر الألباب» لابراهيم بن علي بن تميم الحصري من المؤلفات الادبية الشيعية في الشمال الإفريقي، وذلك لما كان عليه مؤلفه من تشيع يفصح عنه مؤلفه الانف الذكر.

ومن المؤلفين الشيعة المغاربة (أبو العباس أحمد بن عبدالرحمن بن مضاء القرطبي المتوفى سنة ٥٩٢هـ من أهل قرطبة واليه نسب، وكان منقطعا الى العلم معنياً أشد العناية ببقاء علماء عصره، من أجل ذلك نراه ترك قرطبة الى اشبيلية، حيث يدرس كتاب سيبويه على ابن الرماك، ولما هاجر الى اشبيلية في طلب النحو هاجر الى سبتة في طلب الحديث، حيث القاضي عياض أكبر محدثي الأندلس..... وكان يميل الى دعوة الموحدين ويذهب مذهبهم، فاسندوا اليه منصب القضاء في بعض بلدانهم في فاس وبجاية.^١

وكان ابن مضاء قد تأثر بدعوة الموحدين وبمذهبهم الفقهي، وحمل على المذاهب الفقهية المالكية والشافعية، والحنفية، ولهذا اعتنى بتأليف ثلاثة كتب هي: «المشرق في النحو» و«تنزيه القرآن عن ما لا يليق بالبيان» و«الرد على النحاة» وهذا الأخير هو الكتاب الوحيد الذي بين ايدينا^٢، وكان ابن مضاء ممن هاجم النحاة ودعا الى الغاء العلل الثواني والثالث، وكان ذلك الهجوم منه والالغاء يستند الى اساس مذهبي^٣ في حين يعتبر الدكتور مهدي المخزومي هذا العمل من ابن مضاء ليس حدثا جديدا ولكنه تطبيق لمذهب الكوفيين^٤، وهذا ما نستشف منه شيعة ابن مضاء ايضا.

١- السيوطي جلال الدين بغية الوعاة ج ١ ص ٩٢٣.

٢- الحديثي، خديجة: المدارس النحوية، ص ٣٩٨، مطبعة جامعة بغداد، ط ٢، ١٩٩٠، مجلة دعوة الحق العدد الخامس - ٥ فبراير ١٩٦٢/

٣- الطيار رضا عبد الجليل: الدراسات اللغوية في الاندلس، ص ٢٢، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، دار الرشيد ١٩٨٠.

٤- المخزومي مهدي: الدرس النحوي في بغداد، ص ١٨١، وزارة الأعلام، بغداد، ١٩٧٥.

وما دمنا اعتبرنا الدولة الموحدية دولة شيعية نظرا للمباديء التي اقامها على اساسها محمد بن تومرت، كما اوضحنا ذلك، فإن العلماء والادباء والفلاسفة والمفكرين الذين عاشوا في ظل هذه الدولة يمكن ان يحسبوا على التشيع في بعض جوانب حياتهم، أو على الأقل أنهم عاشوا تحت رعاية من أقاموا دولهم تحت مبادئ التشيع وأفكاره، وقد حفل البلاط الموحدية بمجملته من الاسماء اللامعة (وفي مقدمتهم أبو بكر ابن الطفيل وأبو الوليد ابن رشد وأبو بكر بن عبد الملك بن زهر، وهم من اساتذة الفلسفة والطب).^١ وكانوا قد عاشوا في زمن يوسف بن عبد المؤمن الاسلامي الذي احاطهم في رعايته، وضمهم الى ركابه.^٢

وكان من الفلاسفة الذين عاشوا في ظل هذه الدولة ابن سبعين عبد الحق السبتي، الذي أجاب على الاسئلة التي وجهها ملك ايطاليا فردريك الى علماء سبته، وقد جمع هذه الاجابات في كتاب اسمه «المسائل العقلية».^٣ ومن أراد الاستزادة في التعرف على اسماء العلماء والادباء والنحاة والفلاسفة والفقهاء والمؤرخين وأهل الحديث والتفسير وغيرهم ممن عاش في زمن الموحدين يراجع كتاب «عنوان الدراية»^٤

ومن المؤلفين في زمن الموحدين شاعر بلاطهم أبو العباس أحمد بن السلام الجراوي، الذي ألف كتابا اسمه «صفوة الأدب ونخبة كلام العرب»^٥، والذي يعرف بالحامسة المغربية، وهو على نسق الحامسة لابي تمام، وكان ابن خلكان قد اسمى كتاب الجراوي «صفوة الأدب وديوان العرب»، وترانا قد اسهبنا في ذكر من كان من أهل العلم والأدب في زمن الموحدين - ولو أننا لم نستحصم جميعهم - وذلك لما كان عليه هذا العهد من وفرة في الشخصية العلمية والادبية اللامعة، حيث يكاد يفوق في هذا الجانب كل العصور السياسية التي مرت على المغرب العربي الشيعية وغير الشيعية. وهذا ليس معناه ان اصحاب العلم والأدب والتأليف

١- دراسات في تاريخ المغرب ص ٢٧٥.

٢- الأمير ابو الربيع سليمان الموحدي ص ٦٠.

٣- نفس المصدر، وقد طبع كتاب المسائل العقلية سنة ١٩٤١ في بيروت لحساب المعهد الفرنسي في اسطنبول.

٤- السلاوي الناصري ابو العباس احمد بن خالد - عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية - المطبعة الثعالبية - الجزائر ط ١٣٢٨ - ١٩١٠.

٥- الفاخوري حنا: تاريخ الادب العربي ص ١٦٦، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩٦.



كانوا منحصرين في هذا العهد، بل أن الافذاذ منهم قد وجدوا في بقية العهود الشيعية الاخرى خاصة في العهد الفاطمي، أمثال الفضل بن نصر المعروف بابن الرايس^١ وأبي العرب محمد ابن أحمد التميمي رافع لواء التاريخ والأنساب^٢ وأبي بكر اللؤلؤي الذي برع في النحو واللغة خاصة، وقد شرح أكثر دواوين العرب، وكان صادقا في علمه حسن البيان لما يسأل عن علمه، لا يجد صعوبة في قول الشعر، ويقال انه لم يدح احدا لمجازاته، لان أباه كان موسرا، توفي سنة ٣١٨ هـ.^٣

ومن الكتاب والمؤلفين الشيعة أبو القاسم الشريف السبتي المعروف بالغرناطي، والذي مرّ علينا كاحد الشعراء الشيعة في العهد المريني وكان قد حصل على شهرة في ذلك العهد وقد أثر عنه ديوان شعر، ولكنه من مفقودات الأدب الشيعي المغربي كما وأن السبتي الغرناطي قد شرح درر السمط لابن الابار وكان ذلك منه اثناء رواج التشيع في الأندلس قبل انتقاله الى سبتة في زمن شيخ الكتاب العلامة أبي الحسن ابن الحباب الذي اشتهر بالتشيع لآل البيت الكريم^٤، ومن تلامذة الشريف الحسني هذا ابن الخطيب، وابن خلدون، والنباهي.

هذا وقد برع المتشيعون في الشمال الإفريقي في كل العلوم والفنون، وقد حفظ التاريخ لنا اسماء العديد من اولئك الذين كان لهم قدم سبق من المتشيعين وفي مختلف الاختصاصات، فمنهم النحاة والنقاد واللغويون والعرضيون والفقهاء والمحدثون والمؤرخون وغيرهم الكثير، وقد اشرنا الى اسماء بعضهم اثناء طيات البحث وحسب مواقعها واتنا هنا لنعترف بأننا لا يمكن أن نستحصى جميع اسماء المؤلفين ومؤلفاتهم من الشيعة في الشمال الإفريقي وذلك اما لعدم توفر المصادر اللازمة وبعدنا عن أرض الشمال الإفريقي أو للتضييع الذي حصل من قبل من بحث وكتب عن الشمال الإفريقي.

١- الحركة النقدية على أيام ابن رشيق ص ٢٠.

٢- ورقات من الحضارة العربية ص ٢٦٦.

٣- طبقات النحويين ص ٢٥٦.

٤- الوافي بالادب العربي ج ٢ ص ٤٤٥.

الفصل الثالث

خصائص أدب التشيع في الشمال الإفريقي

- التقليد للمشاركة
- غلبة الروح السياسية الدينية
- احتفاظ الشعر الشيعي بروحه الفنية
- حرارة العاطفة وصدق الإيمان بالمعتقد
- الإلمام بأنواع النثر وأغراض الشعر
- الخصائص الفنية لأدب التشيع

ولا نغالي اذا قلنا، أن الأدب الشيعي في الشمال الإفريقي توفر على خصائص الأدب الهامة التي تجعله ادبا يعتدّ به، ويحظى بمنزلة رفيعة بين الأدب العربي بشكل عام، وبين الأدب الشيعي بشكل خاص، فن ينظر الى الاشعار التي خلفها الشعراء الشيعة في الشمال الإفريقي أو الى النصوص النثرية وخاصة ما يتعلق منها من ناحية المبدئية والعقيدية يجدها مفعمة بالانفعالات العاطفية والاحاسيس والعناصر الجمالية، وذلك لما تحمل من خصائص صياغتها التي جاءت باكمل اسلوب واعلى منهج حيث كلماتها الجزلة، ومضامينها العالية، وبلاغتها الفخمة، وصدق عاطفتها، وايمان قائلها بما تحمل من معانٍ، ومشابهتها لأقوى أساليب العرب في اشعارهم ونثرهم.

ولا يفوتنا أن نذكر امرين مهمين يمكن اعتبارهما من مميزات الأدب الشيعي في الشمال الإفريقي وهما: أن أكثر رجال الأدب الشيعي في الشمال الإفريقي كانوا من اكابر ادباء العرب أمثال ابن هانيء الأندلسي وابن الابّار البنّسى، وعلى ابن محمد الايادى التونسى، وجعفر القزاز القيرواني شيخ ابن رشيق، وأبو بكر اللؤلؤي، ومرج الكحل، وابن المرحل، وأبو عبدالله محمد ابن أبي الخصال وأبو جعفر ابن عطية وأخوه أبو عقيل، وابن مضاء وابراهيم الحصري، وابن حبّوس وقيم ابن المعز الفاطمي القاضي النعمان ابن حنيفة وغيرهم، والأمـر



الثاني: هو أنّ الانتاج الأدبي الشيعي المغربي كان أكثره في القرن الرابع الهجري، ذلك العصر الذي وصل فيه الأدب العربي الى أعلى مراحل الادبية وان الأدب الشيعي في الشمال الإفريقي بفضل عظمة ادبائه قد أسهم في ايصال الأدب العربي الى تلك المراحل وذلك بفضل نتاجاتهم الأدبية الرصينة والجديدة. هذا ما يمكن أن يسجل بشكل عام على الأدب الشيعي المغربي وادبائه، أمّا أهم خصائص الأدب المغربي الشيعي كما يلي:

التقليد للمشاركة

يمكن القول إن الشخصية المغربية مع تميزها بما يطبعها من خصائص، فهي لا ترى من نقص في التقليد المشرق بل تعتبره تكاملاً في شخصيتها كما يحتذي الطالب باستاذة ومعلمه، حيث أن المغاربة لم ينقطعوا عن الرحلة الى المشرق طلباً للعلم، وللاطلاع عن قرب على الاساليب والنتائج المشرقية، وقد كانت المراكز المشرقية الاولى التي يقصدها المغاربة الكوفة والبصرة.^١ وبفضل هذه الرحلات فقد كان المغاربة على اطلاع كامل بكل ما يخص المشرق خاصة الشعر وأيام العرب ونوادرهم.^٢ والاكثر من هذا فان المغاربة كانوا يقلدون المشاركة حتى في البناء والعمران ومن ذلك بناء المساجد، وذا ما فعله سعيد بن المعتصم بن صالح حينما اتم بناء مدينة نكور، فبنى مسجدها على غرار مسجد الاسكندرية.^٣ وقد التفت الكثير من الباحثين الى اقتداء المغرب بالمشرق وتقليده له، فعقدوا فصولاً في كتبهم، بل ألفوا كتباً تفصل ذلك الاقتداء والتقليد، أشاروا فيها الى رحلات المغاربة الى المشرق وذكروا اسماء الراحلين، والأماكن الشرقية التي حظيت باهتمامهم اثناء زياراتهم تلك، ثم أنهم اشاروا الى ما تأثر به المغاربة من المشاركة وما أخذوه منهم في تلك الرحلات، ثم يبتون الاعجاب الذي كان يبديه المغريون برجالات المشرق وانتاجاتهم.

ولا نريد هنا استحصاء الكتب التي تعرضت لما بين المغرب والمشرق بقدر ما نحاول ذكر

١- احمد بدر: المرجع السابق، ص ٧٩.

٢- زهر الآداب ونمر الابواب ج ٣ ص ٣٦٤.

٣- الوافي بالادب العربي ج ١ ص ١٢.

بعضها لتبيان ما كان من حال المغاربة مع المشاركة، ومن تلك المؤلفات كتاب اميلو غورسيه غومس^١ الذي عقده لما كان من شعراء الأندلس مع المتنبي، والذي يشير فيه الى اهتمام المغاربة بالمتنبي، فيقول (لقد أشار بلاشير الى أول حقيقة دقيقة ثابتة، هي ان عالما لغويا يدعى القزاز المتوفي عام ٤١٢هـ - ١٠٢١م ألف في بداية القرن الخامس الهجري العاشر الميلادي كتابين عن المتنبي ضاع أحدهما، وكان يبدو، اذا حكمنا عليه من عنوانه، معادياً للشاعر، وهو كتاب «ما أخذ على المتنبي» وبداية من ذلك العصر أخذ ادباء شمال افريقيا المشهورين كابن رشيق والحصري، وابن شرف يعرفون بشاعر الكوفة العظيم في بلاد البربر الشرقية، وعندما هاجروا الى اسبانيا واصلوا الثناء على شعره).^٢

وبعد ان يستمر اميلو غومس في حديثه، ويصل الى الموازنة بين المتنبي وابن هانيء. يؤكد التأثر المغربي بالمشرق، حيث يقول (وهذه الموازنة لا تهدف الى وضع الشاعرين في مستوى واحد، وانما تفترض لونا من الغرب للشرق، ومجرد اعتراف باسبقية ابن هانيء بين زملائه المغاربة).^٣

ومن تلك المؤلفات التي وضعها اصحابها لبيان الأثر المشرقي في المغرب كتاب «أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة» للدكتور محمد أبو شريفة، والذي يقول فيه (وانما جمعتهما - أبو تمام والمتنبي - بهذا الكتاب لان أهل المغرب كانوا يطلقون تسمية «الشعرين» على شعر أبي تمام وشعر أبي الطيب، ويقولون في ابن هانيء وابن دراج نظيران الحبيب والمتنبي).^٤

ولا نرى مبررا للاستدلال على التأثر المغربي بالمشاركة وتقليد المغاربة للمشاركة لأن هذا كوضوح الشمس في رابعة النهار، ولكننا اردنا أن نشير الى بعض من بحث وحقق في هذا الموضوع كي تتم الصورة ويتضح المطلب.

يمكن القول إن التقليد للمشاركة من قبل شعراء الشيعة في المغرب العربي كان أوسع واكثر

١- مع شعراء الاندلس والمتنبي سير ودراسات: اميلو غورسيه غومس نقله الى العربية د. الطاهر احمد مكّي، مكتبة وهبة، ١٤ شارع الجمهورية - بعابدين - ط ١، ١٩٧٤.

٢- نفس المصدر ص ٥٥ - ٥٦.

٣- نفس المصدر ص ٧٠.

٤- أبو شريفة محمد: أبو تمام وابو الطيب في ادب المغاربة، ص ٥، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط، ١٩٨٦.



من النثر، وقد شمل هذا التقليد الشعر السياسي والعقائدي وغيره، كما وإن شعراء الشمال الإفريقي الشيعي قلدوا - الشعراء المشاركة وعارضوهم من الشيعة وغير الشيعة، والامثلة على تقليد الشعراء المغاربة للمشاركة كثيرة نكتفي بذكر بعضها، إن محمد بن تاويت عندما يعرض لذكر شاعر المرينيين أبي عبدالله محمد بن المصادف الفاسي الزناتي ويصفه بأنه «من أصحاب القصائد الطوال»^١ ويذكر مطلع إحدى قصائده الطوال في مدح المستنصر بالله أبي العباس المريني:

لذكرك أحلى في اللسان واعذب وقربك أشهى للفوائد واطيب
يقول «القصيدة تنظر في أولها إلى قصيدة الفرزدق في زين العابدين»:
طربت شوقاً وما شوقاً إلى البيض اطرب

ولا لعباً مني وذو الشيب يلعب^٢
فهذا النقل من محمد بن تاويت يدلنا على ولع المغاربة بالتقليد للمشاركة، مع كون محمد بن تاويت لم يكن يعرف أن هذا مطلع القصيدة البائية من هاشميات الكميث الاسدي شاعر أهل البيت في العهد الأموي، وإن قصيدة الفرزدق في زين العابدين علي بن الحسين بن أبي طالب كان مطلعها:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
وكذلك من التقليد الشعري عند الشيعة المغاربة للمشاركة ما كان من النقائض التي نظمها المغاربة في الرد على شعراء المغرب، ومنها قصائد تميم بن المعز رداً على قصائد عبدالله بن المعتز العباسي^٣، والتي ذكرناها في باب سابق من هذا الكتاب. كذلك قصيدة خليل بن اسحاق شاعر الفاطميين التي قالها معارضة لقصيدة مروان ابن أبي حفصة شاعر العباسيين^٤.

١- الوافي في الادب ج ٢ ص ٤٨٥.

٢- نفس المصدر ص ٤٨٨.

٣- انظر الادب في العصر الفاطمي ص ١٦.

٤- انظر: الحلة السمرية ج ١ ص ٣٠٣.



ثم ان الشعراء الشيعة المغاربة قد تمثلوا كثيرا بالاشعار المشرقية خاصة للشعراء الذين يوافقونهم في المذهب السياسى والفكرى، ومن ذلك ما كان يتمثل به محمد بن تومرت باشعار أحمد بن الحسين أبي الطيب المتنبي شاعر الحمدانيين الشيعة، وقد مرت علينا في فصل سابق، ومنها أيضا ما ينسب من أشعار لأبي طالب بن عبدالمطلب، وقد تمثل بها ادريس الثانى في احدى وقائعه:

أليس أبونا هاشم شدّ أزره

ومن تقليد شعراء الشيعة في الشمال الإفريقي للشعراء المشارقة خاصة الشيعة منهم، ما كان يسلكه ابن هانىء الأندلسي في شعره، الذي جهد فيه أن ينهج على سبيل مدرسة المتنبي الشعرية، وقد حاول الكثير من الباحثين ابراز التأثيرات التي تركتها اشعار المتنبي على اشعار ابن هانىء وقد أوعز ذلك الى اسباب عديدة أهمها: أنهما شاعران لبلاط، وانهما تجرّى في عروقهما دماء شيعية وأن احدهما من المشرق وهو المتنبي، والمغرب دائما يجعل من المشرق له قبلة حتى في الشعر، لانه يعتبر المشرق رمز الاصاله ومهدّها.^١

ومن التقليدات المغربية لشعراء الشيعة المشارقة، ما كان يأتي بين الحين والآخر من استهلال القصائد بالوقوف على الاطلال والدمن وبكاء الديار الدارسة ومساءلتها، ومن ذلك قول خليل بن اسحاق في مطلع قصيدته:

قف بالمنازل واسألن اطلالها ماذا يضرّك لو أردت سؤالها

وقول تميم بن المعز في مطلع قصيدة ايضا:

أى رسم لآل هند ودار درسا غير ملعب ومنار

ومن شعراء الشمال الإفريقي الشيعة الذين وردت لهم تقليدات للشعراء المشارقة علي بن محمد الايادي في وصفه اسطول القائم الفاطمي:

أعجب لاسطول الامام محمد ولحسنه ولزمانه المستغرب

١- انظر: البديعى يوسف: الصبح المنبى عن حيشة المتنبي، تحقيق مصطفى السقا، محمد شتا، ط ٢، دار المعارف، القاهرة.

وكان كما يقال «أول من وصف القتال في المراكب والاساطيل هو البحري»^١، وبعد الأيادي جاء شعراء المغرب العربي على وصف المراكب والاساطيل ومنهم ابن هانيء: أما والجواري المنشآت

ولم يكن التقليد الشعري عند الشعراء الشيعة المغاربة مقتصرًا على الشعراء الشيعة المشاركة، بل أنهم اتخذوا من شعراء المشرق عموماً قدوة في اشعارهم، ولم ينحصر هذا التقليد بعصر من عصور المشرق دون آخر وإنما كان لكل العصور وبلا استثناء، وقد مرت علينا تقليداتهم للشعراء الامويين والعباسيين، وكذلك فقد قلدوا الجاهليين، وممن قلد الجاهليين سعيد بن هاشم المصمودي، الذي قال منددا بالبرغواطيين، وما نالهم على ايدي الأدارسة عندما قاتلوهم مع أبي غفير:

قفى قبل التفرق فاخبرينا وقولى اخبرى خبرا يقينا^٢

وهذا من الواضح أنه على غرار معلقة عمر ابن كلثوم:

ألا هبى بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الاندرينا
وهو محيط بقول النابغة:

ولم ينحصر تقليد المغاربة للشعر في المشرق على قول الشعر أو مثل اشعار المشاركة، بل أنه تعداه الى التأثير بما عجز به المشرق من حيث هيكلية القصيدة والتعصب للقديم أو التأثير بروح العصر وما أفرزته الحضارة، وتقدم العلوم والاطلاع على علوم واداب الأمم والشعوب غير العربية، فانقسم شعراء المغاربة على انفسهم شطرين كما حدث ذلك في شعراء المشرق، وقد أكد ذلك الدكتور بشير خلدون لشعراء المغاربة حين يقول (وطبيعى أن ينقسم الشعراء في هذه الربوع «المغربية» بين متعصب للقديم ليحافظ على عمود الشعر، وينسج على موال البحري وبين منتصر للجديد الذي تأثر بحركة البديع ليتبع طريقة أبي تمام التي تعتمد على التعقيد والغموض أحياناً والغوص على المعاني).^٣

١- شعر المغرب حتى خلافة المعز.

٢- الوافي بالادب العربي ج ١ ص ١٩.

٣- الحركة النقدية ص ٣١.



ومن غير شك ان شعراء التشيع يشكلون طائفة كبيرة بين شعراء الشمال الإفريقي، فلا بد وانهم انقسموا في هذا المنهج الى اتجاهين، ونرى بأن الذي يمثل مدرسة البحتري في تزعمه الدعوة للمحافظة على القديم وعلى الطبع ابن هانيء، بينما يمثل مدرسة أبي تمام والتي تعتمد الصنعة منهجها أبو العباس الجراوي - وهذا على سبيل المثال - ومن الجدير بالاشارة ان الذين تزعموا الاتجاهات الشيعية في المغرب والمشرق كانوا شيعة فالبحتري وأبو تمام وأبو هانيء وعباس الجراوي كانوا جميعهم من الشيعة.

ومن جميع ما تقدم يظهر مدى الاصاله في الشعر الشيعي الذي انتجه الشمال الإفريقي، بالرغم من كل الخصائص المغربية التي حاولت ان تطبعه بطابعها. وبنفس الوقت لا يعتبر هذا عيبا على الشعر الشيعي هناك، اذ انه يدلّ على مقدرة شعرائه في محاكاة الاصاله أولا، ولأن الشعر الشيعي هناك لم يأت بقوالب مشرقية مितه، بل أنه كانت تعجّ ثناياه بالابداع والابتكار وهذا ما جعله يزخر بالحياة.

غلبة الروح السياسية الدينية

حال الشيعة في الشمال الإفريقي كحال اى حزب ديني سياسي مذهبي في الدفاع عن دينه ومذهبه والمنافحة عن اعتقاده وما يذهب اليه بشقّ الاساليب والسبل، ومهما كلفه الثمن وبلغت التضحيات، ومن الواضحات أن ادباء الشيعة هم رجال الاعلام الذين ينهضون في الذود عن فكرهم واطروحاتهم العقيدية ومناهجهم السياسية، التي ترمى الى التطبيق بما يؤمنون به من مبادئ على أرض الواقع، وردّ الشبهات والاثارات التي يطلقها الاعداء ضد التشيع من هنا أو هناك. وقد كان ذلك فعلا من قبل اولئك الادباء في الشمال الإفريقي، ولكنّ اداءهم كان متفاوتا، ولا نوزع هذا التفاوت الا الى مقدرة الشاعر الذاتية، ومدى موهبته الادبية. أو قوة اندكاكه في معتقده، أو الى مقدار اطلاعه على جزئيات ذلك المعتقد ومفرداته.

وعلى العموم فإن الأدب الشيعي المغربي قد ادّى دوره المطلوب منه في رفع لواء الشيعة والدفاع عنه، ورتق بعض الأدباء ذلك الخلل في الاداء وقوة الأداء التي جاءت من البعض،

ولربما أن ذلك الذي اسميناه خللا يعود الى طبيعة المغرب غير المتعصبة، ولبعد المغرب عن ساحة الصراع الفعلي للتشيع مع مناوئيه من التشكيلات السياسية والمذهبية، حتى جاء الأدب المغربي الشيعي في النهاية مفعماً بالروحية السياسية الدينية كشقيقه المشرقي، ونرى ذلك الامتلاء بالسياسة والمفاهيم الدينية التي يؤمن بها الشيعة في الأدب الشيعي بالشمال الإفريقي واضحاً في مؤلفات القاضي النعمان أبي حنيفة والتي تخص الدفاع عن المذهب ورد الشبهات ومطاعن الاعداء، وكذلك كتاب «اعزّ ما يطلب» لمحمد بن تومرت، الذي نافح فيه عن الامام والامامة والعصمة وغير ذلك من الاعتقادات الشيعة، كما وأن ابن الأتار القضاعي قد حشا مؤلفه «درر السمط» بالسياسة الدينية، جامعاً لكل ما امكنه ومتوسلاً لكل دليل توصل اليه من القرآن أو السنة أو الادب.

هذا ما كان من الكتاب والمؤلفين واما الشعراء فنرى أنهم لا يقلون شأنًا عن الكتاب، ولا يقلون منزلة في تحمل المسؤولية عن اقراءهم من شعراء التشيع في المشرق من جانب آخر، ولعل أبطال حلبة الشعر السياسي الديني في الشمال الإفريقي هم سعدون الورجيني، وخليل بن اسحاق، ومحمد بن رمضان، وعلي بن محمد الايادي، وابن هانيء الازدي الاندلسي، وتميم بن المعز، وأبو العباس الجراوي، ويمكننا أن نقول ان السبب في تبرز هؤلاء من شعراء التشيع في الشمال الإفريقي في مجال غلبة الروح السياسية الدينية على اشعارهم هو نفس الظروف السياسية الحاكمة في المرحلة التاريخية التي كانوا يعيشونها، اذ ان لكل فعل ردة فعل، وهؤلاء عاش اكثرهم في وقت احتدم فيه الصراع السياسي الديني بين الشيعة ومناوئتهم وذلك بتأسيس الدولة الفاطمية الشيعية أو تأسيس الدولة الموحدية الشيعية.

وقد تمحور الشعر السياسي الديني عند شعراء الشمال الإفريقي على جملة من الامور: اعلان التفاني في حب أهل البيت، وأن هذا الحب سعادة ومثوبة، بل هو من الواجبات التي افترضها الله على عباده وسيجازي عليها يوم القيامة، وكان من ذلك قول ابن هانيء:

ابناء فاطم هل لنا في حشرنا لجأ سواكم عاصم ومجار
انستم احباء الاله وآله خلفاؤه، في ارضه، الابرار

أهل النبوة والرسالة والهدى في البيّات، وسادة اطهار
ان قيل: من خير البرية؟ لم يكن
وكان شعراء الشمال الإفريقي لا يزيدهم لوم اللاتين في حب أهل البيت إلا اصرارا وتناديا
في حبهم ومن ذلك قول سعدون الورجيني:

كفّى عن التشييط اني زائر من أهل بيت الوحي خير مزور
هذا امير المؤمنين تضععت لقدومه أركان كل امير
هذا الامام الفاطمي ومن به امننت مغاربها من المحذور
وما كان ذلك من شعراء الشيعة إلا لإيمانهم بما يذهبون اليه من مذهب وهو ان أهل البيت
ذرية بعضها من بعض، حيث انها ممتدة من النبي إلى علي بن أبي طالب إلى ولديه الحسن
والحسين إلى سلالتهما، التي تنسب إلى النبي من خلال فاطمة الزهراء، وأن الله تعالى هو
الذي وهبهم الحكم وأعطاهم الخلافة بعد النبي ﷺ بنصّ من النبي بأمر الله تعالى، ويظهر هذا
من قول أيوب بن ابراهيم في مدح المنصور الفاطمي:

يا ابن الامام المرتضى وابن الوص سى المصطفى وابن النبي المرسل
الله أعطاك الخلافة واهبا وأراك للاسلام أمانع معقل
وفي نفس المعنى يورد ابن هانيء اشعارا كثيرة، ويندد من خلاها ويهجو من اغتصب
الخلافة من أهل البيت الذين نصّ الكتاب والسنة على خلافتهم، ومن ذلك قوله:

ماذا تريد من الكتاب نواصب وله ظهور دونها وبطون
هي بغية أضللتموها فارجعوا في آل ياسين ثوت ياسين
ردّوا عليهم حكمهم، فعليهم نزل البيان، وفيهم التبيين

ولا يفوتنا أن الشعر الشيعي في الشمال الإفريقي مثل العقائد الشيعة في أئمة الشيعة أحسن
تمثيل، وهذا ليس كما يقال من العقائد الفاطمية اذ ان الشيعة جميعا يعتقدون في امامهم العصمة
والكمال ووجوب الطاعة، وأن طاعته فرض من الفروض كالصيام والصلاة، وأن الشريعة

أنزلت أكراما لمحمد ﷺ وآل محمد، وبها يتم هداية البشرية. وقد ضمن ابن هانىء اشعاره الكثير من هذه المعاني، ومنها قوله:

البيت بيت الله وهو معظم	والنور نور الله، وهو مبين
والستر ستر الغيب وهو محبب	والسرّ سر الوحي وهو مصون
النور انت، وكل نور ظلمة	والفوق انت، وكل فوق دون
فرضان من صوم، وشكر خليفة	هذا بهذا عندنا مقرون

وقوله:

بكم عزّ ما بين البقيع ويثرب ونسك ما بين الحطيم وزمزم
 فلا برحت تترى عليكم من الورى صلاة مصلّ أو سلام مسلّم
 وقد ركزت الشعراء الشيعة فى الشمال الإفريقي على ما مرّ على أهل التشيع وأئمتهم وأهلهم من مصائب وويلات من اعداء الشيعة، وتمنّت فى اشعارها انها كانت حاضرة لتلك الوقائع حتى تدفع ذلك الظلم وترد العدوان، ومن ذلك قول أبي العباس الجراوي اثناء مدحه جيوش عبدالمؤمن الموحدى، وفتوحها، وعظمتها:

لو أنها نصرت عليّا لم ترد خيل ابن حرب ساحت الانبار^١
 وكذلك قول ابن هانىء من قصيدة يمدح فيها المعز الفاطمي:

فليت أبي السبطين، والترب دونه يرى كيف تبدى حكمه وتعيد
 وملكك ما ضمت عليه تهائم وملكك ما ضمت عليه نجود^٢
 كما وأن الشعر الشيعي قد خلّد تلك الفجائع التي وقعت على الشيعة وأئمتهم وتقى لو انه حضرها، خاصة فاجعة الشيعة الكبرى فى كربلاء، حيث استشهاد الامام الحسين بن علي بن أبي طالب وأهل بيته واصحابه، وسبي عياله. وقد مرّ علينا ما كان من شعراء الشيعة من تخليد هذه الواقعة والبكاء عليها، وبيان للمظلومية التي لحقت باهل البيت من خلالها.

١- المنّ بالامامة ص ١٧٢.

٢- تاريخ الخلفاء الفاطميين ص ٥٩٧.

احتفاظ الشعر الشيعي بروحه الفنية

من السمات البارزة على الأدب الشيعي في الشمال الإفريقي وخاصة الشعر منه الاحتفاظ بالروح الفنية بالرغم من كونه قد عرض لبعض الحقائق العلمية والاحتجاجات المنطقية، وقليل ما يعرض الشعر للحقائق العلمية والاحتجاجات المنطقية ويحتفظ بروحه الفنية، وهذه الخصيصة يمكن ان تكون لعموم الشعر الشيعي، والذي يشكّل جزءاً منه الشعر الشيعي في الشمال الإفريقي، لا بل أن الشعر الشيعي امتاز على غيره من الشعر بهذه الميزة. وقد شهد الكثير من الباحثين لشعر التشيع في الشمال الإفريقي بهذه الخصيصة، ومن هؤلاء الباحثين الشيخ عبد الجواد رمضان عندما يعرض لخصائص شعر ابن هانيء، فيقول (وقلّ ما عرض الشعر للحقائق العلمية واحتفظ بروحه، ولكنّ فتى الأزد محمد بن هانيء الأندلسي شاعر العبيديين «الفاطميين» وهم من الشيعة الاسماعيلية يعرض في شعره لمصطلحاتهم وعقائدهم، فتطوعها مرانته وقوة روحه للأنسيابية في جداوله الرقراقة، حتى تزاوج الخيال وتساميه، وتسابقه الى القلوب في تعاشق وانسجام، فاستمع ما يقول في احدى قصائده:

وراء حق ابن الرسول ضراغم	اسد، وشهباء السلاح متون
الطالبان: المشرفية، والقنا	والمدركان: النصر والتمكين
وصواهل: للهضم يوم مغارها	هضْبُ، ولا اليد الحزون حزون
عرفت بساعة سبقها، لا أنها	علقت بها يوم الرهان عيون
وأجلّ علم البرق فيها أنها	مرّت بجانحتيه وهي ظنون ^١

ويعضى قائلاً بعد أن يسوق ابياتا اخرى من شعر ابن هانيء يفصح فيها عن اعتقاداته الشيعية في الامام وكونه (اكمل مخلوقات العالم جسداً وروحاً، وهو جامع لجميع الفضائل والخيرات، فجسده بريء من كل عيب، وروحه سالم من كل نقصان..... وهكذا ينتظم ابن هانيء جميع مصطلحات الاسماعيلية وعقائدهم، ويجلوها في اسلوبه الاخاذ، وسحره النفاذ؛

١- عبد الجواد رمضان: صدق العاطفة في الشعر الشيعي، مجلة رسالة الإسلام السنة الثانية، العدد ٢ ص ٤١٠-٤١٢- تصدر عن دار التقريب بين المذاهب الاسلامية، يناير ١٩٥٠.



مع الاحتفاظ بروحه الشعري القوي، وهو ميزة يعضى بها الشعر الشيعي منفرداً مستبداً بين
 جمهرة الشعراء الذين عالجوا نظم العلوم، فخرجوا بها الى منطقة «النظم» الذي ينكره الشعراء
 كما هو مشهور متعالم، وما كان هذا الفرق إلا لأن الشعر الشيعي اصدق عاطفة، وأقوى روحاً^١.
 وقد قصرنا الكلام في هذه الخصيصة على ابن هانيء وذلك اعتباراً منا أنه الأ نموذج
 الافضل لشعراء الشيعة هناك في هذه الميزة، واليك هذه الأبيات من قصيدة محمد القائم الخليفة
 الفاطمي:

أنا ابن رسول الله جدّي وجدّهم	إذا ذكر الاقوام عند التفاضل
ومفخرنا العالي على كل مفخر	عليه سلام بالضحي والأصائل
وجبريل منا حين قمنا وعصبة	الى الله ندعو عند ذكر التباهل
أنا ابن رسول الله والبيت والصفاء	انا ابن علي ذو التقى والفضائل ^٢

وهذا أبو القاسم الفزاري في قصيدته الفزارية التي جاء بها المنصور الفاطمي معتذراً منه عما
 كان قد اقترفه أيام وقوفه مع مخلد بن كيداد الخارجي، يقول:

له من امام المرسلين وصنوه	عليّ معالٍ، ثابتات الدعائم
معالٍ هي الفخر الصحيح، وغيرها	معاني مجازٍ بين وإهِ وسالم
ومن ذا يقيس الشمس في رونق الضحي	الى كوكب في غيب الليل عاتم
وما عذر مشحوذ اللسان مثقف	يرى الشكر في الانعام ضربة لازم ^٣

وقد كان لتيم بن المعز الفاطمي باعٌ طولى في هذه الخصيصة من بين شعراء الشيعة المغاربة
 خاصة، ولربما كان يضاهي ابن هانيء وذلك لأنه وكما اسلفنا لم يكن شاعراً شيعياً فحسب،
 وإنما التشيع قد خالط عظمه ودمه باعتباره من ابناء البيت العلوي، فهو في الصميم في صدق
 العاطفة، وقوة الروح وقد تبين ذلك من تيم جليّاً في اشعاره التي نافح فيها عن التشيع مقدماً له
 الادلة والحقائق العلمية، ولكن لم يؤثر هذا على سياقه الفني في الشعر ولم ينتقل به الى النظم.

١- نفس المصدر ص ٤١٢.

٢- تاريخ الخلفاء الفاطميين ص ٢٢٦.

٣- القصيدة الفزارية.



نظرا لما كان يملك من موهبة قوية، ومقدرة نافذة تجعله ينفك من ربة النظم ويخلق في دنيا الخيال الشعري، بالرغم من سلوكه سبيل النظم، ويمكن أن يقال إن هذه الميزة عامة في شعر تميم، ومن أمثلة ذلك الشعر الذي تظهر فيه هذه الخصيصة قوله في رثاء الحسين عليه السلام إلى أن يصل إلى الاستدلال على بني أمية بأن بني هاشم قد غلبوهم وعلوهم في الفضل فيقول:

امية! ما زلتم لابناء هاشم	عدي فاملأوا طرق النفاق وعادوا
متى قطّ أضحى عبد شمس كهاشم؟	لقد قلّ انصاف وطال شراد
متى وزنت صمّ الحجار بجوهر؟	متى شارفت شمّ الجبال وهاد؟
متى بعث الرحمن منكم كجدهم	نبياً علت للحق منه زناد؟
متى كان يوماً صخركم كعليهم	إذا عدّ إيمانٌ وعدّ جهاد؟
متى أصبحت هندُ كفاطمة الرضى؟	متى قيس بالصبح المنير سواد؟
أألّ رسول الله سؤتم وكدتم؟	ستجني عليكم ذلة وكساد
ليس رسول الله فيهم خصيمكم	إذا اشتدّ ابعاد وأرمل زاد؟
بكم أم بهم جاء القران مبشراً؟	بكم أم بهم دين الله يشاد؟ ^١

حرارة العاطفة وصدق الإيمان بالمعتقد

من الخصائص المهمة التي طبعت الأدب الشيعي في الشمال الإفريقي أنه جاء ساخنا ملتها بالعواطف مليئا بالحياة ولم يكن كل هذا منه إلا لأنّ ادباءه كانوا يؤمنون إيمانا صادقا بما يقولون، وذلك لحقيقة اندكاكهم في معتقدتهم وإيمانهم الصادق به، وبهذا جاء انتاجهم الأدبي تجسيدا واقعيا لذلك الصدق، وعلى هذا فقد اكتسب حرارة العواطف وصدقها النابض بالحركة والحياة، فهم عندما يبكون على ما نزل بهم من حيف واضطهاد وتشريد وتقتيل يبكون صادقين، وعندما يتحسرون على الخلافة التي يعتبرونها حقاً أورثه الله لأئمتهم يتأوهون بصدق، وعندما يعبرون عن حبه لآل البيت ويعددون صفات وخصائص أئمتهم



يقولون بايمان لا يعتريه الشك، وعندما يهجون اعداءهم ويهجمون عليهم لا تأخذهم فيهم لومة لائم، ومن ايمانهم الصادق بكل ما قالوا جاء انتاجهم الادبي حاراً مشتعلًا بالعواطف الصادقة. ونجد هذا في نثرهم وشعرهم على السواء. فهذا ابن الأبار القضاعي في درر السمط في الفصل الأول عندما يبين مظلومية سادته أئمة أهل البيت على يد الامويين يقول (يا لهفأً الليلة وهت معاقدها، وهوت فراقدها، فتسلط الأتقص على الأكمل، واختلط المرعى بالهمل، ان في ذلك لأيات للمتوسمين).^١ وأيضا يقول فيما يخص العاشر من المحرم، وما حصل فيه لأهل البيت (عاشر محرم اباحت الحرمات، وافيضت على النور الظلمات، فتفاقم الحوادث، وحمل على الطيبين الأخابث، وضرب السبط على عاتقه ويسراه، وما أجرأ من أسال دمه وأجراه، ثم قتل بعد ذبحا، تبكي حتى العاديات ضبحا، أجزاء حائلة الحلى، وأشلاء كرم من على البلاء، ومال الغواة على المتاع والثياب، ونازعوا النساء ما عليهن في النهاب، الى حدود خدودها، وقدود قدودها، ومحارم استحلّوها وانتكوها، وأكارم ابقوا جثثهم وأبقوها... هب الرجال تحزّ رؤوسهم، وتبزّ نفوسهم، ما للنساء بالكوفة يؤسرن، والى دمشق يسيرن؟).^٢

وهذا نجد في كلّ النصوص النثرية التي صدرت من ادباء الشيعة بما يخص مبدأهم وعقيدتهم، ولم يتأخر الشعراء هناك عن حرارة العاطفة، والإيمان القوي، ولذلك طبع شعرهم بهذا الطابع ايضا، ويمكننا أن نقول بأن كل الشعر الشيعي في الشمال الإفريقي قد اتصف بهذه الخصوصية ونذكر من ذلك مثلاً قول خليل بن اسحاق عندما جاء لعيادة المهدي الفاطمي ولم يؤذن له بالدخول، وذلك لاشتداد المرض بالمهدي، فأبى الانصراف بعد أن انصرف كل من أراد الزيارة، وكتب هذه الأبيات الى المهدي، فعندما قرأها المهدي أو قرأوها له اجازته بالدخول عليه وهي:

حلقت وان قلت الذي ليس في قلبي فلا غفر الله المهيمن لى ذنبي

١- ابن الأبار القضاعي: درر السمط في خبر السبط، تحقيق وتقديم، د. عبدالسلام الهزاس، وسعيد احمد عراب - تطوان

لأنت امير المؤمنين على الظمأ أحب الى قلبي من البارد العذب

فأصبح دين الله بعد دروسه جديداً كما أنبى به جدك المنبى^١
ولا أرى هذه الأبيات إلا أنها تسيل عاطفة، وتعبر عن ايمان قائلها بما يقول.
ومن ذلك الشعر الذي يفوح بالعاطفة، ويدل على ايمان قائله به، ما يصف ابن هاني خيل المعز ورجاله اثناء القصيدة التي مدحه بها، حتى يقول:

وعلى مطاها فتية شيعية ما ان لها إلا الولاء شعار
من كل أغلب باسلٍ، متخبطٍ كالليث، فهو لقرنه هصار
قلق الى يوم الهياج، مغامر، دم كل قيل في ظباه جبّار^٢
أو قوله، وهو ينعت نفسه بالتشيع ويعطى نعت التشيع ايضا لسيفه، الذي يعتبره مرهون
باشارة المعز، ومؤقر بامرہ للنيل باعدائه:

لى صارم وهو شيعي كحامله يكاد يسبق كراتي الى البطل
اذا المعز معز الدين سلّطه لم يرتقب بالمنايا مدّة الاجل^٣
ومن الشعر الشيعي الذي تميز بحرارة العاطفة، وذلك نتيجة لايمان قائله الذي تجلّى
في كلامه، ما قاله أبو عبدالله الشيعي بعد احدى وقائعه، وهو يهدد لحكومة التشيع:

من كان مغتبطا بلين حشية فحشيتي وأريكتي سرجى
من كان يعجبه ويبهجه نقر الدفوف ورنه الصنج
فانا الذي لا شيء يعجبني إلا اقتحامى لجّة الوهج
سل عن جيوشى اذ طلعت بها يوم الخميس ضحى من الفج^٤
ولربما من اسباب حرارة العاطفة ايضا في شعر شعراء الشيعة في الشمال الإفريقي طبيعة البيئة

١- تاريخ الخلفاء الفاطميين ص ٢٣٨-٢٣٩.

٢- المجاني الحديثة ج ٥ ص ١٥.

٣- البستاني بطرس: ادباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث م ٣ ص ١١١، دار الجيل، بيروت.

٤- الأدب بافريقيا في العهد الفاطمي ص ٢٧.

المغربية التي لم تعرف الميوعة والترهل، كما حدث في الأندلس وبقيت التزاماتها وخشونتها وأصالتها وبذلك أصبحت أكثر شبها بالمشرق من الأندلس.

الإمام بأنواع النثر واغراض الشعر

لم يغادر الأدب الشيعي المغربي نوعاً من الأنواع الادبية التي طرقها العرب، وهذا التناول للأنواع الادبية كان بجودة وحسن، حيث قدّم لنا ادباء التشيع في الشمال الإفريقي نثراً رائعاً وشعراً رائعاً، ففي مجال النثر قالوا الخطب وكتبوا الرسائل و ضربوا الأمثال و سطروا الحكم وآلّفوا في مختلف العلوم والفنون بما يخص المبدأ وبما يخص غيره، وقد أوردنا نماذج من نثرهم فيما سبق، كما وأتينا ذكرنا أسماء الكثير من مؤلفاتهم التي اغنت المسيرة العربية والاسلامية والانسانية. وأما الاغراض الشعرية فان الشاعر الشيعي في الشمال الإفريقي لم يجعل من موهبته مقيدة فقط بالغرض السياسى الدينى بل انه اطلق لها العنان حاله حال أي شاعر من شعراء العرب في هذا الصقع أو ذاك من أضقاع الارض التي حملت على ظهرانيها عرباً، وحال شعراء التشيع المغاربة حال اخوانهم في المبدأ من المشاركة أو الأندلسيين ايضاً، اذ انهم طرّقوا جميع الاغراض الشعرية مع كونهم أعطوا النصيب الاوفر للمبدأ والعقيدة، ولما يؤمنون به من منهج ديني وخط سياسى. فقالوا شعراً في الوصف، وفي الهجاء، والمدح، والفخر، والرثاء، والزهد، والغزل، والنقائض، والطرديات، وغيرها من الاغراض الاخرى. وقد ذكرنا نماذج شعرية في مختلف الاغراض فيما سبق وسنذكر الآن بعض النماذج في أغراض مختلفة من غير مبدأ الغرض والعقيدة، حيث يقول أبو بكر يحيى بن سهل اليكّبي شاعر الموحدين في هجاء المرابطين:

ولو أنه يعلو على كيوان	في كل من ربط اللثام دناءة
من بطن زانية لظهر حصان	ما الفخر عندهم سوى ان ينقلوا
وضعوا القرون مواضع التيجان	المنتّمون لحمير لكنهم
واطلب شعاع النار في الغدران ^١	لا تطلبن مرابطاً ذا عفة

وهذا الشعر اولا هجاء مقذع وثانيا يشير الى أن البربر عرب من حمير.

وفى الزهد يقول بكر بن حماد التاهرتي:

زرنا منازل قوم لن يزورونا أنا لفى غفلة عما يقاسونا

لو ينطقون لقالوا: الزاد ويحكم جدّ الرحيل فما يرجو المقيمونا

ومن شعر بكر بن حماد فى التحريض والوشاية، ما ينقله صاحب «شعر المغرب حتى خلافة المعز» عن «البيان المغرب» حيث يقول عند زيارة بكر للمشرق نظم ابياتا وادعاها على دعبل الاسلامي الخزاعى فى هجاء المعتصم العباسي، وهى التى أولها:

بكى لشباب الدين مكتئبٌ صبٌّ وفاض له دينٌ وليس له لبٌّ^١

فقال بكر محرضا المعتصم على دعبل:

أيهجو أمير المؤمنين ورهطه ويمشي على الارض العريضة دعبل

أما والذي أرسى بثيرا مكانه لقد كادت الدنيا لذاك تزلزل

ولكن امير المؤمنين بفضله يهيمّ فيعفوا أو يقول فيفعل^٢

ونحن لا نمتلك الدليل القوى لرفض نسبة هذه الأبيات عن بكر ابن حماد، اذ ان التحاسد والدسائس بين الشعراء حاصلة ولكن بنفس الوقت ليس لدينا دليل قاطع على نسبتها اليه، ولم يروها غير ابن عذارى المعروف بحقده على التشيع وعلى كل ما يمتّ للتشيع بصلة، خاصة وان بكر بن حماد ودعبلا شيعيان، ولطالما شهّر بدعبل وشكك فى تشيع بكر، واما اذا اعتبر بعضهم امداح بكر ابن حمّاد لبعض العباسيين او غيرهم من المناوئين للشيعية ذريعة للتشكيك بتشييعه، فلا حجة لهم فى ذلك، حيث أن السيد الحميرى الذى يعرف بتعصبه الشديد للتشيع، واعلانه السافر عن هذا، ونقمته على اعداء أهل البيت، وحبّه اللامتناهي لهم، يمدح العباسيين بعض الاحيان لنيل جوائزهم وقد حصل^٣.

١- ديوان دعبل الخزاعى ص ١٩، دار الكتاب العربي، بيروت شرح حسن محمد، ط ١، ١٩٩٤.

٢- شعر المغرب حتى خلافة المعز ص ٢٤٧، البيان المغرب ج ١ ص ٢١١.

٣- مجلة رسالة الاسلام - مقال الشيخ عبدالجواد رمضان.



الخصائص الفنية لأدب التشيع

يبدو أن الخصائص الفنية للشعر الشيعي بالشمال الإفريقي كانت تحاكي الخصائص الفنية للشعر الشيعي المشرقي، وحسب العصور الأدبية التي قسم الأدب العربي عليها إذ أنه جزء من ذلك الأدب. وقد نشأ وترعرع في نفس البيئات التي كان الأدب العربي قد نشأ وترعرع فيها. فالشعر في العصر الإدريسي كان كثيرا ما يشبه الشعر في العصر العباسي الأول في جزالة الالفاظ، والابتعاد عن الصنعة، ومباشرة الطبع - إلا بعضه الذي أخذ بين طبائنه بعضا من البديع ومال إلى الغوص على المعاني - ورعاية الالفاظ من أجل الوصول إلى المعنى وليس من أجل ذات الالفاظ.

وما أن غلب الفاطميون على الشمال الإفريقي حتى شارف القرن الرابع على الشروق وهو القرن الذي وصل فيه الشعر العربي إلى مراحل الذهبية، ويمكننا أن نطلق اسم العصر الذهبي للأدب في الشمال الإفريقي على هذا العصر، وذلك لجملة أسباب توافر عليها ذلك الشمال وخاصة في مجال الشعر، فالخلفاء والمتنفذون في الدولة أما شعراء وأما من مشجعي الشعر والشعراء، وكانت أيدي الجميع مفتوحة للاتفاق على الشعراء حتى البذخ، وذلك لما كان يترجى من الشعراء تقديم هذه الدولة التي بنيت على سياسة دينية مذهبية تستوجب اذاعة مبادئها والترويج لها والوقوف بوجه أعدائها ولا يتسنى ذلك إلا بالاعلام. وكان الشعر يمثل القناة الاعلامية الكبرى آنذاك، فتكاثر الشعراء وبرز بينهم الكثير والذين اعتبروا فيما بعد رصيدا للأدب الشيعي والعربي على السواء. فكثر في هذا العصر شعر المديح، وطبيعة الدعوة الفاطمية وأهدافها، والإشارة إلى عقائدها في الامام والامامة والخلافة وأهل البيت والمهدي وغير ذلك من المعتقدات الشيعية، من أهم شعراء هذا العصر ابن هانيء الذي نعت المعز بـ «وصي الأوصياء» وهذا من مصطلحات معجم الشيعة الشعري، حيث يقول:

نؤم وصي الأوصياء ودونه صدور القنا والمرهفات البواتك^١

كما وإن الشعر في العهد الفاطمي كثيرا ما أولع في اظهار جهاد الفاطميين ضد أعدائهم من



امويين وخوارج وعباسيين، ومال الشعر الى الطابع الجدلي في السياسة والدين والمباديء والاعتقادات، كقول تميم ابن المعز:

يا بني هاشم ولسنا سواء	في صغار من العلا وكبار
ان نكن ننتمي لجدّ فانا	قد سبقناكم لكلّ فخار
ليس عباسكم كمثّل علىّ	هل تقاس النجوم بالأقمار

وكرّث النقائض الشعرية في هذا العصر، وكان من شعراء هذا اللون تميم ابن المعز وخليل بن اسحاق.

كما وان الوصف كان من أغراض الشعر الرائجة في هذا العصر وخاصة وصف الجيوش والاساطيل وعظمة الدولة، وقد شارك معظم شعراء هذا العصر في هذه الاوصاف خاصة ابن هانيء وعلي الايادي وتميم الفاطمي وخليل بن اسحاق وغيرهم.

وقد تمثل شعر هذه الفترة بالابتكار في المعاني والغوص عليها مع عمق الافكار ووجود شيء من الصنعة والاستعارات، كما وأنه تمثل في هجر الغريب من الالفاظ والميل لما يمتاز منها بالركة، هذا اذا ما استثنينا شعر ابن هانيء الذي عمد نحو بعض الالفاظ الغريبة، كما وان الاراجيز كان لها وجود ملحوظ في هذا العصر خاصة تلك التي خلفها لنا أحمد المروزي، ومن أراد الاستزادة لمعرفة الخصائص الفنية لشعر العهد الفاطمي يمكنه مراجعة الكثير من المصادر التي عنيت بدراسة الأدب الفاطمي «في أدب مصر الفاطمية» للدكتور كامل حسين و«الأدب في العصر الفاطمي» للدكتور محمد زغلول سلام، و«شعر المغرب حتى خلافة المعز» للدكتور ابراهيم جاد الرب الدسوقي و«الأدب في افريقيه في العهد الفاطمي» للدكتور محمد البعللوي و«المقني» للمقرزي، وغيرها الكثير.

وأما الشعر في العهد الموحي وما تلاه من العصور التي كان للتشيع وجوده خلالها في المغرب العربي فقد كان متأثرا بالاساليب الشعرية الاندلسية، خاصة وان أبواب الأندلس فتحت على مصراعها على المغرب، حيث التأثق، والايعال في البديع والصنعة، وقد خلّفت لنا تلك العصور بعض الشعراء الذين تركوا لنا شعرا جيدا أمثال أبي العباس الجراوى ومحمد بن أبي الخصال

وابن حمديس وابن الابار، الآن الشعر العربي بعمومه أخذ يسير نحو الانحطاط، فكان الشعر الشيعي في المغرب العربي أول المتأثرين خاصة وانه لم يبلغ شأن الشعر العربي في المشرق حتى أيام ازدهاره.

وهذا الذي اصاب الشعر في عصر الموحدين والحفصيين والمرينيين بالرغم من أن بعض حكام الموحدين وابنائهم كانوا شعراء أو مشجعين للشعر والشعراء. وقد أوردنا فيما سبق نماذج من شعر رجال الدولة الموحدية والحفصية، وقد أورد لنا محمد بن تاويت شعراً لأحد الامراء المرينيين بعد أن قال (ان البيت المريني كان يساهم بنفسه في الحركة الادبية) وكان الشعر الذي ذكره للأمير عبدالواحد بن يعقوب مفتخراً:

فرّقت في الميدان كل ملك
وجمعت بين جراءة ونسوك
وجعلت للاسلام حداً مالكا
كى لا يغيره العدا بسلوكه^١

وفي عهد الموحدين دخل الموشح الى أرض الشمال الإفريقي وذلك بتوافد بعض الوشاحين الأندلسيين على المغرب، وهذا ما جعل المغاربة يتأثرون بهم فينظمون الموشح، وكان أول من ولع به من أهل المغرب أهل فاس.^٢

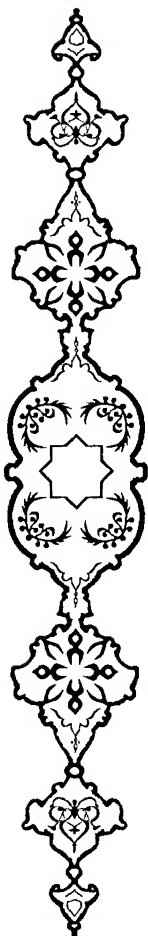
وقد كان الشعر في هذه الحقبة يحاول الابتعاد عن الصنعة والترفع عن السفاسف، وقد غلب عليه التأثير بالطابع الديني، وبالعلوم الفلسفية التي شاعت في هذا العصر فقل شعر الخمریات، وقل أدب التغزل^٣

١- الوافي بالادب العربي ج ٢ ص ٤١٠.

٢- الموجز في الأدب العربي وتاريخه ج ٣ ص ٣٥٢.

٣- نفس المصدر ص ٣٥١

الملحق رقم ١



تراجم لبعض ادباء التشيع
وأبرز رجالاته
في الشمال الإفريقي

ضمن فقرات البحث اوردنا تراجم لمجموعة من ادباء وشخصيات التشيع في الشمال الإفريقي ممن كان لهم دور بارز وفعال في الحركة الادبية الشيعية هناك ودفعها الى امام. وسنحاول هنا ذكر ما تيسر لنا معرفته من الادباء الشيعة في الشمال الإفريقي ولم نترجم له سابقا لعدم حصول المناسبة التي تسمح لنا بالترجمة له خلال طيات البحث السابقة، وكذلك ربما سنترجم لبعض الشخصيات الشيعية المغربية ممن كان لهم اسهاما بشكل مباشر او غير مباشر في دفع الحركة الادبية الشيعية وترشيدها وتطويرها، ولا ندعي هنا باننا تمكنا من استحصاء جميع الادباء الشيعة في الشمال الإفريقي، وكذلك لا ندعي باننا استحصينا جميع الشخصيات المؤثرة على الحياة الادبية والفكرية الشيعية هناك، وهذا جميعا يرجع الى قلّة المصادر او انعدامها في بعض الاحيان، وكذلك محاولات التعقيم على هذه الشخصيات سواء تلك المحاولات المتعمدة أو غير المتعمدة، كما واننا لم نلزم انفسنا بتسلسل على اساس العصور الادبية أو الكيانات السياسية الشيعية التي قامت في المغرب العربي واشتهر فيها الادباء والشخصيات، ولكننا سنشير ضمناً الى العصور التاريخية والسياسية التي عاصرها من ستشمله تراجمنا هذه ونرى من الضروري ذكر الشخصيات الأولى الشيعية التي وطأت

أرض الشمال الإفريقي، حتى ولو انها لم تمكث فيه طويلا، ولو لم يكن لها نشاط ادبي يذكر، وستشمل ترجمتنا من قبل بتشيعة أو عايش العهود الشيعية ولم يقطع بتشيعة إلا أنه شئت عنده رائحة التشيع في مجال أو آخر. حيث من أهم هذه الشخصيات:

١- الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢- الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وهما الامامان الثاني والثالث من أئمة أهل البيت عند الشيعة وقد اشرنا الى دخولهما أرض الشمال الإفريقي ضمن البعث الذي ارسله عثمان بن عفان أيام ولاية عبدالله بن سعد بن أبي سرح على مصر واشتركا في غزوة العبادلة لشمال افريقيا على برقة من أرضها.^١

٣- أبو ذر الغفاري.

٤- المقداد بن عمر البهراني القضاعي، وقيل له بن الاسود الكندي.

٥- عمار بن ياسر أبو اليقظان، وهم من اصحاب رسول الله ﷺ ومن المعروفين بالتشيع لعلي بن أبي طالب، وقد عدّتهم المصادر اعمدة وarkan التشيع الاولى، وكان دخلوهم أرض المغرب العربي مع حملة عبدالله بن سعد بن أبي سرح المشار اليها سابقا في أيام عثمان بن عفان.^٢

٦- عبدالله بن عباس وهو ايضا من المعروفين بالتشيع لعلي بن أبي طالب، وقد كان صحابيا جليلا، وعرف بـ«حبر الامة»، وقد ولى لعلي بن أبي طالب أيام خلافته البصرة. وكان دخوله أرض شمال افريقيا مع حملة عبدالله بن سعد ايضا. وهو الذي تولى قسم الفء بين المسلمين فيها.

٧- حنش الصنعاني، وهو من التابعين المشهورين بتشييعهم لعلي بن أبي طالب وقد اشترك معه في حرب معاوية بن أبي سفيان اثناء وقعة صفين وقد جاء الى شمال افريقيا مع رويفع واشترك مع موسى بن نصير في غزو الأندلس وتوفي سنة ١٠٠هـ وسكن القيروان وبنى فيها مسجدا وكان يعرف مسجده باسمه، وقد اقرأ الناس القرآن فيه.^٣

٨- منيب بن سليمان المكناسي أول من نشر الافكار الشيعية بالجزائر فنزل باعمال تيهرت

١- فن الحرب الأسلامي في عهود الخفاء الراشدين والأمويين م ٢ ص ٢٢٤.

٢- معالم الايمان ج ٢ ص ٨٥، ٧١، ١٥٥.

٣- نفس المصدر ص ١١١.

من نواحي وانتشرين، فنشر فيها أفكاره الشيعية بين العامة ثم جاء من بعده السفيناني الحلواني.

٩- الحلواني.

١٠- السفيناني.

وهما مبعوثا جعفر بن محمد الصادق سادس أئمة أهل البيت الى شمال افريقيا، من أجل اشاعة المذهب الشيعي فيها^١

١١- ادريس بن عبدالله بن الحسن مؤسس الدول الادريسية.

١٢- سليمان بن عبدالله بن الحسن اخو ادريس وقيل انه سبق ادريس الى أرض الشمال الإفريقي.

١٢- ادريس بن ادريس بن عبدالله بن الحسن المعروف بادريس الثاني وهو ثاني حكام الدولة الادريسية بعد ابيه ادرس الاول.

١٤- أبو هاشم داود بن القاسم بن اسحق بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، قد كان مزامنا لادريس الثاني، وقد اشترك معه في حروبه للدفاع عن دولة الأدارسة العلويين.^٢

١٥- محمد بن ادريس تولى امر الدولة الادريسية بعد وفاة ابيه ادريس الثاني.

١٦- القاسم بن ادريس الذي جدد بناء مدينة اصيلا. وكان أدبيا وهو قائل الأبيات التي اولها:

سأترك الغرب نهبا وان كنت في الغرب قبلا وندبا^٣

١٧- ابراهيم بن القاسم أبو العيش متولى امر اصيلا بعد وفاة والده القاسم وهو أول من مصر البصرة في المغرب وقد مدحه لذلك الشعراء ومنهم أحمد بن الفتح المعروف بالخزاز التاهرتي بقوله:

مَحَّ الاله اللهو الآقينة بصريّة في حمرة وبياض

١- انظر السبع الرابع من تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ص ٣٢٤ - ٣٢٥ تجد خبر الداعيين الذين أرسلهما جعفر الصادق

الى افريقة سنة ١٤٥هـ.

٢- الانصاف في تاريخ الاشراف ص ٨.

٣- الروض المعطار ص ٩.

ما عذرهما والعيش عيش اذ بها ملك الملوك ورايض الرواض^١

١٨- أحمد بن القاسم باني مدينة كرت وهو ممدوح الشاعر بكر بن حماد التاهرتي بقوله:

ان السماحة والمروءة والندى جمعوا لاحمد من بنى القاسم^٢

١٩- الحسن الحجام وهو متولي امر مدينة اصيل الى أن آن سقوط دولة الأدارسة وكان يستعمل عليها الولاة.^٣

٢٠- أحمد بن فتح المعروف بالخزاز التاهرتي كان من شعراء الأدارسة ومادحيهم وهو

الذي أبا العيش ابراهيم بن القاسم بن ادريس السالف الذكر.^٤ ومدح ايضا حسين بن ابراهيم بن القاسم.^٥

٢١- ابراهيم بن محمد الاصيلي من أهل اصيل شاعر مدح الأدارسة ووالاهم، من بنى زياد الهواريين، له قوله:

سقى غربى أرض بنى زياد سحائب ما يجف لها غروب

لا زال النعيم يعم قوماً ازاءهم من الشرق الكثيب^٦

٢٢- أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سهر بن اسماعيل التاهرتي الزناتي عاصر الاغالبية والأدارسة عمّر حتى قيام الدولة الفاطمية ويعتبر من مشاهير القرن الثالث، وكان قد ارتحل الى المشرق والتقى بابي تمام، ودعبل الخزاعى ومسلم بن الوليد وعلي بن الحكم وعلماء البصرة والكوفة وبغداد ثم عاد الى القيروان اعتبره أكثر المؤرخين للادب العربي في الشمال الإفريقي من المذبذبين عقائديا بين الشيعة واعدائهم ولا نعتبره كذلك اذ ان هذا ديدن الشعراء، فكم كانت هذه السلوكية من الشعراء المتعصبين للتشيع أمثال السيد الحميرى الذي مدح العباسيين في بعض من اشعاره.

١- الروض المعطار ص ١٠٩.

٢- البيان المغرب ج ١ ص ٣٣٦.

٣- الروض المعطار ص ٥١، البيان المغرب ج ١ ص ٢٣٥.

٤- روض المعطار ص ٩.

٥- الوافي بالادب العربي ج ١ ص ٢٦.

٦- الروض المعطار ص ٥٢، البيان المغرب ج ١ ص ٢٣٥، دولة الادارسة في المغرب والاندلس ق ٢ ص ٥٢ - ٥٣.



وقد التحق بكر بن حماد بالادارسة في زمن أحمد بن القاسم وقد كان أحمد من ممدوحى بكر، راجع عنه البيان المغرب لابن عذارى ج ١ ص ٣٣٦ والحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيق للدكتور بشير خلدون ص ٢٠.

٢٣ - الشريف أبو العباس محمد بن أحمد السبتي الصقلی كان معاصرا لایام لسان الدين ابن الخطيب عندما نزع الى المغرب بعد سقوط دولة غرناطة بيد المسيحيين، وقد بقى ابن الخطيب في داره والذي ينقل محمد بن تاويت عن صاب ازهار الرياض قوله عنه «امام الأدب الذي لا يجاريه الرضى ولا مهيار». شرح مقصورة أديب المغرب أبي حازم بن محمد القرطاجني، التي مدح بها المستنصر الحفصي، وسمي هذا الشرح «فتح الحجب المستورة عن محاسن المقصورة» في مجلدين.^١

٢٤ - ابن أبي عقب هكذا ذكره صاحب دائرة المعارف الشيعية^٢، وقد أورده محمد اليعلاوى تحت اسم «ابن عقبة»^٣ ويقول اليعلاوى «لا نعرف ابن عقبة الشاعر، وافترض الدشراوى في الافتتاح ص ٦٧ انه «يحيى بن عبدالله بن عقب الليثي» المذكور في البيان والتبيين ٢ / ١٢٨، الا ان هذا الشاعر جعله الجاحظ من النوكى، وليس في كلامه ما يرجح انه شاعرنا هذا»^٤. وقد كانت لابن عقب اشعار في التنبؤ بظهور المهدي، وقد كانت هذه الأشعار قبل بزوغ نجم الدولة الفاطمية، ولم تستمر المصادر في ذكر ابن عقب بعد قيام الدولة الفاطمية وانها اهملت ذكره.

٢٥ - أبو عبدالله محمد الادريسي^٥، وقد يعرف بالشريف الصقلی، المولود سنة ٤٩٣ والمجهول سنة الوفاة على العكس من نظرائه النابغين الذين نجهل على الاغلب سنة ولادتهم ونعلم سنة وفاتهم.

١- نفع الطيب ج ٧ ص ١١٦.

٢- دائرة المعارف الشيعية م ٥ ص ٣٠٣.

٣- تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ص ٥٤، الادب بافريقية في العهد الفاطمي ص ١٨.

٤- تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ص ٥٤.

٥- الأعلام م ٧ ص ٢٧.

ينتسب الى بنى حمود مؤسس الدولة الشيعية في الأندلس على انقاض الدولة الاموية هناك، وهو من أهل سبتة ثم انتقل بعد ذلك الى صقلية، حيث اتم فيها عمله الجغرافي الكبير. كتب عليه ان يفارق وطنه، وقد عبر عن غربته الطويلة وتنقله بين البلاد بابيات من الشعر ذكرناها كان مطلعها:

ليت شعري اين قبري ضاع في الغربة عمري

ذكره صاحب دائرة المعارف الشيعية واعتبره من المهاجرين الى صقلية كما وانه تكلم بشيء وافٍ عن مؤلفه الجغرافي ووضعه خريطة للارض في ذلك الزمان.^١

وكان اسم مؤلفه «نزهة المستشاق في اختراق الآفاق» وكان قد عين على الخارطة التي وضعها بحيرات عند خط الاستواء لم يكتشفها الا الاوربيون بعد الادريسي بمئات السنين.^٢

٢٦ - محمد بن رمضان: شاعر من أهل نفطة كان شيعيا، ونفطة مدينة من قسطنطينية الى الجريد التونسي، وكانت تسمى «الكوفة الصغيرة» اما لتشيع اهلها، واما لنفاق العلم بها، واما للأمريين معا، احتفى هذا الشعر من جور الاغلبة فالتجأ الى بنى مالك في بلزمة فانتقم الاغلب من مجريه بأن صنع لهم ولية وغدر بهم، والخبر مفصل في البيان المغرب ١ / ١٢٣ ضمن احداث سنة ٢٨٠ هـ.

وحين تغلب الفاطميون عينه المهدي على قضاء ميله، وبقي بها قاضية حتى وفاته.^٣ وقد كانت أكثر اشعاره في التنبؤ بظهور المهدي، واشارته في تلك الاشعار الى اندحار أهل الظلم، والانتقام منهم بسيفه، وعموم رايته، وغلبة اشياعه على اعدائهم ومناوئهم، وهي تلك التي كانت سببا في محاولات انتقام بنى الاغلب منه، ولكنهم لم يظفروا به مع بذلهم الكثير من المحاولات للامساك به. ولم تداوم المصادر لنا في ذكر شيء من اخباره بعد انتصار الفاطميين

١- دائرة المعارف الشيعية ١ ج ٣ ص ١٢ وما بعدها وص ٢٧ - ٣١.

٢- أعلام العرب في العلوم والفنون ج ١ ص ٢٧٩ - ٢٧٩. «انظر في الكتاب شيئا مفصلا عن كتاب الادريسي».

٣- هذا ما اورده عنه محمد اليعلاوي في هامش ص ٥٥ من «تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب» للداعي ادريس والذي حقه اليعلاوي، كما اورده عنه هذه المعلومات الهادي روجي ادريس في «الدولة الصنهاجية» ٢ / ٧٢٤. وقد ذكره محمد طه الحاجري بهذه المعلومات ايضا في «مرحلة التشيع في المغرب العربي واثرها في الحياة الادبية» ص ٢٨ - ٢٩ وكذلك ذكره صاحب دائرة المعارف الشيعية وذكر له هجاء ابن الاغلب م ٥ ص ٣٠٣.

حال الكثير من رجال الشيعة في العهد الاغربي والذين يعتبرون من المهديين للدولة الفاطمية.

٢٧- أبو اليسر الرياضى ابراهيم بن أحمد الشيباني احد ادباء بغداد الذين نشأوا فيها واصطنعوا الكتابة بها، ثم استهوتهم الأندلس وما كان يتراعى اليهم عنها، فأثروا الرحلة اليها، وقدمها في أيام محمد بن عبدالرحمن الاموى الذي ولى الامر فيها بين سنة ٢٣٨ هـ وسنة ٢٧٣ هـ ولامر ما تركها متجها الى الشرق حتى اذا بلغ افريقيا تلبث بها، ولم يلبث ان عقد صلة بالاغلبة اذ رأى فيه الأمير ابراهيم الاصغر من «الادب» الرفيع والترسل البليغ، والشعر اللائق، مع حصافة الفكر ومكارم الاخلاق»^١.

ويظهر انه تولى الكتابة للاغلبة لمدة طويلة حيث انه تولى الكتابة للامير ابراهيم بن أحمد بن الاغلب ثم لابنه أبي العباس ثم لزيادة الله بعده، ولما تولى الفاطميون الحكم تولى لهم الكتابة ايضا الى ان توفي سنة ٢٩٦ هـ أو ٢٩٨ هـ»^٢.

وقد ذكر له تشيعه صاحب دائرة المعارف الشيعية^٣، وكذلك صاحب أدب التشيع في الأندلس ذكره وذكر تشيعه وذكر له ايصاله ما يريد من افكار التشيع الى الأندلس وهذا ما دعى الحكومة الاموية الى اخراجه من الأندلس.^٤ وقد ذكر الجميع له استكتابه من قبل الاغلبة ثم الفاطميين، وعلى ما يظهر ان الاغلبة المواليين للعباسيين كان تقريرهم له لادبه ولعدائه الامويين.^٥

وكان هو رئيس الكتاب في عهد عبيد الله المهدي.

وتقول الدكتورة هند شلبي «لوجود أبي اليسر بين الافارقة أهمية خاصة بالغة لأنهم وجدوا عنده ضرورة ما كفى الكثيرين مؤونة الرحلة خاصة وهو العالم الاديب»^٦، ويقول عنه

١- دراسات وصور من تاريخ الحياة الادبية في المغرب العربي، ص ١٠٧.

٢- القراءات بافريقية ص ٢٨٢ هند شلبي.

٣- دائرة المعارف الشيعية م ٥ ص ٣٠٣.

٤- ادب التشيع في الاندلس ص ٤٤ عبدالامير الغزالي.

٥- دائرة المعارف الشيعية م ٥ ص ٣٠٣.

٦- القراءات بافريقيا ص ٢٨٣.



ابن عذارى «صاحب المؤلفات في فنون العلم»^١، ويذكر صاحب التكملة انه مؤلف كتاب «سراج الهدى»^٢ في القرآن ومشكله واعرابه. وكذلك الدكتورة هند شلبي قد ذكرت له هذا المؤلف.

٢٨- المروزي: محمد بن عمر بن يحيى بن عبد الأعلى المعروف بالمروزي^٣، وقد ذكر بعضهم أن اسمه أحمد بن محمد المروزي^٤، وكنيته أبو جعفر^٥ (كان من جند خراسان ونسبته لمرو عاصمة الأقليم، وهو الذي أصبح قاضيا للقيروان في عهد عبيدالله المهدي، ولم ينسب اليه أي دور قبل ظهور الفاطميين)^٦.

وقد أشار بعض المؤرخين الى أنه لم يكن على مذهب الدولة الفاطمية وقالوا باثني عشريته، وعلى هذا عللوا ما أصابه من خمول بعد أيامه الأولى، وقد ذكروا أيضا أنه توفي برقادة سنة ٣٠٣هـ، مغضوبا عليه، بعد تعذيب شديد تعرض له بإشارة من عبيدالله المهدي، ودفن بباب سالم ليلا^٧ ويظهر من كلام المؤرخين أنه كان قد وصل المغرب قبل وصول الفاطميين الى الحكم وعاش في دولة الأغالبة.

اعتبره ابن الدباغ في معالمة من علماء الشيعة في القيروان هو وعبدالله بن محمد الكاتب ومحمد بن أبي سعيد.^٨

١- البيان المغرب ج ١ ص ١٦٣.

٢- التكملة ١/ ١٣٧.

٣- هكذا أورد اسمه صاحب دائرة المعارف الشيعية في المجلد الرابع الصفحة الرابعة والثلاثين حيث ذكره عند ابتداء الدولة الفاطمية، وأهم الرجال الذين تستموا فيها المناصب، وما أشاعه أولئك الرجال من السنن الشيعية، اذ يقول (أما قضاء القيروان وسائر بلاد افريقية فقد أصبح من نصيب متشيع قديم هو محمد بن عمر.... ولأول هذه أمر بترك صلاة التراويح في شهر رمضان، كما أمر المؤذنين بزيادة حي على خير العمل في الأذان، واسقاط الصلاة خير من النوم في «أذان الفجر» كما أورد ذكره في المجلد الخامس ص ٣٠٢ وبنفس الأسم.

٤- المغرب ص ٥١، ٥٢، ٥٩، ٩٩ ويورد بعضاً من أشعاره، وأيضاً ذكره بهذا الاسم وذكر له شيئاً من الشعر ابراهيم الدسوقي جاد الرب في «شعر المغرب حتى خلافة المعز» وكان اعتمد على البكري في ذلك.

٥- المغرب ص ٩٩.

٦- دائرة المعارف م ٥ ص ٣٠٢.

٧- نفس المصدر.

٨- معالم الأيمان ج ١ ص ٢٥.



وقد كان شاعراً مجيداً لم يصلنا من شعره إلا بعض أراجيزه، ومنها تلك التي قالها بعد قضاء عبيد الله المهدي على صاحب نكور.

٢٩- أبو جعفر محمد بن أحمد بن هارون البغدادي، وكذلك كان كصاحبه أبي اليسر الرياضي قد دخل الأندلس ولكن في أيام الأمير عبدالله بن محمد، وقال عنه ابن الفرضي (أن دخول هذا الرجل بقصد التجسس)^١ وقد خرج من الأندلس صوب إفريقية وقد استكتبه عبيد الله المهدي بعد وفاة أبي اليسر الرياضي.

٣٠- محمد بن علي بن حوقل النصيبي صاحب كتاب «صورة الأرض»، وكان قد دخل الأندلس لتقديم دراسة لاسياده الفاطميين عنها، وقد فعل.^٢

٣١- محمد بن البديل كاتب أبي قضاة «من كتاب عبيد الله المهدي مؤسس الدولة العبيدية بإفريقية، ومنشئ مدينة المهديّة، إحدى عواصم الإسلام في التاريخ، أتم بناؤها سنة ٥٣٠هـ، وحصنها وانتقل بالسكنى إليها فهنأه الشعراء، واستحسن من ذلك قول ابن بديل الكاتب المذكور من قصيدة:

بنيت لدى أرض المغرب دار دانت لها الاقطار والامصار

لاذت ببرد الماء لما ان درت ان القلوب على الحسين حرار.^٣

وقد ذكره صاحب دائرة المعارف الشيعية، وقال انه شاعر وكاتب شيعي.^٤ وكذلك جاء بذكره ابن عذاري واعتبره من مادحي عبيد الله بالكفر.^٥

٣٢- أبو عبدالله الشيعي داعية الفاطميين - تكلمنا عنه بالتفصيل - .

٣٣- عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية وأول خلفائها. تكلمنا عنه بالتفصيل.

٣٤- محمد الاسلامي الايادي التونسي: يرجح محمد اليعلاوي وجود شاعرين نسبة كل

١- تاريخ علماء الأندلس تسلسل ٩٩.

٢- ادب التشيع في الاندلس ص ٤٥.

٣- عنوان الاريب ص ١١٩.

٤- دائرة المعارف م ٥٣ ص ٣٠٤.

٥- البيان المغرب ج ١ ص ٣٢٠.

واحد منها التونسي، حيث أحدهما الذي له القصيدة في التنبؤ بظهور المهدي، والتي منها:
أقول واسلمت القريض لاهله وعشت زمانا، وهو غير مكعب
وقد نص اليعلاوي على ذلك بعد ذكره هذه القصيدة للتونسي بقوله (والتونسي لا نخاله
عليا الايادي، للأسباب التي ذكرناها في الحوليات ١٧ / ١٩٧٩ ص ٣) وكان التونسي ممن
يعنى بالحدثان، حيث قال قصيدته مخاطبا ابراهيم بن أحمد من ملوك بني الاغلب، واما الآخر
وهو الذي خصصناه بالترجمة هنا محمد بن أبي القاسم التونسي والذي يرجح اليعلاوي بان
اسمه علي بن محمد الايادي التونسي، كما نص على ذلك في الحوليات ١٧ / ١٩٧٩ ص ٥٣. وقد
اسماه الداعي ادريس علي بن عبدالله التونسي^١، وافترضه اليعلاوي على الايادي ايضا^٢. فيما
ذكره الهادي روجي ادريس تحت اسم علي بن يوسف الايادي^٣، وكان قد توفي ٣٦٥ هـ، ولم
تذكر المصادر تاريخ ولادته. وهو من كبار شعراء افريقية، وقد التحق بخدمة الدولة الفاطمية،
وقال عنه ابن شرف (واما على التونسي، فشعره المورد العذب ولفظه اللؤلؤ الرطب، وهو
بحترى الغرب، يصف الحمام، فيروق الانام، ويشيب، فيعشق ويحب، ويدح أكثر مما يُمنح)^٤،
وكان قد عاصر أكثر من واحد من الخلفاء الفاطميين، وقد جاءت أكثر امداحه في القاسم
والمنصور، وكانت له اهاجي في مخلد بن كيداد الخارجي، ويعتبر من اشهر الشعراء في الوصف
خاصة من شعراء الشمال الإفريقي، وقد برع في وصف الفرس ووصف القصور، والأساطيل،
ذكره صاحب زهر الآداب واثني على شعره في وصف الفرس^٥، كذلك اعتبره ابن الأبار
القضاعي من كبار شعراء القرن الرابع في الشمال الإفريقي وأماثلهم^٦.
ومن أكبر الأوسمة التي تقلدها على الايادي ذلك الذي قلده اياه محمد بن هانيء الأندلسي
عند قدومه أرض الشمال الإفريقي، فانبرى بعض الشعراء لهجائه بما استفزتهم الغيرة منه، فقال

١- تاريخ الخلفاء الفاطميين ص ٦٨٩.

٢- نفس المصدر هامش ص ٦٨٩.

٣- الدولة الصنهاجية ج ٢ ص ٣٩٣.

٤- القيرواني ابن شرف: رسائل الانتقاد ص ١٤ - ٢٢، تحقيق حسن حسني عبدالوهاب طبعة دمشق.

٥- زهر الآداب ج ٣ ص ٣٦٤.

٦- الحلة السيرة ج ١ ص ٤٢٩ تحقيق د. عبدالله أنيس الطباع.

ابن هانيء: (لا أجيب أحدا، إلا أن يهجوني على التونسي فاني اجبه)، ويعلق صاحب «عنوان الاريب» على ذلك قائلا (وهذا اعتراف من ابن هانيء لعلي التونسي بسبقه في مضمار الشعر وعلوّ همته فيه، وأنّه قربنه ونظيره في الشعر) فلما بلغ قوله عليا، قال: أما اني لو كنت ألام الناس ما هجوته بعد ان شرفني على اصحابي وجعلني كفاً له).^١

وقد كانت نشأة على الايادي بمدينة تونس ثم انتقل الى مدينة المهدية، وقد اعتبره بعضهم من فحول الشعراء المتقدمين كالممتنبي في المشرق. وقد قيل عنه (بلغ الغاية في الاناقة التعبيرية).^٢

٣٥- عبدالله بن محمد الكاتب: احد دعاة الفاطميين وكتّابهم.^٣

٣٦- سعدون الورجيني أو الورجيلي: من شعراء عبيدالله المهدي الفاطمي الوافدين عليه للتهنئة بعد استتباب الامر له، وأول من مدحه من الشعراء.^٤

ترجم له موسى لقبال في رسالته «دور كتامة» ص ٣٢٠، وصاحب رياض النفوس ٥٠١/٢ هامش ٨٣، ويحتمل بعضهم^٥ أنه ينسب الى ورجلان، ورقلة الحالية في جنوب الجزائر، بينما نسبته في بعض المصادر «الورجيني»، وقد ذكره محمد اليعلاوي في الحوليات ١٠/١٩٧٣ ص ١٦٦. قيل إنه مالكي المذهب ثم انتقل الى التشيع^٦، بعد انتصار الدولة الفاطمية حيث كان مجّد موطأ مالك وصاحبه في بعض اشعاره، وكان بربرياً، كما ان صاحب رياض النفوس قد أورد له قصيدة يرثي فيها يحيى بن عمر خليفة سحنون الفقيه المالكي، مطلعها:

عين ألمّ بها وجد فلم تنم تبكي بدمع كقطر الدرّ منسجم^٧

وقيل انه مدح الموطأ وصاحبه ممالقة ومبالاة، وقد اعتبره بعضهم من الشعراء المتشيعين على

١- انظر: عنوان الاريب ص ١٠٤.

٢- شعر المغرب حتى خلافة المعز ص ٢.

٣- نهاية الأرب ص ٢٤-١٧٩.

٤- رياض النفوس - هامش ج ٢ ص ٥٠١.

٥- تاريخ الخلفاء الفاطميين ص ٦٨٩.

٦- شعر المغرب حتى خلافة المعز ص ٢٠٢.

٧- رياض النفوس ص ٤٠٤-٤٠٦.



زمن الاغالبة، واستدلوا بقوله على تصحيح نسب الفاطميين^١، وقد اسماه ابن سعدون الورجيلي^٢، وكذلك اسماه آخرون سعيد الورجيني^٣، وقد ذكر له تشييعه صاحب دائرة المعارف الشيعية^٤.

٣٧- أفلح بن هارون الملوحي: قاضى رقادة من قبل المهدي، قال عنه الداعى ادريس (كان قد جمع مع الدعوة علوم الفقه، وأدرك أبي معشر والحلواني، وكان يحدث عنها عن الحلبي، ونسخ كثيرا من كتب الفقه والآثار والفضائل وخطب امير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وعلى الائمة من ولده..... وكان يشبه بهام صاحب امير المؤمنين الذي في خصوصه خطبة المتقين)^٥.

٣٨- خليل بن اسحق: أبو العباس خليل بن اسحق بن ورد من الذين ترجم لهم ابن الأبار في الحلة السيرة مفصلا، ومن بعض قوله فيه، مولده بطرابلس، وهو من ابناء جندها أيام الاغالبة، وكان أول امره يطلب العلم والادب، ويصحب الصوفية ويبيت في المساجد وما ان انتهى حكم الدولة الاغلبية سنة ٢٩٧، وتحولت مقاليد الحكم الى عبيد الله المهدي حتى رحل اليه وانضوى تحت لوائه، وانتفض أهل بلده طرابلس سنة ٢٩٩ هـ على واليهم فأرسل اليهم المهدي ابنه أبا القاسم لمحاربتهم وردّهم الى الطاعة، وفي ركابه خليل..... وما توفي سنة ٣٠٢ هـ حتى يرسل المهدي ابنه أبا القاسم الملقّب بالقائم في جيش لمحاربة أهل مصر، فلحق به خليل بن اسحاق في الاسكندرية فولاه القيام على اموال الجيش، وعاد القائم بجيشه، فعاد معه خليل، فقدمه على خيل افريقية، وجعل امر جندها اليه مع النظر في البحر وشؤون الاسطول الفاطمي وفي سنة ٣٢٥ ولّاه القائم الفاطمي صقلية..... وبعد مقتلة عملها في أهل صقلية، وكان حريّا بالقائم ان ينزل به عقابا صارما ولكن بدلا من ذلك، اخرجته الى مدينة القيروان سنة ٣٣٣ هـ في ألف فارس لقتال أبي يزيد الصفري في القيروان، فحاصره أبو يزيد فيها واعتقله

١- شعر المغرب حتى خلافة المعز ص ٧٢.

٢- عبقرية الفاطميين ص ٩٦.

٣- عنوان الاريب ج ١ ص ٩٧.

٤- دائرة المعارف الشيعية ٥ ص ٣٠٤.

٥- تاريخ الخلفاء ص ٢١١-٢١٣.

وسفك دمه^١، وقد ذكر له ابن الأبار قصيدة ومقطوعتين في مديح المهدي الفاطمي. كما وإن الداعي أدريس ذكر له شيئاً من الشعر ونسبه إلى تميم، وقال عنه كان شاعراً بليغاً^٢، وقال عنه إبراهيم الدسوقي جاد الرب (من مادحي الفاطميين)^٣ واعتبره الدكتور شوقي ضيف من شعراء الفاطميين في تونس^٤، وكان من المعارضين لشعراء العباسيين أمثال مروان بن أبي حفصة دفاعاً عن التشيع^٥.

ويعتبر خليل بن اسحق من ناقلي الثقافة الشيعية إلى صقلية، ولكن لم يصلنا من شعره في صقلية^٦.

٣٩- محمد القائم بن عبيد الله المهدي: ثاني خلفاء الدولة الفاطمية، وقد مرت علينا ترجمته وإفيه.

٤٠- الأستاذ جوذر أبو علي منصور العزيزي الجوذري من المخلصين للدولة الفاطمية ومن الذين خدموا العزيز وقبله أبوه المعز وقد كتب أحد طلابه سيرته تحت اسم «سيرة الأستاذ جوذر».

٤١- محمد بن عثمان أحد كتّاب الأستاذ جوذر ترجمته في سيرة الأستاذ جوذر هامش ١٠٣ طبعة مصر سنة ١٩٥٤.

٤٢- اسماعيل المنصور بن محمد القائم ثالث خلفاء الفاطميين، وقد أسلفنا ترجمته.

٤٣- القاضي النعمان أبو حنيفة، مرت ترجمته.

٤٤- القاضي أبو عبدالله محمد بن النعمان، ترجمنا له.

٤٥- القاضي أبو الحسن بن القاضي أبي حنيفة كذلك ترجمنا له.

١- الحلة السيرة ج ١ ص ٣٠٢ «بتصرف».

٢- تاريخ الخلفاء الفاطميين ص ٢٣٨.

٣- شعر المغرب حتى خلافة المعز ص ٦٢.

٤- تاريخ الادب العربي عصر الدول والأمارات ص ٢١١.

٥- الحلة السيرة ج ١ ص ٣٠٣.

٦- الدوري تقي الدين عارف: صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط الاسلامية من الفتح حتى الغزو النورمندی ص ١٩١.

٤٦- أبو القاسم محمد بن عبد الله الفزاري كان من انصار مغلذ بن كيداد أبي يزيد الخارجي ومن شعرائه الذين خلدوا وقائعه ضد الفاطميين، وكذلك هجا الفاطميين انشاء تواجده تحت لواء الخارجي، ولما كان ما كان من امر اندحار الخارجي على يد اسماعيل المنصور الفاطمي طلب المنصور أبا القاسم الفزاري فاخفى ولجأ إلى الشيخ أبي اسحاق السبائي، وذكر ما يخافه على نفسه من القتل، فقال له أبو اسحاق: ما كان قصدك بقصيدتك؟ قال: وجه الله، قال له: آله؟ قال: نعم، قال اذهب فانه لا يلحقك منه مكروه فسار إلى اسماعيل، فلما مثل بين يديه قال له: انشدني قصيدتك الرائية «وهي التي هجا فيها الفاطميين فلما فرغ منها حرضه بعض اشياخه على قتله، فاعرض عنه، واذن له بالانصراف، ولم يعرض له بمكروه هذا ما رواه المالكي في رياض النفوس عن كيفية انتهاء امر أبي القاسم الفزاري إلى الفاطميين وكذلك يروي المالكي نص القصيدة^١ التي ألهاها أبو القاسم الفزاري في حضرة المنصور الفاطمي، والتي اطلق عليها فيما بعد اسم «القصيدة الفزارية» وقد تعرضنا لشيء منها اثناء فقرات كتابنا السابقة.

عدّه أكثر الباحثين من فطاحل شعراء عصره وأكابر شعراء القيروان^٢، وكذلك ذكروا له توبته امام الفاطميين والتحاقه بهم وصيرورته احد شعرائهم^٣، كما وان الباحثين عن الأدب المغربي عبّروا عنه (الطويل النفس الذي برز في مضمار الجزالة)، ومن الذين اثنوا عليه صاحب «معالم الأيمان»^٤.

٤٧- محمد بن عبد الله البرقطي أو البروطي: وهو الذي تنسب له مقطوعتان يحرض فيهما المنصور الفاطمي على أبي القاسم الفزاري الآنف الذكر، وكان مطلع الاولى:

أمنصور هاشم من لا يحب حياتك لا صبحته الحياة
ومطلع الثانية:

١- رياض النفوس ج ٢ ص ٢٣٤.

٢- عنوان الاريب ج ١ ص ١١٢.

٣- تاريخ الخلفاء الفاطميين ص ٤٥٥.

٤- معالم الايمان ج ١ ص ٢٢.



أيظن وغد فزارة ظنّ امرئ جهل العواقب وهو لا يتفكر^١

وقد نسب الداعي ادريس هاتين المقطوعتين الى شاعر اسماه أبو محمد عبدالرحمن العتقي، بينما اعتبرهما محققا القصيدة الفزارية للابرقطي، ويذكر محمد اليعلاوي اثناء تحقيقه لـ «تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب» في هامش ص ٤٥٤ الاختلاف في نسبة القطعتين الشعرتين حيث يقول «المقطوعتان الآتيتان في مخطوط القصيدة الفزارية التي اعتمدنا عليه لنشرها الى محمد بن عبدالله الابرقطي او الابروطي» وقد مر شاعر بهذا اللقب الا أن اسمه محمد بن الحرث بن سعيد، ونقل الداعي ادريس هنا يبطل هذه النسبة، والعتقي الذي يذكره، لعلّه والد العتقي المؤرخ صاحب «التاريخ الجامع» المفقود، فأن تدأول هذه الكنية والاسم بين عبدالرحمن ومحمد يرجح عندنا هذا النسب خصوصا وان المؤرخ توفي بعد هذه الحوادث بكثير، انظر الوافي بالوفيات طبع المانيا ج ٤ ص ٢٩٩ ترجمة رقم ١٢٥١ حيث أرّخ لوفاته بمصر سنة ٣٨٤ هـ.

٤٨ - أبو محمد عبدالرحمن العتقي: وهو الذي ينسب اليه الداعي ادريس المقطوعتين الشعريتين في تحريض المنصور الفاطمي على الفزاري^٢ ويعتبر والده أبو عبدالرحمن العتقي من المؤرخين المنتسبين عقائديا للفاطميين وله «التاريخ الجامع».

٤٩ - محمد بن الحرث بن سعيد الابروطي: وهو من شعراء الفاطميين أيام المنصور اثناء وقائعه مع أبي يزيد الخارجي، وله في وقعة القيروان:

ولم أرَ كالمنصور بالله ناصرا لدين الله ولا أحمى لملكٍ وامنعا^٣

ولمزيد من التفصيل عن هذا الشاعر راجع الحوليات ١٠ / ١٩٧٣ ص ١٥٤ و ١٧ صفحة ٥٦، ويذكر محمد اليعلاوي ان اسمه محمد بن هارون.^٤

٥٠ - سهل بن ابراهيم الوراق: عاصر الفاطميين اثناء احداث مخلّد بن كيداد، ومن ظاهر عبارات المؤرخين عنه أنه من الشعراء المذبذبين فرة يظهر في اشعاره تمسك أهل المغرب بمالك

١- القصيدة الفزارية ص ٨٧-٨٨.

٢- تاريخ الخلفاء الفاطميين ص ٤٥٤-٤٥٥.

٣- نفس المصدر ص ٣٦٤.

٤- نفس المصدر هامش ٣٦٤.

في قصيدة مطلعها:

هل أنت بعد الشيب ذو صبوات أم مرعوٍ عنها مطيع نهاة
وقد هجا فيها المنصور الفاطمي، حين كان في حينها من انصار ابن كيداد، ذكر ذلك المالكي في رياض النفوس^١ وقد تحول الى الفاطميين ولكن المصادر تذكر لنا قصة تحوله، واكتفت بذكر ابياته التي قالها اثناء الوقعة التي وقفتها جيوش الفاطميين في الدفاع عن سوسة لرد خطر الخوارج عنها:

ان الخوارج صدها عن سوسة منا الطعان والسمر والاقدام^٢
٥١ - أحمد بن بلج السوسي وهو ايضا من شعراء الفاطميين والذي وقفوا في صفهم أيام مخلد الخارج، وكذلك من الذين خلدوا وقعاتهم هذه ومنها تلك الوقعة في الدفاع عن مدينة سوسة:

ألم بسوسة وبغى عليها ولكن الاله لها نصير^٣
٥٢ - اسحاق بن ابراهيم: ذكره ابن رشيق في الاغوذج حيث يقول عنه، كان رافضيا سبّابا عليه لعنة الله، وقتله، سيدنا أطل الله بقائه «يقصد المعز بن باديس» سنة عشرين واربعائة احتسابا، وكان اعتناؤه في الشعر على أبي القاسم ابن هانيء، وله كان يتعصب، وان جانب طريقته فلم يسلكها..... جمعني واياه مجلس وكان ممقوتا^٤، ولا نعتد على ابن رشيق في تقييم هذا الشاعر لأنه كان من اعداء الشيعة، ولكننا اردنا ان نوثق وجوده وشاعريته وتشيعه.
وقد اعتبره عبد الحسين الشبستري من مشاهير شعراء الشيعة، وقال: اسحاق ابن ابراهيم المغربي اديب شاعر من أهل المغرب لتشييعه قتله المعز بن باديس الصنهاجي سنة ٤٢٠ هـ).^٥
٥٣ - جعفر بن منصور اليميني: كان حاضرا معركة المسيلة شعبان ٣٣٥ هـ، فقال يهنيء المنصور:

١- رياض النفوس ج ٢ ق ٢٢٧ ط ٣.

٢- معجم البلدان ج ٣ ص ١٩٢، المغرب ص ٣٥.

٣- المغرب ص ٣٥.

٤- انموذج الزمان ص ٦٩.

٥- مشاهير شعراء الشيعة ج ١ ص ١٦٩.

يهنىء لك النصر في ما رمت من سبب
ففي كل يوم يرينا الله معجزة
وانت في كل حال تبتنى رتبا
يوم المسيلة يوم لا كفاء له
لما غدى المارق الدجال مختبلا
يا سيد الخلق من عجم ومن عرب
من نصرة تجلوا غمة الكرب
في المجد فازدد علا في المجد والرتب
ولم يكن قبله في سالف الحقب
كالكلب في تحف معده في الكلب

وكان الداعي ادريس قد ذكر من هذه القصيدة ثمانية وثلاثين بيتاً^١ هذا الشاعر هو ابن الداعي اليمنى أبي القاسم الحسن بن فرح بن حوشب الذي لقّب بـ «منصور اليمنى» حين انتصر على علي ابن الفضل الداعي المنحرف، ونصب الدعوة الفاطمية باليمن، وقد ترك جعفر اليمنى وهاجر الى المغرب وحظي عند الخلفاء بمحظوة كبيرة فاقت حظوة القاضي النعمان نفسه، وهو داعٍ ايضاً مثل ابيه ومؤلف كتب في علم الباطن منها اسرار النطقاء، وأنه يمى المولد والمنشأ.^٢
٥٤ - عبدالله بن جعفر السمرقندي: يقول عنه اليعلاوي لا نعرف السمرقندي هذا، ولعله هو الذي ذكره ابن خلكان في ترجمة القاضي النعمان «(رقم ٧٦٦) تحت اسم عبدالله بن الحسن الجعفري السمرقندي، ونسبة الجعفري قد تشير الى أنه من العلويين، وان في قوة الحجاج ضد العباسيين ولهجة الاختار بالنصر ما يؤيد تشيعه^٣ وهو الذي مدح القاضي محمد بن النعمان: تعادلت القضية عللاً فأما ستة ابيات.

٥٥ - أبو عبدالله محمد بن عبدون الوراق السوسى (ت حوالى سنة ٤٠٠هـ): وهو ابن أحد أعيان القيروان المستقرين بسوسة، شاعر ارقيقا، يتميز شعره بعذوبة اللفظ، وأثر وفاة زوجته وابنته قصد جزيرة صقلية سنة ٣٩٣هـ والتحق باميرها ثقة الدولة الكلبي الذي عهد اليه تربية ابنه جعفر، ثم عاد الى مسقط رأسه سوسة وتوفي بها.^٤ راجع عنه عنوان الأريب ١/ ٤٨ - ٤٩، الحلل ١/ ١٢٠ - ١٢١.

١- تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ص ٤٠٩ هامش ١٩٤.

٢- نفس المصدر ص ٤٠٩.

٣- الأدب بافريقية في العهد الفاطمي هامش ص ٣٤٧.

٤- الدولة الصنهاجية ج ٢ ص ٣٩٣.

٥٦- الأمير أبو عبدالله محمد بن عزيز السوسي: ذكره محسن الامين العاملي في أعيان الشيعة^١، وعده ابن شهر آشوب في المعالم من شعراء أهل البيت المجاهرين، ونقل في المناقب كثيراً من شعره.^٢

٥٧- أبو بكر بن مجبر من شعراء دولة أبي الطاهر اسماعيل المنصور العبيدي، ومن المسجلين لوقائع الحربية في شعره، ومن انصار دعوته قال لما انتصر المنصور على أبي اسحاق الميورقي الخارجي بمقربة من الحامة من قصيدة يهنته فيها بانتصاره:

لقد برزت الى هول الصنايا وجوه كأن حجتها اللثام
وما أغنت قسي العز عنها وليس تدفع القدر السهام

قال التجاني: وهي ثابتة في ديوان شعره.

ولما حاصر المنصور مدينة قصفة التي مالت الميورقي الخارجي وآوته وفتحها، وهدم سورها، وقطع نخيلها، وبذل الامان لساكنيها، قال أبو بكر بن مجبر قصيدة:

ما غرّ قفصة إلا أنها اجترمت فلم يكن عند أهل الحلم تشريب
ما بالها زار امن الله حوزتها فلم يكن عندها أهل وترحيب
تلك البغي التي خانت فحاق بها وبالزناة بها رجمٌ وتغريب
قد فض شملهم عنها وقد نعبت بها من الحين غربانٌ غرابيب
أما يريد سليماً ما يباشره وفيه للنفس ترغيب وترهيب
هذي أعاديهِ قد صارت مقسمةً على البلايا فمقتول ومسلوب.^٣

وأبو بكر ابن المجرّ هذا هو غير أبي بكر بن يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجبر الفهري، شاعر المغرب (٥٣٥هـ - ٥٨٨هـ)^٤ اذ ان الثاني هو من شعراء يعقوب المنصور الموحدى ذلك الذي قال له المنصور الموحدى (.....) كما أن الشعراء عيال عليك يا أبا بكر^٥، وابن المجر

١- أعيان الشيعة ١ ص ١٧٣.

٢- المناقب ص ٣٧٤.

٣- عنوان الاريب ج ١ ص ١٢٠.

٤- الاعلام ج ٨ ص ١٥٢ الزركلي.

٥- نفع الطيب ج ٤ ص ٢٢٢.

هذا من أهل بلش بمالقة نزل مراكش، واتصل بالملوك والامراء، وله فيهم شعر كثير، ومن جميل ما قاله في مقصورة المنصور الموحيدي بجامع الكنيبة بمراكش:

طوراً تكون بمن حوته محيطه فكأنها سور من الأسوار
وتكون حيناً عنه محجوبة فكأنها سرّ من الأسرار
وكأنها علمت مقادير الوري فتصرّفت لهم على مقدار^١

ويمكننا اعتباره على ادباء التشيع في الشمال الإفريقي نظراً لميول الدولة الموحدية الشيعية وهذا ما أوضحناه في كلام سابق.

٥٨ - الفهري: ذلك الذي ذكره محمد اليعلاوي في «الأدب بافريقية في العهد الفاطمي» ص ٢١ نقلاً عن رسالة افتتاح الدعوة ٤ / ٣٤ وعبون الأخبار للداعي ادريس ص ٥١، وكان اليعلاوي قد ذكر له شعراً في غرض التنبؤ بالمهدي:

ألا يا شيعة الحق ذوي الايمان والبرّ

وقد أشار اليعلاوي الى انه (لم يعين الفهري هذا بالبضبط وقيل انه من المدينة كان يمدح الطالبين، اسمه ابراهيم بن هرمة المتوفي سنة ١٧٦ هـ، ولكن هذه الأبيات لا توجد في ديوانه)^٢، فيما قال صاحب «عبرية الفاطميين» بعد نقله الأبيات وأشارته الى أنها في التنبؤ بالمهدي (قالها الشاعر بناءً على قول للجواد محمد بن علي بن موسى الكاظم أنه قال: بعد اثنين واربعين سنة سيخرج المهدي أي سنة ٢٩٦).^٣ ونحن نرى لا حجة قوية يستند عليها صاحب عبقرية الفاطميين في نسبته الأبيات الى هذا الشاعر بناءً على قول الجواد عليه السلام، ولا نعرف من أين أتى بهذا القول وكيف فسّره ذلك التفسير، ونحن نرجح انها لشاعر من المغرب اذ أن تحديد الوقت بالسنة لظهور المهدي لم يصدر على السنة شعراء الشيعة المشاركة، بل أنتشر هذا عند الشعراء الشيعة المغاربة، مضافاً الى أن اليعلاوي يؤكد عدم وجود الأبيات في ديوان ابراهيم بن هرمة.

٥٩ - عثمان بن سعيد بن الصيقل: ذكر الداعي ادريس أنه من رثائي عبيد الله المهدي وذكر له

١- نفس المصدر ص ٢٢٤.

٢- الادب بافريقية هامش ص ٢١.

٣- عبقرية الفاطميين ص ٩٥.

قصيدة تتكون من ثلاثة وثلاثين بيتا، أولها:

وهت مرر الصبر فأنحلت ورثت عرى الحزم فاجتثت^١

وذكر عنه محمد اليعلاوي محقق «تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب» في هامش ص ٢٢٩ قائلا (شاعر من موالي الاغالبة استخدمه الحكم الثاني الى قرطبة، ويبدو انه مثل اضربه من الشعراء السنة تأرجح بين الولاء للفاطميين والعداوة لهم، انظر: رياض النفوس ٢ / ٤٧٧ هامش ٩٤).

٦٠ - عبدالله بن اصبغ: من شعراء المنصور الفاطمي، ومن خلدوا وقائعه مع أبي يزيد الخارجي باشعارهم، ولكن المصادر التي ذكرته لم تذكر له الاثني عشر بيتا من قصيدة في هذا الغرض:

ويوم بأرض القيروان شهدته وقد ظلّ فيه الجو اغبر اقتما^٢

وقال محمد اليعلاوي في هامش ص ٣٦٣ من تاريخ الخلفاء الفاطميين (لا نعرف عبدالله بن اصبغ وقد نشرنا الأبيات في الحوليات ١٧ / ١٩٧٩ ص ٥٥).

٦١ - محمد بن أحمد الطرزي وهو من الشعراء الذين هنا والمنصور الفاطمي بعدما تمت له البيعة وخطب الناس، وقد كان مطلع قصيدته:

يحق لنا أن نصف الفخر والمجدا ونكثر فيك الشكر لله والحمدا^٣

ويقول اليعلاوي (لا نعرف شيئا عن هذا الشاعر، وقد ذكرت نسبة الطرزي في رياض النفوس ٢ / ٥٥، وفي ترجمة القاضي أبي القاسم القيسي المعروف بالطرزي في معالم الايمان ٣ / ٩-٧، وقال ناشر الرياض أن طرزة قرية بافريقية ولعلها بقيت باسم جبل طرزة حاليا قرب القيروان).^٤

٦٢ - محمد بن ناسك التونسي: كان من شعراء الفاطميين أيام المنصور الفاطمي ونافع

١- تاريخ الخلفاء الفاطميين ص ٢٣٩.

٢- تاريخ الخلفاء الفاطميين ص ٣٦٣، ونقلها عنه سعد زغلول عبد الحميد في تاريخ المغرب العربي ج ٣ ص ١٨٥.

٣- نفس المصدر ص ٣٤٣.

٤- نفس المصدر هامش ص ٣٤٣.



عنهم بشعره وخلّد الوقائع التي كانت للمنصور مع أبي يزيد الخارجي شعرا، وقد قال في الغلبة التي حصلت للمنصور على أبي يزيد وتمّ فيها أسر الخارجي وصلبه قصيدة، لم ينقل منها الداعي ادريس الأثمانية أبيات أولها:

ففاضت على غير مأملة وقد كثّر الله أوزارها^١

٦٣ - مقداد بن الحسن الكتامي: وهو من شعراء الفاطميين وجندهم أيام الفتح الذي قامت به الجيوش الفاطمية بقيادة جوهر الصقلي لمصر والشام، ولما وجّه جوهر جعفر بن فلاح أحد قوّاده إلى الشام، وتمّ له افتتاحها، قال مقداد الكتامي، قصيدة بهذه المناسبة:

ونحن جلبنا الخيل شعناً ضوامرا من الغرب تجتاب المفاوز اشهرا
ذكر منها الداعي ادريس أربعة وعشرين بيتا.^٢

٦٤ - ابراهيم بن ادريس العلوي الحسني المنبوز بالمؤبّل: كان أديبا شاعرا، وكان في أيام المنصور بن أبي عامر..... وعاش الفتنة، أصله من المغرب، وسكن قرطبة إلى أن سيره ابن أبي عامر عن الأندلس..... وهو القائل يخاطب المروانية بقرطبة لما رأى غلبة ابن أبي عامر على هشام واستبداده بالأمر دونه:

فيما أرى عجباً لمن يتعجب جلّت مصيبتنا وضاق المذهب
خمسة أبيات^٣، وقد مرّ ذكرها.

وله أيضا قصيدة طويلة يدح بها مؤيّد الدولة هذيل بن خلف بن رزين صاحب القلاع ويهجوها في درجها غيره، أولها:

للبين في تعذيب نفسي مذهب ولنائبات الدهر عندي مطلب
أما ديون الحادثات فأنها تأتي لوقت صادق لا تكذب

١- نفس المصدر ص ٤٥٢.

٢- نفس المصدر ص ٦٩٦-٦٩٧.

٣- الحلة السيرة ج ١ ص ٢٢٧.



والبين مفري كيده بأولى النهى طبعاً تطع، والطبيعة أغلب^١

٦٥ - أبو علي تميم بن معد بن اسماعيل بن محمد بن عبيد الله المهدي ترجمنا له بشكل وافٍ فيما سبق.

٦٦ - أبو القاسم ويلقب أيضاً أبا الحسن محمد بن سعدون بن هانيء الأزدي المشهور بمتنبي الغرب شاعر المعز لدين الله الفاطمي المشهور يتصل نسبه بالمهلب بن أبي صفرة^٢ (فاضلٌ ينظم الكواكب، ويترك الطائرَين للحاقه صرعى على المناكب، ان وصف الوغى ترك أبا الطيب كالبيغا، أو اطرا المحبوب ترك حبيبا في ضرّ يعقوب، أو مدح ذا الكرم الهنيء الشيم، ترك زهيرا يكدح بعلاجه في هرم، فهو أشعر المغاربة، وان زعم المعري فتكلف معاينة، له كلّ خريدة أتت بالعجائب، ويتمّة كم اليها صابي ولها صاحب، هي لكل دمية كالوشاح، بل لكل روضة كالاقاح)^٣ ذكره ابن شهر آشوب من شعراء أهل البيت المجاهرين.

فقال: سدّ ابن هانيء علينا طريق المغرب وانصرف^٤ وأشار بلاشير الى أن هناك طريقة مؤداها أن المتنبي وابن هانيء التقيا في القيروان^٥ واعتبره ياقوت الحموي اشعر المتقدمين والمتأخرين من المغاربة^٦ وكان ابن هانيء قد ولد في اشبيلية من أرض الأندلس، وأبوه من المهديّة في الشمال الإفريقي وقد هاجر الى الأندلس، ولكن أهل الأندلس نقموا على ابن هانيء تشيعه فاتهموه بفساد المذهب واتباع طريقة الفلاسفة، وقد كان ابن هانيء طبع نزاعاً الى التشيع فمال بصره الى الجنون حيث مقر الأئمة.... وما كان ابن هانيء ليتشيع على أيدي اساتذه فحول الأدب لأن القوم كانوا يمتنون الشيعة وأغتمها، وقد أثاروا عليهم حرباً لا رحمة

١- نفس المصدر.

٢- الأعلام ج ٧ ص ١٣٠.

٣- نسمة السحر ج ٣ ص ٢٩ - ٣٠.

٤- أعيان الشيعة ١٢ ص ١٧٣ عن (معالم العلماء ص ١٤٨) الصحيح المنبني عن حيثية المتنبي ج ٢ ص ٨٤ - يوسف البديعي - تحقيق - مصطفى السقا - محمد شتّا ط ٢، دار المعارف، القاهرة.

٥- نفس المصدر هامش ص ٢١٩.

٦- معجم الأدباء ١٠٠ ج ١٩ ص ٩٢.



فيها ولا هوادة)^١ ونزل المسيلة من أرض المغرب عند جعفر وعلى ابني حمدون وهما اللذان الحقاها بالمعز الفاطمي فاختص فيه، وافرغ به كلّ امداحه وكان قدنال حظوة عظيمة عند المعز، وقد قال المعز عندما سمع نبأ وفاته (لا حول ولا قوة الا بالله هذا الرجل كنا نرجوا أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا ذلك)^٢ يقول حسن الأمين (وربما كان مما يجعل ابن هانيء جديرا بهذا اللقب - منتبني الغرب - هو أن مواضع مدح ابن هانيء للمعز، هي عين مواضع مدح المنتبني لسيف الدولة)^٣ وابن هانيء (معدود من شعراء العرب)^٤، وقد عدّه كل من ألف عن الشيعة في الطليعة منهم ومن شعرائهم^٥ وكذلك كل من ألف عن شعراء العرب الفطاحل حيث لا يخلوا مؤلف في هذا الباب من ذكر ابن هانيء الأندلسي والثناء على طريقته الشعرية الا من أتهموه بالمبالغة التي أودت به الى الكفر على حسب ما يعتقدونه^٦، وقد دافع كثيرون عن مبالغة ابن هانيء ووجوهها، ومن الطف تلك الدفاعات التي عرضها صاحب نسمة السحر.^٧

٦٧ - أبو البركات التونسي: أيمن بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد التونسي البزولي الأندلسي القاهري هكذا ذكر اسمه صاحب «مشاهير شعراء الشيعة» وقال عنه (من مشاهير شعراء القرن الثامن الهجري وكان هجاء بذىء اللسان كثير الوقعة بالناس، في اواخر حياته رحل الى المدينة المنورة وسكنها وتاب عن الهجاء وذمّ الناس، وانصرف الى مدح النبي وسمى نفسه عاشق النبي، ولم يزل في المدينة المنورة حتى توفي سنة ٧٣٤ هجرية، من شعره:

لقد صدق الباقر المرتضى

سليل الامام عليه السلام

بما قاله في بعض الفاظه

سلام اللثام قبيح الكلام)^٨

١- المعز لدين الله الفاطمي ص ٣١ ابراهيم جلال.

٢- وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥، الاحاطة في أخبار غرناطة ج ٢ ص ٢١٥.

٣- قيم خالدة في التاريخ والادب ص ٧٩.

٤- عنوان الأريب ج ١ ص ١٠٧.

٥- نسمة السحر ج ٣ ص ٢٩، الطليعة من شعراء الشيعة ج ٢ ص ٣٠٠ أدب الطف ج ٢ ص ٢٥١.

٦- مطمح الأنفس ومرج التأنس في ملح أهل الاندلس ص ١٣٩.

٧- نسمة السحر ج ٣ ص ٣٧ وما بعدها.

٨- مشاهير شعراء الشيعة ج ١ ص ٢١٩.

وقد أورد ذكره صاحب أعيان الشيعة^١، وابن شاعر في وافيته^٢.

٦٨- ابن مسدي الأندلسي ذكره الشبستري واعتبره من مشاهير شعراء الشيعة، وقال عنه (هو أبو بكر وأبو المكارم جمال الدين محمد بن بن موسى بن يوسف بن مسدي الازدي المهلبى الأندلسي الغرناطي المشهور بابن مسدي، عالم أندلسي من أهل غرناطة وكان فقيها، مقرئاً حافظاً، محدثاً، راوية، رجالياً، خطيباً، بليغاً، رحالة، مؤلفاً، ولد يوم عيد الاضحى بوادى آش بالاندلس ٥٩٩ هـ).

تجول لطلب العلم بالاندلس والمغرب ومصر وحلب^٣.

٦٩- التلمساني^٤: ذكره ايضا الشبستري معتز اياه واحدا من مشاهير شعراء الشيعة حيث يقول (هو الشيخ أبو الربيع عفيف الدين سليمان بن علي بن عبد الله بن ياسين العابدي الكوفي التلمساني المعروف بالعفيف التلمساني، عالم اديب بارع شاعر جيد النظم، حكيم متصوف، نحوي متكلم، لغوي فقيه، محقق، محدث، كريم الاخلاق، حسن العشرة، عارف، مؤلف اصله من الكوفة ولد في تلمسان في بلاد المغرب سنة ٦١٦ هجرية، رحل من مسقط رأسه الى دمشق وأقام بها، وتصدى لبعض المناصب في دوائرها، له من الكتب (شرح الاسماء الحسنی) و (شرح مقامات الحريري) و (شرح فصوص الحکم) و (رسالة في علم العروض) توفي بدمشق بالخامس من رجب سنة ٦٩٠ ودفن بها).

٧٠- أبو يحيى تميم بن المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن منادين بن منقوست بن زياد بن زيري الاصغر الحميري الصنهاجي^٥: هكذا أورد نسبه صاحب نسمة

١- أعيان الشيعة مجلد ثلاثة ص ٥٢٢-٥٢٣.

٢- الوافي بالوفيات ج ١٠ ص ٣٣-٣٥.

٣- مشاهير شعراء الشيعة ج ٥ ص ٦٩.

٤- راجع عنه أعيان الشيعة ٣٠٨/٧، الذريعة ج ٩ ص ١٧٥، تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ١٢٩، صبح الأعشى ١/٤٣٢، الأعلام ٣/١٣٠، النجوم الزاهرة ٢٩/٨، مرآة الجنان ٤/٢١٦، الوافي بالوفيات ١٥/٤٠٨.

٥- راجع عنه الحلة السيرة ٢/٢١، البيان المغرب ١/٢٩٨، ابن خلدون ٦/١٥٩، اعمال الأعلام ق ٣ ص ٧٣، النجوم الزاهرة ٥/١٩٨، ابن الاثير ١٠/١٥٨، مرآة الجنان ٨/٢٨.

السحر^١، ثم أردف بعد ايراد نسبه قائلاً (ملك افريقيا وبلاد المغرب بعد ابيه المعز، ملك ينشر بسيفه اذا زوجه برقاب اعاديه عقيقا، وبيده ولسانه ذهباً جسيماً، وجوهر رقيقاً، يعشو الى نار القرى من يريق سيوفه خواتم العقيان، ولا ينهل غمامة راحته بغير العقيان، الى الشعر احلى من الشعور، والتواهد في الصدور، وهي في السطور،..... وكان تميم المذكور حسن السيرة محباً للعلماء، معظماً لارباب الفضائل حتى قصدته الشعراء من الآفاق على بعد الدار كأبن السراج الصوري وانظاره وشعره حلوا المسلك تلوح له رفاهية الملك:

سل المطر العام الذي عمّ أرضكم أجا بمقدار الذي فاض من مدمعي
اذا كنت مطبوعاً على الصدّ والجفا فمن أين لى صرفاً فأجعله طبعي^٢
ولابي الحسن ابن رشيق فيه مدائح، منها قوله:

اصحّ وأعلى ما سمعناه في الندى من الخبر المأثور منذ قديم
أحاديث ترويهما السيول عن الحيا عن البحر عن كفّ الأمير تميم^٣
٧١- أبو الحسن علي بن محمد الأخفش: شاعر من أشراف المغاربة أجاد في مدح الخليفة الحافظ الفاطمي بمصر، وغلا في تمجيد الفاطميين واعلاء شأنهم، قال يمدح الخليفة الحافظ:

بشر في العين إلا أنه من طريق العقل نورٌ وهدى
جلّ أن تدركه أعيننا وتعالى أن تراه جسداً^٤

وقد مدح أبو الحسن الأمر الفاطمي ايضاً:

الى ذروة النور العلائي انه الى ذروة النور الالهي ينسب^٥

٧٢- خريش بن عبدالرحمن بن خريش الكندي: وهو الثائر سنة ١٨٦هـ، وكانت ثورة شيعية، تعرّضنا لذكره وذكر ثورته وقد كان شاعراً بالاضافة الى كونه ثائراً.

١- نسمة السحر ج ١ ص ٤٥٤.

٢- نفس المصدر ص ٤٥٤-٤٥٥.

٣- وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٠٤.

٤- الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي ص ٢٦٣.

٥- تاريخ الدولة الفاطمية.



انظر: شعر المغرب حتى خلافة المعز ص ٢٩، القاموس المحيط مادة خلد، الحلة السبراء ٢ / ص ١٠٢، الأدارسة في المغرب الأقصى ص ١٣٢.

٧٣ - محمد بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية وأول حكامها، عرضنا لترجمته سابقا بشيء من التفصيل نسبيا.

٧٤ - عبدالمؤمن بن علي: الرجل الاول في دولة الموحدين على أيام محمد بن تومرت وخليفته على الدولة بعد وفاته، وقد مرت علينا ايضا ترجمته ضمناً في طيات البحث.

٧٥ - أبو جعفر بن عطية القضاعي المراكشي المولود سنة ٥١٧ هـ والذي استكتبه المرابطون في آخر عهدهم، وأصبح الكاتب الأول في الدولة الموحدية على أيام عبدالمؤمن بن علي، وقد أشرنا في فقرات البحث سابقا الى تشيعه، وقد كان لابي جعفر شعر رائق، كما وانه يحاكي القاضي الفاضل في طريقته الكتابية. وقد كانت نهايته أن اعدم من قبل عبدالمؤمن لوشاية وصلته فيه، ولم تشفع له كل توسلاته لدى عبدالمؤمن. وقد ندم عليه عبدالمؤمن بعد قتله أيّاه، فقال (ذهب ابن عطية وذهب الأدب معه).^١

٧٧ - أبو عقيل بن عطية اخو أبي جعفر، وكان كاتباً ايضا، وقد اعدم مع اخيه أبي جعفر، وكانت رسائله تفضح تشيعها الواضح، والقول بعصمة الامام المهدي.^٢

٧٨ - القاضي أبو جعفر بن عبد الله السلمي الاغماتي « ٥٣٠ هـ - ٦٣٠ هـ » : يمتاز برقة شعره، بل نجده يأمر بالصلاة على ممدوحه مثل ما كان يفعل في رسائله الموحدية، التي تصلي على المهدي بن تومرت، وجائت قصائده على غرار قصائد شعراء الشرق.^٣

٧٩ - محمد بن عبدالعزيز بن عبد الرحمن بن عيَّاش التجيبي: من أهل برشانه عمل المرية، وسكن مراكش يكتفى أبا عبد الله، عني بالادب وكان عالما به رئيسا في صناعة الكتابة خطيبا مصقعا، بليغا مفوها، ذا خط صالح، قرض الشعر، وكانت له مشاركة في غير ذلك، وأسكنه السلطان

١- الاستقصا ج ٢ ص ١٣٣.

٢- العلاقات الموحدية ص ٣٨٠.

٣- العلاقات الموحدية ص ٣٨٠، الوافي بالادب العربي ج ١ ص ١٨٨.

بالمغرب في سنة ٥٨٦هـ فنال دنيا عريضة، توفي براكش سنة ٦١٨هـ، ومولده سنة ٥٥٥هـ.^١
 ٨٠- ميمون بن علي بن عبد الخالق الخطابي نسبته الى قبيلة من صنهاجة من أهل مدينة فاس، ويعرف بابن خبازة نسبة الى خاله الشاعر المشهور بابن خبازة، كان سريع البديهة ناظماً ناثراً مع الاجادة والتفنن في اساليب الكلام معرفة واتقاناً في هزله وجده على اختلاف اللغات، وولي حاسبة مراکش، وله من نظمه القصيدة الفريدة (ذكر ابن عبد الملك في الذيل والتكملة) أن اسمها الميمونة التي مدح بها النبي ﷺ، والتي مطلعها:

حقيق علينا أن نجيب المعاليا لنفني في مدح الحبيب المعانيا^٢

وكان ابن خبازة ضليعا في الفقه واللغة اتقن أساليب البلاغة فجاء شعره محكم النظم والتركيب^٣ ويعتبر من الشعراء الذين يسرون في الخط المذهبي، ومن الشعر المذهبي قصيدته في المأمون بن المنصور حين تبرأ من امامهم المهدي وابدى مساويه واسقط اسمه من الخطبة.^٤
 ٨١- أبو الحسن أحمد بن نظر الكاتب: من أهل صقلية وفد الى دولة عبيد الله المهدي وله قصيدة يعتذر فيها من عبيد الله ويستعطفه منها:

يا من اليه عيون الناس ناظرة يرون تعظيمه تعظيم باريه
 ان كان وجدك عن ذنب اتيت به فأن عفوك يمحو ذنب جانيه

.....

الله يعلم اني لم ادع سببا الا بلغت الذي ترضى به فيه
 فانظر الي بعين منك راحمة فقد اذاب فؤادي ما اقاasih^٥

٨٢- أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوى الزناقي: شاعر الخلافة وصاحب المكانة الرفيعة لدى الموحدين، ولد نهاية القرن السادس الهجري، وتوفي سنة ٦٠٩هـ. وكان

١-التجيب المرسي: زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر ص ١٣٦.

٢- تاريخ المغرب وحضارته ١ ج ١ ص ٣٤٨.

٣- العلاقات الموحدية ص ٢٨١.

٤- انظر نظم الجمان ص ١٦٦.

٥- معجم العلماء والشعراء الصقليين.

عبد المؤمن بن علي يتفاخر به، حيث قال له في الاحتفال بتحسين جبل الفتح «جبل طارق»: (يا أبا العباس انا نباهي بك أهل الأندلس) مشابها في ذلك قول المعز الفاطمي في شاعره ابن هانيء، وقد عمر أبو العباس طويلا فكان شاعر عبد المؤمن وشاعر خلفائه يوسف ثم يعقوب المنصور ثم الناصر^١ و(كان هذا الاديب نهاية في حفظ الأشعار القديمة والمحدثه..... وجمع كتابا يحتوي على فنون الشعر على وضع «الحماسة» لأبي تمام الطائي، وسمّاه «صفوة الأدب وديوان العرب» وهو كثير الوجود بأيدي الناس، وهو عند أهل المغرب كالحماسة عند أهل المشرق، والمقصود من ذكر هذا الاديب انه كانت له نواذر نادرة وملح مستطرفة عند أهل الادب، فمن ذلك أنه حضر يوما الى باب دار الأمير يوسف وهناك طبيب سعيد الغماري، وغمارة بظّم العين المعجمة، قبيلة من البربر ايضا، فقال يوسف لبعض خدمه، انظر من بالباب عن الاصحاب، فخرج الخادم الى الباب ثم عاد اليه فقال أحمد الكورايي وسعيد الغماري، فقال الأمير يوسف: من عجائب الدنيا شاعر من كورايا وطبيب من غمارة، فبلغ ذلك الكورايي «الجرأوي» فقال: «وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه» يس ٧٨. أعجب منها والله خليفة من كوميه، فيقال أن الأمير يوسف لما بلغه ذلك، قال: أعاقبه بالحلم عنه والعفو فقيه تكذيبية^٢ ذكره صاحب زاد المسافر واعتبره ايضا شاعر الخلافة الموحدية^٣ ويقول عنه صاحب النبوغ المغربي: وله شعر مليح^٤، بينما يقول عنه الزركلي: كان غبورا على الشعر.^٥

٧٩- ادريس العلوي بن أحمد بن أبي بكر بن زكري الحسني: له (الدرر البهية والجواهر النبوية) طبع على الحجر، في أنساب العلويين وغيرهم في المغرب، وهو العمدة في موضوعه.^٦ لم يترك غرضا الا نظم فيه، وقد اسرف في الهجاء حتى سمي حطيئة المغرب.

١- الوافي بالادب العربي.

٢- وفيات الأعيان ج ٦ ص ١٢٦-١٢٧.

٣- زاد المسافر ص ٤٩.

٤- النبوغ المغربي ج ١ ص ١٧٩.

٥- الأعلام ج ١٠ ص ١٥٠.

٦- نفس المصدر ص ٢٧٨.



- ٨٠- ميمون الهواري أبو محمد عبدالله بن حيل من كتاب عبدالمؤمن.^١
- ٨١- عبدالسلام الكومي أبو حفص وابنه وهما ايضا من كتاب عبدالمؤمن.^٢
- ٨٢- أبو يعلى ادريس وهو ايضا من كتاب عبدالمؤمن.^٣
- ٨٣- أبو عبدالله محمد بن حسين بن عبدالله بن حبوس ولد في مدينة فاس، ونشأ على نظم الشعر حتى فاق أهل زمانه في هذا المضمار ولقب بشاعر الخلافة المهدية قدّمه الاميران عبدالمؤمن وابنه يوسف على سائر الشعراء واجزلا له العطاء، فجمع في ايامهما ثروة عظيمة^٤ وقد (كان شعر ابن حبوس من اروع الشعر العربي لانه شعر النعومة واللطف واللين، شعر السلاسة العجيبة التي تنساب كالسحر، وهو شعر الموسيقى العذبة الانغام).^٥
- وقد كان ابن حبوس احد الشعراء في دولة المرابطين على عهد علي بن يوسف بن تاشفين وقد حظي عنده ولكن بلغته عنه «حماقات»^٦ فغضب عليه، وعندها فرّ ابن حبوس الى الأندلس، وقد انظم الى الموحدين بعد عبور عبدالمؤمن الى الأندلس ومجيء الشعراء لتهنئته، فكان منهم ابن حبوس فنال اعجابه وقربه ولازم ابنه يوسف من بعده.
- وفما يقال أن تشيع ابن حبّوس هو الذي أبعدّه عن المرابطين وقربه من الموحدين.
- ٨٤- أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبدالمملك الكتامي المعروف بـ «ابن القطان» صاحب كتاب «نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان» يعتبر من النابيين في المغرب في منتصف القرن السابع الهجري، وقد كان مؤلفه يفوح تشيعاً، حيث يروج فيه للمهدي المعصوم، وينقل الاحاديث بخصوصه عن ائمة أهل البيت، كما نقل في ص ١٨٠ منه حديثاً عن الباقر محمد الاسلامي زين العابدين عن وجوب طاعة المهدي، كما وأنه يثنى كثيراً على محمد بن تومرت ومعتقداته.

١- البيان المغرب ج ٣ ص ٥٦.

٢- نفس المصدر.

٣- نفس المصدر.

٤- الموجز في الادب العربي وتاريخه م ٣ ص ٣٥٣.

٥- نفس المصدر ص ٣٥٥.

٦- المعجب ص ٢١٤.

٨٥ - أعين بن أعين المتوفى ٣٨٥هـ: كان يحترف الطب بالقيروان، وخاصة طب العيون في عهد المعز الفاطمي وانتقل معه الى مصر واستقر بها الى ان توفي، وله كتاب «أمراض العيون ومداواتها»^١.

٨٦ - ابن الجزار أبو جعفر ابن ابراهيم المتوفى سنة ٣٦٩هـ والمولود سنة ٢٨٥هـ بالقيروان، له مصنفات عديدة في علوم مختلفة اهمها: «زاد المسافر وفوت الحاضر» و في علاج الامراض ترجم الى اللاتينية واليونانية والعبرية. وكتاب «الاعتقاد» وقد ترجم الى اللاتينية والعبرية، و«طب الفقراء والمساكين» و«طب المشايخ» و«سياسة الصبيان وتدبيرهم» وكتاب «التعريف بصحيح التاريخ» فيه اخبار علماء زمانه، و«تاريخ الدولة الفاطمية» و«مغازى افريقية» و«طبقات القضاة» و«عجائب البلدان» و«كتاب الاحجار الكريمة ومعادنها ومنافعها وخوصاها». راجع عنه حسن حسنى عبدالوهاب - ورقات من الحضارة العربية بافريقية ج ١ ص ٣٠٦ - ٣٢٢ - تونس ١٩٧٢.

٨٧ - أبو عبدالله محمد بن مسعود بن أبي الخصال الغافقي: من كُتّاب النثر في المغرب تقلد مناصب الكتابة في عهد المرابطين وقد ولد بالاندلس ونشأ بقرطبة وطلب العلم ومرن على الكتابة كأخيه أبي مروان الذي تقلد الكتابة لابن حجاج الذي خرج امير المسلمين على ابن تاشفين، ودعى لنفسه بقرطبة ثم قبض عليه.^٢ ذكر ابن أبي الخصال عبدالواحد المراكشي في المعجب بقوله (انه كان من انبهم واكبرهم مكانة لديه يعنى عليا بن يوسف، اذ هو آخر الكتاب واحد من انتهى اليه علم الآداب).^٣

وقد انتقل ابن أبي الخصال الى افريقيا وسكن فاس وكتب للمرابطين، يقول عنه صاحب «جذوة الاقتباس» (كان من أهل المعارف الجمّة، والاتقان للحديث والمعرفة برجاله والتقييد لغريبه واتقان ضبطه، والمعرفة بالعربية واللغة والأدب والنسب والتاريخ، مقدما في ذلك كلّه)^٤.

١- مجلة دراسات تاريخية عدد ٧ ص ٦١ - جامعة دمشق.

٢- تاريخ الاسلام السياسي ج ٤ ص ٥١١.

٣- المعجب ص ١٧٣.

٤- جذوة الاقتباس ص ٢٥٧.

وكان محمد ابن أبي الخصال شاعراً فذاً بالإضافة الى كونه كاتباً ويعتبر ايضاً من شعراء الرثاء الحسيني، وقصيدته «معراج المناقب» ومنهاج الحب الثاقب» التي عارض بها قصائد حسان بن ثابت وقد خمسمها أبو عبدالله محمد بن الحسن بن حبيش المرسى من افضل قصائد الرثاء الحسيني^١، ويذكر أن ابن أبي الخصال كتب مقامة عارض بها الحريري^٢ راجع عنه: المغرب ٢ / ١٤٥، الاحاطة ٢ / ٣٨٨، رايات المبرزين ١٨٨، قلائد العقيان ١٧٥.

٨٨- أبو مروان بن أبي الخصال الآنف الذكر.

٨٩- أبو البحر صفوان بن ادريس التجيبي المرسى المتوفى سنة ٥٩٨ هـ^٣ اندلسي رحل الى المراكش في جهاز بنت له بلغت التزويج وقصد دار الخلافة مادحاً فها تيسر له شيء من أمله ففكر في خيبة قصده، وقال: لو كنت أملت الله سبحانه ومدحت نبيه صلى الله عليه وسلم وآل بيته الطاهرين لبلغت املي، بمحمود عملي، ثم استغفر الله من اعتاده في توجهه الأول، وعلم أن ليس على غير الثاني معوّل، فلم يك إلا أن صوّب نحو هذا المقصد سهمه، وأمضى عزمه، وإذا به قد وجّه فادخل على الخليفة، فسأله عن مقصده فاخبره مفصلاً به، فانفذه وزاده عليه واخبره ان ذلك لرؤيا رسول الله ﷺ في النوم يأمره بقضاء حاجته..... فاستمر في مدح أهل البيت عليهم السلام حتى اشتهر بذلك.^٤

وهو من أشهر رثائي الحسين في الأندلس^٥، وله كتاب «زاد المسافر وغرة محبّ الأدب السافر» وقد ترجم هو فيه لنفسه.

٩٠- أبو بكر يحيى بن سهل اليكبي هجاء المرابطين، وقد مرّ علينا شيء من هجائه فيهم.^٦

١- انظر ادب التشيع في الأندلس ص ١٥٦، مجلة المناهل عدد ١٤ مقال مأساة الحسين في الادب الاندلسي - د. عبدالسلام الهراس.

٢- فن المقامات بين المشرق والمغرب ص ٢٨٧ د. يوسف نور عوض.

٣- معجم الأدباء ج ٦ م ١٢ ص ١٠ - ١٤.

٤- نفع الطيب ج ٣ ص ٢.

٥- أدب الطف ج ٣ ص ٢٤٩.

٦- انظر الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس ص ٢٥٢.

٩١- أبو عبدالله محمد بن عبدالله القضاعي البلنسي^١ المعروف بابن الأبار المتوفى سنة ٦٥٨هـ من بلنسية في الاندلس رحل الى المغرب مرتين: الأولى عندما جاء موفدا من قبل زيّان حاكم بلنسية ليطلب النجدة من أبي زكريا الحفصي بعدما حاصر المسيحيون بلنسية وعندها التقى سينيته المشهورة في حضرة أبي زكريا الحفصي، وعلى هذا يجب ان يسجل بأن سينية ابن الأبار القيت على أرض الشمال الإفريقي. والمرة الثانية التي قدم فيها ابن الأبار الى أرض الشمال الإفريقي كانت بعد سقوط بلنسية والتي لم يرحل فيها عن أرض الشمال حتى وفاته، وعندما قدم ابن الأبار في المرة الثانية الى تونس من أرض المغرب احتفي به وتسّم رسم «طغراء» سلطانها، حيث كان ابن الأبار (لا يشقّ له غبار في الخطوط المشرقية)^٢، وأصبح ايضا من كتّاب السلطان، ولكن نقل عنه الى السلطان وكان في حينها سلطان الحفصيين المستنصر الحفصي بأنه يهجو في ابيات:

طغى بتونس خُلفٌ سمّوه ظلما خليفه^٣

فقتل من قبل السلطان قعصاً بالرماح في منتصف المحرم سنة ٦٥٨هـ ثم احرق شعره وكتبه.^٤ كان ابن الأبار شاعرا مجيدا ومؤلفا مكثرا، وما يعنيها من مؤلفاته أكثر في هذا الكتاب «درر السمط في خبر السبط» و«معدن اللجين في رثاء الحسين» والثاني من مفقودات الأدب العربي وكتبها في المغرب، واعتبره صاحب أعيان الشيعة واحدا من مؤلّفي الشيعة^٥، وأورد بعضا من اسماء مؤلفاته.

كما وان جواد شبر اعتبره من شعراء الرثاء الحسيني في «أدب الطف»^٦ قد أثنى عليه كل من

١- الأعلام ج ٦ ص ٢٣٣.

٢- الدجيلي عبدالصاحب عمران: أعلام العرب في العلوم والفنون ج ٢ ص ٧٩ مطبعة النعمان، النجف الاشرف - ط ٢، ١٩٦٦.

٣- تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي ج ١ ص ٧٨.

٤- نفع الطيب ج ٣ ص ٣٤٨.

٥- أعيان الشيعة م ١ ص ٢٢٥.

٦- أدب الطف ج ٤ ص ٦٩.



ترجم له ومنهم محمد محفوظ الذي يقول عنه «نزل تونس أبو عبدالله الحافظ المحدث الاديب الكاتب الشاعر المؤرخ صاحب التأليف الكثيرة»^١.

ومن اخلص المتحمسين لابن الأبار والمعجبين به أبو اسحاق ابراهيم بن محمد أبي القاسم النجاشي (ت ٦٦٠) الذي ألف كتاب «مؤازرة الوافد ومبارزة الناقد في الانتصار لابن الابار» بعد ما انتقده بعضهم حسدا على قصيدته السينية التي ألّفها في حضرة أبي زكريا الحفصى^٢.
ولابن الأبار ٤١ مؤلفا، ولكن الموجود منها ثمانية^٣.

وافضل من ترجم لابن الأبار لسان الدين بن الخطيب في ازهار الرياض.

٩٠ - أبو اسحاق ابراهيم بن عبدالله الغافقي ويقال فيه ابراهيم بن حص بن عبدالله بن حصن، ولى الحسبة للفاطمين في دمشق^٤، مغربي قيل عنه معتزليا، مالكيًا ولكن استعماله من قبل الفاطميين تنفي عنه المالكية، واما الاعتزال فان أكثر الشيعة اتهموا فيه وذلك لاتفاق المعتزلة والشيعة في التوحيد والعدل.

٩١ - مالك بن المرحل السبتي (٦٠٤ - ٦٩٩ هـ) ولد بمالقة، ثم انتقل الى سبتة فاقام فيها طويلا، ثم رحل الى فاس، وبها توفي. درس العلوم الدينية واللسانية ونبغ فيها، فكان يجيد الكتابة الا انه اشتهر بالشعر الذي يتمثل بمدح امراء بنى مرين، كما يشمل نظما كثيرا في الزهديات والمولديات، وقد ألف كتباً عديدة في علوم مختلفة، أغلبها منظومة، وله ديوان يسمى الجوالات أي المختارات وكتاب «الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والاخرى» وهي مجموعة أمداح نبوية، والمعشرات النبوية والعشریات الزهدية..... ويمتاز مالك بن المرحل بطول النفس، وسهولة النظم وخفته^٥ مَنْ أراد التفصيل عنه يراجع «جذوة الاقتباس» ص ٣٢٧ وما بعدها.

١- تراجم المؤلفين التونسيين ج ١ ص ١٢ محمد محفوظ.

٢- مقدمة ديوان ابن الابار ص ١٦- ١٧ تحقيق د. عبدالسلام الهراس - الدار التونسية ١٤٠٥ - ١٩٨٥.

٣- نفس المصدر ص ١٨، ١٩، ٢٠.

٤- نفع الطيب ج ٣ ص ٣٦١.

٥- مجلة دراسات جامعية عدد ٧ ص ٥٠.



٩٢- ابن مرج الكحل محمد بن ادريس بن علي بن ابراهيم بن القاسم من أهل جزيرة شقر، تجول في الأندلس والمغرب وهو في المغرب مثل الوءاء الدمشقي في المغرب^١، ويعتبر من شعراء الرثاء الحسيني ومن شعره في ذلك:

عرج بمنعرج الكثيب الاعفر بين الفرات وبين شط الكوثر

وهذا مطلع مرثيته التي يقول عنها ابن الخطيب «ما رأيت رائية تقرب من التي لابن مرج الكحل»^٢، اعتبره صاحب دائرة المعارف الشيعية من شعراء الشيعة.^٣

له ديوان شعر يعتبر من المفقودات الاندلسية» توفي سنة ٦٣٤ هـ.^٤

٩٣- ابراهيم بن ايوب النكوري الذي مدح الأمراء الأدارسة بقوله:

ايا املى الذي ابغي وسولي ودنياي التي ارجو وديني
أأحرم من يمينك ري نفس ورزق الخلق من تلك اليمين
ويحجب عن جبينك طرف لحظي ونور الارض من ذاك الجبين
وقد جبت المهامة من نكور اليك بكل ناجية أموني^٥

٩٤- ابراهيم بن علي بن تميم الانصاري يكنى بابي اسحاق وقد شهر بالحصري نسبة الى صناعة الحصر وبيعها نشأ في مدينة القيروان في اواخر عهد الفاطميين بافريقية، وأخذ الأدب وفنون اللسان عن اعلام عصره بالقيروان، ولما انتقل الفاطميون الى مصر أخذوا معهم كبار الشعراء فخلا الجو لابراهيم فبرز كأديب فذ تدور حوله الحياة الادبية ويستلמד عليه الكثيرون.^٦

وقد كان له نادٍ بالقيروان وقيل بالمنصورية «ضواحي القيروان» يقصده الادباء والمتأدبون ليأخذوا عنه ادبه وما يرويه من أدب غيره.

١- المغرب في حلى المغرب ج ٢ ص ٣٧٣ ابن سعيد المغربي.

٢- نفع الطيب ج ٧ ص ٥٨.

٣- دائرة المعارف الشيعية م ٤ ص ٢١٤.

٤- تحفة القادم ص ٢٤٩ ابن الابار - تحقيق د. احسان عباس.

٥- الوافي بالادب العربي ج ١ ص ٢٠.

٦- عصر القيروان ص ٦٥.



تحدد أكثر المراجع سنة وفاته ٤٥٣هـ، وتقول المراجع انه مات في الثمانين من عمره وعلى هذا تكون ولادته في العقد السابع من القرن الرابع الهجري.^١

ويقول ابن خلكان ان له ديوان شعر معروف بـ«ديوان الحصري» وهو من المفقودات المغربية، وقد ذكرت له اشعار هنا وهناك.^٢ وقد جمعها حسن حسني عبدالوهاب ونشر قسماً منها في كتاب «المنتخب المدرسي في الأدب التونسي» وله مؤلفات كثيرة منها:

زهر الآداب وثمر الالباب وكان قد وضعه على طريقة «البيان والتبيين» للجاحظ جمع فيه الكثير من النصوص الشعرية والنثرية والاخبار والنوادر التي لا يخلوا بعضها من غرابة. وفي هذا الكتاب يعرف تشيع الحصري حيث ان صاحب عصر القيروان عندما يعرض لهذا الكتاب ويذكر ما يحتويه يقول «ورغم ان كتابه أدب محض، فانه قد احم فيه الكلام عن المصيبة في ابناء النبوة، فتحدث عنهم هكذا: وقد نعي سليل من سلالة النبوة وفرع من شجرة الرسالة، وعضو من اعضاء الرسول ﷺ، وجزء من اجزاء الوصي والبتول»^٣ كذلك يوجه الحصري عنايته الى الاشراف فيضني عليهم افضل الصفات ويتحدف عنهم في احترام واجلال. ولا شك ان هذا يشير الى امرين اثنين:

١- تدين الحصري وشدة تعلقه بال الرسول وهو ما يفسر لنا اجتنابه نقل اخبار المجان ونصوصهم في كتابه.

٢- يدل على ان الرجل قد كانت له نزعة سياسية خاصة، وهي التشيع لآل البيت، ولا ننسى هنا ان النفوذ الديني للشيعية في أيامه كان لا زال قويا في شمال افريقيا، خاصة في تونس، رغم انتقال الفاطميين الى مصر.^٤ واهم ما يلاحظ على هذا الكتاب انه أكثر نصوصه للمشاركة باستثناء بعض المغاربة كابن هانيء وهو يشبه ايضا منهج ابن عبادريه في العقد الفريد، ولهذا الكتاب اهمية في الأدب العربي.

١- نفس المصدر.

٢- وفيات الأعيان م ١ ص ٥٥ وما بعدها.

٣- زهر الآداب ج ١ ص ٩٩.

٤- عصر القيروان ص ٧٢.

وكذلك يعتبر هذا الكتاب في بعض احوال من الكتب التي سجلت مصائب أهل البيت حيث يقول فيه «كتبت وليتني ماكنت اكتب وانا ناعى الفضل من اقطاره، وداعي المجد الى شق ثوبه وصداره، ومخبر ان شمس الكرم واجبة والمآثر مودعة، وبقايا النبوة مرتفعة، وآمال الامة منقطعة، لدين منخذذ واجم، وللتقوى دمعان هام ومنسجم، كتابي وقد شلت يمين الدهر، وفقت عين المجد، وقصر باع الفضل، وكسفت شمس المساعي، وخف قمر المعالي، وتجدد في بيت الرسالة رزية، جدد المصائب واستعاد النوائب، كل هذا لفقد من حط الركب بربعه، ثم ادرج برده، وامتزج المجد به، فدفن بدفنه، انها المصيبة، عمّت بيت الرسالة.

وغضت طرف الامامة، وتحيف جانب الوحي المنزل، وذكرت بموت النبي المرسل، كتبت والدهر ينعي مهجته، والمجد ينب بهجته، ومهابط الوحي والرسالة تحني ظهورها اسفا، ومآسى الامامة والوصية والرسالة تزدري دموعها لهفا؛ وذلك ان حادث قضاء الله استأثر بفرع النبوة وعنصر الدين والمروءة^١، ثم انه يذكر أهل البيت في الحسين بن علي بن أبي طالب^٢ ويورد قصيدة الفرزدق في مدح زين العابدين^٣ ويتكلم عن محمد الباقر بن زين العابدين^٤ وعن مصرع زيد الاسلامي^٥ وعن موسى بن جعفر^٦ ويورد رثاء دعبل لأهل البيت^٧، وكذلك للحصري «جمع الجواهر في الملح والنوادر» وهذه تسمية عبدالقادر البغدادي للكتاب اما تسمية الحصري له «جواهر النوادر ولمح الملح».

وايضا للحصري كتاب «نور الطرف ونور الظرف» ويسمى ايضا «النورين» وهو كتاب مختصر في جزء واحد وضعه الحصري لاختصار كتابه زهر الآداب ويقال أنه موجود في مكتبة «الاولوسكريال» وللحصري كتاب اسمه «المصون في سر الهوى المكنون» وقيل عنه انه ايضا

١- زهر الآداب ص ٩٩.

٢- نفس المصدر ص ٩٤.

٣- نفس المصدر ص ١٠٣.

٤- نفس المصدر ص ١١٧.

٥- نفس المصدر ص ١١٨.

٦- نفس المصدر ص ١٣٣.

٧- نفس المصدر ص ١٣٤.

في الاخبار والنوادر، ويذكر حسن حسني عبدالوهاب انه مجلد واحد في ٤٠٠ صفحة، وان نسخة خطية منه في مكتبة شيخ الاسلام بالمدينة، ونسخة اخرى في مكتبة لايدن بهولندا. ويوجد كتاب آخر للحصري اشار اليه نفس الحصري في كتابه الجواهر ولكن لم يصل الينا، وهو كتاب «طبيات الاغاني ومطربات القيان».

وقد ترجم للحصري القيرواني ابراهيم صاحب «عنوان الاريب» ترجمة تكاد تكون وافية.^١

كما وان ابن رشيق قد ترجم له من قبل واثني عليه وقال عنه «كان شاعرا نقادا، عالما بتنزيل الكلام، وتفصيل النظم يجب المجانبية والمطابقة، ويرغب في الاستعارة، تشبيها بابي تمام في اشعاره وتبعا لآثاره، وعنده من الطبع لو ارسله على سجيته لجرى جرى الماء ورق رقة الهواء».^٢ واعتبره محمد محفوظ من المؤلفين التونسيين.^٣

٩٥- ابراهيم بن القاسم أبو اسحاق المعروف بالريق القيرواني (ت ٤٢٥هـ) يقول عنه صاحب «الأدب في العصر الفاطمي» بعد ان يخصص له الصفحات من ١٣٧ - ١٤٣ وتوجه مرتين او ثلاثة من القيروان الى القاهرة مبعوثاً من امراء صنهاجة بالقيروان الى الخلفاء الفاطميين وقد حمل هدايا قيمة اثناء وفادته طالباً منهم الرضا عن الصنهاجيين. وتأكيد الولاء وذكر شيئاً من شعره الذي أنشده للحاكم بامر الله الفاطمي وعده من شعراء الدولة الفاطمية.

وكذلك اثني عليه ابن رشيق في انموذجه وقال عنه انه من القيروان والمهدية.^٤ وكان يباشر الكتابة في ديوان الحضرة الصنهاجية بعد خروج المعز الى القاهرة، وظل كذلك أيام المنصور، وابنه باديس، وابنه المعز، وكذلك حتى حدثت الجفوة بين الصنهاجيين والفاطميين، أيام المستنصر الفاطمي.

١- عنوان الاريب ج ١ ص ١٥١ وما بعدها.

٢- انموذج الزمان ص ٤٦.

٣- تراجم المؤلفين التونسيين ج ٢ ص ١٤٩.

٤- انموذج الزمان: ابن رشيق، ص ٢٨، دار المغرب بتونس سنة ١٩٧١م.

واهم ما يؤثر عن الرقيق القيرواني كتابه «تاريخ افريقية والمغرب» المعروف بـ «تاريخ الرقيق القيرواني» وينقل في جزء منه قسماً من الاخبار التي عاينها هو وابتدأ فيه باخبار الفتح العربي الاسلامي لشمال افريقيا، ويتكون من عدة مجلدات ثم لم يصل اليها الا بمجلد واحد منه. يقول عن هذا المؤلف المنجي الكعبي «لانغلو اذا قلنا ان تاريخ الذي كتبه الرقيق القيرواني كان يعد اوفى واشمل ما كتب عن بلاد افريقية والمغرب، وما تعاقب فيها من الاحداث منذ مطلع تاريخها الاسلامي الى القرن الخامس الميلادي» وقد اعتمد عليه أكثر المؤرخين عن المغرب ومنهم ابن عذاري، وابن خلدون، وكذلك اعتمد عليه ابن الاثير.

وللرقيق القيرواني كتاب «قطب السرور في أوصاف الانبذة والخمور» وقد طبع الكتاب بتمامه في دمشق ثم طبع قسم منه باسم «المختار» اختار هذا القسم علي نور الدين المسعودي بتحقيق عبد الحفيظ منصور طبعته مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله بتونس سنة ١٩٧٩م^١ ناقش فيه الأشربة وما يحل ويحرم منها واختلاف الناس في ذلك. وله ايضاً كتاب «النساء» و «الراح والارتياح» ونظم «السلوك في مسامرة الملوك» اربع مجلدات، وقال ابن رشيق عن الرقيق «بأنه شاعر سهل الكلام محكمة، لطيف الطبع قويه، غلب عليه علم التاريخ والآثار، وهو في ذلك احذق الناس»^٢.

٩٦- اسماعيل بن أحمد بن زيادة البرقي من رجال القرن الخامس من أهل القيروان سكن المهديّة، ويكنى أبا طاهر، أخذ عن أبي اسحاق ابراهيم الحصري تأليفه.^٣

٩٧- البحجور ذكره صاحب «الدولة الصنهاجية» كاحد الشعراء الشيعة ولم يزد على هذه التسمية شيئاً.^٤

٩٧- أبو اسماعيل ابن غانم بن عبدون الكاتب القيرواني يقول عنه ابن رشيق «شاعر كثاني الشعر، لطيف المعاني والالفاظ، نظفيها، رشق المعاني وجيزها، قليل المدح والهجاء، كلفاً

١- الادب في العصر الفاطمي، قسم الكتابة والكتاب، ص ٣٢٨.

٢- عنوان الأريب ج ١ ص ٢١٢.

٣- نفس المصدر ص ٥٠٥.

٤- الدولة الصنهاجية ج ٢ ص ٣٩٩.

بالمواعظ في نظمه، كان توجه الى مصر واقام بها مدة ثم عاد الى القيروان وتوفي بالقيروان سنة ٤٢١ هـ.^١

٩٩- أبو عبدالله محمد بن جعفر التميمي القيرواني المعروف بالقزاز ذكره صاحب نسمة السحر على أنه أحد الشيعة الشعراء وقال عنه «أحد أئمة النحو، فاضل حكم بالعربية على زيد وعمر، ومزق حلّة الكسائي وبرّج بالفراء حتى فرّ، فلو أدركه عيسى بن عمر قال ذا محيى صوت الادب... وله شعر كسحر الحدق، يعطيك انه بكميته سبق»^٢ ولد في القيروان ٣٤٥ هـ وكان من مشاهير ادباء افريقية في العصر الصنهاجي، وقد رحل الى المشرق لطلب العلم وتلمذ الى عدد من الشيوخ نخص منهم الآمدي تلميذ ابن دريد، والاخفش، وأقام مدة طويلة بمصر، والتحق بخدمة الفاطميين ثم رجع الى القيروان، ودرّس فيها اللغة والأدب وقد أخذ عنه ابن رشيقي وابن شرف ويعلى الارسي وابن الريب وعبد الرحمن المطرّز بن أبي طالب بقطع النظر عن الاندلسيين»^٣.

ذكره ابن خلكان^٤ واثني عليه قائلا كان الغالب عليه علم النحو واللغة والافتنان في التأليف... وكان له شعر مطبوع ومصنوع ربما جاء به مفاكهة ومما لحة» ويقول عنه ابن خلكان «ذكر أبو القاسم بن الصيرفي الكاتب المغربي ان أبا عبدالله القزاز المذكور كان في خدمة العزيز العبيدي صاحب مصر وصنف له كتابه الجامع في اللغة وقال غيره؛ كان العزيز بن المعز العبيدي صاحب مصر قد تقدم اليه ان يؤلّف كتابا يجمع فيه سائر الحروف التي ذكر النحويون ان الكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، وان يقصد في تأليفه الى ذكر الحرف الذي جاء لمعنى، واني يجري ما ألفه من ذلك على حروف المعجم، قال ابن الجزار، وما علمت نحويا ألف شيئا من النحو على هذا التأليف، فسارع أبو عبدالله القزاز الى ما امره العزيز به. وجمع المفترق من الكتب النفيسة في هذا المعنى على قصد سبيل، واقرب مأخذ وأوضح طريق فبلغ جملة الكتاب

١- انموذج الزمان ص ٢١٥.

٢- نسمة السحر ج ٣ ص ١٤٤.

٣- الدولة الصنهاجية ج ٢ ص ٣٩٥.

٤- وفيات الأعيان م ٤ ص ٣٧٥-٣٧٦.



الف ورقة ذكر ذلك كله الأمير المختار المعروف بالمسيحي في تاريخه الكبير، وله كتاب «التعريض» ذكر ما دار بين الناس من المعاريض في كلامهم وقال أبو علي بن رشيق في كتاب «الانموذج» ان الفزار المذكور «فضح المتقدمين وقطع السنة المتأخرين» وقد رجع القزاز الى القيروان وتوفي بها سنة ٤١٢ هـ.^١

وكان ياقوت قد قال عنه «له تصانيف وشعر كثير»^٢ وقد كانت له مؤلفات غير التي ذكرها ابن خلكان منها كتاب «المثلثات» وكتاب «العشرات» وكتاب «الضاد والظاء» وكتاب «الحلى والثبات» وكتاب «ما أخذ على المتنبي من اللحن والغلط» وكلها في اللغة، و«ضرائر الشعر» في العروض و«اعراب الدرية وشرحها».

هذا وقد اعتمد اصحاب المعاجم الكبرى على كتبه، فكان له الاثر الأكبر في الدراسات اللغوية بالمغرب العربي^٣ وقد ذكرت أكثر المصادر القزاز القيرواني ومنها:

القزاز القيرواني - المنجي الكعبي تونس ١٩٦٨ حياته وآثاره. وهذا الكتاب قد خصصه مؤلفه لحياة القزاز وآثاره.

بعثة الوعاء للسيوطي ص ٢٩.

وفيات الأعيان م ٤ ص ٣٧٥ - ٣٧٦. تاريخ الدولة الفاطمية د. حسن ابراهيم حسن ص ٤٣٧.

معجم الأدباء ١٨ / ١٠٥ - ١٠٩.

أنباء الرواة ٣ / ٨٤.

مسالك الأبصار للعمري ١١ / ٣٧٦.

١٠٠ - الشيخ محي الدين محمد بن أبي الحسن علي بن محمد بن عربي الطائي الحاتمي

الأندلسي الاشبيلي، نزيل دمشق احد فضلاء الصوفية المحققين.

هكذا ذكره صاحب «نسمة السحر» معتبرا اياه من المتشيعين الشعراء^٤ كنيته أبو بكر من

١- الأدب في العصر الفاطمي، الكتاب والكتاب ص ٢٠٨.

٢- معجم الأدباء م ٩ ص ١٨ ج ٩ - ١٠٥ - ١٠٩.

٣- مجلة دراسات جامعية العدد ٧ ص ٧٦ مقال عبد الحميد حاجيات: «مساهمة المغرب العربي في ازدهار الحضارة العربية

الاسلامية، مجلة دراسات جامعية، العدد ٧، ص ٧٦.

٤- نسمة السحر ج ٣ ص ١٧٣.



ذرية عبدالله بن حاتم الطائي ولد سنة ٥٦٠ هـ بمرومية، ورحل سنة ٥٦٨ هـ الى اشبيلية واستقر بها حوالي ثلاثين سنة متصلة ودرس الحديث والفقه خلال ذلك في هذه المدينة، ثم سبته وزار تونس سنة ٥٩٠ وفي سنة ٥٩٨ نزح الى المشرق ولم يعد منه الى وطنه.... أَلَفَ ابن عربي وصنف كتباً كثيرة، فهاجت مؤلفاته جماعة من العلماء فاتهموه بنشر مذهب الحلول والاتحاد، بينما كثر محبّوه من الناحية الثانية والمعجبون به ومؤيدوه، وما بين هاتين ان الناحيتين كان يعيش ابن عربي ومن اشهر المعجبين به مجد الدين الفيروز آبادي الذي كتب كتاباً يدافع عنه، ومن أكبر المعارضين له ابن تيمية الذي رماه بالزندقة»^١.

والذي يهمننا هنا هو هل ان ابن عربي المقيم في سبته والزائر لتونس من أرض الشمال الإفريقي والذي اعتبره صاحب «نسمة السحر» من شعراء الشيعة، كان شيعياً حقاً؟ نقول لقد اعتبره جملة من الباحثين متشيعاً واقروا له بذلك، ومنهم الدكتور حسن ابراهيم حسن في «تاريخ الاسلام» وذلك عندما يورد ذكره ويتكلم عن كتابه «الفتوحات المكيّة» حين يقول «كتاب الفتوحات المكيّة الواقع في عدة اجزاء يشهد بطول باعه في التصوّف والتأثر بالمذهب الشيعي، حتى انه كتب عن المهدي المنتظر، واشترط الساعة بظهور المسيح الدجال ثم المسيح عليه السلام، والأئمة العلويين ولا سيما الأئمة الاثنا عشرية، حتى لقد وصفه المقرئ بقوله «انه كان ظاهري المذهب في العبادات باطني النظر في الاعتقادات»^٢ ويقول الدكتور حسن ابراهيم حسن^٣ عن ابن عربي ايضاً «وقد سئل ابن عربي في قوله انه يرى الله ولا يراه الله. فقال مرتجلاً:

يا مَنْ يرانى مجرماً ولا أراه آخِذاً
كم ذا أراه منعماً ولا يرانى لائِذاً

وهذا يؤكد ان ابن عربي يأخذ بمبدأ التأويل الذي سار عليه الشيعة وجمهرة المتصوفين، على انه كان ظاهرياً في العبادات»^٤.

١- أعلام العرب في العلوم ج ٢ ص ٦٣، ٦٤.

٢- نفح الطيب ج ٢ ص ٣٦٣.

٣- تاريخ الإسلام ج ٤ ص ٥٤٧ - ٥٤٨.

٤- نفس المصدر.



وأما ما قاله فيه الفيروز آبادي حينما سئل عن الفصوص والفتوحات من كتبه «انه كان شيخ الطريقة حالا وعلمًا، وإمام الحقيقة حقيقة ورسما، ومحى رسوم المعارف فعلا واسما...» و ثم طائفة في الغي خائفة، يعظمون عليه النكير، وربما بلغ بهم الجهل الى التكفير، وما ذاك الا لقصور افهامهم عن ادراك مقاصد اقواله وافعاله ومعانيها، ولم تصل ايديهم لقصرها الى اقتطاف مجانيها»^١.

ومن الذين كتبوا عن ابن عربي محمود محمود الغراب تحت عنوان «الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي ترجمته وآثاره من كلامه، وقد اشار الى تشيعه، وإيمانه بالمهدي ورايته عين الاحاديث التي يرويها الشيعة في المهدي».

١٠١- راشد بن منصته الاوربي البربري الظهير المكين، والمستشار الامين، والوزير العليم لادريس الاول في هجرته وهربه من الشرق الى ان أقام دولته، وكذلك كان لابنه ادريس الثاني، حيث كان موصوفا بالحكمة في التدبير وبذلك ركز وارسى دعائم الدولة الشيعية العلوية الادريسية في المغرب، وعلى هذا كاد له اعداء الشيعة الاغالبية وانتهت حياته مسموما من قبلهم^٢.

١٠٢- محمد بن عيسى المومنانى الشريف الحسيني الفقيه الامام الملقى المدرس القاضي، كان يدعى بالامام لسعة علومه العقلية، من أهل مدينة فاس وولى القضاء بقرطبة ومراكش في دولة الموحدين، وكان فقيها اماما عالما مستبحرا من أهل الرأي والنجدة مقدما في الفتيا، ذكره ابن الاحرر في «حديقة النسرين» ولم يذكر وفاته^٣.

١٠٣- الحذب أبو بكر مغربي فاس من علماء النحو^٤.

١٠٤- عريب بن سعيد الذي يقول عنه الدكتور سوادى عبد محمد بعد ان يعرض الاعتناء الذي ابداه الشيعة الأدارسة والفاطميون لمختلف العلوم والفنون واهلها «ومن مؤرخيهم -يعني

١- نفح الطيب ج ٢ ص ٣٧٥-٣٧٦.

٢- موسوعة المغرب العربي ص ٢٧٤.

٣- جذوة الاقتباس ص ٢١٥.

٤- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ١٢١.



الفاطميين - عريب بن محمد المتوفى سنة ٣٦٦هـ والذي سجّل تاريخهم في المغرب ونقل عنه كثير من المؤرخين.^١

١٠٥ - ابن مضاء ابن العباس أحمد بن عبدالرحمن بن مضاء القرطبي المتوفى سنة ٥٩٢هـ من أهل قرطبة واليها نسب، كان منقطعاً الى العلم معنياً اشدّ العناية بقاء علماء عصره ومن أجل ذلك نراه يترك قرطبة الى اشبيلية حيث يدرس كتاب سيبويه على ابن مالك، وكما هاجر الى اشبيلية في طلب النحو هاجر الى سبتة في طلب الحديث حيث القاضي عياض أكبر محدثي الأندلس، وكان يميل الى دعوة الموحدين ويذهب مذهبهم فاسندوا اليه منصب القضاء في بعض بلدانهم في فاس وبجاية.^٢ وقد حمل على النحاة المشاركة في كتاب «الرد على النحاة» الذي دعا فيه الى الاخذ بظاهر النصوص والابتعاد عن جدل المناطقة والفلاسفة^٣ ومما يؤيد تشيع ابن مضاء قول الدكتور خديجة الحديثي عندما عرضت لسيرته ومدى تأثره بمذهب الموحدين حيث تقول «وقد تأثر بهذه الدعوة - دعوة الموحدين - ابن مضاء القرطبي هذا النحوي الأندلسي الذي نتحدث عنه، فذهب مذهبهم الفقهي وحمل حملتهم على المذاهب الفقهية المالكية والحنفية والشافعية والحنبلية... ولهذا اعتنى بتأليف ثلاثة كتب، هي: «المشرق في النحو» و«تنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان» و«الرد على النحاة» وهذا هو الكتاب الوحيد الذي بين ايدينا منها».^٤

١٠٦ - الفضل بن نصر المعروف بان الرايس أبو العباس، من الأدباء العلماء، كان يسكن بسوسة ثم انتقل الى القيروان، ونال حظوة ورئاسة، له شعر رائق وثر غرض،^٥ وهو من ادباء الدولة الفاطمية.^٦

١- دراسات في تاريخ المغرب العربي ص ٢٢٦.

٢- بغية الوعاة ج ١ ص ٩٢٣، المدارس النحوية ص ٣٩٦ د. خديجة الحديثي.

٣- انظر بحث «منهج الاندلسيين في دراسة النحو» في مجلة دعوة الحق العدد ٥ - ٥ فبراير ١٩٦٢ د. عباس الجراري.

٤- المدارس النحوية ص ٣٩٨.

٥- البيان المغرب ج ١ ص ٨٨.

٦- الحركة النقدية ص ٢٠.



١٠٧- أبو بكر اللؤلؤي الذي برع في اللغة والنحو خاصة. وأنه من علماء الدولة الفاطمية^١، شرح أكثر دواوين العرب، وكان صادقاً في علمه حسن البيان، لم يجد صعوبة في قول الشعر.^٢
 ١٠٩- البرادعي خلف بن أبي القاسم الأزدي كان من علماء القيروان مالكي المذهب إلا أن أصحابه نعموا عليه، لأنه كان يصحب سلاطين القيروان ولأنه - فيما قال - تمثل في بعض كتبه مشيراً للعبيدين:

اولئك قوم ان بنوا احسنوا البنا وان وعدوا اوفوا وان عقدوا شدوا
 فافتوا بطرح كتبه^٣ وكانوا كرهوا أبا اسحاق التونسي لأنه لم يفت بكفر من يقول بتفضيل
 علي بن أبي طالب على سائر الصحابة.^٤

فلما نبت به القيروان خرج إلى صقلية وقصد أميرها فحصلت له عنده مكانة، وهذا دليل على ترحيب البلاد الصقلية بمن كان يسلم المذهب والسياسة الفاطمية، وفي صقلية ألف البرادعي كتبه.^٥

١١٠- ابن جيمال كان مذهبه مذهب الكوفيين، ولأه زيادة الله بن عبد الله قضاء القيروان.^٦
 ١١١- يحيى بن علي بن حمدون الجذامي الأندلسي صاحب مدينة المسيلة في بلاد الزاب الأكبر، وسكنها من بعده جعفر الإسلامي وأخوه وتولّى أمرها وهما اللذان لجأ إليهما محمد بن هانيء الأندلسي بعد أن عبر صوب المغرب هارباً من الأمويين، إلى أن اعلقاه بالمعز الفاطمي، ولابن هانيء مدائح في يحيى وأبيه وأخيه.

وليحيى الإسلامي شعر، وانشده أبو عامر السالمي يصف فيه فرساً:
 ومستمماً في خَلْقِهِ لم يَنْجَسْ عارى الأديم من الملامة مكتس

١- نفس المصدر.

٢- طبقات النحويين ص ٢٥٦.

٣- ابن فرحون إبراهيم بن علي بن محمد الديباج: المذهب في معرفة علماء المذهب ص ١١٢، طبعة مصر، ١٣٢٩.

٤- عياض القاضي ترتيب المدارك ج ٢ ص ١٥١ مجلدان بخط مغربي رقم ٢٢٩٣ بدار الكتب المصرية.

٥- الديباج المذهب ص ١١٢.

٦- الخشنى أبو عبدالله محمد بن حارث: قضاء قرطبة وعلماء إفريقية، ج ٣ ص ٢٥٤، تحقيق عزت المطار الحسني، مكتبة

صَلَّتْ اليه الخيل فهو امامها وهو المقدم عندها في الانفس
وكأن لون اديمه من سوسن وكأن لون لجامه من نرجس^١
١١٢ - جعفر بن علي بن حمدون يقول ابن الأبار «له ولايته رئاسة معروفة ونباهة أيام
العبيدية» ويذكر ايضا مواظبتهم على التشيع حتى بعد ان هاجروا الى الأندلس بعد مقتل
زيري بن مناد الصنهاجي. وكانوا قد ازعجوا من قبل ابن أبي عامر المتسلط على خلفاء
الأندلس الامويين بعد ان كرمهم الامويون، ونودى عليهم بكفران النعمة ولكن جعفرًا كان
يعارض المنادى «لا بل جزاء من آثر بني مروان على ولد فاطمة بنت رسول الله ﷺ»^٢
ولكن ابن الأبار في «الحلة السيرة» النسخة التي حققها انيس الطباع ينسب الأبيات
الآتفة لجعفر الاسلامي بينما في النسخة التي حققها حسين مؤنس ينسبها الى يحيى بن علي.
١١٣ - جعفر بن فلاح الكتامي أبو الفضل من رجال الدولة الفاطمية، وهو القائد
الذي وجهه جوهر بعد افتتاح مصر لافتتاح الشام، ويكفيه نباهة انه من ممدوحى ابن هانىء
الأندلسي، وقيل ان المدح من ابن هانىء كان لابنه ابراهيم بن جعفر، وكان الشاعر مقداد بن
حسن الكتامي من الذين مدحوا جعفرًا هذا بقصيدة مرّ علينا ذكرها:
نحن جلبنا الخيل شعنا ضوامرا من الغرب تجتاب المفاوز اشهرا
وقيل ان جعفرًا كان شاعرا وقد نسب له:
ويوم كأن الغيم تحت سمائه حكى مقلتي سحتًا ولم يحك ضنًا
كأن الغوادى بالمثاني نضحته والبسنة ثوبا من الخزّ ادكنا^٣
١١٥ - أحمد بن عبد الله بن موسى الكتامي الآخذ من ابن مسرة الفيلسوف
الأندلسي الشهير بتشييعه.^٤

١١٦ - ابن سعيد المغربي مؤلف «المغرب في حلى المغرب» و «رايات المرزبن».

١- الحلة السيرة ج ١ ص ٣٠٨.

٢- نفس المصدر.

٣- الحلة السيرة ج ١ ص ٣٠٥.

٤- الوافي بالادب المغربي ج ١ ص ١٥.

من نسل عبدالله بن سعد بن عمار بن ياسر الناصر الشيعي في الأندلس^١ وكان لابناء هذا البيت وجود فاعل في الأندلس ورفعة، وكانت لهم قلعة تسمى قلعة بنى سعيد، ومنهم عبدالله بن سعيد جد ابن سعيد صاحب حلى المغرب (الذي ساهم في مقاومة المرابطين اثناء ثورة الأندلس عليهم، ثم ايّد الموحدين واستمر في اماراة منطقته باسم عبدالمؤمن أول خلفائهم، ويبدون عبدالمؤمن شك في ولائه له فاستقدمه الى مراكش وسجنه، الا انه عفى عنه واعلى قدره، وكانت وفاته بحضرة مراكش).

وقد عرف عبدالله بن سعيد بتشجيعه للعلم ومساهمته فيه، في اواخر حكم المرابطين قدم عليه فحمد الحجازي (٤٩٩ - ٥٤٩) ومدحه وصنّف له بناء على طلبه كتاب «المسهب في غرائب المغرب» اذ اصبح فيما بعد نواة لكتاب «المغرب»^٢.

ويؤكد الدكتور محمد جابر الانصاري^٣ وجود ميول شيعية عند ابن سعيد المغربي بالرغم من اعتباره من قبل ابن فرحون في الديباج المذهب مالكي المذهب، وأرجع الدكتور الانصاري اسباب الميول الشيعية عند ابن سعيد الى انتائه الى عمار بن ياسر الذي كان شيعية لعلي بن أبي طالب، والى كونه قد ألف كتابا خاصا باسم «كنوز المطالب في آل أبي طالب» حيث ان هذا الكتاب لم يصل الينا ولكن الدكتور الانصاري يقول «لا شبهة في وجوده فقد رآه رحالة مغربي وهو الشريف محمد الحسيني التاجوري» ويستمر الدكتور الانصاري في حديثه ومناقشته لقضية تشيع ابن سعيد من خلال تأليفه للكتاب اعلاه قائلا «ولا يمكن الحكم على الغرض من الكتاب وعلى الطابع المميز له الا بعد الاطلاع عليه، الا ان الملاحظ ان ابن سعيد في ترجمته الطالب^٤ المذكور اظهر مكانته وكرمه، و اشار الى بعض كراماته، وذكر انه التقى به شخصا وتحدث شخصا ثم، أورد له ابياتا من ضمنها:

١- المغرب في حلى المغرب ج ٢ ص ١٦٢، نفح الطيب ج ٤ ص ٦٢، ادب التشيع في الاندلس ص ٣٩.

٢- التفاعل الثقافي بين المغرب والمشرق في آثار ابن سعيد المغربي ورحلاته المشرقية وتحولات عصره: محمد جابر الانصاري، ص ٧٢، دار الغرب الاسلامي بيروت، ط ١، ١٩٩٢.

٣- نفس المصدر ص ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤.

٤- الطالب المقصود هو أحد المنتسبين الى علي بن ابي طالب كان في المغرب في أيام ابن سعيد والتقى به وترجم له في كتابه المذكور.

ألسنا بنى بنت النبي وعمه وفي الذورة العليا من آل غالب
ليوث ولكن لا تصاد بحيلة سيوف ولكن لا تدين لضارب

والذي يلفت النظر في امر هذا الكتاب انه خارج عن نط مؤلفات ابن سعيد عامة، فهو ليس كتابا في الشعر والأدب وليس بكتاب جغرافي فما عساه ان يكون؟

أهو كتاب في شعر الطالبين وغرضه ادبي خالص، ام ان له غرضا يتعلق بميل مذهبي خالص؟ ان عنوانه على اى حال لا يشير الى الاحتمال الاول اذ يبدو انه كتاقي يترجم للطالبين، ويبين اخلاقهم ويذكر اخبارهم، وق يورد بعض اشعارهم ان وجدت كما في المثال السابق»^١

وكان ابن سعيد من الأندلسيين الذين رحلوا الى المغرب واستقروا فيه لمدة من الزمن.

١١٧ - جوهر الصقلي مولى المعز الفاطمي واحد قواده المقدمين، والذي تمّ على يده فتح مصر وبناء القاهرة وقد كان كاتبنا نقلنا فيما سبق بعضا من كتبه.

١١٨ - اسحاق بن المنهال واحد من الذين استقضاهم عبيد الله المهدي، وكان له أخوة ثلاثة احدهم اسمه قاسم بن المنهال.^٢

١١٩ - محمد بن أحمد الفاسي المعروف بابن السقيفي كان ثقة، وكان كاتبنا لاسحاق بن المنهال في ولايته الاولى على القضاء.^٣

١٢٠ - أبو علي بن أبي المنهال ابن اخ القاضي اسحاق كان عنده علم بمذهبه.^٤

١٢١ - عبدالله بن هارون الكوفي.^٥

١٢٢ - هشام بن العراقي كان رأيه رأى الكوفيين وكان يتكلم في مسائلهم.^٦

١٢٣ - أبو العباس أحمد بن عبدالله بن أحمد بن هاشم بن الحطيئة اللخمي الفاسي المولود

١- نفس المصدر.

٢- قضاء قرطبة وعلماء الاندلس ج ٣ ص ٢٤٨.

٣- نفس المصدر ص ٢٥٥.

٤- نفس المصدر ص ٢٥٣.

٥- نفس المصدر ص ٢٤٩.

٦- نفس المصدر ص ٢٤٦.

بفاس سنة ٤٧٨هـ^١ وكان قد تلقى العلم بها، ويعتبر من أشهر القراء في المغرب. وقد هاجر الى مصر مع اهله واستقر بها، حيث انه عرف بالصلاح والزهد وعفة النفس، كما كان ملماً بالادب، وقد عدّه المؤرخون اماماً في القراءات السبع، وقد اقام بجامع راشد في القاهرة^٢ وقد توفي بالقاهرة سنة ٥٦٠هـ.^٣

١٢٤ - ايوب بن ابراهيم احد شعراء الفاطميين ومن مدح القائم الفاطمي من خلفائهم بآيات منها:

يا ابن الامام المرتضى وابن الوصي الـ مصطفى وابن النبي المرسل
الله أعطاك الخلافة واهباً واراك للاسلام امنع معقل^٤
ولا نعرف هل ابن ابراهيم هذا هو النكوري الذي مدح الامراء الأدارسة، والذي قد ترجمنا له من قل، أو أنه غيره.

١٢٥ - يحيى بن محمد بن ادريس بن ادريس الحسني... في أيامه بنى جامع القرويين وتوفي بفاس.^٥

١٢٦ - منصور الكاتب الجوذري العزيزي أبو علي الكاتب، يعدّ من المؤرخين نسبته الى العزيز بالله العبيدى الفاطمي، وقد يكون صقلياً تولّى الكتابة للأستاذ جوذر الصقلي، وهما من المهديّة، واشتدت صلته حتى كان امينه ومستودع اسراره، ومات جوذر في طريقه الى مصر سنة ٣٦٢، فصنف منصور اخباره وادخل فيها كثيراً من الوثائق والنصوص «سيرة الأستاذ جوذر».^٦

١٢٧ - محمد بن عبدالله بن مسره أبو عبدالله متصوف متفلسف أندلسي من دعاة

١- الحياة الفكرية في مصر في العهد الفاطمي ص ٣٠٠.

٢- تاريخ الاسلام ج ٤ ص ٤٤٢ د. حسن ابراهيم حسن.

٣- وفيات الأعيان ج ١ ص ١٥١.

٤- انما الحنف ج ١ ص ٨٧.

٥- الأعلام ج ٨ ص ١٦٤.

٦- نفس المصدر ج ٧ ص ٣٩٠ ج ٦ ص ٢٢٣.



الاسماعيلية من أهل قرطبة^١ قال عنه محمد بن البهلى النيال «كان من عيون العبيدين في افريقية والأندلس». ^٢ وهذا ما دعانا الى ايراد ترجمته هنا ولو أنه اندلسي.

١٢٨ - محمد بن المنيب من شعراء الفاطميين أيام محتهم مع أبي يزيد الخارجي، وكان ممن هجا أبا يزيد، بقوله:

حل البلاء بمخلد	وجميع شيعته النواكر
امسى بارض كيانه	قد بان عنه كل ناصر
يرونو بطرف خاشع	نظر المحاصر للمحاصر
يرونو الى عدد الحصا	والرمل من تلك العساكر
يا مخلد بن شبيكة	يا شر بيت في العشائر
ذق ما جنته يداك قب	ل من الكبائر والصغائر
ذق هو شقك للبطو	ن وما ارتكبت من الجرائر ^٣

١٢٩ - أبو الفتح البيني (ت ٤١٥هـ) من أهل المغرب الذين هاجروا الى مصر واسمه منصور، وقد عاش في مصر اخريات القرن الرابع، ومدح رجالاتها ومن بينهم القاضي محمد بن النعمان:

فقل لأبي عبدالاله بأنني	سقيم الى الآسي شكاية دائه
وليس التشكي شيمتى غير انه	يفيض اناء زيد فوق امتلائه ^٤

١٣٠ - الكاسات وهو لقب للفقيه أبي محمد عبدالله بن أبي سعد احد شعراء الفاطميين في مصر، ومن المغاربة الذين هاجروا الى مصر. وقد ترجم له ابن سعيد.^٥

١٣١ - التجيبي اسماعيل بن أحمد بن زبادة البرقي^٦ من رجال القرن الخامس من أهل

١- نفس المصدر.

٢- مجلة الندوة - تونس عدد ابريل ١٩٥٣.

٣- مرحلة التشيع ص ٥٢ د. محمد طه الحاجري.

٤- الأدب في العصر الفاطمي - الشعر والشعراء ص ١١٨.

٥- الادب في العصر الفاطمي ص ٣٩.

٦- الأدب في العصر الفاطمي - الكتابة والكتاب ص ٥٠٥.

القيروان، وسكن المهديّة ويكنّى أبا طاهر أخذ عن أبي إسحاق الحصرى تآليفه، ذكره ابن الأبار وكان عاملاً بالادب مستبحراً شاعراً، مجوداً من أهل التأليف والتصنيف مع جودة في الضبط، رحل الى الأندلس، ثم صار الى مصر وكان بها سنة ٤١٥ هـ من الظاهر والحكام الفاطميين، وكان قد وفد اليه من الأندلس، له «الرائق بأزهار الحقائق» وكان نزوله اليها بالاسكندرية من مصر ومكث بها زمناً وحدث عن بعض علمائها وادبائها، وربما تردد على مصر أكثر من مرة.

وله ايضاً «شرح المختار من شعر بشار»^١.

١٣٢ - محمد بن حماد الصنهاجي ٦٢٨ هـ - ١٢٣٠ م العلامة المؤرخ والاديب المفلح أبو عبدالله محمد بن علي بن حماد بن عيسى ابن أبي بكر الصنهاجي، نشأ ببرج حمزة قرب البيورة من عمالة الجزائر، أخذ العلم أولاً بقلعة بني حماد، ثم على شيوخ بجاية، أمثال الشيخ أبو علي المسيري وغيره، ثم دخل الجزائر وتلمسان وغيرهما، وضلّ ينتقل في عواصم المغرب الاسلامي طالبا للعلم فبلغ عدد مقروئاته ٢٢٢ مؤلفاً.

فبرز رحمه الله في علوم اللغة والأدب والفقه والحديث والتاريخ وله مشاركة حسنة في فنون اخرى.

ولاه الموحدون قضاء المغرب والأندلس في عدة أماكن، وأنه كان على قضاء الجزائر الخضراء الى سنة ٦٢٨ هـ وقد نيّف على الثمانين، وله من التأليف كتاب أخبار ملوك بني عبيد الفاطميين - طبع بالجزائر ١٩٢٧ م، وكتاب النّبذ المحتاجة - والديباجة في أخبار صنهاجة اعتمد كثيراً ابن خلدون في تدوين تاريخ هذه القبيلة عليه وانتفع به كذلك جملة من المستشرقين، وكتاب عجالة المودع وعلاّة المتشيع في الأدب والشعر، وكتاب لخص به تاريخ ابن جرير الطبري، وشرح لمقصورة ابن دريد، وكتاب الأعلام بفوائد الاحكام، وله شعر كثير منه في رثاء قلعة بني حماد بعدما قضى الموحدون عليها سنة ٥٤٧ هـ:

ان العروسين لا رسمٌ ولا طللٌ فانظر تر ليس الآ السهل والجبل^٢

١- طبع هذا الكتاب بعناية السيد محمد بدر الدين بمطبعة لجنة التأليف بالقاهرة سنة ١٩٣٤.

٢- راجع عنه: تاريخ الجزائر العام ج ٢ ص ٣٣٣ - ٣٣٤.



١٣٣- الملزوزي أول ادباء العهد المريني (ت ٦٩٧هـ) وكان معاصرا لمالك بن المرحل، وهو صاحب الارجوزة التي ارخ فيها الأنباء والملوك من أول الدنيا الى ان يصل الى بني مرين، والتي تكشف عن تشيعه.

١٣٤- أبو القاسم بن الفقيه أبي العباس العزفي صاحب المولديات النبوية وهو من اصدقاء ابن المرحل، وعلى ما يظهر من عبارات المؤرخين ان عائلة العزفي من العوائل الشيعية ولابي القاسم:

ذرية المصطفى دين احبكم وحبكم واجب في الدين مفترض
١٣٥- سليمان بن جعفر بن فلاح الكتامي، مرّت علينا ترجمة ابيه، ولسلمان في مدح العزيز الفاطمي شعر منه:

فلأثرنّ فرائد الدهر التي من حقّها في وصفه أن تنثرا^١

الملحق رقم ٢



حكّام وخلفاء التشيع
في الشمال الإفريقي

أئمة الدولة الادريسية وخلفاؤها

١٧٢هـ - ٧٨٩م.	ادريس الأول بن عبدالله الكامل (٤ رمضان - ٥ فيفري)
١٧٧هـ - ٧٩٣م.	ادريس الثاني بن ادريس الأول (فاتح جمادى الثانية - ١٣ سبتمبر)
٢١٣هـ - ٨٢٨م.	محمد بن ادريس الثاني (ربيع الأول - ماي)
٢٢١هـ - ٨٣٦م.	علي الأول بن محمد (ربيع الثاني - مارس)
٢٣٤هـ - ٨٤٩م.	يحيى الأول بن محمد (رجب - جانفي)
» »	يحيى الثاني بن يحيى الأول
» »	علي الثاني بن عمر
» »	يحيى الثالث بن القاسم
٢٩٢هـ - ٩٠٤م.	يحيى الرابع بن ادريس
٣١٠هـ - ٩٢٢م.	الحسن بن محمد بن القاسم الحجام
	موسى بن أبي العافية (مغتصب)
	القاسم كنون بن ابراهيم بن محمد
٣٣٧هـ - ٩٤٨م.	ابو العيش أحمد بن كنون
٣٤٣هـ - ٩٥٤م.	الحسن بن كنون
	نقلا عن تاريخ الجزائر العام ج ١ ص ٢٥٩.



الخلفاء العبيديون بالمغرب

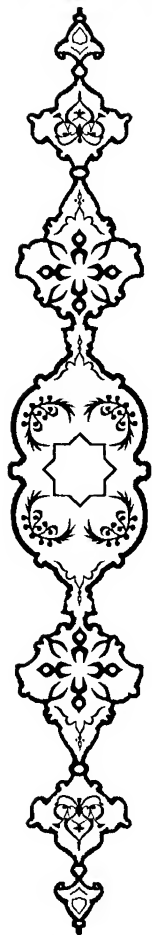
- عبيد الله المهدي
 أبو القاسم محمد بن عبيد الله (القائم بأمر الله)
 الطاهر اسماعيل المنصور بن القائم
 أبو تميم معد المعز لدين الله بن المنصور
 ٢٩٧هـ = ٩٠٩م.
 ٣٢٢هـ = ٩٣٣م.
 ٣٣٤هـ = ٩٤٥م.
 ٣٤١هـ = ٩٥٢م.
 نقلا عن تاريخ الجزائر العام ج ١، ٢٦٣. (لم نغير العنوان الذي ذكره المؤلف لأسماء هذه السلالة، حيث أن المصادر ذكرتهم مرة باسم الفاطميين ومرة باسم العبيدين.

امراء الدولة الزييرية - الصنهاجية

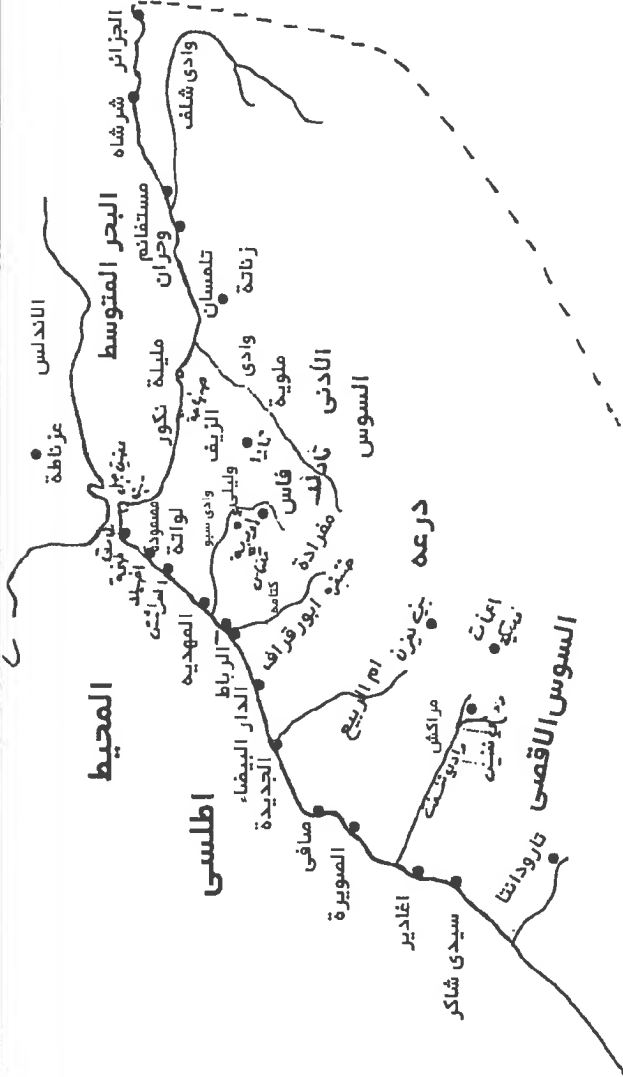
- بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي
 أبو الفتح المنصور بن بلكين
 أبو مناد باديس بن المنصور
 المعز بن باديس
 ٣٦١هـ = ٩٧١م.
 ٣٧٣هـ = ٩٨٤م.
 ٣٨٦هـ = ٩٩٦م.
 ٤٠٦هـ = ١٠١٦م.
 توفي المعز سنة ٤٥٤هـ - ١٦٣م ودفن حين مدفن آبائه برباط المنستير - تونس.^١

علما بأننا لم نذكر من حكام الموحدين حيث محمد بن تومرت وعبد المؤمن بن علي، وكذلك لم نذكر من حكام الحفصيين والمرينيين، وقد مرّت علينا أسماءهم اثناء البحث وتواريخ توليتهم.

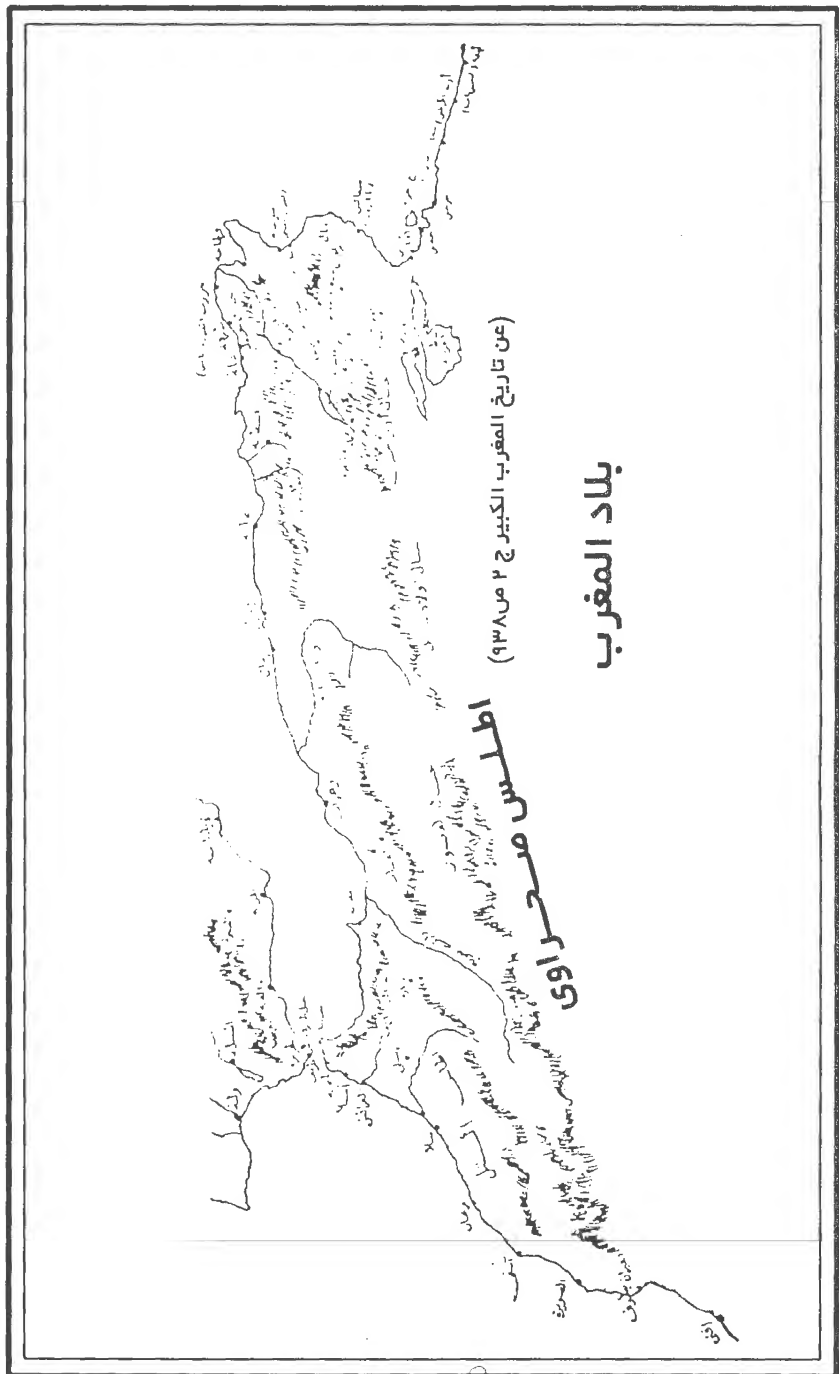
الملحق رقم ٣

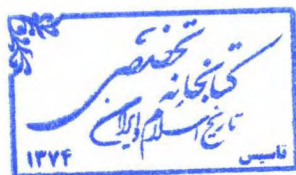


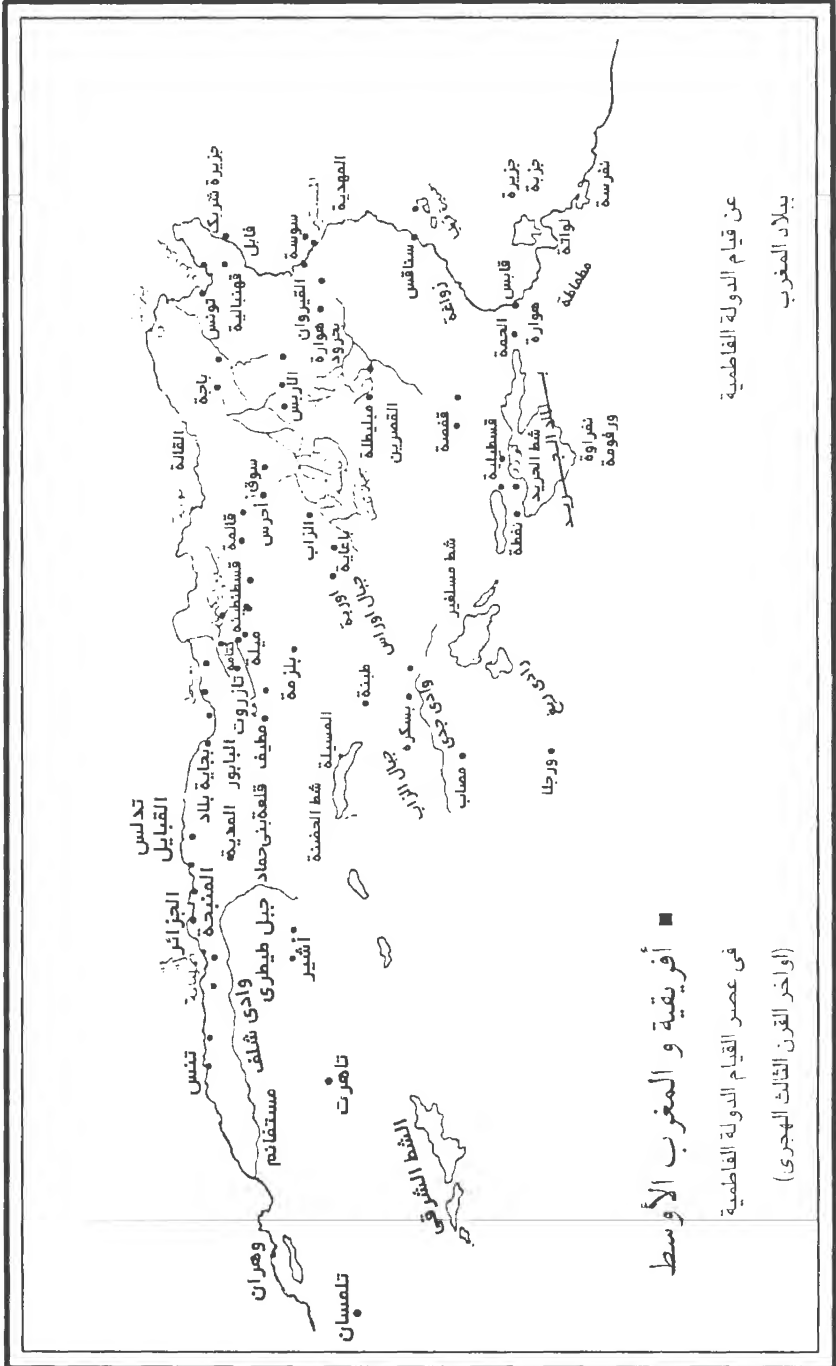
الخرائط



دولة الادارسة في عهد ادريس الثاني
عن دولة الادارسة في المغرب







الخاتمة

ملأ الشيعة الدنيا أدبا، وقد سجّلت ذلك لهم المصادر المختصة بالأدب العربي وتاريخه، ولكن الذي يجب أن نثبتته هنا هو أن هذا الأدب قد أصيب بالضياح أو التضيق، ولكنه ما بين هذا وذاك ملأ ما بين الخافقين وأضاف للأدب العربي رصيدا جمّا، يمتاز بالروعة والحيازة على كل شروط الأدب الناجح الفذ.

وكل ما يسجل لأدب التشيع بعنوانه العام، ينساق بدوره لأدب التشيع في الشمال الإفريقي الذي خصصنا دراستنا هذه له من أول يوم وطأت أقدام العرب المسلمين أرض المغرب العربي حتى نهاية القرن الثامن الهجري.

ورأينا أن نعرف القارئ الكريم على جغرافية ذلك الشمال الذي يرادفه اسم المغرب العربي، وكيف وصل العرب المسلمون أرض الشمال الإفريقي، ثم ما كان عليه المغرب العربي من لغات، وسكان، وديانات، وكيف تعرّب ذلك الشمال بعد أن كانت غالبية العظمى من البربر ذوي اللغة البربرية الخاصة بهم، ثم عرضنا لتاريخ التشيع في هذا الشمال المراد دراسة الأدب الشيعي فيه، وعندها أوضحنا أن الحسن والحسين ابني رسول الله ﷺ من أئمة أهل البيت الذين وطأت أقدامهم أرض المغرب العربي مع جيش الفتوح الاسلامي، الذي ضمّ الشيعة الأوائل

في التاريخ، أبو ذر الغفاري، عمار بن ياسر، المقداد بن أسود الكندي، وعبدالله بن عباس، وغيرهم. ثم أبنا الأهتمام الذي أولاه أئمة أهل البيت للشمال الإفريقي خاصة ما جاء من الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بارساله أخلص أصحابه للتبليغ الشيعي في ذلك الصقع الاسلامي، فانتشر التشيع هناك واشتدّ ساعده، حتى أصبح الشمال الإفريقي مركز اشعاع لا يصال التشيع الى البلدان المجاورة له، بعد أن كان يستقبل الفارّين من العلويين من ظلم الأمويين والعباسيين الى أن مكّنهم أهلهم من تأسيس دول شيعية استطاع اصحابها من بناء مراكز للثقافة والعلوم والفنون رفدت الفكر والفن منذ تأسيسها، وجميعها قائم الى أيامنا المعاصرة ولا زال يواصل أداء دوره الثقافي والعلمي، وكما عرضنا لما عليه التشيع في المغرب العربي من عقائد وشعائر، وما له من خصائص، وما كان بينه وبين المذاهب الاخرى التي كانت تعيش هناك.

وقد أملى علينا هذا الاسلوب في البحث، اعتقادنا بأن منهج البحث الأفضل، هو المنهج التاريخي، وذلك لما حظي به من تأييد ومن قبل أكبر الباحثين والمؤلفين.

بعدها أوضحنا حال الأدب العربي في المغرب، أولياته، وسطيته بين المشرق والأندلس، اتجاهاته، تقدمه وازدهاره، خصائصه، وذلك للتأثير المتبادل بينه وبين الأدب الشيعي المغربي الذي هو شعبة منه، ثم أوضحنا بأن الأدب الشيعي هو أول أدب عربي انتج هناك، وباعتراف جمع من الباحثين.

هذا، وقد قمنا بتقسيم الأدب الشيعي في الشمال الإفريقي الى عصور ادبية حسب التسلسل التاريخي والوجودات السياسية الشيعية، الادريسي، الموحيدي، الحفصي، المريني، موضحين خصائص كل عصر مشيرين الى أبرز أدبائه. وخلال البحث تبين لنا أن زعماء التشيع وقاده في المغرب من أبرز الأدباء هناك، وهذا ما دعانا الى تعيين فصل خاص تحت هذا العنوان تناولنا فيه أبرز الأدباء من قادة التشيع في الشمال الإفريقي.

ومن ثم درسنا الشعر الشيعي وأغراضه، ولم نلزم بحثنا بالأغراض العقيدية والمبدئية فقط، مع اعطائها من جانبنا في البحث الأهمية اللازمة والمناسبة لها. وقد أشرنا الى أهم الجوانب الفكرية والفنية في الشعر الشيعي المغربي.

وبعد دراسة الشعر أقدمنا على دراسة النثر، والذي كان بدوره فاتحة الأدب العربي



والشيعة في الشمال الإفريقي، وقد تناولنا أنواعه الفنية وغير الفنية مع الإشارة الى خدمته للفكر الشيعة بما تضمنه من عقائد الشيعة، وما كان عليه من مستوى فني رفيع.

وقد ختمنا دراستنا هذه، بتبيان الخصائص العامة لأدب التشيع في الشمال الإفريقي والتي كانت تتمثل بغلبة الروح السياسية والدينية، واحتوائه على الصدق والعاطفة الجياشة، الى اعتزازه بتقليد المشاركة الذي اعتبره المغاربة - حتى غير المتشيعين - دليلا على القوة والأصالة، هذا مع أننا أشرنا الى احتفاظ الشعر الشيعة بالقوة الفنية مع كل الظروف التي مرّ بها الشمال الإفريقي والتي جعلته يأتي متأخرا بانتاج الأدب العربي من الناحية التاريخية.

ولا يفوتنا أن نقول بأن معاناتنا كانت كبيرة، وذلك لقلّة المصادر، ولما حمله أكثر المؤلفين من شتات للتشيع وأهله وهذا ما دعاهم الى اهمال كل ما يتعلّق به بل والتحامل عليه وخاصة الأدب، والذي يؤسف له أن هذا قد كان من قبل أكثر الباحثين القدامى وبعض المعاصرين، ولكن مع كل هذا نقول أخيرا بأننا وجدنا أدبا شيعيا ركيزا قويا بكل معنى القوة والركازة في الشمال الإفريقي، وكان التشيع قد استحوذ على أعظم وأكابر ادباء الشمال الإفريقي.

مصادر البحث

- القرآن الكريم
- نهج البلاغة - الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) جمعه الشريف الرضي. ترتيب صبحي الصالح.
- ١ - آل كاشف الغطاء الشيخ محمد الحسين - الشيعة اصلها واصولها - تحقيق علاء آل جعفر - مؤسسة الامام علي - قم - ١٤١٥ هـ.
- ٢ - ابراهيم بن جلال المعز لدين الله الفاطمي.
- ٣ - ابن الابار ابو عبدالله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي
- تحفة القادم - أعاد بناءه وعلّق عليه د. احسان عباس - دار الغرب الاسلامي ط ١٤٠٦ - ١٩٨٦.
- الحلة السيرة - تحقيق د. حسين مؤنس - الشركة العربية للطباعة والنشر - القاهرة - وكذلك النسخة التي حققها د. عبدالله أنيس الطباع وقَدّم لها عبدالله كنون - دار النشر لجامعيين - بيروت ١٨٣١ - ١٩٦٢.
- درر السمط في خبر السبط - تحقيق - د. عبدالسلام الهراس - سعيد احمد عزّاب - تطوان ١٩٧٢.
- ٤ - ابن ابي دينار - المؤنس في اخبار افريقيا وتونس - تونس ط ١٣٥٠.
- ٥ - ابن ابي زرع - روض القرطاس.
- ٦ - ابن الاثير - الكامل في التاريخ - دار احياء التراث العربي - بيروت - ١٩٨٩.
- ٧ - ابن الاحمر ابو الوليد اسماعيل بن يوسف بن محمد (٨٠٧ هـ)
- ٨ - اعلام المغرب والاندلس - تحقيق - د. محمد رضوان الداية - مؤسسة الرسالة - بيروت.

- روضة النسرين - مطبوعات القصر الملكي - الرباط ١٣٨٢ - ١٩٦٢.
- نشر فرائد الجمان في نظم فحول الزمان - تحقيق - د. محمد رضوان الداية - دار الثقافة ١٩٦٧.
- ٩- ابن بسم أبو الحسن علي - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة - تحقيق د. احسان عباس - دار الثقافة - بيروت ١٣٩٢ - ١٩٧٩.
- ١٠- ابن تاويت محمد - الوافي بالادب العربي في المغرب الاقصى - دار الثقافة - شارع فيكتور هيكو - الدار البيضاء ط ١٤٠٤ - ١٩٨٤.
- ١١- ابن تغري بردي الانابكي جمال الدين ابو المحاسن يوسف - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - وزارة الثقافة والارشاد القومي - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
- ١٢- ابن تومرت محمد - اعز ما يطلب - تقديم وتحقيق - عماد الطالبي - نشر المؤسسة الوطنية للكتاب - بالجزائر ١٩٨٥.
- ١٣- ابن الحاج الغرناطي النميري أبو اسحاق ابراهيم بن عبدالله - فيض العباب واجالة أقداح الآداب في الحركة الى قسنطينة والزاب.
- ١٤- ابن حوقل النصيبي - صورة الارض - دار الحياة - بيروت.
- ١٥- ابن خاقان الاندلسي الفتح - مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح اهل الاندلس - تحقيق - شوكة بهنام - دار الغصون - بيروت ط ١٤٠٩ - ١٩٨٩.
- ١٦- ابن الخطيب الوزير لسان الدين
- الاحاطة في اخبار غرناطة - تحقيق - محمد عبدالله عنان - دار المعارف بمصر - ط ١٩٥٥.
- أعلام الاعلام فيمن بوع قبل الاحتلال من ملوك الاسلام - نشره ليفي بروفنسال - بيروت ١٩٥٦.
- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب - نشر وتعليق د. احمد مختار العبادي - مراجعة د. عبدالعزيز الأهواني - دار الشؤون الثقافية العامة - (آفاق عربية بغداد دار النشر المغربية).
- ١٧- ابن خلدون عبدالرحمن - ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر - دار الفكر - بيروت ١٤٠٨ - ١٩٨٨ - ونسخة مؤسسة الاعلمي - بيروت ١٩٧١.
- ١٨- ابن خلكان ابو العباس شمس الدين احمد بن ابي بكر - وفيات الأعيان وانباء الزمان - تحقيق د. احسان عباس دار صادر بيروت.
- ١٩- ابن رشيق المقرئاني ابو علي الحسن
- نموذج الزمان في شعراء القيروان - تحقيق - محمد العروسي - بشير البكوش - دار الغرب الاسلامي - بيروت ط ١٤١١ - ١٩٩١.
- العملة في محاسن الشعر وآدابه ونقده - دار المعارف - القاهرة ١٩٧٩.
- ابن سعيد الاندلسي المغربي القرن الثامن على بن موسى محمد بن عبدالملك - دار المغرب في حلى المغرب - دار الكتب العلمية.

- ٢٠- ابن شرف القيرواني - رسائل الانتقاد - تحقيق حسن حسني عبدالوهاب - طبعة دمشق.
- ٢١- ابن صاحب الصلاة عبدالملك - المن بالامامة تاريخ بلاد المغرب والاندلس في عهد الموحدين - تحقيق د. عبدالهادي التازي - دار الغرب الاسلامي - بيروت - ط ١٩٨٧٣.
- ٢٢- ابن طباطبا - تاريخ الدولة الاسلامية.
- ٢٣- ابن عذاري - البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب - تاريخ افريقية والمغرب من الفتح الى القرن الرابع الهجري - تحقيق ومراجعة ج-س-كولان وإلفي بروفنسال - دار الثقافة بيروت.
- ٢٤- ابن العماد الحنبلي - شذرات الذهب في أخبار من ذهب - أشرف على تحقيقه وأخرج احاديثه - عبدالقادر الارناؤوط - حققه وعلّق عليه محمود الارناؤوط - دار ابن كثير - دمشق - بيروت ط ١٩٦٨١.
- ٢٥- ابن فرحون ابراهيم بن علي بن محمد - الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب - مصر ١٣٢٩.
- ٢٦- ابن الفرضي - تاريخ علماء الاندلس ق ١.
- ٢٧- ابن القاضي المكناسي احمد - جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس - القسم الاول - دار المنصور للطباعة الرباط ١٩٧٣.
- ٢٨- ابن القطان المراكشي الكتامي ابو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبدالملك «منتصف القرن السابع الهجري» نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان - تحقيق د. محمد علي مكّي - دار الغرب الاسلامي بيروت ط ١٩٩٠.
- ٢٩- ابن مراد ابراهيم - مختارات من الشعر المغربي والاندلسي لم يسبق نشرها - دار الغرب الاسلامي - بيروت ط ١٩٨٦١.
- ٣٠- ابن مرزوق - المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن.
- ٣١- ابن منصور عبدالوهاب - قبائل المغرب - المطبعة الملكية - الرباط.
- ٣٢- ابو خليل شوقي
- سقوط غرناطة - دار الفكر - بيروت ط ١٩٨١٢.
 - وادي المخازن - دار الفكر - بيروت ط ١٩٨٨١.
- ٣٣- ابو شريفة محمد - ابو تمام وابو الطيب في ادب المغاربة - دار الغرب الاسلامي - بيروت ١٩٨٦.
- ٣٤- ابن شهر آشوب المازندراني محمد بن علي - معالم العلماء - المطبعة الحيدرية - النجف الاشرف - ١٣٨٠-١٩٦١.
- ٣٥- ابو الفداء عماد الدين اسماعيل - مختصر تاريخ البشر - مكتبة المتنبّي القاهرة
- ٣٦- احمد احمد عبدالرزاق - تاريخ مصر وأثارها الاسلامية - دار الفكر العربي - القاهرة - ١٩٦٣.
- ٣٧- احمد علي - القضاء في المغرب والاندلس خلال العصور الوسطى - دار احسان - دمشق - ط ١٤١٤-١٩٩٣.
- ٣٨- ادريس الهادي روجي - الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري - نقله الى العربية - حمادي الساحلي دار الغرب الاسلامي - بيروت ط ١٩٩٢١.



- ٣٩- اسماعيل محمود - الادارة في المغرب الأقصى - حقائق جديدة - مكتبة الفلاح - الكويت ط ١٩٩١.
- ٤٠- الاصفهاني ابو الفرج - مقاتل الطالبين - شرح وتحقيق - السيد احمد صفر - منشورات الشريف الرضي.
- ٤١- الاصفهاني الكاتب العماد - خريدة القصر وجريدة العصر - قسم شعراء المغرب والاندلس - تحقيق محمد المرزوقي - محمد العروسي المطوي - الجيلالي بن الحاج يحيى - النشرة الثانية - الدار التونسية للنشر ١٩٧٣.
- ٤٢- الاعظمي محمد حسن - عبقرية الفاطميين - دار مكتبة الحياة بدون تاريخ.
- ٤٣- الامين حسن
- دائرة المعارف الشيعية - طبعة ١٤١٠ - ١٩٩٠.
- دولة الموحدين الاسلامية - دار الزهراء - بيروت ١٤٠٦ - ١٩٨٦.
- قيم خالدة في التاريخ والادب - دار التراث الاسلامي - ١٩٧٤.
- ٤٤- الامين محسن - أعيان الشيعة - دار التعارف للمطبوعات بيروت.
- ٤٥- الاميني محمد هادي - عيد الغدير في عهد الفاطميين - مؤسسة الآفاق طهران - ط ١٩٧٧.
- ٤٦- الانصاري محمد جابر - التفاعل الثقافي بين المغرب والمشرق في آثار ابن سعيد المغربي ورحلاته المشرقية وتحولات عصره - دار الغرب الاسلامي بيروت ط ١٩٩٢.
- ٤٧- الاوسي حكمة على - الادب الاندلسي في عصر الموحدين - مكتبة الخانجي القاهرة - ساعدت جامعة بغداد على نشره تسلسل التعضيد «١٥» لسنة (١٩٧٦/٧٥).
- ٤٨- البديعي يوسف - الصبح المنبي عن حيشة المتنبى - تحقيق - مصطفى السقا - محمد شتا - دار المعارف - ط ٢ القاهرة.
- ٤٩- برنشفيك روبر - تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن ١٣م الى نهاية القرن ١٥م - نقله الى العربية حمادي الساحلي - دار الغرب الاسلامي - بيروت ١٩٨٨.
- ٥٠- البستاني فؤاد أفرام - المجاني الحديثة عن مجاني الأبشيخو - دار المشرق - المطبعة الكاثوليكية - منشورات الآداب المشرقية - بيروت ١٩٢٨.
- ٥١- البكري ابو عبيد الله - المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب - وهو جزء من كتاب المسالك والممالك - مكتبة المثنى بغداد.
- ٥٢- تامر الدكتور عارف
- تميم الفاطمي مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر - بيروت ١٤٠٢ - ١٩٨٢.
- مراجعات اسماعيلية - دار الاضواء - بيروت ط ١٤١٥ - ١٩٩٤.
- ٥٣- التجيبي المرسى ابو البحر صفوان بن ادريس - زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر - دار الرائد العربي - بيروت ١٩٨٠.
- ٥٤- الترغيز سامح - الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية - ترجمة محمود علي عامر - دار النهضة العربية - بيروت ط ١٤٠٩ - ١٩٨٩.

- ٥٥- الترماني عبد السلام - أحداث التاريخ - الاسلامي بترتيب السنين - دمشق ط ١٩٨٨٢.
- ٥٦- الثعالبي عبدالعزيز (ولادته ٨٧٦هـ) تاريخ شمال افريقيا من الفتح الاسلامي الى نهاية الدولة الاغلبية - جمع وتحقيق د. احمد بن ميلاد، محمد ادريس - تقديم ومراجعة حمادي الساحلي - دار الغرب الاسلامي - بيروت ط ١٤١٠ - ١٩٩٠.
- ٥٧- الثعالبي النيسابوري ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة القاهرة ط ١٩٥٢.
- ٥٨- الجاحظ عمرو بن بحر - تحقيق - محمد طه الحاجري - دار النهضة العربية - بيروت ١٩٨٣.
- ٥٩- جاد الرب ابراهيم الدسوقي - شعر المغرب حتى خلافة المعز - تقديم د. عبدالعزيز الاهواني - دار الثقافة - القاهرة - ١٩٧٣.
- ٦٠- جبور جبرائيل - الملوك الشعراء - دار الآفاق الجديدة - ط ١٤٠١ - ١٩٨١.
- ٦١- الجرجاري عباس - الامير الشاعر ابو الربيع سليمان الموحدي عصره وحياته وشعره - دار الثقافة - الدار البيضاء المغرب ط ١٣٩٤ - ١٩٧٤.
- ٦٢- الجزنائي ابو الحسن علي - جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس - نشره الفريد بيل - الجزائر - ١٩٢٢.
- ٦٣- جوليان اندرية شارل - تاريخ افريقيا الشمالية تعريب - محمد المزالي، البشير بن سلامة - الدار التونسية تونس ط ١٩٦٩.
- ٦٤- الجيلالي عبدالرحمن محمد - تاريخ الجزائر العام - دار الثقافة - بيروت ١٩٨٣ - وطبعة مكتبة الشركة الجزائرية - الجزائر - دار مكتبة الحياة - بيروت ١٣٨٤ - ١٩٦٥.
- ٦٥- الحاجري الدكتور محمد طه
- دراسات وصور من تاريخ الحياة الادبية في المغرب العربي - دار النهضة لطباعة والنشر - بيروت ص ب - ٢٤٩ ط ١٤٠٣ - ١٩٨٣.
- مرحلة التشيع في المغرب واثرها على الحياة الادبية - دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ط ١٤٠٣ - ١٩٨٣.
- الحريري محمد عيسى - الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي - حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والاندلس - دار القلم - الكويت ط ١٩٨٧٣.
- ٦٦- الحديني خديجة - المدارس النحوية - مطبعة جامعة بغداد - ط ١٤١٠٢ - ١٩٩٠.
- ٦٧- حسن ابراهيم حسن - تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي - مكتبة النهضة المصرية - ط ١٩٦٧١.
- ٦٨- حسن ابراهيم حسن و شرف طه - عبيد الله المهدي امام الشيعة الاسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب - القاهرة ١٩٤٧.
- ٦٩- علي ابراهيم - مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي الى الفتح العثماني - مطبعة السعادة بمصر - ط ٥.

- ٧٠- الحسني - الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية.
- ٧١- حسين محمد عبدالغنى - مصر الشاعر في العصر الفاطمي - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٨٣.
- ٧٢- حسين محمد كامل - في ادب مصر الفاطمية - دار الفكر الادبي - دار الحمامي للطباعة.
- ٧٤- حقي احسان - المغرب العربي - دار النهضة العربية - بيروت - بدون تاريخ.
- ٧٥- الحلبي - الدر النفيس.
- ٧٦- الحلو السيد محمد علي - ادب المحنة - أو شعراء المحسن بن علي - مؤسسة دار الكتاب الجزائري للطباعة والنشر قم - ايران.
- ٧٧- حمادة الدكتور محمد ماهر
- دراسة وثيقة للتاريخ الاسلامي ومصادره من عهد بنى امية حتى الفتح العثماني لسورية ومصر - مؤسسة الرسالة - بيروت ط ١٤٠٨ - ١٩٨٨.
 - الوثائق السياسية والادارية في الاندلس وشمال افريقيا - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ١٤٠٠ - ١٩٨٠.
- ٧٨- الحمد عادلة علي - قيام الدولة الفاطمية ببلاد المغرب دار المستقبل بالفعالة القاهرة - ١٩٨٠.
- ٧٩- الحموي ياقوت
- معجم الادباء - دار الفكر - بيروت.
 - معجم البلدان - دار الفكر - بيروت.
- ٨٠- الحميدى محمد بن ابي نصر - جذوة المقتبس - تحقيق - ابراهيم الابياري - دار الكتاب اللبناني المكتبة المدرسية - بيروت ط ١٩٨٣.
- ٨١- الحميري محمد بن عبدالمنعم - الروض المعطار في خبر الاقطار - تحقيق د. احسان عباس - مؤسسة ناصر للثقافة ط ٢ ١٩٨٠.
- ٨٢- الخربوطلي على حسيني - عماد الدين الداعي والمؤرخ الفاطمي.
- ٨٣- الخشنى ابو عبدالله محمد بن حارث بن اسد - قضاة قرطبة وعلماء افريقية - تحقيق عزت العطار الحسيني - مكتبة الخانجي - القاهرة ط ١٤١٥ - ١٩٩٤.
- ٨٤- خطاب محمد شيت - قادة فتح بلاد المغرب - دار الفكر - بيروت ط ١٩٨٤.
- ٨٥- خفاجي محمد عبدالمنعم - الادب الاندلسي التطور والتجديد - دار الجبل - طبع بيروت ١٤١٢ - ١٩٩٢.
- ٨٦- خلدون بشير - الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي - الحركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر ١٩٨١.
- ٨٧- خلف الله ابتسام مرعي - العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الاسلامي - دار المعارف ١٩٨٥.



٨٩- دائرة المعارف الاسلامية.

- ٩٠- الدباغ الانصاري الاسيدي ابو زيد عبدالرحمن بن محمد (٦٠٥-٦٩٦) معالم الايمان في معرفة اهل القيروان - اكمله ابو الفضل ابو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي - ابراهيم ابو الفضل ابو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي - ابراهيم شيوخ - مكتبة الخانجي مصر - ط ١٣٨٨٢ - ١٩٦٨.
- ٩١- دبوذ محمد علي - تاريخ المغرب الكبير - دار احياء الكتب العربية ١٩٦٣.
- ٩١- الدجيلي عبدالصاحب عمران - اعلام العرب في العلوم والفنون - مطبعة النعمان - النجف الأشرف ١٣٨٦ - ١٩٦٦.
- ٩٢- الدرقاش الدكتور الهادي - أبو عبدالله بن أبي زيد القيرواني - حياته وآثاره وكتاب النوادر والزيارات - دار قتيبة - بيروت ط ١٤٠٩١ - ١٩٨٩.
- ٩٣- الدوري تقي الدين عارف - صقلية وعلاقتها بدول البحر المتوسط الاسلامية من الفتح العربي حتى الغزو النورمدي - دار الرشيد - منشورات وزارة الثقافة والأعلام الجمهورية العراقية - ١٩٨٠.
- ٩٤- رزوق محمد - الاندلسيون وهجراتهم الى المغرب خلال القرنين ١٦ - ١٧ - افريقيا الشرق. ط ٣ ١٩٩٨.
- ٩٥- الزاوي الطاهر احمد - تاريخ الفتح العربي في ليبيا - دار التراث العربي - ليبيا ط ٣.
- ٩٦- الزبيدي ابو بكر محمد بن الحسن - طبقات النحويين واللغويين - مصر ١٩٤٠.
- ٩٧- الزركش - تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية - تونس ١٢٨٩هـ. الزركلي خير الدين - الاعلام - دار العلم للملايين بيروت ط ١٩٨٦٧.
- ٩٨- زينب نجيب - دولة التشيع في بلاد المغرب - دار الامير للثقافة والعلوم - بيروت ط ١٤١٣١.
- ٩٩- سالم السيد عبدالعزيز
- تاريخ المغرب في العصر الاسلامي مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية.
 - تاريخ المغرب الكبير ج ٢ - دار النهضة العربية - بيروت.
- ١٠٠- سالم سحر السيد عبدالعزيز - مدينة الرباط في التاريخ الاسلامي - منذ نشأتها حتى نهاية عصر بني مرين - مؤسسة شباب الجامعة ١٩٩٦.
- ١٠١- السبتي الانصاري محمد بن القاسم - اختصار الاخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار - تحقيق عبدالوهاب بن منصور - المطبعة الملكية - الرباط ١٣٨٩ - ١٩٦٩.
- ١٠٢- الميرالاي اسماعيل - تاريخ دول المغرب - تقديم حسن الراين - دار الفكر الحديث - بيروت ١٤٠٨ - ١٩٨٨.
- ١٠٣- السراج الوزير محمد بن محمد الاندلسي (ت ١١٤٩) الحلل السندسية في الاخبار التونسية - تقديم وتحقيق - محمد حبيب الهيلة - الدار التونسية ١٩٧٠.
- ١٠٤- السعيد محمد مجيد - الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالاندلس - منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية - دار الرشيد ١٩٨٠.



- ١٠٥ - سلام محمد زغلول - الادب في العصر الفاطمي ج ١ الكتابة والكتاب، ج ٢ الشعر والشعراء - منشأة المعارف - الاسكندرية.
- ١٠٦ - السلاوي الناصري ابو العباس احمد بن خالد
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى - دار الكتاب - الدار البيضاء ١٩٥٤.
 - عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية - المطبعة الثعالبية - الجزائر ط ١٣٢٨ - ١٩١٠.
- ١٠٧ - سماكة باقر - التجديد في الادب الاندلسي مطبعة الأيمان - ط ١ بغداد ١٩٧١.
- ١٠٨ - السماوي محمد - الطليعة من شعراء الشيعة - تحقيق كامل سلمان الجبوري - دار المؤرخ العربي - لبنان - ط ١٤٢٢ - ٢٠٠١.
- ١٠٩ - السهمودي الشيخ علي بن عبدالله الحسني - جواهر العقدين في فضل الشرفين العلم الجلي والنسب العلى - تحقيق د. موسى بناي العليلى - منشورات وزارة الأوقاف العراقية - مطبعة العاني بغداد - ١٤١٧ - ١٩٨٧.
- ١١٠ - السيوطي - تاريخ الخلفاء.
- ١١١ - شبر جواد - أدب الطف - أو شعراء الحسين - من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر - دار المرتضى - بيروت ط ١٤٠٩ - ١٩٨٨.
- ١١٢ - الشبستري عبدالحسين - مشاهير شعراء الشيعة - المكتبة الأدبية المختصة - قم ط ١٤٢١ - ١٩٥٥.
- ١١٣ - شلبي الدكتور احمد - موسوعة التاريخ الاسلامي - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ط ١٠ ١٩٥٥.
- ١١٤ - شلبي - هند - القراءات بافريقية من الفتح الى منتصف القرن الخامس - الدار العربية للكتاب - ١٩٨٣.
- ١١٥ - الشهرستاني ابو الفتح محمد بن عبدالكريم - الملل والنحل - تحقيق - عبد الحميد حاجيات - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- ١١٦ - الصدر حسن - تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام - دار الرائد العربي - بيروت ١٤٠١ - ١٩٨١.
- ١١٧ - الصرفي رزق الله منقر يوس - تاريخ دول الاسلام - الدار العالمية للطباعة والنشر - طبع بمطابع الهلال مصر - الفجالة ط ١٩٨٦.
- ١١٨ - الصفدي صلاح الدين خليل أيبك - الوافي بالوفيات - باعثناء ديرديغ شتايز بيسبادن - ط ٢ دار النشر فرانز ١٣٩٤ - ١٩٧٤.
- ١١٩ - الصلابي علي محمد محمد - دولة الموحدين - دار البيارق - عمان - رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية - ٢٩٢ - ١٩٩٨/٣.
- ١٢٠ - الصنعاني الحسين يوسف بن يحيى - نسمة السحر بذكر من تشيع وشعر - تحقيق كامل سلمان الجبوري - دار المؤرخ العربي - بيروت - ١٩٩٩.



١٢١- الصنهاجي البيذق ابو بكر.

● اخبار المهدي وابتداء دولة الموحدين - باعثناء ليفي بروفنسال - باريس ١٩٦٤.

● المقتبس من كتاب الانساب في معرفة الأصحاب - الرباط ١٩٧١.

١٢٢- ضيف شوقي

● تاريخ الادب العربي - عصر الدول والأمارات - ليبيا - تونس - صقلية. دار المعارف - القاهرة.

● من المشرق والمغرب - «بحوث ادبية» الدار المصرية اللبنانية - طبع دار نوبار للطباعة - شبرا ط ١٤١٩ - ١٩٩٨.

١٢٣- الطالب محمد - الدولة الاغلبية - التاريخ السياسي - تعريب - المنجي الصيادي - مراجعة حمادي

الساحلي.

١٢٤- الطاهري عبدالله ناصر - تاريخ سياسي اجتماعي شمال افريقيا - از آغاز تا ظهور عثمانية - سازمان

وچاب وانتشارات وزارت فرهنگ وارشاد اسلامي «باللغة الفارسية».

١٢٥- طه عبدالواحد ذنون - الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في الشمال الإفريقي والانندلس - دار

الرشيد - منشورات وزارة الثقافة والاعلام - الجمهورية العراقية ١٩٨٢.

١٢٦- الطبري ابن جرير ابو جعفر محمد - تاريخ الطبري «تاريخ الامم والملوك» - منشورات مؤسسة الاعلامي

للمطبوعات - ط ٥ - بيروت - ١٤٠٩ - ١٩٨٩ - قوبلت هذه الطبعة مع نسخة «بريل» بمدينة ليدن ١٨٧٩م.

١٢٧- الطيار رضا عبدالجليل - الدراسات اللغوية في الانندلس - منشورات وزارة الثقافة والأعلام

الجمهورية العراقية - دار الرشيد - ١٩٨٠.

١٢٨- الطيب محمد سليمان - الانصاف في تاريخ الاشراف - دار الفكر العربي - القاهرة ط ١.

١٢٩- العبادي احمد مختار

● دراسات في تاريخ المغرب والانندلس - مؤسسة شباب الجامعة - الاسكندرية ١٩٩٧.

● في التاريخ العباسي والفاطمي - دار النهضة العربية - بيروت.

١٣٠- العبادي عبدالحميد - المجلد في تاريخ الانندلس - القاهرة ١٩٥٨.

١٣١- عباس احسان

● العرب في صقلية دراسة في التاريخ والادب - دار الثقافة - بيروت - ط ٢ ١٩٧٥.

● معجم العلماء والشعراء الصقليين - دار الغرب الاسلامي - بيروت ط ١ ١٩٩٤.

١٣٢- عبدالحميد سعد زغلول - تاريخ المغرب العربي م ٢ منشأة المعارف - الاسكندرية.

١٣٣- عبدالعواد حسن على حسن - دولة الادارسة بالمغرب - قيامها وتطورها حتى منتصف القرن

الثالث الهجري - رسالة ماجستير بكلية دار العلوم القاهرة - ١٩٧٦.

١٣٤- عبدالوهاب حسن حسني

● بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق - تقديم محمد العروسي - مكتبة دار المنار -

تونس - ط ٢.



- مجمل تاريخ الادب التونسي - مطبعة المنار تونس ١٩٦٦.
- ورقات من الحضارة العربية بافريقيا - تونس - ١٩٧٢.
- ١٣٥ - عبد محمد سوادي - دراسات في تاريخ المغرب العربي - جامعة البصرة - ١٩٨٩.
- ١٣٦ - العثماني محمد بن غازي - الروض الهتون في اخبار مكناسة الزيتون - الرباط - ١٩٥٢.
- ١٣٧ - العروي عبدالله.
- تاريخ المغرب محاولة في الترتيب - ترجمة د. ذوقان فرقوط - المؤسسة العربية للدراسات ١٩٧٧.
- مجمل تاريخ المغرب - المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء - ط ١٩٩٤.
- ١٣٨ - العسلي بسام - فن الحرب الاسلامي في عهود الخلفاء الراشدين والامويين - عمليات الجبهة الغربية فتوح مصر والمغرب والاندلس - دار الفكر بيروت - ١٩٨٨.
- ١٣٩ - عطا الله خضر احمد - الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي - دار الفكر العربي - القاهرة - ط ١.
- ١٤٠ - العقاد صلاح - المغرب العربي مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ط ٥ - ١٩٨٥.
- ١٤١ - عماد الدين الداعي ادريس - تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب - القسم الخاص من كتاب عيون الاخبار - تحقيق - محمد اليعلاوي - دار الغرب الاسلامي - بيروت ط ١٩٨٥.
- ١٤٢ - عنان محمد عبدالله
- دولة الاسلام في الاندلس.
- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس - القاهرة - ١٩٦٤.
- ١٤٣ - عوض نور عوض - فن المقامات بين المشرق والمغرب - دار القلم - بيروت ط ١٩٧١.
- ١٤٤ - عياض ابو الفضل بن موسى البهيصي السبتي - ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك - بيروت.
- ١٤٥ - غورسيه اميلو غومس
- الشعر العربي - مدريد - ط ١٩٣٤.
- مع شعراء الاندلس - نقله الى العربية د. الطاهر احمد مكي - مكتبة وهبه - ١٤ شارع الجمهورية - بعابدين - ط ١٣٩٤ - ١٩٧٤.
- ١٤٦ - غالب مصطفى - تاريخ الدعوة الاسماعيلية - دار الاندلس - بيروت.
- ١٤٧ - الغراب محمود محمود - الشيخ الاكبر محي الدين ابن عربي ترجمته وحياته من كلامه - مطبعة الكتاب العربي - دمشق.
- ١٤٨ - الغزالي أبو حامد - سر العالمين - تحقيق - مصطفى ابو العلا - مكتبة الجندي القاهرة.
- ١٤٩ - الغزالي عبدالامير عبدالزهرة عناد - ادب التشيع في الاندلس رسالة ماجستير - الجامعة الاسلامية الحرة - ايران قم - ١٩٧٥.

- ١٥٠- الغزي عبد الهادي حموده - الادب التونسي.
- ١٥١- الغناية مراجع عقيلة - سقوط دولة الموحدين - منشورات جامعة بنغازي ط ١٩٧٥.
- ١٥٢- الغنيمي عبدالفتاح مقلد - مؤسسة المغرب العربي م ١ - مكتبة مدبولي - القاهرة ط ١٤١٤ - ١٩٩٤.
- ١٥٣- الفاخوري حنا
- تاريخ الادب في المغرب العربي - دار الجيل - بيروت ط ١٤١٧ - ١٩٩٦.
- الموجز في الادب العربي وتاريخه - دار الجيل - بيروت ط ١٤١٢ - ١٩٩١.
- ١٥٤- الفزازي ابو القاسم - القصيدة الفزازية في مدح الخليفة الفاطمي المنصور - دراسة وتحقيق - مصطفى الزمرلي - تقديم ومراجعة - حمادي الساحلي ومحمد اليعلاوي - دار الغرب الاسلامي - بيروت ط ١٩٥٥.
- ١٥٥- فياض عبدالله - تاريخ الامامية واسلافهم من الشيعة - مؤسسة الأعلمي - بيروت ط ١٩٧٥.
- ١٥٦- القاضي النعمان بن محمد بن حيون
- رسالة افتتاح الدعوة تحقيق وداد القاضي - ط ١ دار الثقافة - بيروت - ١٩٧٠.
- المجالس والمسائرات - تحقيق - الحبيبي الفقهي - ابراهيم شبوح - محمد اليعلاوي - دار الغرب الاسلامي بيروت ط ١٩٩٧.
- ١٥٧- القرشي باقر شريف - حياة الامام الحسين - مطبعة باقري قم.
- ١٥٨- القرطبي غريب بن سعيد - صلة تاريخ الطبري - ليدن ١٨٩٧.
- ١٥٩- القيرواني الحصري ابو اسحاق ابراهيم بن علي - زهر الآداب وثمر الألباب - دار الجيل - بيروت.
- ١٦٠- القيرواني الرقيق - تاريخ افريقية والمغرب - تحقيق الكعبي - الناشر - رقيق السقفي - شارع فرنسا - تونس.
- ١٦١- كرو ابو القاسم محمد - عصر القيروان - ط ٢ دمشق.
- ١٦٢- الكعك عثمان - مراكز الثقافة في المغرب مطبوعات معهد الدراسات العربية العالية - القاهرة ١٩٥٨.
- ١٦٣- الكعبي المنجي - القزاز القيرواني - حياته وآثاره - طبع الدار التونسية - ١٩٨٦.
- ١٦٤- كنون عبدالله - النبوغ المغربي في الادب العربي - دار الكتاب اللبناني - بيروت ط ١٣٩٥ - ١٩٧٥.
- ١٦٥- ماجد عبد المنعم - ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر - دار الفكر العربي - القاهرة - ١٩٩٤.
- ١٦٦- الماجي علي حامد - المغرب في عهد السلطان ابي عنان المريني - بحوث جامعية - ١٩٨٦.
- ١٦٧- مادون محمد علي - عروبة البربر الحقيقة المغمورة - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - دمشق ١٩٩٤.
- ١٦٨- المالكي ابو بكر عبدالله بن محمد - رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم - تحقيق - بشير البكوش - دار الغرب الاسلامي - بيروت ط ١٤١٢ - ١٩٩٤.
- ١٦٩- مبارك زكي - الشر الفني في القرن الرابع الهجري - مطبعة السعادة - ط ١٩٥٧.
- ١٧٠- محفوظ محمد - تراجم المؤلفين التونسيين - دار الغرب الاسلامي - بيروت - ط ١٩٩٤.

- ١٧١- المخزومي مهدي - الدرس النحوي في بغداد - وزارة الاعلام - بغداد - ١٩٧٥.
- ١٧٢- المراكشي التيمي محي الدين عبد الواحد بن علي - المعجب في تلخيص أخبار المغرب - القاهرة - ١٣٨٣ - ١٩٦٣.
- ١٧٣- المرزباني الخراساني أبو عبدالله محمد بن عمران (ت ٣٨٤هـ) - أخبار شعراء الشيعة - تحقيق محمد هادي الاميني - شركة الكتبي - بيروت ط ١٤١٣٢ - ١٩٩٣.
- ١٧٤- المرزوقي محمد - قابس جنة الدنيا - مكتبة الخانجي مصر - مكتبة المثنى بغداد.
- ١٧٥- المرزوقي محمد - يحيى بن الحاج الجيلاني - ابو الحسن القيرواني - مطبعة المنار - مكتبة المنار - تونس ١٩٦٣.
- ١٧٦- المسعودي - مروج الذهب ومعادن الجوهر - الطبعة البهية - مصر ١٣٤٦هـ.
- ١٧٧- المشيني مصطفى ابراهيم - مدرسة التفسير في الاندلس - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ١٤٠٦ - ١٩٨٦.
- ١٧٨- المصري عبد الرحمن بن عبد الحكم - فتوح مصر والمغرب والاندلس - طبعة ليدن - ١٩٢٠.
- ١٧٩- معلوف لويس - المنجد في الأعلام - المطبعة الكاثوليكية - عاريا - بيروت ط ١٢.
- ١٨٠- المقدسي - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم - نشر - ديغويه - ليدن ١٩٠٦.
- ١٨١- مقديش محمود - نزهة الانظار في عجائب التواريخ والاخبار - تحقيق علي الزاوي - محمد محفوظ - دار الغرب الاسلامي - بيروت ط ١٩٨٨.
- ١٨٢- المقرئ التلمساني احمد بن محمد
- نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب - تحقيق - محمد محي الدين عبد الحميد - دار الكتاب العربي - بيروت.
- أزهار الرياض في أخبار عياض - تحقيق مصطفى السقا و ابراهيم الايادي و عبد الحفيظ شلبي - لجنة التأليف والترجمة ١٩٣٩.
- ١٨٣- المقرئ تقي الدين احمد بن علي
- اتعاظ الحنفا باخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء - نشر جمال الدين الشيال - القاهرة ط ١٤١٦ - ١٩٩٦.
- الخطط المقرئية كتاب المواعظ والأخبار - عباس الحمد الباز - مكة ١٤١٨.
- ١٨٤- المنائي محمد حمدي - الوزارة والوزراء في العهد الفاطمي - دار المعارف بمصر - بدون تاريخ.
- ١٨٥- مندور محمد - فن الشعر - طبع مكتبة الحلبوني - دمشق - بدون تاريخ.
- ١٨٦- المنصوري العزيزي - سيرة الاستاذ جؤذر - تحقيق - د. محمد كامل حسين و محمد عبد الهادي شعيره.
- ١٨٧- مؤلف مجهول - الحلل الموشية في ذكر الاخبار التونسية - طبع تونس ١٣٢٩م.
- ١٨٨- مؤنس حسين



- تاريخ المغرب وحضارته - العصر الحديث - بيروت - ط ١٤٢١ - ١٩٩٢.
- فتح العرب للمغرب - القاهرة ١٩٧٤.
- معالم تاريخ المغرب والاندلس - دار الرشاد - القاهرة ط ٢ - ١٤١٨ - ١٩٩٧.
- ١٨٩ - موسى عز الدين عمر - الموحدون في المغرب الاسلامي تنظيماتهم ونظمهم - دار الغرب الاسلامي - بيروت ط ١٩٩١.
- ١٩٠ - النجار عبد الحميد
- تجربة الاصلاح في حركة ابن تومرت - المعهد العالمي للفكر الاسلامي - ط ١٩٩٥.
- المهدي بن تومرت - دار الغرب الاسلامي - بيروت - ط ١٤٠٣ - ١٩٨٣.
- ١٩١ - نصر الله سعدون عباس - دولة الادارسة في المغرب - دار النهضة - بيروت ط ١٩٨٧.
- ١٩٢ - النويري شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب - ٦٧٧ - ٧٣٣ - نهاية الارب في فنون الادب - تحقيق - د. حسين نصار - مراجعة - د. عبدالعزيز الاهواني - المكتبة العربية - القاهرة - ١٤٠٣ - ١٩٨٣.
- ١٩٣ - النيفر الشيخ محمد - النيفر الشيخ على - عنوان الارب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم وأديب - دار الغرب الاسلامي - بيروت ط ١٩٩٦.
- ١٩٤ - الهرفي سلامة محمد سلمان - دولة المرابطين - دار الندوة - ١٩٨٥.
- ١٩٥ - الهيتي عبد القادر رحيم - خصائص مذهب اهل الاندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري - ساعدت جامعة بغداد على طبعه - رقم التعضيد «٥» لسنة ١٩٨٢.
- ١٩٦ - هيكمل احمد - الأدب الأندلسي.
- ١٩٧ - ياغبى عبد الرحمن - حياة القيروان وموقف ابن رشيق - بيروت ١٩٦١.
- ١٩٨ - اليعلاوي محمد - الادب بافريقية في العهد الفاطمي - جمع وتحقيق - دار الغرب الاسلامي ط ١٩٨٦.

الدواوين

- ١ - ديوان ابن الابار القضاعي - تحقيق د. عبد السالم الهراس - الدار التونسية للنشر - ١٤٠٥ - ١٩٨٥.
- ٢ - ديوان ابن شهيد الأندلسي - جمعه وحققه يعقوب زكي - راجعه د. محمود على مكى - دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - القاهرة.
- ٣ - ديوان ابن المعز - دار الكتاب العربي.
- ٤ - ديوان ابن هانيء الأندلسي - دار صادر.
- ٥ - ديوان تميم بن المعز الفاطمي - طبع باشراف على عبد العظيم - محمد عبد العظيم بدر - ابراهيم عطا فرج - طبعة دار الكتب ١٩٥٧.
- ٦ - ديوان الرصافي البلسني - جمعه وقدم له د. احسان عباس - دار الشرق - بيروت ط ٢ - ١٤٠٣ - ١٩٨٣.

- ٧- ديوان الشريف الرضي - دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت ١٤٠٣ - ١٩٨٣.
٨- ديوان الفرزدق - دار الكتاب العربي.

المجلات العلمية المختصة

- ١- مجلة البحث العلمي - المركز الجامعي للبحث العلمي في الرباط «المغرب».
٢- مجلة الجامعة التونسية «حوليات الجامعة التونسية» الاعداد ١٠ - ١٧.
٣- مجلة الجامعة المستنصرية - تصدرها رئاسة الجامعة المستنصرية - بغداد - العدد الثاني - السنة الثانية - مطبعة سلمان الاعظمي - بغداد - ١٣٩١ - ١٩٧١.
٤- مجلة دراسات تاريخية - جامعة دمشق - الجمهورية العربية السورية - العدد السابع.
٥- مجلة دعوة الحق.
٦- مجلة رسالة الاسلام - تصدر عن دار التقريب بين المذاهب الاسلامية - القاهرة.
٨- مجلة المعهد المصري - مدريد - المجلد الثاني ١٩٥٤.

